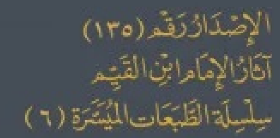


الإصدار رقم (١٣٥)
آثار الإمام ابن القيم
سلسلة الطبعات الميسرة (٦)



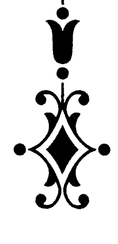
حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح

طبعة محققة مهذبة الحواشي مجردة من المقدمات والفهارس

تأليف
الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب
المعروف بـ «ابن قيم الجوزية»
(٦٩١هـ - ٧٥١هـ)



دار عطاءات العلم




حادي الأرواح
إلى بلاد الأفراح

ح دار عطاءات العلم للنشر، ١٤٤٥هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الجوزية ، ابن قيم
حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح. / ابن قيم الجوزية - ط١.. - الرياض ، ١٤٤٥هـ
٥٥٦ ص ؛ ..سم
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٤١٠-٠٣-٥
١- الجنة و النار ٢- الحياة الاخرى ٣- الروح أ.العنوان
ديوي ٢٣٤ ١٤٤٥ / ٥٨٩
رقم الإيداع: ١٤٤٥/٥٨٩ ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٤١٠-٠٣-٥

دار عطاءات العلم

info@ataat.com.sa
00966 559222543
@ ataat11

الطبعة الأولى
١٤٤٥هـ / ٢٠٢٣م



توزيع

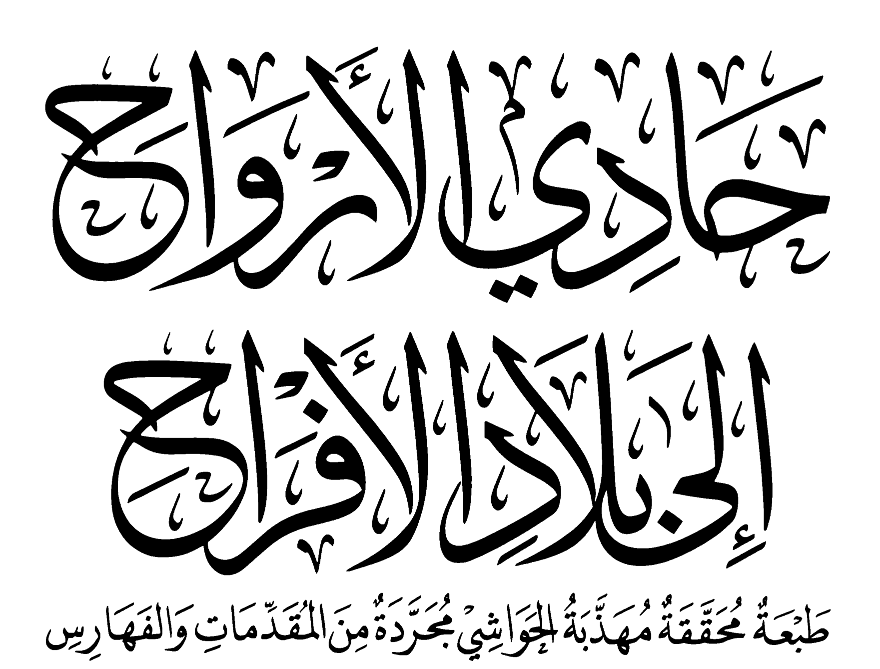
دار الحضارة

المملكة العربية السعودية - الرياض
daralhadarah@hotmail.com
الرقم الموحد: 920000908 الفاكس: 2702719 - 011
@daralhadarah 0551523173
زوروا متجر الحضارة
daralhadarah.net



الإصدار رقم (١٣٥)
آثار الإمام ابن القيم
سلسلة الطبعات الميسرة (٦)

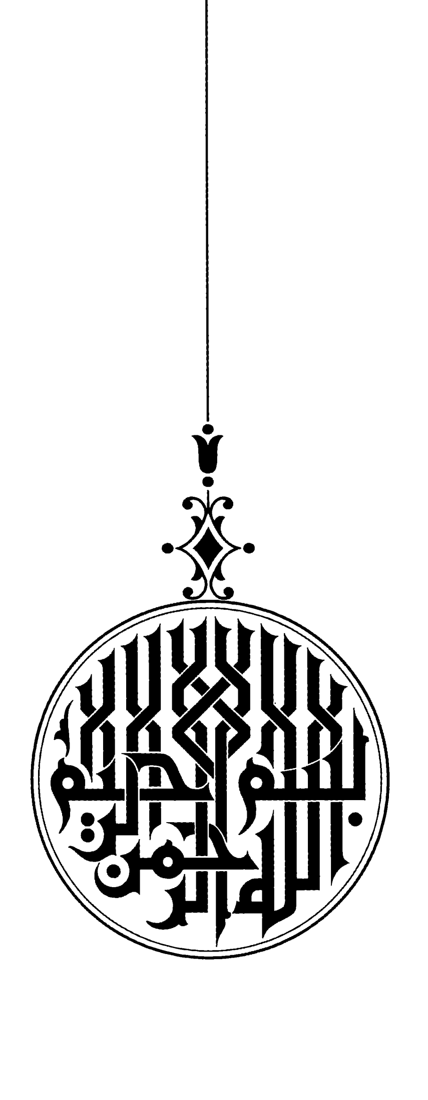




طبعة محققة مهذبة الحواشي مجردة من المقدمات والفهارس

تأليف
الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب
المعروف بـ «ابن قيم الجوزية»
(٦٩١هـ - ٧٥١هـ)




بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمدُ لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإنّ العناية بالتراث العلمي لأئمة السلف تحقيقًا وتيسيرًا ونشرًا من أشرف المقاصد وأنفع الأعمال وأجل القربات، لا سيما العناية بآثار العلماء المشهود لهم بغزارة العلم وحسن الاختيار وبراعة التصنيف، ممّن كتب الله تعالىٰ لمؤلفاتهم القبول في مشارق الأرض ومغاربها عبر القرون.

وإنّ من فضل الله ﷻ علىٰ «عطاءات العلم» وتمام توفيقه أنْ بوّأها مراتب السَّبْق ومنازل الريادة في عديدٍ من المجالات العلمية، فأثْرَت الساحة العلمية بدراسات محكمة وبحوث متخصصة ومناهج دراسية، وكان لتقريب التراث ونشره أوفىٰ نصيب؛ إذ عملت علىٰ تحقيق ونشر العشرات من أمهات كتب التراث لنخبة من العلماء.

وفي طليعة هذه الأعمال تأتي العناية بنشر آثار الأئمة الأعلام (شيخ الإسلام ابن تيميّة، والعَلّامة ابن قيم الجوزية، والعَلّامة المُعلِّمي، والعَلّامة الشِّنقيطي) رحمة الله تعالىٰ عليهم أجمعين، امتدادًا لمشروع علمي ضخم انطلق منذ عقدين من الزمان، ولا يزال أهل العلم وطلابه يتفيؤون ظلاله، وينهلون من موارده.

هذا ويَطيبُ لـ«عطاءات العلم» تدشين مرحلة جديدة في هذا المشروع المبارك، بتقديم سلسلة: «الطبعات المُيَسَّرة» لمختارات من مؤلفات ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالىٰ مما سبق نشره ضمن أعمال المشروع، وكانت الحاجة إليها ماسّة، من أجل تيسير الانتفاع بهذه الكتب، وتوسيع دائرة نشرها، وتعظيم أثرها، وتسهيل

اقتنائها، وزيادة قرائها؛ بطبعات أصغر حجمًا وأقل تكلفة، وذلك وفق خطوات التيسير الآتية:

١- الاعتماد علىٰ الطبعات المحقّقة التي تنشرها «عطاءات العلم» تحت مسمىٰ (آثار الإمام ابن قيم الجوزية وما لحقها من أعمال).

٢- إثبات نصِّ كلام ابن القيم كاملًا دون تصَرُّفٍ أو اختصار، كما جاء في طبعته المحقّقة.

٣- تجريد الكتاب من المقدمات الدراسية والفهارس التفصيلية، خلا مقدمة محقق الطبعة المحقّقة وفهرس موضوعات الكتاب.

٤- تهذيب حواشي التحقيق، وتجريدها من فروق النُّسخ وما إليها.

٥- اختصار تخريج الأحاديث والآثار، مع بيان درجة الحديث بإيجاز.

٦- الإبقاء علىٰ بيان معاني الألفاظ الغريبة، مع ضبط ما يلزم بالشَّكل.

٧- الإحالة بجوار العناوين الرئيسة إلىٰ ما يقابلها من صفحة الطبعة المحقّقة.

واللهَ نسألُ أن يبارك في هذه السلسلة، ويتقبّلها بقبول حسن، وأن ينفع بها الأمة، ويجزل الأجر، ويعظم المثوبة للشيخ سليمان بن عبد العزيز الراجحي ومؤسسته الخيرية الرائدة علىٰ الرعاية المباركة التي أثمرت هذه السلسلة الجديدة وما سبقها من أعمال.

والحمد لله أولًا وآخرًا



مقدمة التحقيق

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ لهُ، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فهذا كتاب «حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح» لابن قيم الجوزية، ضمَّنه مؤلفه ما أعدَّه اللهُ لأهل الجنَّة: من نُزُل ونعيمٍ مقيم، وهو كتاب كما قال عنه مؤلفه: «اسمٌ يطابق مسمَّاه، ولفظٌ يوافق معناهُ، فهو مثير ساكن العزمات إلىٰ روضات الجنَّات، وباعث الهِمَم العليَّات إلىٰ العيش الهني في تلك الغرفات».

زَائِدْ بن أَحْمَد النّشيْريْ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي جعل جنَّات الفردوس لعباده المؤمنين نُزُلًا، ويسَّرهم للأعمال الصالحة الموصلة إليها، فلم يتخذوا سواها شُغُلًا، وسهَّل لهم طُرقها، فسلكوا السبيل الموصلة إليها ذُلُلًا، خلقها لهم قبل أن يخلقهم، وأسكنهم إيَّاها قبل أن يُوجدهم، وحجبها بالمكاره، وأخرجهم إلىٰ دار الامتحان، ليبلوهم أيُّهم أحسنُ عملًا، وجعل ميعاد دخولها يوم القدوم عليه، وضرب مدَّة الحياة الفانية دونه أجلًا، أودعها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر علي قلب بشر، وجلَّاها عليهم حتَّىٰ عاينوها بعين البصيرة التي هي أنفذ من رؤية البصر، وبشَّرهم بما أعدَّ لهم فيها علىٰ لسان رسوله خير البشر، وكمَّل لهم البشرىٰ بكونهم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا﴾ [الكهف:١٠٨].

والحمد لله فاطرِ السماوات والأرضِ، جاعل الملائكة رسلًا، وباعث الرسل مبشرين ومنذرين، لئلا يكون للنَّاس علىٰ اللهِ حُجَّةٌ بعد الرسل، إذ لم يخلقهم عبثًا، ولم يتركهم سُدىً، ولم يغفلهم هملًا، بل خلقَهم لأمرٍ عظيمٍ، وهيَّأهم لِخَطْبٍ جسيم، وعمَّر لهم دارين، فهذه لمن أجابَ الدَّاعي، ولم يبغِ سوىٰ ربه الكريم بدلًا، وهذه لمن لم يُجب دعوته، ولم يرفع بها رأسًا، ولم يعلِّق بها أمَلًا.

والحمد لله الَّذي رضي من عباده باليسير من العمل، وتجاوزَ لهم عن الكثير من الزَلل، وأفاضَ عليهم النعمة، وكتب علىٰ نفسه الرحمة، وضمَّن الكتاب الَّذي كتبه: أنَّ رحمته سبقت غضبه. دعا عباده إلىٰ دار السلام، فعمَّهم بالدَّعوة حُجَّةً منه عليهم وعَدلًا، وخصَّ بالهداية والتوفيقِ من شاء نعمةً منه وفضلًا، فهذا عدْلُه وحكمته، وهو العزيز الحكيم، وذلك فضلُه يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ له، شهادةَ عبده وابن عبدِه وابن أمَتِه، ومن لا غنىٰ به طرفة عينٍ عن فضله ورحمته، ولا مطمع له في الفوز بالجنَّة والنجاة من النَّار إلا بعفوه ومغفرته.

وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسوله، وأمينُه علىٰ وحيِه، وخيرته من خَلْقِه، أرسله رحمةً للعالمين، وقدوةً للعاملين، ومحجَّةً للسَّالكين، وحُجَّةً علىٰ العباد أجمعين، بعثه للإيمان به مناديًا، وإلىٰ دار السَّلام داعيًا، وللخليقة هاديًا، ولكتابه تاليًا، وفي مرضاته ساعيًا، وبالمعروف آمرًا، وعن المنكر ناهيًا، أرسلَه علىٰ حين فترةٍ من الرسل، ودروسٍ من السبل، فهدىٰ به إلىٰ أقوم الطرق، وأوضح السبل، وافترضَ علىٰ العباد طاعته ومحبته، وتعزيره، وتوقيره، والقيامَ بحقوقه، وسدَّ إلىٰ الجنَّة جميع الطرقِ، فلم يفتحها لأحدٍ إلا من طريقه، فلو أتوا من كلِّ طريق، واستفتحوا من كلِّ بابٍ، لَمَا فُتِحَ لهم حتىٰ يكونوا خَلْفَهُ من الدَّاخلين، وعلىٰ منهاجه وطريقته من السالكين.

فسبحانَ من شرحَ له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذِكْرَهُ، وجعل الذلَّة والصغار علىٰ من خالفَ أمره.

فدعا إلىٰ اللهِ وإلىٰ جنته سرًّا وجهارًا، وأذَّنَ بذلك بين أظهُرِ أُمَّتِهِ ليلًا ونهارًا، إلىٰ أنْ طلع فجرُ الإسلام، وأشرقت شمسُ الإيمان، وعلتْ كلمة الرحمن، وبَطلت دعوة الشيطان، وأضاءت بنور رسالته الأرضُ بعد ظلماتها، وتألَّفت به القلوب بعد تفرُّقها وشتاتها، فأشرقَ وجه الدهر حسنًا، وأصبح الظلامُ ضياءً، واهتدىٰ كلُّ حيران، فلمَّا أكملَ اللهُ به دينه، وأتمَّ به نعمته، ونشرَ به علىٰ الخلائق رحمته، فبلَّغ رسالات ربه ونصح عباده، وجاهد في اللهِ حقَّ جهاده = خيَّره بين المُقام في الدنيا وبين لقائه والقدوم عليه، فاختار لقاءَ ربِّه محبَّةً له، وشوقًا إليه، فاستأثر به ونقله

إلىٰ الرفيق الأعلىٰ، والمحل الأرفع الأسنىٰ، وقد ترك أمته علىٰ الواضحة الغرَّاء، والمَحَجَّةِ البيضاء، فسلك أصحابُه وأتباعهم علىٰ أثره إلىٰ جنَّات النَّعيم، وعدلَ الراغبون عن هديه إلي طريقِ الجحيم: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٤٢].

فصلَّىٰ اللهُ وملائكته وأنبياؤه ورسله وعبادُه المؤمنون عليه، كما وحَّد الله وعبَدَهُ، وعرَّفنا به ودعا إليه.

أمَّا بعدُ: فإنَّ اللهَ سبحانه وتعالىٰ لم يخلق خلقهُ عَبَثًا، ولم يتركهم سُدًىٰ، بل خلقهم لأمرٍ عظيمٍ، وخطْبٍ جسيمٍ، عُرِضَ علىٰ السماوات والأرض والجبال فأبينَ وأشْفَقْنَ منه إشفاقًا ووجلًا، وقلن: ربَّنا إن أمرتنا فسمعًا وطاعةً، وإن خَيَّرْتَنَا فعافيتك نُريد، لا نَبْغي بها بدَلًا. وحمَلَهُ الإنسانُ علىٰ ضَعْفِهِ وعجزِه عن حمله، ونَاءَ به علىٰ ظُلمه وجهله، فألقىٰ أكثرُ النَّاسِ الحِمْلَ عن ظهورهم لشدَّة مؤنَتِهِ عليهم وثقله، فصحبوا الدنيا صحبةَ الأنعام السَّائمة، لا ينظرون في معرفة مُوجِدِهم وحقِّهِ عليهم، ولا في المراد من إيجادهم وإخراجهم إلىٰ هذه الدَّار، التي هي طريق ومَعْبر إلىٰ دار القرار، ولا يَتَفكَّرُون في قلَّة مقامهم في الدنيا الفانية، وسُرعة رحيلهم إلىٰ الآخرة الباقية، فقد ملكهم باعثُ الحِسِّ، وغاب عنهم داعي العقل، وشملتهم الغفلة، وغرَّتهم الأمانيُّ الباطلة، والخُدَع الكاذبة، فخدَعَهم طولُ الأمل، ورَانَ علىٰ قلوبهم سوءُ العمل، فهِمَمُهُم في لذَّات الدنيا، وشهوات النفوس، كيف حَصَلَتْ حصَّلوها، ومن أيِّ وجهٍ لاحت لهم أخذوها، إذا أبدىٰ لهم حظٌّ من الدنيا ناجِذَيْه طاروا إليه زُرَافاتٍ[1] ووحدانًا، وإذا عَرض لهم عرضٌ عاجلٌ من الدنيا لم يؤثروا عليه ثوابًا من الله ولا رضوانًا: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم:٧]،

(١) الزرافات: الجماعات، والزرافة -بالفتح-: الجمع من الناس.

﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [الحشر:١٩].

والعَجبُ كلُّ العجب مِنْ غفلة مَنْ لحظاتُه معدودةٌ عليه، وكل نَفَسٍ من أنفاسه لا قيمة له، وإذا ذهب لم يرجع إليه، فمَطَايا الليلِ والنَّهار تُسرِعُ به، ولا يتفكَّرُ إلىٰ أين يُحْمل، ويسارُ به أعظم من سير البَرِيْدِ، ولا يدري إلىٰ أيِّ الدَّارين يُنقل، فإذا نَزَلَ به الموتُ اشتدَّ قلقُهُ لخراب ذاتِهِ، وذهاب لذَّاتِهِ، لا لِمَا سبقَ من جنَاياتِهِ، وسلَفَ مِنْ تَفْرِيْطِهِ، حيثُ لم يُقَدِّم لحياته، فإن خطرتْ له خطَرَةٌ عارضةٌ لِمَا خُلِقَ له، دَفَعَها باعتماده علىٰ العفو، وقال: قد أنبأنا الله أنَّه هو الغفور الرحيم، وكأنَّه لم يُنَبَّأْ: أنَّ عذابه هو العذابُ الأليم.

فصـــل

ص(٨)

ولمَّا علم المُوَفَّقون ما خُلقوا له، وما أريدَ بإيجادهم، رفعوا رؤوسهم، فإذا عَلَم الجنة قد رُفِعَ لهم، فشَمَّروا إليه، وإذا صراطُها المستقيم قد وَضَحَ لهم، فاستقاموا عليه، ورأوا من أعظمِ الغَبْنِ[١] بيعُ ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطرَ علىٰ قلب بشر، في أبدٍ لا يزول، ولا ينفذُ = بصُبَابَة[٢] عيشٍ، إنَّما هو كأضغاث أحلام، أو كطيفٍ[٣] زارَ في المنَام، مَشوبٍ بالنُّغَصِ[٤]، ممزوجٍ بالغُصَصِ[٥]، إنْ أضحك قليلًا أبكىٰ كثيرًا، وإن سَرَّ يومًا أحزنَ شهورًا، آلامُهُ تزيدُ علىٰ لذَّاتِهِ، وأحزانه أضعافُ أضعاف مَسَرَّاتِهِ، أوله مخَاوف، وآخرُهُ مَتَالِف.

(١) الغبن: النقص.

(٢) الصُّبابة: البقيَّة من الماءِ في الإناء، والمعنىٰ: بحياةٍ قصيرة.

(٣) الطائف: ما كان كالخيال، يلمُّ بالشخص.

(٤) النغص: الكدر.

(٥) الغُصَصَ: ما اعترض في الحَلْق من شجىٰ أو طعام أو شراب.

فيَا عَجبًا من سفيهٍ في صورة حكيم، ومعتوهٍ في مِسْلَاخ[١] عاقلٍ، آثر الحظ الفاني الخسيس، علىٰ الحظِّ الباقي النفيس، وباع جنَّةً عرضها السموات والأرض؛ بسجنٍ ضيِّقٍ بين أرباب العاهات، ومساكن طيِّبةً في جنَّات عدن تجري من تحتها الأنهارَ، بأعْطَانٍ[٢] ضيقة آخرها الخرابُ والبوار، وأبكارًا عُرُبًا أَتْرَابًا، كأنَّهنَّ الياقوتُ والمرجان؛ بِقَذراتٍ دَنِسَات سيئات الأخلاق مسافحات، أو متخذات أَخْدَانٍ[٣]، وحُوْرًا مقصورات في الخيام؛ بخبيثات مُسِيئاتٍ بين الأنامِ، وأنهارًا من خمرٍ لذَّةٍ للشاربين؛ بشرابٍ نَجس مُذهبٍ للعقل مُفسدٍ للدنيا والدِّين، ولذَّة النظر إلىٰ وجه العزيز الرحيم؛ بالتمتع برؤية الوجهِ القبيح الدميم، وسماعَ الخطاب من الرحمن؛ بسماع المعازف والغناء والألحان، والجلوس علىٰ منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد يوم المَزيد؛ بالجلوس في مجالس الفسوق مع كل شيطانٍ مريدٍ، ونداءَ المنادي يا أهل الجنَّة: «**إنَّ لكم أن تنعموا فلا تبأسوا، وتحيوا فلا تموتوا، وتقيموا فلا تظعنوا، وتشبُّوا فلا تهرموا**»[٤]؛ بغناءِ المُغَنِّين:

وقَفَ الهَوَىٰ بِي حَيْثُ أَنْتِ فَلَيْسَ لِي ... مُتَأَخــرٌ عَنْــهُ ولا مُتَقَـدَّمُ

أَجِـدُ المَلامَةَ في هَـوَاكِ لذيذة ... حُبًّـا لِذِكْـرِكِ، فَلْيَلُمْنِـي اللُّـوَّمُ

وإنَّما يظهرُ الغَبْنُ الفاحشُ في هذا البيعِ يومَ القيامة، وإنَّما يتبينُ سَفَهُ بائِعِهِ يوم الحسرةِ والندامة، إذا حُشِرَ المتقون إلىٰ الرحمن وفدًا، وسيقَ المجرمون إلىٰ جهنَّم وِرْدًا، ونادىٰ المُنادي علىٰ رؤوس الأشهاد، ليعلمنَّ أهلُ الموقفِ من أولىٰ بالكرمِ

(١) المسْلاخ: الإهاب، أي: الجلد.

(٢) الأعطان جمع عَطَن، وهو مبارك الإبل عند الماء لتشرب عَلَلاً بعد نَهَلٍ.

(٣) أخدان جمع خِدْن، والخدين: الصَّديق.

(٤) أخرجه مسلم (٢٨٣٧).

من بين العبادِ، فلو توهم المتخلف عن هذه الرفقة ما أُعِدَّ لهم من الإكرام، وادُّخرَ لهم من الفضل والإنعام، وما أُخْفِيَ لهم من قُرَّة أعين، لم يقعْ علىٰ مثلها بصر، ولا سمعته أذن، ولا خطرَ علىٰ قلب بشر = لَعَلِمَ أيَّ بضاعة أضاع، وأنَّه لا خيرَ له في حياته، وهو معدودٌ من سَقَطِ المتاعِ، وعلمَ أنَّ القومَ قد توسَّطوا مُلْكًا كبيرًا، لا تعتريه الآفات، ولا يلحَقه الزوال، وفازوا بالنَّعيمِ المُقيمِ في جوار الكبير المُتَعَالِ.

فهُمْ في روضاتِ الجنَّات يتقلبون، وعلىٰ أَسِرَّتهَا تحت الحِجَالِ يجلسون، وعلىٰ الفُرشِ -التي بطائنها من استبرقٍ- يتَّكئون، وبالحور العين يتمتعون، وبأنواع الثمار يتفكهون، ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة:١٧-٢٤]، ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف:٧١].

تاللهِ، لقد نُوديَ عليها في سوقِ الكَسادِ، فما قلَّبَ ولا استام إلا أفرادٌ من العباد، فواعجبًا لها كيفَ نامَ طالبُها؟ وكيف لم يسمح بمهرها خاطبُها؟ وكيف طابَ العيش في هذه الدَّار بعد سماعِ أخبارها؟ وكيف قرَّ للمشتاق القَرار، دون مُعانقة أبكارها؟ وكيف قرَّتْ دونها أعينُ المُشتاقين؟ وكيف صَبَرتْ عنها أنفس الموقنين؟ وكيف صَدَفَتْ عنها قلوب أكثر العالمين؟ وبأيِّ شيءٍ تعوَّضَتْ عنها نفوس المُعْرِضِينَ؟

وَمَـا ذاك إلا غيـرةً أنْ يَنَالهـا ... سِوَىٰ كفئها، والرَّبُّ بالخلق أعلَمُ

وإنْ حُجِبَـتْ عنَّا بـكلِّ كريهةٍ ... وحُفَّت بما يؤذي النفوس ويُؤْلِمُ

فللَّهِ ما في حشـوها من مَسـرَّةٍ ... وأصنـافِ لـذَّاتٍ بهـا يُتَنَعَّـمُ

ولله بـردُ العيـشِ بيـنَ خيامها ... وروضاتها، والثغرُ في الروضُ يَبسمُ

وَلله واديها الَّذي هـو موعدُ الـ ... مزيد لِوَفْدِ الحُبِّ، لـو كُنْتَ مِنْهُم

بذيَّالك الـوادي يهيـمُ صبابة ... مُحِـبٌّ يـرَىٰ أنَّ الصبابـةَ مغنـمُ

ولله أفـراحُ المُحبيـن عندمـا ... يُخَاطِبُهـم مـن فوقهـم، ويُسَـلِّمُ

ولله أبصـارٌ تـرىٰ الله جهـرةً ... فـلا الضيمُ يغشـاها، ولا هي تسأمُ

فيا نظرةً أَهْدَتْ إلىٰ الوجهِ نَضْرَةً ... أَمِنْ بعدِها يَسلو المحبُّ المُتيَّمُ

ولله كـم من خَيْرَةٍ إنْ تَبَسَّـمتْ ... أضـاء لها نـورٌ من الفجـر أعظمُ

فيا لذَّةَ الأبصـار إنْ هي أقبلتْ ... ويـا لـذَّة الأسـماع حيـن تكلَّـمُ

ويا خجْلَةَ الغصن الرطيب إذا انـثنتْ ... ويـا خجلة الفجرين حين تَبَسَّـمُ

فإن كنت ذا قلـبٍ عليل بحبها ... فلـم يَبْقَ إلا وصلُها لـك مَرْهَمُ

ولا سـيَّما في لَثْمِها عند ضمها ... وقـد صارَ منها تحت جيدِكَ معصمُ

تراه إذا أبدتْ لهُ حُسْـنَ وجهِها ... يلَـذُّ بـه قبـل الوصـال، ويَنعَـمُ

تفكَّهُ فيها العيـنُ عند اجتلائها ... فواكـه شتَّىٰ، طلعُها ليس يُعْدَمُ

عناقيدَ مـن كرمٍ، وتفـاحَ جنَّةٍ ... ورمَّـانَ أغصـانٍ به القلـبُ مغرمُ

ولِلوَرد ما قد ألبَسَـتْهُ خُدودُهَا ... وللخمر ما قد ضمَّـهُ الرِّيقُ والفمُ

تقسَّـم منها الحسنُ في جمعٍ واحدٍ ... فَيـا عجبًـا مـن واحـدٍ يتقسَّـمُ

لها فِرَقٌ شتَّىٰ من الحُسن أُجمِعَتْ ... بجُملَتِهَـا، إنَّ السُّـلوَّ مُحَـرَّمُ

تُذَكِّـرُ بالرَّحمن مَـنْ هُوَ ناظرٌ ... فينطـقُ بالتَّسـبيحِ لا يتلعثـمُ

إذا قَابَلَتْ جيـشَ الهُموم بوجهها ... تولَّـىٰ علىٰ أعقابه الجيشُ يُهْزَمُ

فيا خاطِبَ الحسـناء إنْ كُنْتَ باغيًا ... فهـذا زمـانُ المَهـر فهـو المُقَـدَّمُ

وكن مُبغضًا للخائنات لحبِّها فتحظىٰ بها من دُونِهنَّ وَتَنْعَمُ

وكنْ أيِّمًا ممَّن سواها فإنَّها لمثلكَ في جنَّاتِ عَدْنٍ تأيَّمُ

وصُمْ يومَكَ الأدنىٰ لعلَّك في غدٍ تفوزُ بعيد الفطر، والنَّاسُ صُوَّمُ

وأقدمْ ولا تقنعْ بعيشٍ مُنَغَّصٍ فما فاز باللَّذاتِ من ليس يُقدِمُ

وإنْ ضاقت الدنيا علَيك بأسرها ولم يكُ فيها مَنْزِلٌ لك يُعْلَمُ

فحيَّ علىٰ جنَّاتِ عدنٍ فإنَّها منازلُك الأولىٰ وفيها المُخيَّمُ

ولكنَّنا سَبْيُ العدوِّ فهل ترىٰ نَعودُ إلىٰ أوطاننا ونسلمُ

وقد زعموا أنَّ الغريبَ إذا نأىٰ وشطَّتْ بهِ أوطانُهُ فهْوَ مُغرَمُ

وأيُّ اغترابٍ فوقَ غُربتنا التي لها أَضْحَتِ الأعداءُ فينا تَحَكَّمُ

وحيَّ علىٰ السوقِ الَّذي فيه يلتقي الـ مُحِبُّونَ ذاك السُّوق للقوم مُعلمُ

فما شئت خذْ منه بلا ثمنٍ له فقد أسلَفَ التُّجارُ فيه وأسلموا

وحيَّ علىٰ يومِ المزيد الَّذي به زيارةُ ربِّ العرشِ، فاليوم مَوسِمُ

وحيَّ علىٰ وادٍ هنالكَ أَفْيَحٍ[1] وتُربتهُ مِنْ أذفَرِ المِسْكِ أَعْظَمُ

منابرُ من نورٍ هناكَ وفضةٍ ومن خالصِ العِقْيان[2] لا يتقصَّمُ

وكثبانُ مسكٍ قد جُعِلْنَ مقاعدًا لِمَنْ دونَ أصحابِ المنابر تُعلم

فبينا همُ في عيشِهم وسرورهم وأرزاقُهُم تجري عليهم وتُقْسَمُ

إذا همْ بنورٍ ساطعٍ أشْرَقَتْ له بأقطارها الجنَّاتُ لا يُتَوَهَّمُ

(١) الأفيح: الواسع. وأيضًا: فاح المسك فيحًا.

(٢) العقيان: ذهب متكاثف في مناجمه، خالص ممَّا يختلط به من الرِّمال والحجارة.

تَجَلَّىٰ لَهُمْ ربُّ السماوات جهْرَةً فيضحَكُ فوقَ العرشِ ثُمَّ يُكَلِّمُ
سَلَامٌ عليكم يسمعون جميعُهُم بآذانهم تَسْليمَه إذْ يُسَلِّمُ
يقولُ سَلوني ما اشْتَهَيْتُمْ فكُلُّ ما تُريدونَ عندي، إنَّني أنا أرْحَمُ
فقالوا جميعًا: نحنُ نسْألُكَ الرضا فأنْتَ الَّذي تولي الجميلَ وترحمُ
فيعطيهم هذا، ويُشهِدُ جمعهم عليه، تعالىٰ اللهُ، فاللهُ أكرمُ
فيا بائعًا هذا ببخسٍ مُعَجَّلٍ كأنَّك لا تَدري، بلىٰ سوفَ تَعْلَمُ
فإنْ كُنْتَ لا تدري فتلكَ مصيبةٌ وإنْ كنتَ تَدْري فالمصيبة أعظمُ[1]

فصل

ص(١٥)

وهذا كتابٌ اجتهدتُ في جمعه وترتيبه وتفصيله وتبويبه، فهو للمَحْزونِ سَلْوَةٌ، وللمشتاق إلىٰ تلك العرائسِ جَلوة، محرِّكٌ للقلوب إلىٰ أجلِّ مطلوبٍ، وحادٍ للنفوس إلىٰ مُجاورة الملك القدوس، ممتعٌ لقارئه، مشوِّقٌ للناظر فيه، لا يَسأمُه الجليسُ، ولا يَملُّه الأنيس، مُشتَمِلٌ من بدائع الفوائد، وفرائد القلائد، علىٰ ما لعلَّ المجتهد في الطلب لا يظْفَرُ به فيما سواهُ من الكتب، مع تضمُّنه لجملة كثيرةٍ من الأحاديث المرفوعات، والآثار الموقوفات، والأسرارُ المودعة في كثيرٍ من الآيات، والنكت البديعات، وإيضاح كثيرٍ من المشكلاتِ، والتنبيه علىٰ أصول من الأسماء والصفات.

إذا نظر فيه النَّاظر زاده إيمانًا، وجلىٰ عليه الجنَّة حتىٰ كأنَّه يشاهدها عيانًا، فهو مثيرُ ساكن العزمات إلىٰ روضات الجنَّات، وباعث الهمم العليات إلىٰ العيش الهنيِّ في تلك الغرفات.

---

(١) هذه الأبيات قطعة من «القصيدة الميميَّة» للمؤلف، وقد ذكر قطعة كبيرة منها في «طريق الهجرتين» (ص/ ٥١ - ٥٥).

وسميته «**حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح**» فإنَّه اسمٌ يطابق مسمَّاهُ، ولفظٌ يوافق معناه، والله يعلمُ ما قصدتُ، وما بجمعه وتأليفهِ أردتُ، فهو عند لسان كل عبدٍ وقلبه، وهو المطلِعُ علىٰ نيته وكسبهِ، وكان جُلُّ المقصود منه بشارة أهلِ السنَّةِ بما أعدَّ اللهُ لهم في الجنَّة؛ فإنَّهم المستحقون للبُشرىٰ في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ونِعَمُ اللهِ عليهم باطنة وظاهرة، وهم أولياء الرسول وحزبه، ومن خرَجَ عن سُنَّته فهم أعداؤهُ وحربه، لا تأخذهم في نصرة سنته ملامة اللوَّام، ولا يتركون ما صحَّ عنه لقول أحدٍ من الأنام، والسُّنَّةُ أجلُّ في صدروهم من أنْ يُقَدِّموا عليها رأيًا فقهيًّا، أو بحثًا جدليًّا، أو خيالًا صوفيًّا، أو تناقضًا كلاميًّا، أو قياسًا فلسفيًّا، أو حكمًا سياسيًّا، فمن قدَّم عليها شيئًا من ذلك، فبابُ الصوابِ عليه مسدودٌ، وهو عن طريق الرشاد مصدود.

فيا أيُّها النَّاظرُ فيه لك غُنْمه، وعلىٰ مؤلفه غُرْمُهُ، ولك صَفْوُهُ، وعليه كَدَرُه، وهذه بضاعته المُزْجَاة تُعرَضُ عليك، وبَنَاتُ أفكارِهِ تُزَفُّ إليك، فإنْ صادفت كفؤًا كريمًا لن تعدم منه إمساكًا بمعروفٍ أو تسريحًا بإحسانٍ، وإنْ كان غيرَه فالله المستعان، فما كان من صواب فمن الواحد المنَّانِ، وما كان من خطأٍ فمنِّي ومن الشيطان، واللهُ بريٌ منه ورسوله.

وقد قسَّمتُ الكتاب سبعين بابًا.

الباب الأوَّل: في بيان وجود الجنَّة الآن.

الباب الثاني: في اختلاف النَّاس في الجنَّة التي أسكنها آدم، هل هي جنة الخلد أو جنة في الأرض؟

الباب الثالث: في سياق حجج من ذهب إلىٰ أنَّها جنَّةُ الخلدِ.

الباب الرَّابع: في سياق حجج الطائفة التي قالت: إنَّها في الأرض.

الباب الخامس: في جواب أرباب هذا القولِ لمن نازعهم.

الباب الرَّابع والعشرون: في ذكر بوابيها وخزنتها.

الباب الخامس والعشرون: في ذكر أوَّل من يقرع باب الجنَّة.

الباب السادس والعشرون: في ذكر أوَّل الأمم دخولًا الجنَّة.

الباب السَّابع والعشرون: في ذكر السَّابقين من هذه الأمة إلىٰ الجنَّة وصفتهم.

الباب الثامن والعشرون: في سبق الفقراءِ الأغنياءَ إلىٰ الجنَّة.

الباب التاسع والعشرون: في ذكر أصناف أهل الجنَّة التي ضُمِّنت لهم دون غيرهم.

الباب الثلاثون: في أنَّ أكثر أهل الجنَّةِ هم أمَّة محمد ﷺ.

الباب الحادي والثلاثون: في أنَّ النساء في الجنَّة والنَّار أكثر من الرجال.

الباب الثاني والثلاثون: في مَنْ يدخل الجنَّة من هذه الأمة بغير حسابٍ، وذكر أوصافهم.

الباب الثالث والثلاثون: في ذكر حثيات الرب ﷻ الذين يدخلهم الجنَّة.

الباب الرَّابع والثلاثون: في ذكر تربة الجنَّة وطينها وحصبائها وبنائها.

الباب الخامس والثلاثون: في ذكر نورها وبياضها.

الباب السادس والثلاثون: في ذكر غرفها وقصورها ومقاصيرها وخيامها.

الباب السابع والثلاثون: في ذكر معرفتهم بمنازلهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنَّة، وإنْ لم يروها قبل ذلك.

الباب الثامن والثلاثون: في كيفية دخولهم الجنَّة وما يُستقبلون به عند دخولها.

الباب التاسع والثلاثون: في ذكر صفة أهل الجنَّة في خَلْقهم وخُلُقِهم وطولهم وعرضهم ومقادير أسنانهم.

---

(١) الجنابذ: واحدها جُنْبُذَة: وهو ما ارتفع من الشيء واستدار كالقُبَّة.

الباب الرَّابع والخمسون: في ذكر المادة التي خلق منها الحور العين، وذكر صفاتهنَّ ومعرفتهنَّ اليوم بأزواجهنَّ.

الباب الخامس والخمسون: في ذكر نكاح أهل الجنَّة ووطئهم والتذاذهم بذلك، ونزاهته عن المذي والمني.

الباب السادس والخمسون: في ذكر اختلاف النَّاس، هل في الجنَّة حملٌ وولادة أم لا؟ وحجة الفريقين.

الباب السابع والخمسون: في ذكر سماع الجنَّة وغناء الحور العين.

الباب الثامن والخمسون: في ذكر مطايا أهل الجنَّة وخيولهم ومراكبهم.

الباب التَّاسع والخمسون: في زيارة أهل الجنَّة بعضهم بعضًا ومذاكرتهم ما كان بينهم في الدنيا.

الباب الستون: في ذكر سوق الجنَّة وما أعدَّ اللهُ فيه لأهلها.

الباب الحادي والستون: في زيارة أهل الجنَّة ربهم تبارك وتعالىٰ.

الباب الثاني والستون: في ذكر السحاب والمطر الَّذي يصيبهم في الجنَّة.

الباب الثالث والستون: في ذكر مُلْك الجنَّة، وأنَّ أهلها كلهم ملوك فيها.

الباب الرَّابع والستون: في أنَّ الجنَّة فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخَلَد، وأنَّ موضع سوط منها خير من الدنيا وما فيها.

الباب الخامس والستون: في رؤية أهل الجنَّة ربهم تبارك وتعالىٰ بأبصارهم جهرة كما يُرىٰ القمر ليلة البدر، وتجليه لهم ضاحكًا.

الباب السادس والستون: في تكليمه سبحانه لأهل الجنَّة وخطابه لهم ومحاضرته إيَّاهم وسلامه عليهم.

الباب السابع والستون: في أبدية الجنَّة أنَّها لا تفنىٰ ولا تبيد.

الباب الثامن والستون: في ذكر آخر أهل الجنَّة دخولًا إليها.

الباب التاسع والستون: وهو بابٌ جامع، فيه فصول منثورة.

الباب السبعون: في المستحق لهذه البشارة دون غيره.

واللهُ سبحانه المسؤول أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، مُدْنيًا لمؤلفه وقارئه وكاتبه من جنَّات النَّعيم، وأن يجعله حُجَّة له، ولا يجعله حجة عليه، وأن ينفع به من انتهىٰ إليه، إنَّه خيرُ مسؤول، وأكرم مأمول، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ص(٢٤)

الباب الأوَّل
في بيانِ وجودِ الجنَّة الآن

لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ، والتابعون، وتابعوهم، وأهل السنَّة والحديث قاطبة، وفقهاء الإسلام، وأهل التصوف والزهدِ على اعتقاد ذلك وإثباته؛ مستندين في ذلك إلى نصوص الكتابِ والسنَّة، وما عُلِمَ بالضرورة من أخبار الرُّسل كلهم من أوَّلهم إلى آخرهم، فإنَّهم دعوا الأمم إليها، وأخبروا بها. إلى أنْ نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أنْ تكون الآن مخلوقة، وقالت: بل اللهُ ينشئها يومَ المعاد.

وحَمَلَهم على ذلك أصلهم الفاسد الَّذي وضعوا به شريعةً لِمَا يفعله الله تعالى، وأنَّه ينبغي له أنْ يفعلَ كذا، ولا ينبغي له أنْ يفعل كذا، وقاسوه على خلقه في أفعاله، فهم مُشبِّهة في الأفعالِ، ودخل التجهُّم فيهم، فصاروا مع ذلك معطلة في الصفات.

وقالوا: خَلْقُ الجنَّة قبل الجزاءِ عبث، فإنَّها تصير معطلة مُدَدًا متطاولة ليس فيها سكانها.

وقالوا: ومن المعلوم أنَّ ملكًا لو اتخذ دارًا، وأعدَّ فيها ألوان الأطعمة والآلات والمصالح، وعطَّلها من النَّاسِ، ولم يُمَكِّنهم من دخولها قرونًا متطاولة = لم يكن ما فَعَلَهُ واقعًا على وجه الحكمة، ووجد العقلاء سبيلًا إلى الاعتراض عليه.

فحجروا على الربِّ تبارك وتعالى بعقولهم الفاسدة، وآرائهم الباطلة وشبَّهوا أفعاله بأفعالهم، وردوا من النصوص ما خالف هذه الشَّريعة الباطلة التي وضعوها للرب، أو حرَّفوها عن مواضعِها، وضلَّلوا وبدَّعوا من خالفهم فيها، والتزموا فيها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء.

ولهذا يذكر السلفُ في عقائدهم: أنَّ الجنَّة والنَّارَ مخلوقتان، ويذكر من صنَّف في المقالات أنَّ هذه مقالة أهل السنَّة والحديث قاطبة لا يختلفون فيها.

قال الإمام أبو الحسن الأشعري في كتاب «مقالات الإسلاميين، واختلاف المصلِّين»: «جُملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنَّة: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله، وما رواهُ الثقات عن رسول الله ﷺ، لا يَرُدُّون من ذلك شيئا، والله تعالىٰ إلهٌ واحدٌ فردٌ صمد، لم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، وأنَّ الجنَّة حقٌّ، وأنَّ النَّارَ حق، وأنَّ السَّاعة آتيةٌ لا ريب فيها، وأنَّ الله يبعث من في القبور.

وأنَّ اللهَ تعالىٰ علىٰ عرشه، كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وأنَّ له يَدَيْن بلا كيف، كما قال: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، وكما قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، وأنَّ له عينين بلا كيف، كما قال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:١٤]، وأنَّ له وجهًا، كما قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧].

وأنَّ أسماء الله تعالىٰ لا يقال: إنَّها غير الله، كما قالت المعتزلة والخوارج، وأقرُّوا أنَّ لله عِلْمًا، كما قال: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء:١٦٦]، وكما قال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر:١١].

وأثبتوا السَّمع والبصر، ولم ينفوا ذلك عن الله، كما تَنْفيه المعتزلة، وأثبتوا لله القوَّة كما قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت:١٥].

وقالوا: إنَّه لا يكون في الأرضِ من خيرٍ ولا شر إلا ما شاء الله، وإنَّ الأشياء تكون بمشيئة الله، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان:٣٠]، وكما قال المسلمون: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون.

وقالوا: إنَّ أحدًا لا يستطيع أنْ يفعل شيئًا قبل أنْ يفعله، أو يكون أحد يقدر أنْ يخرج عن علم الله، أو أنْ يفعل شيئًا عَلِمَ اللهُ أنَّهُ لا يفعله.

وأَقَرُّوا أنَّه لا خالقَ إلا الله، وأنَّ أعمال العباد يخلقها اللهُ، وأنَّ العباد لا يقدرون أنْ يخلقوا شيئًا.

وأنَّ اللهَ تعالىٰ وفَّق المؤمنين لطاعته، وخذل الكافرين، ولطف بالمؤمنين، ونظرَ لهم، وأصلحهم، وهداهم، ولم يلطفْ بالكافرين، ولا أصلحهم، ولا هداهم، ولو أصلحهم لكانوا صالحين، ولو هداهم لكانوا مهتدين.

وأنَّ اللهَ تعالىٰ يقدر أنْ يصلح الكافرين، ويلطف بهم حتَّىٰ يكونوا مؤمنين، ولكنَّه أراد أنْ يكونوا كافرين كما علم، وخذلهم وأضلَّهم، وطبع علىٰ قلوبهم.

وأنَّ الخيرَ والشَّرَّ بقضاء الله وقدره، ويؤمنون بقضاء الله وقدره خيره وشرِّه، حُلْوه ومُره، ويؤمنون أنَّهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء اللهُ، كما قال، ويلجئون أمرهم إلىٰ الله، ويثبتون الحاجة إلىٰ الله في كلِّ وقتٍ، والفقر إلىٰ اللهِ في كلِّ حال.

ويقولون: إنَّ القرآن كلام اللهُ غير مخلوق، والكلام في الوقف واللَّفظ من قال باللَّفظ أو بالوقف فهو مبتدع عندهم، لا يقال: اللَّفظ بالقرآن مخلوق، ولا يقال: غير مخلوق.

ويقولون: إنَّ الله تعالىٰ يُرىٰ بالأبصارِ يومَ القيامة، كما يُرىٰ القمرُ ليلة البدر، ويراهُ المؤمنون، ولا يراهُ الكافرون؛ لأنَّهم عن الله تعالىٰ محجوبون، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]، وأنَّ موسىٰ عليه السَّلام سأل اللهَ سبحانه وتعالىٰ الرؤية في الدنيا، وأنَّ اللهَ تعالىٰ تجلَّىٰ للجبلِ فجعله دكًّا، فأعلمه بذلك أنَّهُ لا يراهُ في الدنيا، بل يراهُ في الآخرة.

ولا يكفِّرون أحدًا من أهل القبلة بذنبٍ يرتكبه، كنحو: الزِّنَىٰ والسَّرقة، وما أشبه ذلك من الكبائر، وهم بما معهم من الإيمان مؤمنون، وإنْ ارتكبوا الكبائرَ.

والإيمان -عندهم- هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبالقدر خيره وشرِّه، حلوه ومُرِّه، وأنَّ ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، وأنَّ ما أصابهم لم يكن ليُخطئهم.

والإسلام هو: أنْ يشهد أنْ لا إله إلا الله، [وأنَّ محمدًا رسول الله]، كما جاء في الحديث، والإسلام عندهم غير الإيمان.

ويُقِرُّونَ بأنَّ اللهَ مقلِّب القلوب.

ويُقِرُّون بشفاعة رسول الله ﷺ وأنَّها لأهل الكبائر من أُمَّتِهِ، وبعذاب القبر، وأنَّ الحوضَ حقٌّ، والصراط حقٌّ، والبعثَ بعد الموتِ حقٌّ، والمحاسبة من الله للعباد حقٌّ، والوقوف بين يدي الله تعالىٰ حقٌّ.

ويقرون بأنَّ الإيمان: قولٌ وعمل، يزيد وينقص، ولا يقولون: مخلوق، ولا غير مخلوق.

ويقولون: أسماءُ الله هي الله تعالىٰ.

ولا يشهدون علىٰ أحدٍ من أهل الكبائرِ بالنَّارِ، ولا يَحْكُمُون بالجنَّة لأحدٍ من المُوَحِّدين، حتَّىٰ يكونَ الله تعالىٰ نزَّلهم حيث شاء، ويقولون: أمرهم إلىٰ الله، إنْ شاء عذَّبهم، وإنْ شاء غفرَ لهم، ويؤمنون بأنَّ اللهَ تعالىٰ يُخرج قومًا من المُوَحِّدين من النَّار، علىٰ ما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ.

وينكرون الجدَلَ والمِرَاء في الدِّين، والخصومة في القَدَرِ، والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم، بالتَّسليم للروايات الصحيحة، ولِمَا جاءت به الآثار التي رواها الثقات، عَدْلًا عن عدل، حتَّىٰ ينتهي ذلك إلىٰ رسول الله ﷺ، ولا يقولون: كيف؟ ولا: لِمَ؛ لأنَّ ذلك بِدْعَة.

ويقولون: إنَّ الله تعالىٰ لم يأمر بالشَّرِّ، بل نهىٰ عنه، وأمرَ بالخيرِ، ولم يَرْضَ بالشَّرِّ، وإنْ كان مريدًا له.

ويعرفون حقَّ السَّلف الَّذين اختارهم اللهُ تعالىٰ لصحبة نبيه ﷺ، ويأخذون بفضائِلهم، ويُمْسِكُون عمَّا شجرَ بينهم صغيرهم وكبيرهم، ويُقَدِّمُون أبا بكر، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان، ثمَّ عليًّا رضي الله عنهم، ويُقِرُّون بأنَّهم الخلفاء الرَّاشدون المهديون، وأنَّهم أفضلُ النَّاسِ كلِّهم بعد رسول الله ﷺ.

ويُصَدِّقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ «**إنَّ اللهَ ينزلُ إلىٰ السَّماءِ الدنيا فيقول: هل من مستغفرٍ؟** »(١)، كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ، ويأخذون بالكتاب والسنَّة، كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩].

ويرون اتباع منْ سلف من أئمة الدِّين، وأنْ لا يتبعون في دينهم ما لم يأذن به الله، ويُقرون أنَّ الله تعالىٰ يجيء يوم القيامة، كما قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر:٢٢]، وأنَّ الله تعالىٰ يَقْرُبُ من خلقه كيف شاء، كما قال: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق:١٦].

ويَرَوْن العيد والجمعة والجماعة خلف كلِّ إمامٍ، برٍّ وفاجر.

ويُثْبِتون أنَّ المَسْحَ علىٰ الخُفَّين سُنَّة، ويرونه في الحضَرِ والسَّفَر.

ويثبتون فرضَ الجهاد للمشركين منذ بعثَ اللهُ نبيه ﷺ إلىٰ آخر عصابة تُقاتل الدَّجَّال، وبعد ذلك.

وَيَرَوْنَ الدُّعَاءَ لأئمة المسلمين بالصَّلاحِ، وأنْ لا يُخْرَج عليهم بالسَّيف، وأنْ لا يقاتلوا في الفتنة.

ويُصَدِّقون بخروج الدَّجَّال، وأنَّ عيسىٰ بن مريم ﷺ يَقْتُلُه.

---

(١) أخرجه البخاري، (١٠٩٤)، ومسلم (٧٥٨) واللفظُ له.

ويؤمنون بمُنْكَرٍ وَنكِيْرٍ، والمعراج، والرُّؤيا في المنامِ، وأنَّ الدعاء لموتىٰ المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تَصِلُ إليهم، ويصدقون أنَّ في الدنيا سَحَرَة، وأنَّ السَّاحر كافر، كما قال الله تعالىٰ، وأنَّ السَّحْر كائنٌ موجودٌ في الدنيا.

وَيَرَوْنَ الصلاة علىٰ كلِّ مَنْ مات من أهل القبلة مؤمنهم وفاجرهم، ويقرون أنَّ الجنَّة والنَّارَ مخلوقتان.

وأنَّ من ماتَ ماتَ بأجله، وكذلك من قُتِلَ قُتِلَ بأجله.

وأنَّ الأرزاق من قِبَل الله تعالىٰ يرزقها عباده حلالًا كانت أو حرامًا.

وأنَّ الشيطان يوسوس للإنسان، ويشككه ويخبَّطه.

وأنَّ الصالحين قد يجوز أنْ يَخُصَّهم الله تعالىٰ بآياتٍ تَظْهَرُ عليهم.

وأنَّ السُّنَّة لا تُنْسَخُ بالقرآن.

وأنَّ الأطفال أمرهم إلىٰ اللهِ: إنْ شاء عذَّبهم، وإنْ شاء فعل بهم ما أراد.

وأنَّ الله تعالىٰ عالمٌ ما العبادُ عاملون، وكتب أنَّ ذلك يكون، وأنَّ الأمورَ بيدِ اللهِ تعالىٰ.

ويرون الصبرَ علىٰ حكم الله، والأخذ بما أمر الله تعالىٰ به، والانتهاء عمَّا نهىٰ الله عنه، وإخلاصَ العمل، والنصيحة للمسلمين، ويدينون بعبادة الله في العابدين، والنصيحة لجماعة المسلمين، واجتناب الكبائر، والزنىٰ، وقول الزور، والعَصَبيَّة، والفَخْر، والكِبْر، والإزراء علىٰ النَّاس، والعُجْب.

ويرون مجانبة كل داعٍ إلىٰ بدعة، والتشاغل بقراءة القرآن، وكتابة الآثار، والنَّظر في الفقه مع التواضع والاستكانة، وحُسن الخلق، وبذل المعروف، وكفِّ الأذىٰ، وترك الغيبة والنميمة والسِّعاية، وتَفَقُّد المأكلِ والمشربِ.

فهذه جملةُ ما يأمرون به، ويستعملونه، ويرونه، وبكلِّ ما ذكرنا من قولهم نقول، وإليه نذهب، وما توفيقنا إلا باللهِ، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وبه نستعين، وعليه نتوكلُ، وإليه المصير».

والمقصود حكايته عن جميع أهل السنَّة والحديث: أنَّ الجنَّة والنَّار مخلوقتان، وسُقْنَا جملة كلامه ليكون الكتاب والسنَّة مُؤَسَّسًا علىٰ معرفة من يستحقُّ البِشَارة المذكورة، وأنَّ أهل هذه المقالة هم أهلها، وبالله التوفيق.

وقد دلَّ علىٰ ذلك من القرآن: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ [النجم:١٣-١٥].

وقد رأىٰ النَّبي ﷺ سِدرَة المنتهىٰ، ورأىٰ عندها الجنَّة، كما في «الصحيحين» من حديث أنس رضي الله عنه في قصة الإسراء وفي آخره: «**ثُمَّ انطلق بي جبريل حتَّىٰ أتىٰ سِدْرَةَ المنتهىٰ، فغشيها ألوانٌ لا أدري ما هي؟ قال: ثُمَّ أُدْخِلْتُ الجنَّة، فإذا فيها جَنابذُ اللُّؤلؤ، وإذا ترابها المسكُ**»[1].

وفي «الصحيحين»[2] من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أحدكم إذا ماتَ عُرِضَ علىٰ مقعده بالغداة والعَشِيِّ، إنْ كانَ من أهل الجنَّة فمن أهل الجنَّة، وإنْ كان من أهل النَّارِ فمن أهل النَّارِ، فيُقال: هذا مقعدك حتَّىٰ يبعثك الله يومَ القيامة**».

وفي «المسند» و«صحيح الحاكم» و«ابن حبان» وغيرهم من حديث البراء ابن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جَنَازة رجلٍ من الأنصارِ - فذكر الحديث بطوله- وفيه: «**فينادي مناد من السَّماءِ: أنْ صَدَقَ عبدي، فأفرشوهُ**

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٤) واللفظ له، ومسلم (١٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٣١٣)، ومسلم (٢٨٦٦).

من الجنَّة، وألبسوهُ من الجنَّة، وافتحُوا له بابًا إلىٰ الجنَّة، قال: فيأتيه من رَوْحِها وطيبها»[(١)]، وذكر الحديث.

وفي «الصحيحين»[(٢)] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ العبدَ إذا وُضِعَ في قبره، وتولَّىٰ عنه أصحابه، وإنَّه ليسمع قَرْعَ نعالِهم قال: فيأتيه ملكان فيقعدانه، فيقولان له: ما كنتَ تقولُ في هذا الرجل؟ قال: فأمَّا المؤمنُ فيقول: أشهدُ أنَّه عبدُ اللهِ ورسوله، قال: فيقولان له: انظر إلىٰ مقعدك من النَّارِ، قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنَّة. قال نبيُ الله ﷺ فيراهما جميعًا»**.

وفي «صحيح أبي عوانة الإسْفَراييني» و«سنن أبي داود» من حديث البراء بن عازب الطويل في قبض الرُّوح: «ثمَّ يُفتح له بابٌ من الجنَّة، وبابٌ من النَّارِ، فيُقال: هذا كان منزلك لو عصيتَ الله أبدلك اللهُ به هذا، فإذا رأىٰ ما في الجنَّة قال: ربِّ عجِّل قيامَ السَّاعة كَيْمَا أرجعُ إلىٰ أهلي ومالي، فيُقال: اسْكن»[(٣)].

وفي «مُسند البزَّار» وغيره من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: شهدنا مع النَّبي ﷺ جَنازةً، فقال رسول الله ﷺ: **«أيُّها النَّاسُ، إنَّ هذه الأُمَّة تُبْتَلىٰ في قبورها، فإذا دُفِنَ الإنسانُ وتفرَّق عنه أصحابه، جاءهُ مَلكٌ في يده مِطْرَاقٌ فأقعده فقال: ما تقولُ في هذ الرجل؟ - يعني محمدًا ﷺ فإنْ كان مؤمنًا، قال: أشهدُ أنَّ لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، فيقولون: صدقت، ثمَّ يُفتح له بابٌ إلىٰ النَّارِ فيقولون: هذا**

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٨٧)، وأبو داود (٣٢١٢) والنسائي (٤/ ٧٨)، وابن ماجه (١٥٤٨) والحديث صحَّحه: أبو عوانة وابن منده والحاكم والبيهقي وابن القيم وغيرهم.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٠٨)، ومسلم (٢٨٧٠)، واللفظ لمسلم.

(٣) أخرجه أبو عوانة في «صحيحه» كما في «إتحاف المهرة» لابن حجر (٢/ ٤٥٩)، وأبو داود (٤٧٥٣)، والحديث تقدَّم الكلام عليه مختصرًا.

كان منزلَك لو كفرت بربك، فأمَّا إذْ آمنت به فهذا منزلك، فيُفتحُ له بابٌ إلىٰ الجنَّة فيريدُ أنْ ينهض إلىٰ الجنَّة فيقولون: اسْكن»[١] وذكر الحديث.

وفي «صحيح مسلم»[٢] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: خَسَفَتِ الشمسُ في حياةِ رسول الله ﷺ فذكرت الحديث إلىٰ أنْ قالت:- ثمَّ قام فخطب النَّاسَ، فأثنىٰ علىٰ اللهِ بما هو أهله، ثمَّ قال: «**إنَّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالىٰ، لا يَخْسفان لموتِ أحدٍ ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فافزعوا إلىٰ الصَّلاة**».

وقال رسول الله ﷺ: «**رأيتُ في مقامي هذا كلَّ شيءٍ وُعِدْتُم، حتَّىٰ لقد رأيتني آخذ قِطْفًا من الجنَّة حين رأيتموني أُقَدِّمُ، ولقد رأيتُ جهنَّم يَحْطِمُ بعضُها بعضًا حين رأيتموني تأخَّرْتُ**».

وفي «الصحيحين»[٣] -واللفظ للبخاري- عن عبد الله بن عباس قال: انخسفت الشمسُ علىٰ عهد النَّبي ﷺ فذكر الحديث وفيه - فقال: «**إنَّ الشمسَ والقمر آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموتِ أحدٍ ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله، فقالوا: يا رسول الله رأيناكَ تناولتَ شيئًا في مقامك، ثمَّ رأيناك تكعكعت**[٤]**، فقال: إنِّي رأيت الجنَّة، وتناولتُ عنقودًا، ولو أصبتُه لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، وأُرِيتُ النَّارَ، فلم أرَ منظرًا كاليومِ قطُّ أفظعَ، ورأيتُ أكثرَ أهلها النساء، قالوا: بِمَ يا رسول الله؟ قال: بَكُفْرِهنَّ. قيل: أيكفرن بالله؟ قال: يَكفرنَ العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنتَ إلىٰ إحداهنَّ الدهرَ كلَّه، ثمَّ رأتْ منك شيئًا، قالت: ما رأيت منْكَ خيرًا قطُّ**».

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣ - ٤) والبزَّار (٨٧٢). وقد اختلف في رفعه ووقفه، والموقوف أشبه.

(٢) (٩٠١)، وهو عند البخاري أيضًا (٩٩٧ و ١١٥٤).

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٨)، ومسلم (٩٠٧).

(٤) تكعكع: هاب وتراجع بعدما أقدم.

وفي «صحيح البخاري»[١] عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما عن النَّبي ﷺ في صلاة الكسوف، قال: «**قد دَنَتْ منِّي الجنَّة، حتَّىٰ لو اجترأتُ عليها لجئتكم بقطافٍ من قطافها، ودنت منِّي النَّارُ حتَّىٰ قُلتُ: أي ربِّ، وأنا معهم؟ فإذا امرأةٌ - حسِبْتُ أنَّه قال:- تَخدشها هِرَّةٌ، قلتُ: ما شأن هذه؟ قالوا: حَبَسْتْها حتَّىٰ ماتت جوعًا، لا أطعمتها ولا أرسلتها تأكل**».

وفي «صحيح مسلم»[٢] من حديث جابر رضي الله عنه في هذه القصة قال: «**عُرِضَ عليَّ كلُّ شيءٍ تُولجونه، فعُرِضَتْ عليَّ الجنَّة حتَّىٰ تناولتُ منها قطفًا فقصُرتْ يدي عنه، وعُرِضَتْ عليَّ النَّارُ، فرأيتُ فيها امرأةً من بني إسرائيل تُعَذَّبُ في هِرَّةٍ لها**» وذكر الحديث.

وفي «صحيح مسلم»[٣] عنه في هذا الحديث: «**ما من شيء تُوْعَدُوْنَهُ إلا قد رأيتُه في صلاتي هذه، لقد جيء بالنَّارِ، وذلك حين رأيتموني تأخرتُ مخافةَ أنْ يصيبني من لَفْحِها، وحتَّىٰ رأيتُ فيها صاحب المِحْجَنِ يجرُّ قُصْبَه في النَّارِ، وكان يسرقُ الحاجَ بِمِحْجَنِه، فإنْ فُطِنَ له قال: إنَّما تَعَلَّقَ بمحجني، وإنْ غُفِل عنه ذهب به، وحتَّىٰ رأيتُ فيها صاحبة الهِرَّة التي ربطتها؛ فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض، حتَّىٰ ماتت جوعًا، ثمَّ جيء بالجنَّة، وذلكم حين رأيتموني تقدمت حتَّىٰ قمت في مقامي، ولقد مددتُ يدي -وأنا أُريدُ أنْ أتناولَ من ثمرها لتنظروا إليه- ثمَّ بدا لي أنْ لا أفعل، فما من شيءٍ توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه**».

وفي «مسند الإمام أحمد» و«سنن أبي داود» و«النسائي» من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في هذه القصة: «**والَّذي نفسُ محمدٍ بيده لقد أُدْنِيَت الجنَّةُ مِنِّي، حتَّىٰ**

(١) (٧١٢).

(٢) (٩٠٤).

(٣) (٩٠٤).

لو بَسَطْتُ يدي لتعاطيتُ من قطوفها، ولقد أُدْنِيت النَّارُ منِّي حتَّىٰ لقد جعلتُ أتَّقِيْها خشيةَ أنْ تغشاكم» وذكر الحديث[1].

وفي «صحيح مسلم»[2] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: بينما رسول الله ﷺ ذاتَ يومٍ، إذْ أُقيمت الصلاةُ فقال: **«أيُّها النَّاسُ، إنِّي إمَامُكم، فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود، ولا بِرَفْعِ رؤوسكم؛ فإنِّي أراكم من أمامي ومن خلفي، وأيمُ الَّذي نفسي بيده، لو رأيتم ما رأيتُ لضحكتم قليلًا، وبكيتم كثيرًا، قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: رأيتُ الجنَّة والنَّار»**.

وفي «الموطأ» و«السنن» من حديث كعب بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّما نَسَمَةُ المؤمن طَيرٌ تعلقُ في شجر الجنَّة حتَّىٰ يرجعها الله إلىٰ جسده يوم القيامة»**[3].

وهذا صريحٌ في دخول الروح الجنَّة قبل يوم القيامة.

ومثله حديث كعب بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أيضًا عن النَّبي ﷺ: **«إنَّ أرواح الشهداء في طيْرٍ خُضرٍ تعلقُ من ثمر الجنَّة - أو شجر الجنَّة -»**[4] رواهُ أهل السُّنن، وصحَّحه الترمذي.

وسيأتي في آخر هذا الكتاب في الباب الَّذي يذكر فيه دخول أرواح المؤمنين الجنَّة قبل يوم القيامة، تمامُ هذه الأحاديث إنْ شاء اللهُ تعالىٰ، وذكر دلالة القرآن

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٨٨)، وأبو داود (١١٩٤)، والنسائي (١٤٨٢) واللفظ له. والحديث صححه غير واحد.

(٢) (٤٢٦).

(٣) أخرجه مالك في «الموطأ» (٦٤٣)، وابن ماجه (٤٢٧١)، والنسائي (٤/ ١٠٨)، وأحمد (٣/ ٤٥٥ و ٤٥٦) واللفظ له، وغيرهم. وصححه ابن حبان.

(٤) أخرجه الترمذي (١٦٤٠)، وأحمد (٦/ ٣٨٦). وصححه الترمذي، واللفظ المتقدم «نسمة المؤمن...» أصحُّ وأثبت.

علىٰ ما دلَّت عليه السُّنة من ذلك[1].

وفي «صحيح مسلم» و«السنن» و«المسند» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«لما خلقَ اللهُ تعالىٰ الجنَّة والنَّار، أرسلَ جبريلَ إلىٰ الجنَّة فقال: اذهب فانظر إليها، وإلىٰ ما أعددت لأهلها فيها، فذهبَ فنظر إليها وإلىٰ ما أعدَّ اللهُ لأهلها فيها، فرجع فقال: وعزَّتك لا يسمعُ بها أحدٌ إلا دخلها، فأمر بالجنَّة فحُفَّت بالمكاره، فقال: فارجع فانظر إليها وإلىٰ ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها، ثمَّ رجعَ فقال: وعزَّتك لقد خشيتُ أنْ لا يدخلها أحد، قال: ثمَّ أرسله إلىٰ النَّارِ قال: اذهب فانظر إليها وإلىٰ ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها فإذا هي يركبُ بعضها بعضًا، ثمَّ رجع فقال: وعزَّتك لا يدخلها أحد سمع بها، فأمر بها فحُفَّتْ بالشَّهَوَات ثمَّ قال: اذهب فانظر إلىٰ ما أعددتُ لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها، فرجع فقال: وعزَّتك لقد خشيتُ أنْ لا ينجو منها أحدٌ إلا دخلها»**[2]، قال الترمذي: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيح».

وفي «الصحيحين»[3] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«حُجِبت الجنَّة بالمكاره، وحُجِبَتِ النَّارُ بالشهوات»**.

وفي «الصحيحين»[4] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبي ﷺ قال: **«اختصمت الجنَّة والنَّارُ، فقالت الجنَّة يا ربِّ مالها إنَّما يدخلها ضُعَفَاءُ النَّاس**

---

(١) لم يذكر المؤلف ذلك في آخر هذا الكتاب.

(٢) لم يخرجه مسلم في «صحيحه»، وقد أخرجه الترمذي (٢٥٦٠)، وأبو داود (٤٧٤٤)، والنسائي (٧/ ٣) وغيرهم.

(٣) أخرجه البخاري (٦١٢٢)، ومسلم (٢٨٢٣).

(٤) أخرجه البخاري (٧٠١١)، ومسلم (٢٨٤٦)، واللفظ للبخاري.

وسَقَطُهُم؟ وقالت النَّارُ: يا رب ما لها يدخلها الجبَّارون والمتكبرون؟ فقال: أنت رحمتي أصيبُ بكِ مَنْ أشاءُ، وأنت عذابي أصيبُ بكِ من أشاءُ، ولكلِّ واحدةٍ منكما ملؤها».

وفي «الصحيحين»[(١)] من حديث (ابن عمر رضي الله عنهما)[(٢)] عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: **«اشْتكتِ النَّارُ إلىٰ ربِّها فقالت: أي ربِّ أكلَ بعضي بعضًا، فأذنَ لها بنَفَسَين: نفسٍ في الشِّتاء، ونفسٍ في الصَّيف»**.

وروىٰ الَّليثُ بن سعد عن معاوية بن صالح عن عبد الملك بن أبي بشير - رفع الحديث- قال: «ما من يوم إلا والجنَّة والنَّار يسألان، تقولُ الجنَّة: يا ربِّ قد طابت ثمرتي، واطَّردت[(٣)] أنهاري، واشْتَقْتُ إلىٰ أوليائي، فعجِّل إليَّ بأهلي، وتقول النَّارُ: اشتدَّ حرِّي، وبَعُدَ قَعْري، وعظُمَ جَمْري، فعجِّل إليَّ بأهلي»[(٤)].

وفي «صحيح البخاري»[(٥)] من حديث أنس رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: **«بَيْنَما أنا أسيرُ في الجنَّة، وإذا بنهرٍ في الجنَّة حافتاهُ قباب الدرِّ المجوف، قال: قلتُ: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثرُ الَّذي أعطاك ربُّك، فضرب المَلَك بيده فإذا طِيْنُه مِسْك أَذْفَر[(٦)]»**.

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٢)، ومسلم (٦١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) كذا في جميع النسخ، والصوابُ: (أبي هريرة رضي الله عنه).

(٣) أي: جَرَتْ.

(٤) أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» (١٩٢) وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٨٥). والحديث معضل ضعيف.

(٥) (٦٢١٠).

(٦) الأذفر: الشديد الطيب الرائحة، التي تكاد رائحته تَعُمُّ من شدَّةِ فَيْحها وريحها.

وفي «صحيح مسلم»[١] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «دخلتُ الجنَّة فرأيت فيها قصرًا ودارًا فقلتُ: لمن هذا؟ فقيل: لرجلٍ من قريش، فرجوتُ أنْ أكون أنا هو، فقيل لعمر بن الخطاب، فلولا غيرتُك يا أبا حفص لدخلته، قال: فبكىٰ عمر، وقال: أَوَيُغَار عليك يا رسول الله؟

وسيأتي حديث بلال، وقول النَّبي ﷺ: «**ما دخلتُ الجنَّة إلا سمعتُ خشخشتك**[٢] **بين يديَّ**»[٣] وغير ذلك من الأحاديث التي تأتي إنْ شاء الله تعالىٰ[٤].

وقال عبد الله بن وهب: حدثنا معاوية بن صالح عن عيسىٰ بن عاصم عن زرِّ بن حُبَيْش عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: صلَّىٰ بنا رسول الله ﷺ ذات يوم صلاة الصبح، ثمَّ مدَّ يده، ثمَّ أخرها، فلمَّا سلَّم قيل له: يا رسول الله، لقد صنعت في صلاتك شيئًا لم تصنعه في غيرها، قال: إنِّي أُرِيْتُ الجنَّة فرأيتُ فيها دالية[٥]، قُطُوفها دانية، حَبُّها كالدُّباءِ، فأردتُ أنْ أتناول منها، فأُوحي إليها أنِ اسْتأخري، فاستأخرت، ثمَّ أُريت النَّارَ فيما بيني وبينكم، حتَّىٰ لقد رأيت ظلِّي وظلكم، فأومأتُ إليكم أنِ استأخروا فأوحي إليَّ أقِرَّهم، فإنَّك أسْلَمْتَ وأسلموا، وهاجرت وهاجروا، وجاهدت وجاهدوا، فلم أرَ لي عليكم فضلًا إلا بالنبوة»[٦].

(١) أخرجه البخاري (٦٦٢١)، ومسلم (٢٣٩٤)، واللفظُ الَّذي ساقه المؤلفُ مُدْمَج من البخاري ومسلم.

(٢) الخشخشة: صَوْت السلاح وغيره، إذا حُرِّكَ.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٤)، والترمذي (٣٦٨٩)، وقال: «حسن صحيح غريب».

وله شاهد: من حديث جابر عند مسلم (٢٤٥٧).

(٤) انظر: ص (؟؟؟).

(٥) الدَّالية، جمعها دوالي: عنبٌ أسود غير حالك، وعناقيده أعظم العناقيد كلها.

(٦) أخرجه ابن خزيمة (٨٩٢)، وأبو عوانة (٨٩٢)، والحاكم (٨٤٠٨)، والضياء في «المختارة» (٢١٣٦)، وصححوه.

فإنْ قيل: ما منعكم من الاحتجاج علىٰ وجودها الآن بقصة آدم، ودخوله الجنَّة وإخراجه منها بأكله من الشجرة، والاستدلال بها في غاية الظهور؟!

قيل: الاستدلال بذلك وإنْ كان عند العامة في غاية الظهور، فهو في غاية الغموض؛ لاختلاف النَّاس في الجنَّة التي أسكنها آدم، هل كانت جنَّةَ الخُلْدِ التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة؟ أو كانت جنَّةً في الأرضِ في شَرْقِيِّها؟ ونحن نذكر من قال بهذا ومن قال بهذا، وما احتج به كلُّ فريقٍ علىٰ قولهم، وما ردَّ به الفريقُ الآخر عليهم، بحول الله وقوَّته.

ص(٤٧)

الباب الثاني

في اختلاف النَّاسِ في الجنَّة التي أُسكِنَها آدم، وأُهْبِطَ منها، هل هي جنَّة الخلد، أو جنَّة أخرى غيرها في موضع عالٍ من الأرضِ؟

قال منذر بن سعيد في «تفسيره»: «وأمَّا قوله تعالىٰ لآدم: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥].

فقالت طائفة: أسكن الله آدم جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة.

وقال آخرون: هي جنَّة غيرها جعلها اللهُ له وأسكنه إيَّاها، ليست جنَّة الخلد.

قال: وهذا قولٌ يكثر الدَّلائل الشَّاهدة له، والموجبة للقول به».

وقال أبو الحسن الماوردي في «تفسيره»: «واختلف النَّاسُ في الجنَّة التي أُسكِنَاها علىٰ قولين:

أحدهما: أنَّها جنَّة الخلد.

الثاني: أنَّها جنَّة أعدَّها اللهُ تعالىٰ لهما، وجعلها دار ابتلاء، وليست جنَّة الخلد التي جعلها دار جزاء.

ومن قال بهذا اختلفوا علىٰ قولين:

أحدهما: أنَّها في السَّماء؛ لأنَّه أَهْبَطَهُمَا منها، وهذا قول الحسن.

الثاني: أنَّها في الأرضِ؛ لأنَّه امتحنهما فيها بالنَّهي عن الشجرة التي نُهيا عنها دون غيرها من الثمار، وهذا قول ابن بحر.

وكان ذلك بعد أنْ أُمِرَ إبليس بالسجود لآدم عليه السَّلام، والله أعلمُ بصواب ذلك» هذا كلامه.

وقال ابن الخطيب في «تفسيره» المشهور: «واختلفوا في الجنَّة المذكورة في هذه الآية، هل كانت في الأرضِ أو في السماء؟ وبتقدير أنَّها كانت في السَّماء، فهل هي الجنَّة التي هي دار الثواب وجنَّة الخُلد أو جنَّة أخرىٰ؟ فقال أبو القاسم البَلْخي، وأبو مسلم الأصبهاني: هذه الجنَّة في الأرضِ. وحَمَلا الإهباط علىٰ الانتقال من بُقْعَةٍ إلىٰ بُقْعَة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا﴾ [البقرة:٦١] واحتجا عليه بوجوه.

القولُ الثاني: وهو قول الجُبَّائي: أنَّ تلك الجنَّة كانت في السَّماء السَّابعة.

القول الثالث: وهو قول جمهور أصحابنا: أنَّ هذه الجنَّة هي دار الثواب».

وقال أبو القاسم الرَّاغبُ في «تفسيره»: «واختلف في الجنَّة التي أسكنها آدم، فقال بعض المتكلمين: كان بستانًا جعله الله تعالىٰ له امتحانًا، ولم تكن جنَّة المأوىٰ». وذكر بعض الاستدلال علىٰ القولين.

وممَّن ذكر الخلاف أيضًا أبو عيسىٰ الرُّمَّاني في «تفسيره» واختار أنَّها جنَّة الخلد، ثمَّ قال: «والمذهبُ الَّذي اخترناهُ، قول الحسن وعمرو وواصل وأكثر أصحابنا، وهو قول أبي علي، وشيخنا أبي بكر، وعليه أهل التفسير».

واختار ابن الخطيب التوقف في المسألة، وجعله قولًا رابعًا فقال: «والقولُ الرَّابع: أنَّ الكل مُمْكن، والأدلة متعارضة، فَوَجَبَ التَّوقف وترك القطع».

قال منذر بن سعيد: «والقولُ بأنَّها جنَّةٌ في الأرض ليست جنَّة الخُلْد قول أبي حنيفة وأصحابه قال: وقد رأيتُ أقوامًا نهضوا لمخالفتنا في جنَّة آدم، بتصويب مذهبهم من غير حُجَّة إلا الدَّعاوي والأمانيَّ، ما أتوا بحجةٍ من كتاب ولا سُنَّةٍ، ولا أثر عن صاحبٍ، ولا تابع، ولا تابع التَّابع، لا موصولًا ولا شاذًّا ولا مشهورًا.

وقد أوجدناهم أنَّ فقيه العراق ومن قال بقوله، قالوا: إنَّ جنَّة آدم ليست جنَّة الخُلْد، وهذه الدَّواوين مَشْحُونة من علومهم، ليسوا عند أحدٍ من الشَّاذِّين بل من رؤساء المخالفين، وإنَّما قلتُ هذا ليعلم أنِّي لا أنصرُ مذهب أبي حنيفة، وإنَّما أنصرُ ما قام لي عليه دليل من القرآن والسنَّة.

هذا ابن مُزَين يقول في «تفسيره»: «سألتُ ابن نافع عن الجنَّة أمخلوقةٌ هي؟ فقال: السكوت عن الكلام في هذا أفضل».

وهذا ابن عيينة يقول في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ [طه:١١٨] قال: يعني في الأرضِ، وابن نافعٍ: إمام، وابن عيينة: إمام، وهم لا يأتوننا بمثلهما، ومن يضادُّ قولُه قولهما.

وهذا ابن قُتيبة ذكر في كتاب «المعارف» بعد ذِكْرِه خلق الله لآدم وزوجه، قال: «ثمَّ تركهما، وقال: أثمروا وأكثروا، واملؤا الأرضَ، وتسلطوا علىٰ أنوانِ[1] البحور، وطير السماء، والأنعام، وعشب الأرضِ، وشجرها، وثمرها»، فأخبر أنَّ في الأرضِ خلقه، وفيها أمره، ثمَّ قال: «ونصبَ الفردوس فانقسم علىٰ أربعة أنهار: سيحون وجيحون ودجلة والفرات -ثمَّ ذكر الحيَّة فقال:- «وكانت أعظم دوابِّ البر، فقالت للمرأة: إنَّكما لا تموتان إن أكلتُما من هذه الشجرة» ثمَّ قال بعد كلام: «ثمَّ أخرجه من شرق جنة عدن إلىٰ الأرضِ التي منها أُخِذَ، ثمَّ قال: «قال وهب: وكان مهبطه حين أُهْبِطَ من جنَّة عدن في شرقي أرض الهند، قال: واحتمل قابيلُ أخاهُ حتَّىٰ أتىٰ به واديًا من أودية اليمن، في شرقي عدن، فكمن فيه».

وقال غيره كما نقل أبو صالح عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿ٱهْبِطُواْ﴾ [البقرة:٣٨]

(١) أنوان، جمع نُوْن: وهو الحُوْت. ويجمع أيضًا علىٰ نِيْنَان.

«هو كما يُقال: هبط فلان أرض كذا وكذا»[1].

قال منذر بن سعيد: «فهذا وهب بن مُنَبه يحكي أنَّ آدم خُلِقَ في الأرضِ، وفيها سكن، وفيها نُصب له الفردوس، وأنَّه كان بِعَدَن، وأنَّ الأربعة الأنهار انقسمت من ذلك النهر الَّذي كان يُسَمَّىٰ فردوس آدم، وتلك الأنهار معنا في الأرض، لا اختلاف بين المصلين في ذلك، فاعتبروا يا أُولي الألباب.

وأخبر أنَّ الحيَّة التي كلَّمت آدم كانت من أعظم دوابِّ البرِّ، ولم يقل: من أعظم دوابِّ السَّماءِ، فهم يقولون: إنَّ الحيَّة لم تكن في الأرضِ وإنَّما كانت فوق السَّماء السَّابعة.

ثمَّ قال: «وأخرجه من شرق جنَّة عدن، وليس في جنَّة المأوىٰ مشرقٌ ولا مغرب؛ لأنَّه لا شمس فيها».

ثمَّ قال: «وأخرجه إلىٰ الأرضِ التي أُخِذَ منها». يعني أخرجه من الفردوس الَّذي نصب له في عدن، في شرقي أرض الهند.

وهذه الأخبارُ التي حكىٰ ابن قتيبة إنَّما تُنبئ عن أرض اليمن، وعن عدن وهي من أرض اليمن، وأخبر أنَّ الله نصب الفردوس لآدم بعَدَن، ثمَّ أكَّدَ ذلك بأنْ قال: «الأربعة الأنهار التي ذكرنا منقسمةٌ من النَّهرِ الَّذي كان يسقي فردوس آدم».

قال منذر: «وقال ابن قُتَيبة عن ابن منبه عن أبي قال: واشتهىٰ آدم عند موته قِطْفًا من الجنَّة التي كان فيها - بزعمهم علىٰ ظهر السَّماء السَّابعة- وهو في الأرضِ، فخرج أولاده يطلبون ذلك له، حتَّىٰ بَلَّغتهم الملائكة موته»[2] فأولاد آدم كانوا

---

(١) انظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص (٤٦)، وتلك الرواية لعلها من رواية الكلبي عن أبي صالح به. وهو إسناد واهٍ، انظر: «الإتقان» للسيوطي (٢/ ٥٣٥).

(٢) أثر أبي بن كعب أخرجه ابن قتيبة ص (١٢)، والدارقطني في «السنن» (٢/ ٧١)، وابن سعد =

مَجَانيْن عندكم -إنْ كان ما نقله ابن قُتيبة حَقًّا- يطلبون لأبيهم ثمرة جنَّة الخُلْدِ في الأرضِ؟!

قال: ونحنُ لم نَقُلْ عُشْرَ ما قال هؤلاء، ولو كانت جنَّة الخُلْد لخُلِّدَ فيها، ونحن استدللنا من القرآن، وغيرنا قَطَع وادَّعىٰ ما ليس له عليه بُرْهَان».

فهذا ذكر بعض أقوال من حكىٰ الخلاف في هذه المسألة، ونحن نسوقُ حجج الفريقين إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ، ونبين ما لهم وعليهم إنْ شاء اللهُ تعالىٰ.

= في «الطبقات» (١/ ٣٣)، وغيرهم. واختلف في رفعه ووقفه، والوقف أشبه، وصححه مرفوعًا الحاكمُ والضياء.

ص(٥٦)

الباب الثالث

في سياق حُجَج من اختارَ أنَّها جنَّة الخلد التي يدخلها النَّاس يوم القيامة

قالوا: قولنا هذا هو الَّذي فطرَ اللهُ عليه النَّاسَ صغيرهم وكبيرهم، لا يخطر بقلوبهم سواه، وأكثرُهم لا يَعْلَم في ذلك نزاعًا.

قالوا: وقد روىٰ مسلم في «صحيحه»[1] من حديث أبي مالك، عن أبي حازم عن أبي هريرة، وأبي مالك عن ربعي عن حذيفة رضي الله عنه قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«يجمع الله تعالىٰ النَّاسَ، فيقومُ المؤمنون حتىٰ تُزْلَف[2] لهم الجنَّة، فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا: استفتح لنا الجنة: فيقول: وهل أخرجكم من الجنَّة إلا خطيئة أبيكم؟ »** وذكر الحديث.

قالوا: وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ الجنَّة التي أُخرج منها هي بعينها التي تُطْلَبُ منه أن يستفتحها.

وفي «الصحيحين»[3] حديث احتجاج آدم وموسىٰ، وقول موسىٰ: «أخْرَجْتنا ونَفْسَك من الجنَّة».

ولو كانت في الأرضِ، فهم قد خرجوا من بساتين، فلم يخرجوا من الجنَّة.

وكذلك قول آدم للمؤمنين يوم القيامة: **«وهل أخرجكم من الجنَّة إلا خطيئة**

(١) (١٩٥).

(٢) أي تُقَرَّب.

(٣) أخرجه البخاري (٦٢٤٠)، ومسلم (٢٦٥٢) بنحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أبيكم»[(١)]، وخطيئته لم تخرجهم من جِنَان الدنيا.

قالوا: وقد قال تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [البقرة:٣٥-٣٦] عقيب قوله «اهبطوا» فدلَّ علىٰ أنَّهم لم يكونوا قبل ذلك في الأرض.

فهذا يدل علىٰ أنَّ هُبُوطهم كان من الجنَّة إلىٰ الأرضِ من وجهين:

أحدهما: من لفظة: ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ فإنَّه نزول من علوٍّ إلىٰ سُفل.

والثاني: قوله: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ [البقرة:٣٦]. عقيب قوله: ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ فدلَّ علىٰ أنَّهم لم يكونوا قبل ذلك في الأرض.

ثمَّ أكَّدَ هذا بقوله تعالىٰ في سورة الأعراف: ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ [الأعراف:٢٥]، ولو كانت الجنَّة في الأرضِ لكانت حياتهم فيها قبل الإخراج وبعده.

قالوا: وقد وصَفَ سبحانه جنَّة آدم بصفاتٍ لا تكون إلا في جنَّة الخُلْدِ فقال: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ [طه:١١٨-١١٩].

وهذا لا يكون في الدنيا أصلًا، فإنَّ الرَّجل ولو كان في أطيب منازلها فلا بُدَّ أن يعرض له شيءٌ من ذلك، وقابل سبحانه بين الجوع والعُرْي، والظمأ والضحىٰ، وذلك أحسن من المقابلة بين الجوع والعطش، والعري والضحىٰ؛ فإنَّ الجوعَ ذُلُّ الباطن، والعُري ذلُّ الظَّاهرِ، والظمأُ حرُّ الباطنِ، والضحىٰ حرُّ الظاهرِ؛ فنفىٰ عن ساكنها ذُلَّ الظاهر والباطن، وحرَّ الظاهر والباطن، وهذا شأن ساكن جنَّة الخلدِ.

(١) تقدَّم قريبًا عند مسلم.

قالوا: وأيضًا، فلو كانت تلك الجنَّة في الدنيا لَعَلِمَ آدمُ كذب إبليس في قوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه:١٢٠]؛ فإنَّ آدم كان يعلمُ أنَّ الدنيا مُنقضية فانية، وأنَّ ملكها يبلىٰ.

قالوا: وأيضًا، فهذه القصة في سورة البقرة ظاهرةٌ جدًّا في أنَّ الجنَّة التي أُخْرِجَ منها فوق السَّماءِ، فإنَّه سبحانه قال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٤-٣٧].

فهذا إهباط آدم وحواء وإبليس من الجنَّةِ، ولهذا أتىٰ فيه بضمير الجمعِ.

وقد قيلَ: إنَّ الخطاب لهما وللحيَّة. وهذا ضعيفٌ جدًّا، إذ لا ذكر للحيَّة في شيءٍ من قصَّة آدم، ولا في السِّياقِ ما يدلُّ عليها.

وقيل: الخطابُ لآدمَ وحوَّاء، وأتىٰ فيه بضمير الجمع كقوله تعالىٰ: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء:٧٨]، وهمَا داود وسليمان.

وقيل: لآدم وحواء وذريتهما.

وهذه الأقوال ضعيفة غير الأوَّل؛ لأنَّها بين قولٍ لا دليلَ عليه، وبين ما يدلُّ اللفظُ علىٰ خلافه، فثبت أنَّ إبليس داخلٌ في هذا الخطابِ، وأنَّه من المُهْبَطِيْن.

فإذا تقرَّر هذا، فقد كرَّر سبحانه الإهباط ثانيًا بقوله تعالىٰ: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٣٨].

والظَّاهرُ أنَّ هذا الإهباط الثاني غيرُ الأوَّل، وهو إهباط من السماء إلىٰ الأرضِ،

والأوَّل إهباط من الجنَّة، وحينئذٍ فتكون الجنَّة التي أُهبِطُوا منها أوَّلًا فوق السَّماءِ = جنة الخلدِ.

وقد ظنَّ الزمخشري أنَّ قوله تعالىٰ: ﴿ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة:٣٨] خطاب لآدم وحواء خاصَّة، وعبَّر عنهما بالجمع لاسْتِتْباعهما ذُرِّيَّاتهما، قال: «والدليلَ عليه قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۢ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [طه:١٢٣]، قال: ويدل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٣٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٣٨-٣٩]، وما هو إلا حكم يعمّ النَّاس كلهم، ومعنىٰ قوله: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ ما عليه النَّاسُ من التَّعادي والتَّباغي وتضليل بعضهم بعضا».

وهذا الَّذي اختاره أضعف الأقوال في الآية، فإنَّ العداوة التي ذكرها اللهُ تعالىٰ إنَّما هيَ بين آدم وإبليس وذريتهما، كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر:٦]، وهو سبحانه قد أكَّد أَمْرَ العداوةِ بين الشيطان والإنسان، وأعاد وأبَّد ذِكْرَهَا في القرآن لِشِدَّةِ الحاجة إلىٰ التحرز من هذا العدو، وأمَّا آدم وزوجته، فإنَّه إنَّما أخبر في كتابه أنَّه خلقها ليسكن إليها، وجعل بينهما مودة ورحمة، فالمودةُ والرحمة بين الرجل وزوجته، والعداوة بين الإنسانِ والشيطان.

وقد تقدَّم ذكر آدم وزوجه وإبليس وهم ثلاثة، فلماذا يعود الضميرُ علىٰ بعض المذكور - مع منافرته لطريق الكلام- دون جميعه، مع أنَّ اللفظ والمعنىٰ يقتضيه، فلم يصنع الزمخشري شيئًا.

وأمَّا قوله تعالىٰ في سورة طه: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۢ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [طه:١٢٣]. وهذا خطاب لآدم وحوَّاء، وقد جعلَ بعضهم عدوًّا لبعضٍ: فالضمير في قوله: ﴿ٱهْبِطَا﴾ إمَّا أنْ يرجعَ إلىٰ آدم وزوجه، أو إلىٰ آدمَ وإبليس، ولم يذكر

الزوجة؛ لأنَّها تبع له وعلىٰ هذا، فالعداوة المذكورة للمخاطبين بالإهباط، وهما: آدم وإبليس، فالأمر ظاهر، وأمَّا علىٰ الأوَّل، فتكون الآية قد اشتملت علىٰ أمرين:

أحدهما: أمره تعالىٰ لآدم وزوجه بالهبوط.

والثاني: إخباره بالعداوة بين آدم وزوجه، وبين إبليس؛ ولهذا أتىٰ بضمير الجمع في الثاني دون الأوَّل، ولا بدَّ أن يكون إبليسُ داخلًا في حكمِ هذه العداوة قطعًا، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ [طه:١١٧]، وقال للذرية: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر:٦].

وتأمَّل كيفَ اتَّفقت المواضع التي فيها ذِكْرُ العداوةِ علىٰ ضمير الجمعِ دون التثنية؟

وأمَّا الإهباط: فتارة يُذْكَرُ بلفظِ الجمع، وتارةً بلفظِ التثنية، وتارة بلفظِ الإفرادِ، كقوله في سورة الأعراف: ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾ [الأعراف:١٣] وكذلك في سورة (ص)، وهذا لإبليس وحده.

وحيثُ وردَ بصيغة الجمع: فهو لآدم وزوجه وإبليس، إذْ مدار القصَّة عليهم.

وحيث وردَ بلفظ التثنية: فإمَّا أن يكون لآدم وزوجه، إذ هما اللَّذانِ باشرا الأكلَ من الشجرة، وأقدما علىٰ المعصية.

وإمَّا أنْ يكون لآدمَ وإبليس، إذ هما أَبَوَا الثقلين، وأصْلا الذُّرِّيَّة، فذكر حالهما، وما آل إليه أمرهما ليكون عظةً وعبرة لأولادهما، وقد حُكِيت القولان في ذلك.

والَّذي يوضح أنَّ الضمير في قوله: ﴿ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [طه:١٢٣] لآدم وإبليس، أنَّ الله سبحانه لمَّا ذكرَ المعصيةَ أفرد بها آدم دون زوجه، فقال: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [طه:١٢١-١٢٣]. وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ المخاطب بالإهباطِ هو آدم ومن زين له

المعصية، ودخلت الزوجة تبعًا، فإنَّ المقصودَ إخبار الله سبحانه للثقلين بما جرىٰ علىٰ أبويهما من شؤم المعصية ومخالفة الأمر، فذكر أبويهما أبلغُ في حصولِ هذا المعنىٰ، من ذِكْر أَبَوَي الإنس فقط.

وقد أخبر سبحانه عن الزوجة بأنَّها أكلت مع آدم، وأخبر أنَّه أهبطه وأخرجه من الجنَّة بتلك الأكلة، فعُلِمَ أنَّ حُكْمَ الزوجة كذلك، وأنَّها صارت إلىٰ ما صار إليه آدم.

فكان تجريد العناية إلىٰ ذكر حال أبوي الثقلين أولىٰ من تجريده إلىٰ ذكر أبي الإنسِ وأُمَّهم، فتأمله.

وبالجملةِ فقوله تعالىٰ: ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [الأعراف:٢٤] ظاهرٌ في الجمع، فلا يسوغ حمله علىٰ الاثنين في قوله تعالىٰ: ﴿ٱهْبِطَا﴾ [طه:١٢٣] من غير موجب.

قالوا: وأيضًا، فالجنَّة جاءت مُعَرَّفةً بلام التعريفِ في جميع المواضع، كقوله: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥]. ونظائره، ولا جنَّة يعهدها المخاطبون ويعرفونها إلا جنَّة الخلدِ التي وعد الرَّحمن عباده بالغيب، فقد صارَ هذا الاسمُ عَلَمًا عليها بالغلبةِ: كالمدينةِ والنَّجمِ والبيت والكتاب ونظائرها، فحيثُ ورد لفظها مُعَرَّفًا انصرف إلىٰ الجنَّةِ المعهودةِ المعلومةِ في قلوبِ المؤمنين.

وأمَّا إنْ أُريدَ به جنَّة غيرها فإنَّها تجيءُ منكَّرةً أو مقيَّدةً بالإضافة، أو مقيَّدةً من السِّياقِ بما يدل علىٰ أنَّها جنةٌ في الأرضِ.

فالأوَّل: كقوله: ﴿جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ﴾ [الكهف:٣٢].

والثاني: كقوله: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ [الكهف:٣٩].

والثالث: كقوله: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [القلم:١٧].

قالوا: وممَّا يدلُّ علىٰ أنَّ جنَّة آدم هي جنَّة المأوىٰ: ما روىٰ هوذَة بن خليفة عن عوف، عن قَسَامَة بن زهير عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه قال: «إنَّ الله تعالىٰ لمَّا

أخرج آدم من الجنَّة زوَّده من ثمار الجنَّة، وعلَّمه صنعة كلِّ شيء، فثماركم هذه من ثمار الجنَّة، غير أنَّ هذه تَغَيَّر، وتلك لا تغيَّر»[1].

قالوا: وقد ضمن اللهُ سبحانه وتعالىٰ له إنْ تابَ إليهِ، وأناب أنْ يعيده إليها، كما روىٰ المِنْهال عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالىٰ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة:٣٧]. قال: يا ربَّ ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلىٰ، قال: أيْ ربِّ ألم تنفخ فيَّ من روحك؟ قال: بلىٰ، قال: أيْ ربِّ ألم تُسْكِنِّي جنتك؟ قال: بلىٰ، قال: أيْ ربِّ ألم تسبق رَحْمَتك غَضَبَكَ؟ قال: بلىٰ، قال أرأيتَ إن تبتُ وأصلحتُ أراجعي أنت إلىٰ الجنَّة؟ قال: بلىٰ، قال: فهو قوله تعالىٰ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[2].

وله طرق عن ابن عباس[3]، وفي بعضها: «كأنَّ آدم قال لربه إذْ عصاهُ: ربِّ إنْ أنا تُبْتُ وأصلحتُ، فقال له ربُّه: إنِّي راجعُك إلىٰ الجنَّة»[4].

فهذه بعض ما احتجَّ به القائلون بأنَّها جنَّة الخلد، ونحن نسوقُ حُجج الآخرين.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: (١/ ٦٦)، والحاكم (٣٩٩٦)، والبيهقي في «البعث والنشور» (١٩٨) موقوفًا علىٰ أبي موسىٰ الأشعري وهو الصواب. قال الحاكم: «صحيح الإسنادِ، ولم يخرِّجاهُ».

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٤٣)، والحاكم (٤٠٠٢) وقال: «صحيح الإسنادِ، ولم يخرجاه».

(٣) عند ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤١١)، والطبري (١/ ٢٤٣).

(٤) عند الطبري: (١/ ٢٤٣) ولا يثبت سنده.

ص(٦٦)

الباب الرَّابع

في سياق حجج الطائفة التي قالت: ليست جنَّة الخلدِ، وإنَّما هي جنَّةٌ في الأرضِ

قالوا: هذا قول تكثر الدَّلائلُ الموجبة للقول به، فنذكر بعضها.

قالوا: قد أخبرَ اللهُ سبحانه علىٰ لسان جميع رسله: أنَّ جنة الخُلد إنَّما يكون الدخول إليها يوم القيامة، ولم يأت زمن دخولها بَعْدُ، وقد وصفها اللهُ سبحانه وتعالىٰ لنا في كتابه بصفاتها، ومُحال أن يصف اللهُ سبحانه وتعالىٰ شيئًا بصفة، ثمَّ يكون ذلك الشيء بغير تلك الصفة التي وصفها به.

قالوا: فوجدنا الله تعالىٰ وصف الجنَّة التي أُعِدَّت للمتقين بأنَّها: ﴿دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾ [فاطر:٣٥]، فمن دخلها أقام بها، ولم يقم آدم بالجنَّة التي دخلها.

ووصفها بأنَّها: ﴿جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ﴾ [الفرقان:١٥]. وآدم لم يُخَلَّد فيها.

ووصفها بأنَّها: دار ثوابٍ وجزاءٍ، لا دار تكليف وأمرٍ ونهي.

ووصفها بأنَّها: دار سلامةٍ مطلقةٍ، لا دار ابتلاءٍ وامتحانٍ، وقد ابتلي فيها آدم بأعظم الابتلاء.

ووصفها بأنَّها: دارٌ لا يُعصىٰ اللهُ فيها أبدًا، وقد عصىٰ آدمُ ربَّه في جنته التي دخلها.

ووصفها بأنَّها: ليست دار خوفٍ ولا حَزَنٍ، وقد حصلَ للأبوين فيها من الخوف والحزن ما حصل.

وسَمَّاها: دارَ السلام ولم يسْلَم فيها الأبوانِ من الفِتنة.

ودارَ القرار، ولم يستقرَّا فيها.

وقال في داخليها: ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٨] وقد أُخْرِجَ منها الأبوان.

وقال: ﴿لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٌ﴾ [الحجر:٤٨]، وقد ندَّ فيها آدم هاربًا فارًّا، وطفق يخصف ورق الجنَّة علىٰ نفسه، وهذا النَّصَبُ بعينه.

وأخبر أنَّه: ﴿لَّا لَغۡوٌ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٌ﴾ [الطور:٢٣]، وقد سمع فيها آدم لغوَ إبليس وإثمه.

وأخبر أنَّه لا يُسْمَعُ فيها لغوٌ ولا كِذَّابٌ، وقد سمع فيها آدم عليه السلام كَذِب إبليس وإثمه.

وقد سمَّاها اللهُ سبحانه وتعالىٰ: ﴿مَقۡعَدِ صِدۡقٍ﴾ [القمر:٥٥]، وقد كَذَبَ فيها إبليسُ، وحلف علىٰ كذبه.

وقد قال تعالىٰ للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]، ولم يقل: إنِّي جاعل في جنَّة المأوىٰ، فقالت الملائكة: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة:٣٠] ومحال أنْ يكون هذا في جنة المأوىٰ.

وقد أخبر اللهُ سبحانه عن إبليس أنَّه قال لآدمَ: ﴿هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٍ لَّا يَبۡلَىٰ﴾ [طه:١٢٠].

فإن كان اللهُ سبحانه وتعالىٰ قد أسكنَ آدم جنة الخلد والمُلك الَّذي لا يَبْلَىٰ، فكيف لا يرد عليه ويقول له: كيف تَدُلُّني علىٰ شيءٍ أنا فيه، وقد أُعْطِيتُه، ولم يكن اللهُ سبحانه وتعالىٰ قد أخبر آدم إذ أسكنه الجنَّة أنَّه فيها من الخالدين، ولو علم أنَّها دار الخلد لما ركن إلىٰ قول إبليس، ولا مال إلىٰ نصيحته، ولكنَّه لما كان في غير دار خلودٍ غرَّهُ بما أطمعه فيه من الخُلْدِ.

قالوا: ولو كان آدم أُسْكِنَ جنة الخلد، وهي دار القُدس التي لا يسكنها إلا طاهرٌ مقدَّسٌ، فكيف توصَّل إليها إبليسُ الرجس النجس المذموم المَدْحُور، حتىٰ فتن

فيها آدم عليه السلام ووسوس له؟ وهذه الوسوسة: إمَّا أنْ تكون في قلبه، وإمَّا أنْ تكونَ في أُذُنِهِ، وعلىٰ التقديرين، فكيف توصلَ اللَّعينُ إلىٰ دخول دار المتقين.

وأيضًا؛ فبعد أنْ قيلَ له: ﴿فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ [الأعراف:١٣]، أيفسح له أنْ يرقىٰ إلىٰ جنة المأوىٰ فوق السَّماء السَّابعة بعد السخط عليه، والإبعادِ له، والدَّحْر والطرد بعُتُوِّهِ[1] واستكباره، وهل هذا يلائم قوله: ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ فإنْ كانت مخاطبته لآدم بما خاطبه به وقاسمه عليه ليست تَكَبُّرًا، فما التكبر بعد هذا؟!

فإنْ قلتم: فلعلَّ وسوسته وصلتْ إلىٰ الأبوين، وهو في الأرضِ، وهما فوق السماء في عليين = فهذا غير معقولٍ لغة ولا حسًّا ولا عُرْفًا.

وإن زعمتم أنَّه دخلَ في بطن الحيَّة حتىٰ أوصل إليهما الوسوسة = فأبطلُ وأبطلُ، إذ كيف يَرْقىٰ بعد الإهباطِ له إلىٰ أنْ يدخل الجنَّة، ولو في بطن الحيَّة؟!

وإنْ قلتمْ: إنَّه دخلَ في قلوبهما، ووسوس إليهما = فالمحذور قائم.

وأيضًا؛ فإنَّ اللهَ سبحانه وتعالىٰ حكىٰ مخاطبته لهما كلامًا سمعاهُ شفاهًا، فقال: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف:٢٠]، وهذا دليلٌ علىٰ مشاهدته لهما وللشَّجرة، ولمَّا كان آدم خارجًا من الجنَّة وغير ساكن فيها قال الله تعالىٰ له: ﴿أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف:٢٢] ولم يقل عن هذه الشجرة، فعندما قال لهما: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف:٢٠] لما أطمعهما في مُلْكها، والخلود في مقرَّها أتىٰ باسم الإشارة بلفظ الحضور، تقريبًا لها، وإحضارًا لها عندهما، وربهما تعالىٰ قال لهما: ﴿أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف:٢٢]، ولمَّا أراد إخراجهما منها، فأتىٰ باسم الإشارةِ بلفظ البُعد والغيبة، كأنَّهما لم يبق

(١) العُتُوّ: التجاوز عن الحدّ.

لهما من الجنَّة حتىٰ ولا مشاهدة الشجرة التي نُهيا عنها.

وأيضًا؛ فإنَّه سبحانه قال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠] ووسوسة اللعين من أخبث الكَلِم، فلا يصعد إلىٰ محل القدس.

قال منذر: «وقد روي عن النَّبي ﷺ: «**أنَّ آدمَ عليه السلام نامَ في جنته**»(١). وجنة الخُلْد لا نوم فيها بالنَّص، وإجماع المسلمين، فإنَّ النَّبي ﷺ سُئِلَ: أينامُ أهلُ الجنَّة في الجنَّة؟ قال: «**لا، النومُ أخو الموتِ**»(٢) والنوم وفاةٌ، وقد نطق به القرآن، والوفاة تَقَلُّبُ حالٍ، ودار السَّلام مسلَّمةٌ من تقلب الأحوالِ، والنَّائمُ ميت أو كالميت».

قلت: الحديث الَّذي أشار إليه المعروف أنَّه موقوف من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: «**خُلِقَتْ حواءُ من قَصِيْرىٰ آدم وهو نائمٌ**»(٣).

وقال أَسْبَاط عن السُّدِّي: «أُسْكِنَ آدم عليه السلام الجنَّة، وكان يمشي فيها وَحِشًا ليس له زوج يسكن إليها، فنام نومةً، فاستيقظ، فإذا عندَ رأسه امرأة قاعدة خلقها اللهُ من ضِلَعه، فسألها ما أنت؟ قالت: امرأة، قال: ولِمَ خُلِقْتِ؟ قالت: لتسكن إليَّ»(٤).

وقال ابن إسحاق عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أُلْقِيَ علىٰ آدم عليه السَّلام السِّنة، ثمَّ أُخِذَ ضلعًا من أضلاعه من شقه الأيسر، ولأم مكانه لحمًا، وآدم نائمٌ، لم يَهُبَّ

---

(١) لم أقف عليه مرفوعًا، وسيذكر المؤلف أنَّه جاء عن مجاهد.

(٢) أخرجه البزارُ كما في «كشف الأستار» (٤/ ٣٥١٧)، وأبو الشيخ في «تاريخ أصبهان» (٣٥٣ و٤٧٧) عن ابن المنكدر عن جابر مرفوعًا، والصواب أنَّه مرسل ليس فيه جابر، كما عند أحمد في الزهد (٤٣)، وغيره.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤٧١٩)، وهو أثر ثابت عن مجاهد.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٧٦)، والطبري: (١/ ٢٢٩). وسنده لا بأس به.

من نومته، حتىٰ خلق اللهُ من ضلعه تلك زوجته حواء، فسواها امرأةً يسكن إليها، فلمَّا كشف عنه السَّنة، وهَبَّ من نومته رآها إلىٰ جنبه فقال: لحْمي ودمي وزوجي، فسكن إليها»[1].

قالوا: ولا نزاع أنَّ اللهَ سبحانه وتعالىٰ خلقَ آدم في الأرضِ، ولم يَذْكر في موضع واحدٍ أصلًا أنَّه نقله إلىٰ السماء بعد ذلك، ولو كان قد نقله بعد ذلك إلىٰ السَّماءِ لكان هذا أولىٰ بالذكر؛ لأنَّه من أعظم الآيات، ومن أعظم النِّعَمِ عليه، فإنَّه كان مِعْراجًا ببدنه وروحه من الأرضِ إلىٰ فوق السماوات.

قالوا: وكيف نقله سبحانه ويسكنه فوق السَّماءِ، وقد أخبر ملائكته أنَّه جاعِلُهُ في الأرضِ خليفةً، وكيف يسكنه دار الخلد التي من دخلها يُخَلَّدُ فيها، ولا يخرج منها؟ قال تعالىٰ: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر:٤٨].

قالوا: ولو لم يكن مَعَنَا في المسألة إلا أنَّ اللهَ سبحانه أهبط إبليس من السَّماءِ حين امتنع من السجود لآدم عليه السلام، وهذا أمر تكوين لا يمكن وقوع خلافه، ثمَّ أدخل آدم عليه السلام الجنَّة بعد هذا، فإنَّ الأمرَ بالسجود كان عقيب خلقه من غير فصل، فلو كانت الجنَّة فوق السماوات لم يكن لإبليس سبيلٌ إلىٰ صعودِهِ إليها، وقد أُهبِطَ منها.

وأمَّا تلك التقادير التي قدَّرتموها فتكلُّفات ظاهرة، كقول من قال: يجوز أنْ يصعد إليها صعودًا عارضًا لا مستقرًّا.

وقول من قال: أدْخَلَتْه الحيَّة.

وقول من قال: دخل في أجوافهما.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره»: (١/ ٢٣٠) ولا يثبت، لجهالة بعض رواته، والكلام في شيخ الطبري.

وقول من قال: يجوزُ أن تصل وسوسته إليهما وهو في الأرضِ، وهما فوق السَّماء.

ولا يخفىٰ ما في ذلك من التعسف الشَّديد، والتكلف البعيد، وهذا بخلاف قولنا، فإنَّه لما أهبطه سبحانه من ملكوت السماء حيث لم يسجد لآدم عليه السلام أُشْرِبَ عداوته، فلمَّا أسكنه جنته حسده عدوه، وسعىٰ بكيدِهِ وغروره في إخراجه منها، واللهُ أعلم.

قالوا: وممَّا يدلُّ علىٰ أنَّ جنَّة آدم لم تكن جنة الخلدِ التي وُعِدَ المتقون: أنَّ اللهَ سبحانه لما خلقه أعلمه أنَّ لِعُمُرِهِ أجلًا ينتهي إليه، وأنَّه لم يخلقه للبقاءِ، كما روىٰ الترمذي في «جامعه» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما خَلَقَ اللهُ آدم ونفخَ فيه من الروح عطس، فقال: الحمدُ للهِ، فحمدَ الله بإذنه، فقال له ربُّه: يرحمك الله يا آدمُ، اذهب إلىٰ أولئك الملائكة إلىٰ ملأ منهم جلوس فقل: السلام عليكم قالوا: وعليك السَّلام، ثمَّ رجع إلىٰ ربَّه فقال: إنَّ هذه التَّحية تحيتك وتحية بَنِيْك بينهم، فقال اللهُ له ويداه مقبوضتان: اختر أيهما شئت، فقال: اخترت يمين ربي -وكلتا يَدَي ربِّي يمينٌ مباركة- ثمَّ بسطها فإذا فيها آدم وذريته، فقال: يا رب ما هؤلاءِ؟ قال: هؤلاء ذُرِّيتُك، فإذا كلُّ إنسانٍ مكتوبٌ عُمُره بين عينيه، فإذا رجلٌ أضوؤهم، أو من أضوئهم قال: يا ربَّ من هذا؟ قال: هذا ابنُك داود، وقد كَتبتُ لَهُ عُمُر أربعين سنةً، قال: يا ربِّ زِدْ في عمره، قال: ذلك الَّذي كتبتُ له، قال: ربِّ، فإنِّي قد جعلتُ له من عُمُري سِتِّين سنة، قال: أنت وذاك، قال: ثمَّ أُسكِنَ آدم الجنَّة ما شاءَ اللهُ، ثمَّ أُهْبط منها، فكان آدم يَعُدُّ لِنَفْسِهِ: فأتاهُ مَلَكُ الموتِ فقال له آدم: قد عجلتَ قد كُتِبَتْ لي ألفُ سنةٍ، قال: بلىٰ، ولكنَّك جعلتَ لابنك داودَ ستين سنة، فجحَدَ**

فجحدت ذريته، ونَسِيَ فنسيت ذُرِّيَّتُه، قال: فمن يومئذٍ أُمِرَ بالكتاب والشُّهودِ»[١].

قال: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وقد رُوِيَ من غير وجهٍ عن أبي هريرة»[٢].

قالوا: فهذا صريحٌ في أنَّ آدمَ عليه السلام لم يُخْلَق في دار البقاءِ التي لا يموت من دخلها، وإنَّما خُلِقَ في دار الفناء التي جعل اللهُ تعالىٰ لها ولسُكَّانِها أجلًا معلومًا، وفيها أُسْكِنَ.

فإنْ قيلَ: فإذا كان آدمُ عليه السلام قد علم أنَّ له عمرًا مُقَدَّرًا، وأجلًا ينتهي إليه، وأنَّه ليسَ من الخالدين، فكيف لم يَعْلَمْ كَذبَ إبليس في قوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ [طه:١٢٠]؟ وقوله: ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ [الأعراف:٢٠].

فالجوابُ من وجهين:

أحدهما: أنَّ الخُلد لا يستلزم الدوام والبقاء، بل هو المكث الطويل، كما سيأتي[٣].

الثاني: أنَّ إبليس لما حلف لهُ، وغَرَّه وأطمعه في الخلود نسي ما قُدِّرَ له من عُمُره.

قالوا: وأيضًا فمن المعلوم الَّذي لا ينازع فيه مسلمٌ أنَّ الله سبحانه خلق آدم عليه السلام من تربة هذه الأرض، وأخبر أنَّه خلقه ﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون:١٢]، وأنَّه خلقهُ ﴿مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر:٢٦]. فقيل: هو الَّذي له صلصلة ليُبْسِهِ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٦٨)، وابن حبان (٦١٦٧)، والحاكم (٢١٤) وغيرهم، وقال الترمذي: «غريب».

(٢) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢٢٠) عن أبي هريرة مختصرًا، وقال: «وهو منكر». وأخرجه ابن سعد (١/ ٢٧) عن أبي هريرة مرفوعًا مختصرًا.

(٣) ص (٦٢، ٥١٧).

وقيل: هو الَّذي قد تَغَيَّرت رائحته، من قولهم: صَلَّ اللحم إذا تغيَّر.

والحَمَأُ: الطِّيْنُ الأسود المُتَغير. والمَسْنُون: المَصْبُوب.

وهذه كلها أطوار للتراب الَّذي هو مبدؤه الأوَّل، كما أخبرَ عن أطوار خلق الذرية ﴿مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ [الحج:٥] ولم يخبر سبحانه وتعالىٰ أنَّه رفعه من الأرضِ إلىٰ فوق السماوات، لا قبل التَّخْلِيق ولا بعده، فأين الدليل الدَّالُّ علىٰ إصْعاد مادَّته، أو إصعاده هو بعد خلقه، وهذا ما لا دليل لكم عليه، ولا هو لازِمٌ من لوازم ما أخبر اللهُ به؟

قالوا: ومن المعلوم أنَّ ما فوق السماوات ليس بمكان للطين الأرضي المتغير الرَّائحة الَّذي قد أنْتَن من تغيره، وإنَّما محل هذا الأرضِ التي هي محل المُتَغيِّرات الفاسدات، وأمَّا ما فوق الأفلاك فلا يلحقه تَغَيُّر ولا نَتَنٌ ولا فسادٌ ولا استحالة، فهذا أمرٌ لا يرتابُ فيه العقلاء.

قالوا: وقد قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨]، فأخبر سبحانه أنَّ عطاء جنة الخلد غير مجذوذ.

قالوا: فإذا جُمِعَ ما أخبر اللهُ سبحانه به من أنَّه خلقه من الأرضِ، وجعله خليفة في الأرضِ، وأنَّ إبليس وسوس إليه في مكانه الَّذي أسكنه فيه، بعد أنْ أهبطه من السماء بامتناعه من السجود له، وأنَّه أخبر ملائكته أنَّه ﴿جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]، وأنَّ دار الخلد: دار جزاء وثوابٍ علىٰ الامتحان والتَّكاليف، وأنَّها لا لغوَ فيها ولا تأثيم ولا كِذَّابًا، وأن من دخلها لا يخرج منها، ولا يَبْؤُس ولا يحزن، ولا يخاف ولا ينامُ، وأنَّ اللهَ حرمها علىٰ الكافرين، وإبليس رأس الكفر، فإذا جُمِعَ ذلك بعضه إلىٰ بعضٍ، وفكَّر فيه المُنْصِفُ الَّذي رُفِعَ له علم الدليل، فشمَّر إليه، وربأ

بنفسه عن حضيض التقليد تَبَيَّن له الصوابُ، واللهُ الموفق.

قالوا: ولو لم يكن في هذه المسألة إلا أنَّ الجنَّة ليستْ دار تكليفٍ، وقد كلف الله سبحانه الأبوين بِنَهْيِهِمَا عن الأكل من الشجرة، فدلَّ علىٰ أنَّها دار تكليف لا دار جزاء وخُلْد.

فهذا أيضًا بعض ما احتجتْ به هذه الفرقة علىٰ قولها، واللهُ أعلم.

ص(٧٩)

الباب الخامس

في جواب أرباب هذا القول لأصحاب القول الأوَّل

قالوا: أمَّا قولكم: إنَّ قولنا هو الَّذي فطر اللهُ عليه عباده بحيث لا يعرفون سِوَاهُ، فالمسألةُ سمعية لا تُعْرَفُ إلا بأخبار الرسل، ونحن وأنتم إنَّما تلقينا هذا من القرآن، لا من المعقول ولا من الفطرة، فالمتَّبع فيه ما دلَّ عليه كتابُ اللهِ تعالىٰ وسنَّة رسوله ﷺ، ونحن نطالبكم بصاحبٍ واحدٍ، أو تابعٍ أو أثرٍ صحيحٍ أو حسن، يصرِّح بأنها جنَّةُ الخلد التي أعدَّها اللهُ للمؤمنين بعَيْنِهَا، ولن تجدوا إلىٰ ذلك سبيلًا، وقد أوجدناكم من كلام السلف ما يدل علىٰ خلافه، ولكن لمَّا وردت الجنَّة مُطْلَقةً في هذه القِصَّة، وافقت اسم الجنَّة التي أعدَّها اللهُ لعباده في إطلاقها، وبعض أوصافها، فذهب كثيرٌ من الأوهام إلىٰ أنَّها هي بعينها، فإنْ أردتم بالفطرة هذا القدر لم يُفِدْكم شيئًا، وإنْ أردتم أنَّ اللهَ فطر الخلق علىٰ ذلك كما فطرهم علىٰ حُسْن العدل وقبح الظلم، وغير ذلك من الأمور الفِطْرية فدعوىٰ باطلة، ونحن إذا رجعنا إلىٰ فطرنا لم نجد علمها بذلك، كعلمها بوجوب الواجبات، واستحالة المستحيلات.

وأمَّا استدلالكم بحديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقول آدم: «**وهل أخرجكم منها إلا خطيئة أبيكم**»؟[1] فإنَّما يدلُّ علىٰ تأخُّر آدم عليه السلام عن الاستفتاح للخطيئة التي تقدمت منه في دار الدنيا، وأنَّه بسبب تلك الخطيئة حصل له الخروج من الجنَّة، كما في اللفظ الآخر: «**إني نُهيتُ عن أكل الشجرة فأكلت منها**»[2]، فأينَ في هذا ما

(١) أخرجه مسلم (١٩٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣١٦٢)، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة الطويل في الشفاعة.

يدل علىٰ أنَّها جنة المأوىٰ بمطابقةٍ أو تَضَمُّن أو اسْتِلزام، وكذلك قول موسىٰ له: «**أخرجتنا ونفسَكَ من الجنَّة**»(١)، فإنَّه لم يقل له: أخرجتنا من جنة الخلد.

وقولكم: إنَّهم خرجوا إلىٰ بساتين من جنس الجنَّة التي في الأرضِ، فاسم الجنَّة وإن أُطْلِقَ علىٰ تلك البساتين، فبينها وبين جنَّة آدم ما لا يعلمه إلا اللهُ، وهي كالسجن بالنَّسبة إليها، واشتراكهما في كونهما في الأرضِ لا ينفي تفاوتهما أعظم تفاوتٍ في جميع الأشياء.

وأمَّا استدلالكم بقوله تعالىٰ: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ﴾ [البقرة:٣٦] عقيب إخراجهم من الجنَّة، فلفظُ الهبوط لا يستلزم النزول من السماء إلىٰ الأرض، وغايته أن يدلَّ علىٰ النزول من مكان عال إلىٰ أسفل منه، وهذا غير منكر، فإنَّها كانت جنَّةً في أعلىٰ الأرضِ، فأُهبِطوا منها إلىٰ الأرضِ.

وقد بيَّنَّا أنَّ الأمرَ كان لآدم وزوجه وعدوهما، فلو كانت الجنَّة في السماء لما كان عدوُّهما متمكنًا منهما بعد إهباطه الأوَّل؛ لمَّا أبىٰ السُّجود لآدم عليه السلام، فالآية إذا من أظهر الحُجَجَ عليكم، ولا تغني عنكم وجوه التَّعَسُّفَات والتكلفات التي قدَّرتُمُوها، وقد تقدمت.

وأمَّا قوله تعالىٰ: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة:٣٦]، فهذا لا يدلُّ علىٰ أنَّهم لم يكونوا قبل ذلك في الأرضِ؛ فإنَّ الأرضَ اسمُ جنسٍ، وكانوا في أعلاها وأطيبها وأفضلها، في محل لا يدركهم فيه جوع ولا عُري ولا ظمأ ولا ضحىٰ، فأُهْبِطوا إلىٰ أرضٍ يعرض فيها ذلك كله، وفيها حياتهم وموتهم، وخروجهم من القبور، والجنَّة التي أسكناها لم تكن دار نصبٍ ولا تعبٍ ولا أذىً، والأرض التي أهبطوا إليها هي محل التعب والنصب، والأذىٰ وأنواع المكاره.

وأمَّا قولكم: إنَّه سبحانه وتعالىٰ وصفها بصفاتٍ لا تكون في الدنيا.

---

(١) تقدم تخريجه ص(٤٤).

فجوابه: أنَّ تلك الصِّفات لا تكون في الأرضِ التي أهبطوا إليها، فمن أين لكم أنَّها لا تكون في الأرضِ التي أُهْبِطوا منها.

وأمَّا قولكم: إنَّ آدم عليه السلام كان يعلم أنَّ الدنيا مُنْقَضِية فانية، فلو كانت الجنَّة فيها لَعَلِمَ كَذِبَ إبليس في قوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ [طه:١٢٠].

فجوابه من وجهين:

أحدهما: أنَّ اللَّفظ إنَّما يدل علىٰ الخُلْد، وهو أعمُّ من الدَّوام الَّذي لا انقطاع له، فإنَّهُ في اللغة: المُكْثُ الطَّويل. ومكث كل شيء بحسبه، ومنه قولهم: رجل مخلَّد. إذا أَسَنَّ وكَبر، ومنه قولهم لأثافيِّ[1] الصخور: خَوالِد. لطول بقائها بعد دروس الأطلال. قال:

إلَّا رمــادًا هامِــدًا دفعــت ... عنه الريــاح خوالدٌ سَــحْم

ونظير هذا إطلاقهم القديم علىٰ ما تقادم عهده، وإن كان له أوَّل، كما قال تعالىٰ: ﴿كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس:٣٩]، وَ﴿إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف:١١]، وقد أطلق تعالىٰ الخلود في النَّارِ علىٰ عذاب بعض العصاة، كقاتل النفس، وأطلقه النَّبي ﷺ علىٰ قاتل نفسه.

الوجه الثاني: أنَّ العلم بانقطاع الدنيا ومجيء الآخرة، إنَّما يعلم بالوحي، ولم يتقدَّم لآدم عليه الصلاة والسلام نُبُوَّة يُعْلَمُ بها ذلك، وهو وإنْ نَبَّأَهُ اللهُ سبحانه وتعالىٰ وأوحىٰ إليه، وأنزل عليه صُحُفًا، كما في حديث أبي ذرٍّ[2] رضي الله عنه، لكن هذا بعد إهباطه

(١) الأُثْفِيَّة: أحدُ أحجار ثلاثة توضع عليها القدر.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ١٧٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٦١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٦٦) مطوَّلًا. من طرق ضعيفة. لكن جاء من حديث أبي أمامة عند ابن حبان (٦١٩٠) وغيره بسند صحيح.

إلىٰ الأرض بنصِّ القرآن، قال تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۢ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه:١٢٣]، وكذلك في سورة البقرة: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ الآية [البقرة:٣٨].

وأمَّا قولكم: إنَّ الجنَّة وردت مُعَرَّفةً باللَّامِ التي للعَهدِ فتنصرف إلىٰ جنَّة الخُلد، فقد وردت مُعَرَّفة باللَّام، غير مرادٍ بها جنَّة الخلد قطعًا، كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ [القلم:١٧].

وقولكم: إنَّ السِّياق ها هنا دلَّ علىٰ أنَّها جنَّةٌ في الأرضِ.

قُلنا: والأدلة التي ذكرناها دلَّت علىٰ أنَّ جنة آدم عليه السَّلام في الأرضِ، فلذلك صِرْنَا إلىٰ مُوْجِبِهَا، إذْ لا يجوزُ تعطيل دلالة الدليل الصحيح.

وأمَّا استدلالكم بأثر أبي موسىٰ: «أنَّ الله أخرج آدم من الجنَّة وزوَّده من ثمارها»[١]، فليس فيه زيادة علىٰ ما دلَّ عليه القرآن، إلا تزوده منها، وهذا لا يقتضي أنْ تكون جنَّة الخُلْدِ.

وقوله: «إنَّ هذه تتغير، وتلك لا تتغير» فمن أين لكم أنَّ الجنَّة التي أسكنها آدم كان التَّغيُّر يَعْرِضُ لثمارها، كما يَعرِضُ لهذه الثمار، وقد ثبتَ في الحديث الصحيح عِن النَّبي ﷺ أنه قال: «**لولا بنو إسرائيل لم يَخْنَزَ اللَّحم**»[٢] أي: لم يَتَغَيَّر ولم يَنْتَنْ، وقد أبقىٰ اللهُ سبحانه وتعالىٰ في هذا العالم طعامَ العُزَيْر وشَرَابَهُ مئة سنةٍ لم يتغيَّر[٣].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٣١٥٢)، ومسلم (١٤٧٠)، واللفظ للبخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) يُشير المؤلف إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة:٢٥٩]، وراجع تفسير الطبري (٣/ ٢٨).

وأمَّا قولكم: إنَّ اللهَ سبحانه وتعالىٰ ضَمِنَ لآدم عليه السلام إنْ تابَ أن يعيده إلىٰ الجنَّة، فلا ريبَ أنَّ الأمرَ كذلك، ولكن ليس نعلم أنَّ الضمان إنَّما يتناول عوده إلىٰ تلك الجنَّة بِعَيْنِهَا، بل إذا أعاده إلىٰ جنة الخلد، فقد وفَىٰ سبحانه بضمانه حقَّ الوفاءِ، ولفظُ العَوْد لا يستلزم الرجوع إلىٰ عَيْنِ الحالةِ الأولىٰ، ولا زمانها ولا مكانها، بل ولا إلىٰ نظيرها، كما قال شعيب لقومه: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ﴾ [الأعراف:٨٩]، وقد جعل اللهُ سبحانه المُظَاهِرَ[1] عائدًا بإرادته الوطء ثانيًا، أو بنفس الوطء، أو بالإمساكِ، وكل منها غيرُ الأوَّلِ لا عينه.

فهذا ما أجابت به هذه الطائفة لمن نازعها.

---

(١) أي: الذي يقول لامرأته أنت عليَّ كظهر أُمِّي ونحوه.

ص(٨٦)

الباب السَّادس

في جوابِ من زعمَ أنَّها جنَّة الخلد عمَّا احتجَّ به منازعوهم

قالوا: أمَّا قولكم: إنَّ اللهَ سبحانه أخبر أنَّ جنَّة الخلدِ إنَّما يقع الدخول إليها يوم القيامة، ولم يأتِ زمن دخولها بَعْدُ.

فهذا حقٌّ في الدخول المطلق، الَّذي هو دخول استقرارٍ ودوامٍ، وأمَّا الدخول العارض، فيقع قبل يوم القيامة.

وقد دخل النَّبي ﷺ الجنَّة ليلة الإسراء[1]، وأرواح المؤمنين والشهداء في البَرْزخ في الجنَّة[2]، وهذا غير الدخول الَّذي أخبر اللهُ به في يوم القيامة، فدخول الخُلُود إنَّما يكون يوم القيامة، فمن أين لكم أنَّ مُطْلَق الدخول لا يكون في الدنيا، وبهذا خَرَجَ الجواب عن استدلالكم بكونها دار المقامة، ودار الخلد؟

قالوا: وأمَّا احتجاجكم بسائرِ الوجوهِ التي ذكرتموها في الجنَّة، وأنَّها لم توجد في جنَّة آدم عليه السَّلام من العُري، والنصب والحزن واللَّغوِ والكذب وغيرها.

فهذا كله حقٌّ لا ننكره نحن، ولا أحد من أهل الإسلام، ولكن هذا إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة، كما يدل عليه سياق الآيات كلها، فإنَّ نفي ذلك مقرونٌ بدخول المؤمنين إيَّاها، وهذا لا ينفي أنْ يكونَ فيها بين أبوي الثقلين ما حكاهُ اللهُ سبحانه وتعالىٰ من ذلك، ثمَّ يصير الأمر عند دخول المؤمنين إيَّاها إلىٰ ما أخبر اللهُ عنها، فلا تَنَافي بين الأمرين.

---

(١) تقدم تخريجه ص(٣٦).

(٢) تقدم تخريجه ص(٣٤).

وأمَّا قولكم: إنَّها دارُ جزاءٍ وثوابٍ لا دار تكليفٍ، وقد كلَّف اللهَ سبحانه آدم بالنهي عن الأكل من تلك الشجرة، فدلَّ علىٰ أنَّ تلك الجنَّة دار تكليفٍ لا دار خلود.

فجوابه من وجهين:

أحدهما: أنَّه إنَّما يمتنع أنْ تكون دارَ تكليفٍ إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة، فحينئذٍ ينقطع التكليف. وأما وقوع التكليف فيها في دار الدنيا، فلا دليلَ علىٰ امتناعه البَتَّة، كيف وقد ثبت عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «**دخلتُ الجنَّة فرأيتُ امرأةً تَوَضَّأُ إلىٰ جانب قصرٍ فقلتُ لمن أنتِ**»[1] الحديث.

وغير ممتنع أن يكون فيها منْ يعمل بأمر اللهِ ويعبد الله قبل يوم القيامة، بل هذا هو الواقع، فإنَّ مَنْ فيها الآن مُؤْتَمَرُون بأوامر مِنْ قِبل ربَّهم لا يتعدُّونها سواء سُمِّيَ ذلك تكليفًا أو لم يُسَمَّ.

الوجه الثاني: أنَّ التكليف فيها لم يكن بالأعمالِ التي يكلَّف بها النَّاس في الدنيا: من الصيام والصلاة والجهاد ونحوها، وإنَّما كان حَجْرًا عليهما في شجرةٍ واحدةٍ من جملة أشجارها، إمَّا واحدة بالعَيْن أو بالنَّوع، وهذا القدرُ لا يمتنع وقوعه في دار الخلد، كما أنَّ كلَّ أَحَدٍ محجورٍ عليه أنْ يَقْرَبَ أهل غيرِهِ فيها، فإنْ أردْتُم بكونها ليست دار تكليفٍ امتناع وقوع مثل هذا فيها في وقت من الأوقات، فلا دليلَ عليه، وإنْ أردتم أنَّ تكاليف الدنيا منتفيةٌ عنها، فهو حقٌّ، ولكن لا يدل علىٰ مطلوبكم.

وأمَّا استدلالكم بنوم آدم فيها، والجنَّة لا ينامُ أهلها.

فهذا إنْ ثبتَ النَّقْلُ بنَوْمِ آدم، فإنَّما ينفي النوم عن أهلها يوم دخول الخلود، حيث لا يموتون، وأمَّا قبل ذلك فلا.

---

(١) هذا اللفظ مُركَّبٌ من حديثي جابر بن عبد اللهِ وأبي هريرة رضي الله عنهما، وقد أخرجه البخاري (٤٩٢٨) من حديث جابر رضي الله عنه، و(٦٦٢٢) من حديث أبي هريرة، ومسلم (٢٣٩٤ و ٢٣٩٥).

وأمَّا استدلالكم بقصة وسْوَسَة إبليس له بعد إهباطه، وإخراجه من السَّماء. فَلَعَمْرُ اللهِ إنَّه لَمِنْ أقْوَىٰ الأدلة، وأظهرها علىٰ صحة قولكم، وتلك التَّعسُّفاتِ كدخوله الجنَّة، وصعوده إلىٰ السَّماءِ بعد إهباط الله له منها لا يرتضيها مُنْصِف؛ ولكن لا يمتنع أن يصعد إلىٰ هناكَ صُعُودًا عارِضًا لِتَمام الابتلاءِ والامتحان الَّذي قدَّره اللهُ تعالىٰ وقدَّر أسبابه، وإنْ لم يكن ذلك المكان مَقْعَدًا له مُسْتَقِرًّا كما كان، وقد أخبر اللهُ سبحانه عن الشياطين أنَّهم كانوا قبل مبعث رسول الله ﷺ، يقعدون من السَّماء مقاعد للسمع، فيستمعون الشيءَ من الوحي، وهذا صعودٌ إلىٰ هناك، ولكنَّه صعودٌ عارضٌ لا يستقرون في المكان الَّذي يصعدون إليه = مع قوله تعالىٰ: ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة:٣٦]، [الأعراف:٢٤] فلا تنافي بين هذا الصعود وبين الأمر بالهبوط، فهذا محتملٌ، واللهُ أعلم.

وأمَّا استدلالكم بأنَّ اللهَ سبحانه أعلم آدم عليه السلام مقدار أجله، وما ذكرتم من الحديثِ وتقرير الدَّلالة منه.

فجوابه: أنَّ إعلامه بذلك لا ينافي إدخاله جنَّة الخُلْد، وإسكانه فيها مُدَّة.

وأمَّا إخباره سبحانه أنَّ داخلها لا يموت، وأنَّه لا يَخْرُج منها، فهذا يومُ القيامة.

وأمَّا احتجاجكم بكونه خُلِقَ من الأرض، فلا ريب في ذلك، ولكن من أين لكم أنَّه كَمَّلَ خَلْقَهُ فيها؟ وقد جاء في بعض الآثارِ: «أنَّ اللهَ سبحانه ألقاهُ علىٰ باب الجنَّة أربعين صباحًا، فجعل إبليسُ يَطِيْفُ به، ويقول: لأمرٍ ما خُلِقْتَ، فلمَّا رآهُ أجوفَ علم أنَّه خلق لا يَتَمالك، فقال: لئن سُلِّطْتُ عليه لأُهْلِكَنَّهُ، وإنْ سُلِّطَ عليَّ لأَعْصِيَنَّه»[1]،

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، لكن أخرجه مسلم (٢٦١١) عن أنس مرفوعًا بلفظ «لمَّا صوَّر اللهُ آدم في الجنَّة، تركه ما شاء اللهُ أن يتركه، فجعل يطيف به، ينظر ما هو، فلمَّا رآهُ أجوف عرف أنَّهُ خُلِق خلقًا لا يتمالك».

مع أنَّ قوله سبحانه: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة:٣١-٣٣] يدلُّ علىٰ أنَّه كان في السَّماء معهم بحيثُ أنبأهم بتلك الأسماء، وإلا فهم لم ينزلوا كلهم إلىٰ الأرضِ، حتَّىٰ سمعوا منه ذلك، ولو كان خلْقُه قد كمل في الأرضِ لم يمتنع أنْ يصعده سبحانه إلىٰ السَّماءِ لأمرٍ دَبَّرهُ وقدَّرهُ ثمَّ يعيدهُ إلىٰ الأرضِ، فقد أصعد المسيح صلوات الله وسلامه عليه إلىٰ السَّماءِ، ثمَّ ينزله إلىٰ الأرضِ قبل يوم القيامة، وقد أسرىٰ ببدن رسول الله ﷺ وروحه إلىٰ فوق السماوات.

فهذا جواب القائلين بأنَّها جنَّة الخلد لمنازعيهم، واللهُ أعلم.

ص(٩١)

الباب السَّابع
في ذكر شُبَه من زعم أنَّ الجنَّة لم تُخلق بعد

قالوا: لو كانت مخلوقة الآن لوجب اضْطِرارًا إلىٰ أنْ تَفْنىٰ يوم القيامة، وأن يَهْلِك كل ما فيها ويموت، لقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨] و﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [آل عمران:١٨٥]، فتموت الحور العين التي فيها والوِلْدان، وقد أخبر اللهُ سبحانه أنَّ الدَّار دار خلود، ومن فيها يخلدون لا يموتون فيها، وخبره سبحانه لا يجوز عليه خُلْف ولا نسخ.

قالوا: وقد روىٰ الترمذي في «جامعه» من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لقيتُ إبراهيم ليلةَ أُسري بي فقال: يا محمد أقرئ أُمَّتَكَ منِّي السَّلام، وأخبرهم أنَّ الجنَّة طيبةُ التربة عذبةُ الماءِ، وأنَّها قيعان، وأنَّ غراسها: سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إله إلا الله، واللهُ أكبر»**[1]. قال: «هذا حديث حسن غريب».

وفيه أيضًا، من حديث أبي الزبير عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: **«من قالَ سبحانَ الله وبحمدهِ، غُرِسَت له نَخلةٌ في الجنَّة»**[2]. قال: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيح».

قالوا: فلو كانت الجنَّة مخلوقةً مفروغًا منها، لم تكن قيعانًا، ولم يكن لهذا الغرس معنىٰ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٦٢)، والطبراني في «الصغير» (٥٣٩)، وأَعلَّه أبو حاتم وأبو زرعة بالإرسال.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٦٤ و ٣٤٦٥)، وابن حبان (٨٢٦)، وغيرهما، وقال الترمذي: «حسن غريب».

قالوا: وقد قال تعالىٰ عن امرأةِ فرعون أنَّها قالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم:١١]، ومحال أن يقول قائل لمن نسج له ثوبًا، أو بنىٰ له بيتًا: انسج لي ثوبًا، وابن لي بيتًا.

وأصرح من هذا قول النَّبي ﷺ: «**من بنىٰ لله مسجدًا بنىٰ اللهُ له به بيتًا في الجنَّة**» متفق عليه[١].

وهذه جُمْلة مركَّبة من شَرْطٍ وجزاءٍ، تقتضي وقوع الجزاء بعد الشرط بإجماع أهل العربية، وهذا ثابتٌ عن النَّبي ﷺ من رواية عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب[٢]، وجابر بن عبد الله[٣]، وأنس بن مالك[٤]، وعمرو بن عبسة[٥] رضي الله عنهم.

قالوا: وقد جاءت آثار بأنَّ الملائكة تغرس فيها، وتبني للعبد ما دام يعمل، فإذا فَتَرَ فتر الملك عن العمل.

قالوا: وقد روىٰ ابن حبان في «صحيحه» والإمام أحمد بن حنبل في «مسنده» من حديث أبي موسىٰ الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قَبَضَ اللهُ ولدَ العبد، قالَ: يا ملكَ الموتِ قبضتَ ولدَ عبدي، قبضت قُرَّة عينه وثمرة فؤادِهِ، قال: نعم، قال: فما قال؟ قال: حَمدكَ واسترجعَ، قال: ابنوا له بيتًا في الجنَّة، وسمُّوه بيتَ الحمد**»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٩)، ومسلم (٥٣٣) عن عثمان بن عفان.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٧٣٧) بإسناد ضعيف، ضعفه البوصيري.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٧٣٨)، وصحَّحه البوصيري، وكذا ابن خزيمة (١٢٩٢).

(٤) أخرجه الترمذي (٣١٩) بإسناد ضعيف.

(٥) أخرجه النسائي (٢/ ٣٢)، والترمذي (١٦٣٥)، وغيرهما. وقال الترمذي: «حسن صحيح غريب».

(٦) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٢٩٤٨)، وأحمد (٤/ ٤١٥)، والترمذي (١٠٢١)، وقال: «حسن غريب».

وفي «المسند» من حديثه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: **«من صلَّىٰ في يومٍ وليلةٍ ثنتي عشْرة ركعةً سوىٰ الفريضة بُنيَ له بيت في الجنَّة»**(١).

قالوا: وليس هذا من أقوال أهل البدع والاعتزال كما زعمتم، فهذا ابن مُزين قد ذكر في «تفسيره» عن ابن نافع، وهو من أئمة السنَّة، أنَّهُ سُئِلَ عن الجنَّة أمخلوقة هي؟ فقال: السكوت عن هذا أفضل. واللهُ أعلم.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٤١٣)، والبزار كما في «كشف الأستار» (٧٠٢) والطبراني في «الأوسط» (٩٤٣٦). وفي إسناده اضطراب لكن المتن ثابت من حديث أم حبيبة عند مسلم (٧٢٨).

ص(٩٥)

الباب الثامن

في الجواب عمَّا احتجت به هذه الطائفة

وقد تقدَّم في الباب الأوَّل من ذكر الأدلَّة الدَّالة علىٰ وجود الجنَّة الآن ما فيه كفاية.

فنقول: ما تعنون بقولكم: إنَّ الجنَّة لم تُخْلَق بَعْدُ؟ أتريدون أنَّها الآن عدَمٌ محضٌ لم تدخل إلىٰ الوجود بعدُ، بل هي بمنزلة النفخ في الصُّور، وقيام النَّاس من القبور؟ فهذا قولٌ باطلٌ يَرُدُّه المعلوم بالضَّرورة من الأحاديث الصريحة الصحيحة التي تقدَّم بعضها، وسيأتي بعضها، وهذا قول لم يقله أحد من السلف، ولا أهل السنَّة، وهو باطل قطعًا. أم تريدون أنَّها لم تخلق بكمالها، وجميع ما أعدَّ اللهُ فيها لأهلها، وأنَّها لا يزال اللهُ يُحْدِثُ فيها شيئًا بعد شيء، وإذا دخلها المؤمنون أَحْدثَ اللهُ فيها عند دخولهم أُمُورًا أُخر، فهذا حقٌّ لا يمكن ردُّه.

وأدلتكم هذه إنَّما دلَّت علىٰ هذا القدر، وحديث ابن مسعود رضي الله عنه الَّذي ذكرتموه[1]، وحديث أبي الزبير، عن جابر[2]: صريحان في أنَّ أرضها مخلوقة، وأنَّ الذِّكْر يُنشئ اللهُ سبحانه لقائله منه غراسًا في تلك الأرضِ، وكذا بناءُ البيوت فيها بالأعمال المذكورة، والعبد كلَّما وسَّع في أعمال البر وُسِّعَ له في الجنَّة، وكلَّما عمل خيرًا غُرِسَ له به هناك غِراس، وبُنِيَ له به بناء، وأُنْشئ له من عمله أنواع ممَّا يتمتعَّ به، فهذا القدرُ لا يدلُّ علىٰ أنَّ الجنَّة لم تخلق بعد، ولا يسوغ إطلاق ذلك.

(١) تقدم تخريجه ص(٦٩).

(٢) تقدم تخريجه ص(٦٩).

وأمَّا احتجاجكم بقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨] فإنَّما أُتِيتُم من عَدَم فهمكم معنىٰ الآية، واحتجاجكم بها علىٰ عدم وجود الجنَّة والنَّارِ الآن نظير احتجاج إخوانكم بها علىٰ فنائهما وخرابهما وموت أهلهما، فلا أنتم وُفِّقْتُم لِفَهْمِ معناها ولا إخوانكم، وإنَّما وُفِّقَ لفهم معناها السلف، وأئمة الإسلامِ، ونحن نذكر بعض كلامهم في الآية.

قال البخاري في «صحيحه»: «يقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾: إلا ملكه، ويقال: إلا ما أُريد به وجهه»[1].

وقال الإمام أحمد في رواية ابنه عبد الله: «فأمَّا السَّماء والأرض فقد زالتا؛ لأنَّ أهلها صاروا إلىٰ الجنَّة وإلىٰ النَّار، وأمَّا العرش فلا يَبيدُ ولا يذهبُ؛ لأنَّهُ سَقْفُ الجنَّة، واللهُ سبحانه وتعالىٰ عَلَيْهِ، فلا يَهلك ولا يبيد.

وأمَّا قوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ وذلك أنَّ اللهَ سبحانه وتعالىٰ أنزل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن:٢٦]، فقالت الملائكة: هلك أهل الأرض - وطَمِعُوا في البقاءِ - فأخبر الله سبحانه وتعالىٰ عن أهل السماواتِ وأهل الأرضِ أنَّهم يموتون فقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ﴾ [القصص:٨٨]-يعني: ميِّت- ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾؛ لأنَّه حيٌّ لا يموت، فأيْقَنَتِ الملائكة عند ذلك بالموت». انتهىٰ كلامه.

وقال في رواية أبي العباسِ أحمد بن جعفر بن يعقوب الإصْطَخْرِي، ذكره أبو الحسين في كتاب «الطبقات» قال: «قال أبو عبد اللهِ أحمد بن حنبل: هذه مذاهب أهل العلمِ، وأصحاب الأثرِ، وأهل السنَّة المتمسِّكين بعروتها، المعروفين بها، المتقدىٰ بهم فيها، من لدن أصحاب نبينا ﷺ إلىٰ يومنا هذا، وأدركتُ من أدركتُ من علماء أهل الحجاز والشَّام وغيرهم عليها، فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب،

(١) انظر: «صحيح البخاري» (١٧٨٨).

أو طعن فيها، أو عاب قائلها، فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة، زائلٌ عن منهج السنَّة وسبيل الحقِّ».

وساق أقوالهم إلىٰ أنْ قال: «وقد خلقت الجنَّةُ وما فيها، وخلقت النَّار وما فيها، خلقهما اللهُ ﷻ، وخلق الخلق لهما، ولا يفنيان، ولا يفنىٰ ما فيهما أبدًا.

فإنْ احتج مبتدعٌ، أو زنديقٌ بقول اللهِ ﷻ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨] وبنحو هذا من متشابه القرآن، قيل له: كلُّ شيءٍ ممَّا كتب اللهُ عليه الفناء والهلاك هالك، والجنَّة والنَّار خلقتا للبقاءِ لا للفناءِ ولا للهلاكِ، وهما من الآخرة لا من الدنيا، والحور العين لا يَمُتْنَ عند قيام الساعة، ولا عند النفخة، ولا أبدًا؛ لأنَّ اللهَ ﷻ خلقهنَّ للبقاءِ، لا للفناءِ، ولم يكتب عليهنَّ الموت، فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع، وقد ضلَّ عن سواء السبيل.

وخلق سبع سماوات، بعضها فوق بعضٍ، وسبع أرضين، بعضها أسفل من بعض، وبين الأرض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمس مائة عام، وبين كلِّ سماءٍ إلىٰ سماءٍ مسيرة خمس مائة عام، والماء فوقُ السَّماء العليا السَّابعة، وعرش الرحمن ﷻ فوق الماء، واللهُ ﷻ علىٰ العرشِ، والكرسي موضع قدميه، وهو يعلم ما في السماوات والأرضين السبع، وما بينهما، وما تحتَ الثَّرىٰ، وما في قَعْرِ البحر، ومنْبَت كلِّ شعرةٍ وشَجَرة، وكل زرعٍ وكل نباتٍ، ومسقط كلِّ ورقة، وعدد كل كلمة، وعدد الرَّملِ والحصَىٰ والتراب، ومثاقيل الجبالِ، وأعمالِ العباد، وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم، ويعلمُ كلَّ شيء لا يخفىٰ عليه من ذلك شيء، وهو علىٰ العرش فوق السماء السابعة، ودونه حُجُبٌ من نارٍ ونورٍ وظُلمةٍ، وما هو أعلم بها.

فإنْ احتج مبتدعٌ ومخالفٌ بقول اللهِ ﷻ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦] وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد:٤] وقوله: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة:٧]، وقوله:

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:٧] ونحو هذا من متشابه القرآن فقل: إنَّما يعني بذلك العلم؛ لأنَّ اللهَ ﷻ علىٰ العرشِ فوق السَّماء السَّابعة العليا، يعلم ذلك كله، وهو بائنٌ من خلقه، لا يخلو من علمه مكان».

وقال في رواية أبي جعفر الطائي محمد بن عوف بن سفيان الحمصي، قال الخلالُ: «حافظٌ إمامٌ في زمانهِ، معروفٌ بالتَّقدُّم في العلم والمعرفة، كان أحمد بن حنبل يعرف له ذلك ويقبل منه، ويسأله عن الرِّجالِ من أهل بلده» قال: «أملىٰ عليَّ أحمد بن حنبل -فذكر الرِّسالة في «السنة» ثمَّ قال في أثنائها-: «وأنَّ الجنَّة والنَّارَ مخلوقتانِ قد خلقتا كما جاء الخبر، قال النَّبي ﷺ: «دخلتُ الجنَّة فرأيتُ فيها قصرًا»[١]، و«رأيت الكوثر»[٢]، و«اطَّلعتُ في النَّار فرأيتُ أكثرَ أهلِها كذا وكذا»[٣] فمن زعمَ أنَّهما لم تُخلقا؛ فهو مكذِّبٌ برسول الله ﷺ وبالقرآنِ، كافرٌ بالجنَّة والنَّار، يُسْتَتَابُ، فإنْ تابَ وإلَّا قُتِلَ».

وقال: في رواية عبدوس بن مالك العطَّار، وذكر رسالته في «السنَّة» قال فيها: «والجنَّة والنَّارُ مخلوقتان، قد خلقتا كما جاء عن رسول الله ﷺ: «اطلعتُ في الجنَّة فرأيتُ أكثر أهلها كذا وكذا، واطَّلعتُ في النَّارِ فرأيتُ أكثر أهلها كذا وكذا»، فمن زعمَ أنَّهما لم تُخْلقا فهو مكذِّبٌ بالقرآنِ، وأحاديث رسول الله ﷺ، ولا أحسبهُ يؤمن بالجنَّة والنَّار».

---

(١) تقدم الحديث ص (٣٧).

(٢) ورد عند البخاري (٤٦٨٠) من حديث أنس رضي الله عنه قال: لمَّا عُرِجَ بالنَّبي ﷺ إلىٰ السَّماءِ، قال: أتيتُ علىٰ نهر، حافتاه قِبابُ اللؤلؤ مجوَّفًا، فقلتُ: ما هذا يا جبريلُ؟ قال: هذا الكوثر».

(٣) ورد عند البخاري (٣٠٦٩) من حديث عمران بن حصين أنَّ النَّبي ﷺ قال: «اطَّلعتُ في الجنَّةِ فرأيتُ أكثرَ أهلها الفقراء، واطَّلعتُ في النَّار فرأيتُ أكثر أهلها النساء».

فتأمَّل هذه الأبواب وما تضمنته من النقولِ، والمباحث، والنُّكَت والفوائدِ التي لا يظفر بها في غير هذا الكتاب البتَّة.

ونحن اختصرنا الكلام في ذلك، ولو بسطناهُ لقام منه سفرٌ ضخمٌ، واللهُ المستعان، وعليه التكلان، وهو الموفِّقُ للصَّوابِ.

ص(١٠١)

الباب التَّاسع

في ذكر عدد أبواب الجنَّة

قال الله تعالىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر:٧٣]، وقال في صفة النَّار: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر:٧١] بغير واو.

فقالت طائفة: هذه واو الثمانية دخلت في أبواب الجنَّة، لكونها ثمانية، وأبواب النَّار سبعة فلم تدخل الواو.

وهذا قولٌ ضعيف لا دليل عليه، ولا تعرفه العرب، ولا أئمة العربية، وإنَّما هذا من استنباط بعض المتأخرين.

وقالت طائفة أخرىٰ: الواو زائدة، والجواب: الفعل الَّذي بعدها، كما هو في الآية الثانية.

وهذا أيضًا ضعيف، فإنَّ زيادة الواو غير معروف في كلامهم، ولا يليقُ بأفصح الكلام أنْ يكون فيه حرفٌ زائد بغير معنىٰ ولا فائدة.

وقالت طائفةٌ ثالثة: الجواب محذوف، وقوله: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر:٧٣] عطف علىٰ قوله: ﴿جَآءُوهَا﴾. هذا اختيار أبي عُبَيْدة والمُبَرِّد والزَّجاج وغيرهم.

قال المبرِّد: «وحذفُ الجواب أبلغ عند أهل العلم».

قال أبو الفتح بن جِنِّي: «وأصحابنا يَدفعون زيادة الواوِ ولا يُجِيْزونه، ويرون أنَّ الجواب محذوفٌ للعلم به».

بَقِيَ أنْ يقالَ: فما السِّرُّ في حذف الجواب في آية أهل الجنَّة، وذِكْرِهِ في آية أهل النَّارِ؟ فيقال: هذا أبلغُ في الموضعين، فإنَّ الملائكة تسوق أهل النَّارِ إليها، وأبوابُها مُغلقة، حتَّىٰ إذا وصلوا إليها فتحت في وجوههم ففجأهم العذابُ بغتةً، فحين انتهوا إليها ﴿فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ بلا مُهْلَة، فإنَّ هذا شأن الجزاء المترتب علىٰ الشرط أن يكون عقيبه، فإنَّها دار الإهانة والخِزي، فلم يُسْتأذن لهم في دخولها، ويُطلبُ إلىٰ خزنتها أنْ يمكنوهم من الدخول.

وأمَّا الجنَّة فإنَّها دار الله، ودار كرامته، ومحل خواصّه وأوليائه، فإذا انتهوا إليها صادفوا أبوابها مغلقة فيرغبون إلىٰ صاحبها ومالكها أنْ يفتحها لهم، ويستشفعون إليه بأُولي العزم من رسله، فكلهم يتأخَّر عن ذلك، حتَّىٰ تقع الدَّلالة علىٰ خاتمهم وسيدهم وأفضلهم فيقول: «أنا لها»[1]: فيأتي إلىٰ تحتِ العرش ويخرُّ ساجدًا لربه، فيدعه ما شاء أنْ يدعه، ثمَّ يأذنُ له في رفع رأسِهِ، وأنْ يسأل حاجته، فيشفع إليه سبحانه في فتح أبوابها فيشفعه، ويفتحها تعظيمًا لخطرها، وإظهارًا لمنزلة رسوله وكرامته عليه.

وإنَّ مثل هذه الدَّار التي هي دار ملك الملوك ورب العالمين، إنَّما دُخِلَ إليها بعد تلك الأهوالِ العظيمة التي أولها من حين عقل العبد في هذه الدَّار إلىٰ أنْ انتهىٰ إليها، وما رَكِبَهُ من الأطباق طبقًا بعد طبق، وقاساه من الشدائد شدَّةً بعد شدَّة، حتَّىٰ أذنَ اللهُ تعالىٰ لخاتم أنبيائه ورسله، وأحبِّ خلقه إليه أنْ يشفع إليه في فتحها لهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٩٧)، ومسلم (١٩٣) واللفظ له، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

تنبيه: ليس في حديث الشفاعة الطويل ما ذكره المؤلفُ من أنَّ استشفاعهم كان بسبب أنهم صادفوا أبواب الجنَّة مغلقة، بل الَّذي جاء فيه أنهم يهتمون أو يلهمون لذلك فيقولون: لو استشفعنا علىٰ ربنا حتىٰ يريحنا..

وهذا أبلغُ وأعظمُ في تمام النِّعمة وحصول الفرحِ والسُّرور ممَّا يُقَدَّرُ بخلاف ذلك، ولئلا يتوهمُ الجاهل أنَّها بمنزلَة الخان[1] الَّذي يدخله من شاء، فجنَّة اللهِ غاليةٌ عاليةٌ، بين النَّاس وبينها من العقبات والمفاوز والأخطار ما لا تنال إلا بهِ، فما لِمَنْ أتْبَعَ نفسه هواها وتمنَّىٰ علىٰ اللهِ الأمانيَّ ولهذه الدَّار؟ فليُعَدِّ عنها إلىٰ ما هو أولىٰ به، وقد خُلِقَ لهُ وهُيِّئَ له.

وتأمَّل ما في سَوْقِ الفريقين إلىٰ الدَّارين زمرًا من فرحة هؤلاء بإخوانهم، وسَيْرهم معهم كل زمرة علىٰ حِدَة، مشتركين في عملٍ متصاحبين فيه علىٰ زمرتهم وجماعتهم، مستبشرين أقوياء القلوب، كما كانوا في الدنيا وقت اجتماعهم علىٰ الخير، كذلك يؤنس بعضهم بعضًا، ويفرح بعضهم ببعض.

وكذلك أصحاب الدَّار الأُخرىٰ يُسَاقون إليها زمرًا، يلعن بعضهم بعضًا، ويتأذَّىٰ بعضهم ببعض، وذلك أبلغ في الخزي والفضيحة والهَتِيْكَة، من أن يساقوا واحدًا واحدًا، فلا تُهمِلْ تَدَبُّر قوله: ﴿زُمَرًا﴾.

وقال خزنة أهل الجنَّة لأهلها: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ فبدؤوهم بالسَّلام المتضمِّن للسلامة من كلِّ شرٍّ ومكروهٍ، أي: سَلِمْتُمْ، فلا يلحقكم بعد اليومِ ما تكرهون، ثمَّ قالوا لهم: ﴿طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا﴾ أي: سلامتكم ودخولها بطيبكم، فإنَّ اللهَ حرَّمها إلا علىٰ الطيبين، فبشَّروهم بالسَّلامة وبالطيبِ، والدخول والخلود.

وأمَّا أهلُ النَّارِ، فإنَّهم لما انتهوا إليها علىٰ تلك الحال من الهمِّ والغمِّ والحُزنِ، وفتحت لهم أبوابها، ووقفوا عليها وزيدوا إلىٰ ما هم عليه توبيخ خزنتها، وتبْكِيتهم لهم بقولهم: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ﴾ [الزمر:٧١] فاعترفوا وقالوا: بلىٰ. فبشروهم بدخولها والخلود فيها، وأنَّها بئس المثوىٰ لهم.

---

(١) الخان: الذي للتُّجارِ. أي: المتجر، ويحتمل: الفندق.

وتأمَّل قول خزنة الجنَّة لأهلها: ﴿ٱدۡخُلُوهَا﴾: وقول خزنة النَّارِ لأهلها: ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ تَجِدْ تَحْتَهُ سرًّا لطيفًا ومعنًىٰ بديعًا لا يخفىٰ علىٰ المُتأمِّلِ، وهو: أنَّها لمَّا كانت دار العقوبة وأبوابها أفظع شيءٍ، وأشد حرًّا، وأعظم غمًّا، يستقبل فيها الداخلُ من العذاب ما هو أشد منها، ويدنو من الغمّ والخزي والكرب بدخول الأبواب = قيل: ادخلوا أبوابها صَغَارًا لهم، وإذْلالًا وخزيًا، ثمَّ قيل لهم: لا يقتصر بكم علىٰ مجرَّد دخول الأبواب الفظيعة، ولكن وراءها الخلود في النَّار.

وأمَّا الجنَّة فهي دار الكرامة، والمنزل الَّذي أعدَّه اللهُ لأوليائه، فبُشروا من أوَّل وَهْلَةٍ بالدخولِ إلىٰ المقاعد والمنازل والخلود فيها.

وتأمَّل قوله سبحانه: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ (٥٠) مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ﴾ [ص:٥٠-٥١] كيف تجد تحته معنىٰ بديعًا، وهو أنَّهم إذا دخلوا الجنَّة لم تغلق أبوابُها عليهم بل تبقىٰ مفتحة كما قال.

وأمَّا النَّارُ فإذا دخلها أهلها أُغلقت عليهم أبوابها، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ﴾ [الهمزة:٨] أي مطبقة مغلقة، ومنه سُمِّيَ الباب وصِيدًا وهي: ﴿مُّؤۡصَدَةٞ (٨) فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ﴾ قد جعلت العُمُد مُمْ.

قال مُقَاتِل: «يعني أبوابها عليهم مطبقة، فلا يفتح لها باب، ولا يخرج منها غَم، ولا يدخل فيها رَوْح آخرَ الأبَدِ»[1].

وأيضًا: فإنَّ في تفتيح الأبواب لهم إشارةٌ إلىٰ تصرفهم وذهابهم وإيابهم وتَبوُّهم من الجنَّة حيث شاؤوا، ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتُّحف والألطاف من ربهم، ودخول ما يَسُرُّهم عليهم كل وقت.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل»: (٣/ ٥١٩).

وأيضًا: إشارة إلىٰ أنَّها دارُ أمْنٍ لا يحتاجون فيها إلىٰ غَلْقِ الأبوابِ، كما كانوا يحتاجون إلىٰ ذلك في الدنيا.

وقد اختلف أهل العربية في الضمير العائد من الصِّفة علىٰ الموصوف في هذه الجملة.

فقال الكوفيون: التَّقْدير مفتَّحة لهم أبوابها. والعربُ تعاقب بين الألف واللَّامُ والإضافة، فيقولون: مررتُ برجل حسن العين: أي عينه. ومنه قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٣٩] أي: مأواه.

وقال بعض البصريين: التقديرُ: مفتحة لهم الأبواب منها. فحذف الضمير وما اتصل به، قال: وهذا التقديرُ في العربية أجودُ من أنْ تجعل الألف واللَّام بدلًا من الهاءِ والألفِ، أي معنىٰ الألف واللَّام ليس من معنىٰ الهاء والألف في شيء؛ لأنَّ الهاء والألف اسم، والألف واللَّام دخلتا للتعريف، ولا يُبْدَل حرفٌ من اسم، ولا ينوب عنه.

قالوا: وأيضًا لو كانت الألف واللَّامُ بدلًا من الضَّمير لوجب أنْ يكون في ﴿مُّفَتَّحَةً﴾ ضمير الجنَّات، ويكون المعنىٰ مفتحة هي، ثمَّ أُبْدِلَ منها الأبواب، ولو كان كذلك لوجب نصب الأبواب لكون ﴿مُّفَتَّحَةً﴾ قد رفع ضمير الفاعل، فلا يجوز أن يرتفع به اسمٌ آخر لامتناع ارتفاع فاعِلَيْن بفعلٍ واحدٍ، فلمَّا ارتفع ﴿ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ دلَّ علىٰ أنَّ ﴿مُّفَتَّحَةً﴾ حالٌ من ضمير، و ﴿ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ مرتفعة به. وإذا كان في الصِّفة ضمير تعَيَّنَ نصْبُ الثاني، كما تقول: مررت برجل حسن الوجه. ولو رفعت «الوجهَ» ونَوَّنْتَ «حَسَنًا» لم يجز، فالألف واللَّامُ إذا للتعريف ليس إلَّا، فلا بُدَّ من ضمير يعودُ علىٰ الموصوف الَّذي هو جنَّات عدنٍ، ولا ضمير في اللفظ، وهو محذوف، تقديره: الأبواب منها.

وعندي: أنَّ هذا غير مبطل لقول الكوفيين، فإنَّهم لم يُرِيْدُوا بالبدَلِ إلا أنَّ الألف واللَّام خَلَفٌ وعِوَضٌ عن الضمير يغني عنه، وإجماع العرب علىٰ قولهم: حسن الوجه، وحسن وجهه = شاهدٌ بذلك، وقد قالوا: إنَّ التنوين بدل من الألف واللَّام. بمعنىٰ: أنَّهما لا يجتمعان، وكذلك المضاف إليه يكون بدلًا من التنوين، والتنوين بدلٌ من الإضافة، بمعنىٰ: التَّعَاقب والتَّوارد، ولا يريدون بقولهم: هذا بدلٌ من هذا، أنَّ معنىٰ البدلِ معنىٰ المُبْدَل منه، بل قد يكون في كلٍّ منهما معنىً لا يكون في الآخر.

فالكوفيون أرادوا أنَّ الألفَ واللَّام في ﴿ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ أغنت عن الضمير؛ لو قيل: أبوابها، وهذا صحيح، فإنَّ المقصود الربط بين الصفة والموصوف بأمرٍ يجعلها له لا مستقلة، فلمَّا كان الضميرُ عائدًا علىٰ الموصوف تعيَّن توهم الاستقلال، وكذلك لام التعريف، فإنَّ كلًّا من الضَّمير واللَّام يُعَيِّن صاحبه: هذا يعيِّن تفسيره، وهذا يُعَيِّن ما دخل عليه، وقد قالوا في «زيد نعم الرجل»: إنَّ الألف واللَّام أغنت عن الضمير، واللهُ أعلم.

وقد أعرب الزمخشري هذه الآية إعرابًا اعْتُرِضَ عليه فيه، فقال: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ معرفة، لقوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [مريم:٦١]، وانتصابها علىٰ أنَّها عطف بيان لـ ﴿لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾، و ﴿مُّفَتَّحَةً﴾ حال، والعامل فيها ما في ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ من معنىٰ الفعل، وفي ﴿مُّفَتَّحَةً﴾: ضمير الجنَّات، و ﴿ٱلْأَبْوَٰبُ﴾: بدل من الضمير، تقديره: مفتحة، هي الأبواب، كقولهم: «ضرب زيد اليد والرجل»، وهو من بدل الاشتمال». هذا إعرابه.

فاعتُرِضَ عليه بأنَّ ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ ليس فيها ما يقتضي تعريفها. وأمَّا قوله: ﴿ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ﴾ فبَدَل، لا صِفَة. وبأنَّ: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ لا يسهل أن تكون عطف بيان لـ ﴿لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ علىٰ قوله؛ لأنَّ جريان المعرفة علىٰ النكرة عطف بيان = لا قائل به، فإنَّ القائلَ قائلان:

أحدهما: أنَّه لا يكون إلا في المعارف، كقول البصريين.

والثاني: أنَّه يكونُ في المعارف والنَّكِرَاتِ بشرط المطابقة، كقول الكوفيين وأبي علي الفارسي.

وقوله: إنَّ في ﴿مُفَتَّحَةً﴾ ضمير الجنَّات، فالظاهر خلافه، وأنَّ ﴿ٱلْأَبْوَٰبُ﴾: مرتفعٌ به، ولا ضمير فيه.

وقوله: إنَّ ﴿ٱلْأَبْوَٰبُ﴾: بدلُ اشتمالٍ، فبدل الاشتمال قد صرَّحَ هو وغيره أنَّه لا بُدَّ فيه من الضَّمير، وإنْ نازعهم فيه آخرون، ولكن يجوزُ أنْ يكون الضمير ملفوظًا به، وأنْ يكون مُقَدَّرًا، وهنا لم يلفظْ به، فلا بُدَّ من تقديرِهِ أي: الأبواب منها، فإذا كان التقدير: مفتحة لهم هي الأبواب منها، كان فيه تكثيرُ للإضمارِ، وتقليله أولىٰ.

وفي «الصحيحين»[1]: من حديثِ أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**في الجنَّةِ ثمانيةُ أَبْوَابٍ، بابٌ منها يُسَمَّىٰ الرَّيَّانُ، لا يَدْخُلُهُ إلا الصَّائمون**».

وفي «الصحيحين»[2] من حديث الزهري، عن حُمَيْد بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَنْفَقَ زَوجينِ من شيءٍ من الأشياء في سبيل اللهِ، دُعي من أبواب الجنَّة: يا عبدَ اللهِ هذا خيرٌ، فمن كان من أهل الصَّلاةِ دُعي من باب الصَّلاة، ومن كان من أهل الجهادِ دُعِيَ من باب الجهادِ، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصَّدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريَّان**»، فقال أبو بكر: بأبي أنتَ وأُمِّي يا رسول الله، ما علىٰ من دُعي من تلك الأبواب من ضرورةٍ، فهل يُدعىٰ أحدٌ من تلك الأبواب كلِّها، فقال: «نعم، وأرجو أنْ تكون منهم».

---

(١) البخاري (٣٠٨٤)، ومسلم (١١٥٢)، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٦٦)، ومسلم (١٠٢٧)، واللفظ للبخاري.

وفي «صحيح مسلم»[١]: عن عمر بن الخطاب رضىٰ اللهُ عنه عن النَّبي ﷺ قال: «**ما منكم من أحدٍ يتوضَّأ فَيُبلِغُ أو فَيُسْبِغُ الوضوءَ ثمَّ يقول: أشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولهُ، إلا فُتِحَتْ لهُ أبوابُ الجنَّة الثمانية يدخلُ من أيِّها شاء**».

زاد الترمذي بعد التشهد: «اللَّهم اجعلني من التَّوابين واجعلني من المتطهرين»[٢].

زاد أبو داود والإمام أحمد: «ثمَّ رفع نَظَرَهُ إلىٰ السَّماءِ فقال...»[٣].

وعند الإمام أحمد من رواية أنس يرفعه: «**من توضأ فأحسنَ الوُضُوءَ، ثمَّ قال ثلاث مرات: أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله، فُتِحَ له ثمانيةُ أبواب الجنَّة من أيِّها شاءَ دخل**»[٤].

وعن عُتْبة بن عَبْدٍ السُّلَمِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**ما من مسلمٍ يُتوفَّىٰ له ثلاثةٌ من الولد لم يبلغوا الحِنْثَ، إلا تلَقَّوه من أبواب الجنَّة الثمانية، من أيِّها شاء دخل**». رواه ابن ماجه، وعبد اللهِ بن أحمد عن ابن نُمَير، حدثنا إسحاق بن سليمان، حدثنا حَرِيْز بن عثمان، عن شُرَحبِيل بن شُفْعَة، عن عُتْبة[٥].

---

(١) (٢٣٤) وقوله: «وحده لا شريك له، وأشهدُ» من رواية أخرىٰ لحديث عمر عند مسلم.

(٢) أخرجه الترمذي (٥)، وقال: «في إسناده اضطراب، ولا يصح عن النَّبي ﷺ في هذا الباب كثير شيء».

(٣) أخرجه أبو داود (١٧٠)، وأحمدُ في «مسنده» (٤/ ١٥٠). وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٢٦٥)، وابن ماجه (٤٦٩) وغيرهما. وإسناده ضعيف.

(٥) أخرجه ابن ماجه (١٦٠٤)، وأحمد في «المسند» (٤/ ١٨٣)، وغيرهما، وسنده جيد.

ص(١١٤)

الباب العاشر
في ذكر سَعَةِ أبوابها

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «وُضِعتْ بين يدي رسول الله ﷺ قَصْعةٌ من ثريد ولحم، فتناول الذراع - وكان أحبَّ الشاة إليه- فَنَهَسَ نَهْسة وقال: أنا سيِّدُ النَّاسِ يوم القيامة»، ثمَّ نهس أخرىٰ، وقال: «أنا سيدُ النَّاس يوم القيامة»، فلمَّا رأىٰ أصحابه لا يسألونه قال: «ألا تقولون كيفَ؟ » قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: «يقوم النَّاسُ لربِّ العالمين فيُسْمعهم الدَّاعي ويَنْفُذُهم البصرُ» فذكر حديث الشفاعة بطوله، وقال في آخره: «فأنطلقُ فآتي تحت العرشِ، فأقع ساجدًا لربي، فيقيمني ربُّ العالمين مقامًا لم يقمه أحدًا قبلي، ولن يقيمه أحدًا بعدي، فأقول: يا ربِّ أمتي[1]. فيقولُ: يا محمد أدخل من أمتك من لا حسابَ عليهم من الباب الأيمن، وهم شركاءُ النَّاس فيما سوىٰ ذلك من الأبواب، والَّذي نفسُ محمدٍ بيده إنَّ ما بين المصراعين من مصاريع الجنَّة لَكَمَا بين مكة وهَجَر، أو هَجَر ومكة»[2].

وفي لفظٍ: «لَكَمَا بين مكة وهَجَر، أو كما بين مكة وبُصْرىٰ»، متفق علىٰ صِحَّته[3].

---

(١) في صحيح مسلم: «أُمَّتي أُمَّتي».

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٣٥)، ومسلم (١٩٤)، واللفظ له.

(٣) عند مسلم (١٩٤)، وعند البخاري (٤٤٣٥) «كما بين مكَّة وحِمْيَر، أو: كما بين مكَّة وبُصْرىٰ».

وفي لفظٍ خارج الصحيح بإسناده: «إنَّ ما بين عِضَادتي[١] الباب لَكَما بين مكة وهجر»[٢].

وعن خالد بن عمير العدوي قال: خطبنا عتبة بن غزوان رَضِوَاللَّهُعَنْهُ فحمدَ اللهَ وأثنىٰ عليه، ثمَّ قال: أمَّا بعدُ، فإنَّ الدنيا قد آذنت بِصُرم، وولَّتْ حَذَّاء، ولم يبق منا إلا صبابة كصُبابة الإناء، يصطبُّها صاحبُها، وإنَّكم منتقلون منها إلىٰ دار لا زوال لها، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم، ولقد ذكر لنا: «أنَّ مصراعين من مصاريع الجنَّة بينهما مسيرةُ أربعين سنة، وليأتينَّ عليه يومٌ وهو كظيظٌ من الزحام»[٣].

فهذا موقوفٌ، والَّذي قبله مرفوع، فإنْ كان رسول الله ﷺ هو الذَّاكر لهم ذلك، كان هذا سَعَةُ ما بين بابٍ من أبوابها، ولعلَّه الباب الأعظم، وإنْ كان الذاكر لهم ذلك غير رسول الله ﷺ لم يُقدَّم علىٰ حديث أبي هريرة المتقدِّم. ولكن قد روىٰ الإمامُ أحمد في «مسنده» من حديث حماد بن سلمة قال: سمعت الجُرَيري يحدث عن حكيم بن معاوية عن أبيه أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«أنتم تُوَفَّون سبعين أُمَّة أنتم أخْيرُها وأكرمها علىٰ الله، وما بين مصراعين من مصاريع الجنَّة مسيرةُ أربعين عامًا، وليأتينَّ عليه يومٌ وإنَّه لكظيظ»**[٤].

وقد رواه ابن أبي داود: أنبأنا إسحاق بن شاهين، أنبأنا خالد، عن الجريري، عن حكيم بن معاوية، عن أبيه يرفعه: «ما بين كلِّ مصراعين من مصاريع الجنَّة مسيرةُ سبع سنين».

---

(١) عِضَادتا الباب: هما خشبتان من جانبيه.

(٢) في صحيح مسلم (١٩٤) قريبٌ من هذا اللفظ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٦٧).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٣) وعبد بن حميد (٤١١). والحديث في متنه اضطراب.

ورُوِّيْنَا في «مسند عبد بن حميد»: «ثنا الحسن بن موسىٰ، ثنا ابن لهيعة، ثنا درَّاج أبو السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ ما بين مصراعين في الجنَّة لمسيرة أربعين سنة**»[١].

وحديث أبي هريرة أصح، وهذه النسخة ضعيفة، واللهُ أعلمُ.

وروىٰ أبو الشيخ: ثنا جعفر بن أحمد بن فارس، ثنا يعقوب بن حُميد، ثنا معن، حدثنا خالد بن أبي بكر، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**البابُ الَّذي يدخل منه أهل الجنَّة مسيرة الراكب المجود ثلاثًا، ثمَّ إنَّهم ليضْطَغِطُونَ عليه، حتىٰ تكاد مناكبهم تزول**». رواهُ أبو نعيم عنه[٢].

وهذا مطابق للحديث المتفق عليه: «**إنَّ ما بين المِصْراعَين كما بين مكة وبُصْرَىٰ**»[٣]. فإنَّ الراكب المجوِّد غاية الإجادة علىٰ أسرع مجرىٰ لا يَفْتر ليلًا ولا نهارًا، يقطع هذه المسافة في هذا القَدْر أو قريب منه.

وأمَّا حديث حكيم بن معاوية: فقد اضطرب رواته، فحمَّاد بن سلمة ذَكَر عن الجُرَيْري التَّقْدير بأربعين عامًا، وخالد ذكر عنه التقدير بسبع سنين، وحديث أبي سعيد المرفوع في التقدير بأربعين عامًا، من طريق: درَّاج عن أبي الهَيْثَم. قال الإمام أحمد: «أحاديث درَّاج: مناكير»، وقال أبو حاتم الرَّازي: «ضعيف»، وقال النسائي: «ليس بالقوي».

---

(١) أخرجه عبد بن حميد «المنتخب» (٩٢٤)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٢٩). وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (١٧٩)، والترمذي (٢٥٤٨) وقال: «حديث غريب، سألت محمدًا عن هذا الحديث فلم يعرفه، وقال: لخالد بن أبي بكر مناكير عن سالم بن عبد الله». وقال البغوي: «ضعيف منكر».

(٣) تقدم في أول هذا الباب ص (٨٥).

فالصحيح المرفوع السَّالم عن الاضطراب والشُّذوذ والعلَّة حديث أبي هريرة المتفق علىٰ صحته، علىٰ أنَّ حديث حكيم بن معاوية ليس التقدير فيه بظاهر الرَّفع، ويحتمل أنَّه مدرج في الحديث موقوف، فيكون كحديث عُتبة بن غَزْوان، واللهُ أعلمُ.

ص(١٢٠)

الباب الحادي عشر
في صفة أبوابها وأنَّها ذاتُ حلَق

روىٰ الوليد بن مسلم، عن خُلَيد، عن الحسن ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [ص:٥٠] قال: أبوابٌ تُرىٰ[١].

وذكر أيضًا عن خُليد عن قتادة قال: «أبوابٌ يُرَىٰ ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، تتكلَّم وتُكَلَّم، وتَفْهم ما يُقال لها: انْفتحي انغلقي».

وقال أبو الشيخ: ثنا محمد بن عبد الله بن محمد القيسي، ثنا محمد ابن إسحاق، ثنا أحمد بن أبي الحواري، ثنا عبد الله بن غياث، عن الفزاري قال: «لكلِّ مؤمن في الجنَّة أربعة أبواب، فبابٌ يدخل عليه منه زُوَّارهُ من الملائكة، وباب يدخل عليه أزواجه من الحور العين، وباب مقفل فيما بينه وبين أهل النَّارِ، يفتحه إذا شاء ينظر إليهم لتعظم النعمة عليه، وباب فيما بينه وبين دار السلام، يدخل فيه علىٰ ربِّه إذا شاء»[٢].

وقد روىٰ سُهَيل بن أبي صالح عن زياد النُّميري، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أنا أوَّلُ من يأخذ بحلقة باب الجنَّة ولا فخر**»[٣].

وفي حديث الشفاعة الطويل: من رواية ابن عُيَيْنة عن عليٍّ بن زيد عن أنس رضي الله عنه

---

(١) أخرجه ابن حبيب السلمي في «وصف الفردوس» (١٨)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٠٢)، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (١٧٢). بإسناد ضعيف.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (١٧٤)، وهو مقطوع، وإسناده مسلسل بالمجاهيل.

(٣) أخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده» (٤٣٠٥)، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (١٨٢). بإسناد ضعيف.

قال: قال رسول الله ﷺ: «**فآخذ بحلقة باب الجنَّة فأُقَعْقِعُها**»(١).

وهذا صريحٌ في أنَّها حلقة حِسِّية تُقَعْقَعُ وتُحَرَّك.

وروىٰ سُهَيل عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: «**آخذ حلقة باب الجنَّة فيؤذن لي**»(٢).

ويُذْكَرُ عن علي رضي الله عنه: «من قال لا إله إلا الله الملكُ الحقُّ المبين -في كلِّ يوم مئة مرَّة- كان له أمانٌ من الفقرِ، وأَمِنَ من وحشة القبرِ، واستَجلب به الغِنَىٰ، واستَقْرع به باب الجنَّة»(٣).

ص(١٢٣)

فصل

ولمَّا كانت الجِنَانُ درجات بعضها فوق بعض، كانت أبوابها كذلك، وباب الجنَّةَ العالية فوق باب الجنَّة التي تحتها، وكلَّما عَلَت الجنَّة اتَّسعت، فعاليها أوسعُ ممَّا دونه، وسَعَة الباب بحسب وسع الجنَّة، ولعلَّ هذا وجه الاختلاف الَّذي جاء في مسافة ما بين مِصْراعي الباب، فإنَّ أبوابها بعضها أعلىٰ من بعض.

ولهذه الأمة بابٌ مختص يدخلون منه دون سائر الأمم، كما في «المسند» من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النَّبي ﷺ قال: «**بابُ أُمَّتي الَّذي يدخلون منه الجنَّة عرضه مسيرة الراكب ثلاثًا، ثمَّ إنَّهم لينْضغِطُون عليه حتَّىٰ تكاد مناكبهم تزول**»(٤).

---

(١) أخرجه الترمذي (٣١٤٨)، والدارمي في «سننه» (٥١)، وحسنه الترمذي، وأصله في مسلم (١٩٧).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (١٨٤). وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (١٨٥)، والخطيب في «تاريخ بغداد»: (١٢/ ٤٥٣) وهو حديث باطل.

(٤) تقدم تخريجه ص(٨٧)، وهو لا يثبت.

وفيه: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ: «**أتاني جبريلُ، فأخذ بيدي، فأراني باب الجنَّة الَّذي تدخلُ منه أمَّتي**»[١]... الحديث، وسيأتي بتمامه إن شاءُ اللهُ تعالىٰ[٢].

وقال خَلَفَ بن هشام البزار: حدثنا أبو شهاب عن عمرو بن قيس المُلائي، عن أبي إسحاق، عن عاصم بن ضَمْرة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «إنَّ أبواب الجنَّة هكذا بعضها فوق بعض، ثمَّ قرأ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر:٧٣] إذا هم عندها بشجرة في أصلها عينان تجريان، فيشربون من أحَدَيهما، فلا تترك في بطونهم قذًى ولا أذًى إلا رمَتْه، ويغتسلون من الأُخرىٰ، فتجري عليهم نضرة النعيم، فلا تشعث رؤوسهم، ولا تغيرُ أبشارهم بعد هذا أبدًا، ثمَّ قرأ: ﴿طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر:٧٣] فيدخل الرجل، وهو يعرف منزلته، ويتلقاهم الولدان، فيستبشرون برؤيتهم، كما يستبشر الأهلُ بالحميم يقدمُ من الغيبة، فينطلقون إلىٰ أزواجهم فيخبرونهم بمعاينتهم، فتقول: أنت رأيتَه؟ فتقوم إلىٰ الباب، فيدخل إلىٰ بيته، فيتكئ علىٰ سريره، فينظر إلىٰ أساس بيته، فإذا هو قد أُسِّسَ علىٰ اللؤلؤ، ثمَّ ينظر في أخضر وأحمر وأصفر، ثمَّ يرفع رأسه إلىٰ سَمْكِ بيته، ولولا أنَّه خُلِقَ له لالْتَمعَ بصره، فيقول: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:٤٣]»[٣]، واللهُ أعلم.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٥٢)، وابن شاهين في السنَّة رقم (٩٦) وغيرهما. وإسناده ضعيف.

(٢) انظر: الباب (٢٦) ص (٢٢٩).

(٣) أخرجه ابن حبيب في «وصف الفردوس»: (١٢٢ و ١٢٨)، والطبري في تفسيره (٢٤/ ٣٥)، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٢٨٠، ٢٨١) وغيرهما. والحديث صححه ابن حجر والبوصيري.

ص(١٢٦)

الباب الثاني عشر

في ذكر مسافة ما بين البابِ والباب

روِّيْنَا في «معجم الطبراني»: حدثنا مصعب بن إبراهيم بن حمزة الزبيري، وعبدالله بن الصقر العسكري قالا: حدثنا إبراهيم بن المنذر الحِزَامي، حدثنا عبدالرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن بن عبد اللهِ بن خالد بن حِزَام، حدثني عبدالرحمن بن عيَّاش الأنصاري، حدثنا دَلْهَم بن الأسود بن عبد اللهِ بن حاجب ابن المُنْتَفق.

قال دلهم: وحدَّثنيه أيضًا أبو الأسود عن عاصم بن لَقِيط، أنَّ لقيط بن عامر خرج وافدًا إلىٰ رسول الله ﷺ قال: قلتُ يا رسول الله فما الجنَّة والنَّار؟ قال: لعمر إلهك، إنَّ للنَّار سبعة أبواب ما منهنَّ بابان إلا يسير الرَّاكبُ بينهما سبعين عامًا، وإنَّ للجنَّة ثمانية أبواب، ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عامًا» وذكر الحديث بطوله[١].

وهذا الظاهر منه أنَّ هذه المسافة بين الباب والباب؛ لأنَّ ما بين مكة وبُصْرَىٰ لا يحتمل التقدير بـ «سبعين عامًا» ولا يمكن حمله علىٰ بابٍ معيَّن، لقوله: «ما منهنَّ بابان»، واللهُ أعلم.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤٧٧) مطوَّلاً، والبخاري في «تاريخه» (٣/ ٢٤٩-٢٥٠) مختصرًا، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢٧١) والدَّارقطني في «الرؤية» (١٩١)، وضعَّفه ابن كثير وابن حجر وابن الملقِّن.

ص(١٢٨)

الباب الثالث عشر
في مكان الجنَّة وأين هي؟

قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ [النجم:١٣-١٥]. وقد ثبت أنَّ سِدرة المُنتهىٰ فوق السماء، وسميت بذلك؛ لأنَّهُ ينتهي إليها ما ينزل من عند اللهِ فيُقْبَضُ منها، وما يَصْعَدُ إليه فيقبضُ منها.

وقال تعالىٰ: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٢٢].

قال ابن أبي نجيح عن مجاهد: «هو الجنَّة»[١]، وكذلك تلقَّاهُ النَّاسُ عنه.

وقد ذكر ابن المنذر في «تفسيره» وغيره أيضًا عن مجاهد قال: «هو الجنَّة والنَّار»[٢].

وهذا يحتاج إلىٰ تفسير، فإنَّ النَّارَ في أسفل السافلين ليست في السماء، ومعنىٰ هذا ما قاله في رواية ابن أبي نجيح عنه، وقاله أبو صالح عن ابن عباس: «الخيرُ والشر كلاهما يأتي من السماء»[٣].

وعلىٰ هذا المعنىٰ أسباب الجنَّة والنَّار مُقدَّرٌ ثابتٌ في السماء من عند الله.

وقال الحارث بن أبي أسامة: حدثنا عبد العزيز بن أبان، حدثنا مَهْدِي بن ميمون، حدثنا محمد بن عبد اللهِ بن أبي يعقوب، عن بِشْر بن شَغَاف قال: سمعت

(١) انظر: تفسير مجاهد ص (٦١٩)، والطبري (١٦/ ٢٠٦).

(٢) ذكره السمرقندي في «بحر العلوم» (٣/ ٢٧٧).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٤).

عبد الله بن سلام يقول: «إنَّ أكرمَ خليقة الله أبو القاسم ﷺ، وإنَّ الجنَّة في السماء» رواه أبو نعيم عنه[١].

وقال: ورواه معمر بن راشد، عن محمد بن أبي يعقوب مرفوعًا.

ثمَّ ساقه من طريق ابن منيع، قال: حدَّثنا عمرو النَّاقِد حدثنا عمرو ابن عثمان، حدثنا موسىٰ بن أعين، عن معمر به مرفوعًا[٢].

ثمَّ ساقَ من طريق محمد بن فُضَيل، حدثنا محمد بن عبيد الله عن عطية، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه قال: «الجنَّة في السماء السابعة، ويجعلها اللهُ حيث شاء يوم القيامة، وجهنَّم في الأرض السابعة»[٣].

وقال ابن منده: حدثنا أحمد بن إسحاق حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا محمد بن عبد الله، عن سلمة بن كُهيل عن أبي الزَّعْراء، عن عبد اللهِ قال: «الجنَّة فوق السَّماء الرَّابعة، فإذا كان يوم القيامة جعلها اللهُ حيث يشاء، والنَّار في الأرض السابعة، فإذا كان يوم القيامة جعلها اللهُ حيث يشاء»[٤].

وقال مجاهد: «قلت لابن عباس أين الجنَّة؟ قال: فوق سبع سماوات، قلتُ: فأين النَّار؟ قال: تحت سبعة أبْحرٍ مطبِقة»[٥].

---

(١) في «صفة الجنَّة» (١٣١)، والحارث ابن أبي أسامة في «مسنده» كما في المطالب العالية (٣٨٥١). بإسناد ضعيف جدًّا؛ لكن تابعه ثقات كما عند الحاكم في «المستدرك» (٨٦٩٨).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (١٣١). وإسناده ضعيف جدًّا، والصحيح أنه موقوف.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (١٣٢). وسنده ضعيف جدًّا.

(٤) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (١٣٤)، والبيهقي في «البعث» (٥٠٠). حديث غريب، ورجاله ثقات.

(٥) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (١٣٥). والإسناد فيه ضعف؛ أبو يحيىٰ القتَّات ليِّن الحديث.

رواه ابن منده، عن أحمد بن إسحاق عن الزبيري عن إسرائيل عن أبي يحيىٰ، عن مجاهد.

وأمَّا الأثرُ الَّذي رواه أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا عيسىٰ بن يونس، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن مَعْدان، عن عبد اللهِ بن عمرو، قال: «الجنَّة مطوية معلقة بقرون الشمس تنشر في كلِّ عامٍ مرَّة، وإنَّ أرواح المؤمنين في طير كالزرازير[١] يتعارفون يرزقون من ثمر الجنَّة»[٢].

فهذا قد يظهر منه التناقض بين أوَّل كلامه وآخره، ولا تناقض فيه؛ فإنَّ الجنَّة المعلقة بقرون الشمس ما يحدثه اللهُ سبحانه بالشمس في كلِّ سنة مرَّة من أنواع الثمار والفواكه، والنبات جعله اللهُ تعالىٰ مذكرًا بتلك الجنَّة، وآية دالَّة عليها، كما جعل هذه النَّار مذكرة بتلك؛ وإلَّا فالجنَّة التي عرضها السماوات والأرضِ ليست معلَّقة بقرون الشمس، وهي فوق الشمس وأكبر منها.

وقد ثبت في «الصحيحين» عنه ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ الجنَّة مئة درجة ما بين كلِّ درجتين كما بين السماء والأرضِ**»[٣].

وهذا يدلُّ علىٰ أنَّها في غاية العلوِّ والارتفاع، واللهُ أعلم.

والحديث له لفْظان هذا أحدهما.

والثاني: «إنَّ في الجنَّة مئة درجة ما بين كلِّ درجتين كما بينَ السماء والأرضِ أعدَّها اللهُ للمجاهدين في سبيله».

---

(١) الزرازير: جمع زَرْزور: وهو طائر.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٩٦٧)، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (١٣٣). والحديث باطل.

(٣) لم أقف عليه في الصحيح بهذا اللفظ، وإنَّما ورد بهذا اللفظ من حديث عبادة بن الصامت عند الترمذي (٢٥٣١)، وأحمد (٥/ ٣١٦) وغيرهما.

وشيخنا يرجح هذا اللفظ[(١)]، وهو لا ينفي أنْ يكون دَرجَ الجنَّة أكثر من ذلك، ونظير هذا قوله في الحديث الصحيح: «إنَّ لله تسعةً وتسعين اسمًا، مَنْ أَحْصاها دَخَلَ الجنَّة»[(٢)].

أي من جملة أسمائه هذا العَدَد، فيكون الكلام جملة واحدة في الموضعين.

ويدل علىٰ صحة هذا أنَّ منزلة نبينا ﷺ فوق هذا كلِّه، في درجةٍ في الجنَّة ليس فوقها درجة، وتلك المئة ينالها آحاد أُمَّته بالجهاد، والجنَّة مُقَبَّبة أعلاها أوسعها، ووسطها: هو الفردوس، وسقفه العرش، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: «إذا سألتمُ الله فاسألوه الفِرْدَوس، فإنَّه وسَطُ الجنَّة وأعلىٰ الجنَّة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجَّرُ أنهار الجنَّة»[(٣)].

قال شيخنا أبو الحجاج المزِّي: «والصواب رواية من رواه «وفوقُه» بِضَمِّ القاف علىٰ أنَّه اسمٌ لا ظرف، أي: وسقفه عرش الرحمن».

فإنْ قيل: فالجنَّة جميعها تحت العرشِ، والعرش سقفها، فإنَّ الكرسي وَسِعَ السماوات والأرضِ، والعرش أكبر منه.

قيل: لما كان العرش أقرب إلىٰ الفردوس ممَّا دونه من الجنان، بحيث لا جنَّة فوقه دون العرشِ = كان سقفًا له دون ما تحته من الجنان، ولعظم سعة الجنَّة وغاية ارتفاعها يكون الصعود من أدناها إلىٰ أعلاها بالتدريج شيئًا فشيئًا، درجة فوق

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٥٧)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) هو تتمة لحديث أبي هريرة المتقدم: «إنَّ في الجنَّة مائة درجةٍ..» وهذا اللفظ عند البخاري (٢٩٨٧).

درجة، كما يقال لقارئ القرآن: «اقرأ وارقَ، فإنَّ منزلتك عند آخر آية تَقْرؤها»[1].

وهذا يحتمل شيئين: أن تكون منزلته عند آخر حِفْظه، وأنْ تكون عند آخر تلاوته لمحفوظه، واللهُ أعلم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٩١٤)، وأبو داود (١٤٦٤) وغيرهما. وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم.

ص(١٣٦)

الباب الرابع عشر

في مفتاح الجنّة

قال الحسن بن عرفة: حدثنا إسماعيل بن عياش، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مفتاح الجنَّة شهادةُ أن لا إلهَ إلا اللهُ**»[١].

رواه الإمام أحمد في «مسنده» ولفظه: «مفاتيح الجنَّة شهادةُ أن لا إله إلا الله»[٢].

وذكر البخاري في «صحيحه» عن وهب بن منبه أنَّه قيل له: أليس مفتاح الجنَّة لا إله إلا الله؟ قال: بلىٰ، ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنانٌ، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فُتِحَ لك، وإلَّا لم يفتح[٣].

وروىٰ أبو نعيم من حديث أبان عن أنس رضي الله عنه قال: قال أعرابي يا رسول الله، ما مفاتيح الجنَّة؟ قال: «لا إله إلا الله»[٤].

وذكر أبو الشيخ من حديث الأعمش عن مجاهد عن يزيد بن شجرة قال: «إنَّ السيوف مفاتيح الجنَّة»[٥].

وفي «المسند» من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «ألَا أدلُّكَ

---

(١) أخرجه الطبراني في «الدعاء» (٣/ ١٤٧٩)، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ٣٨ - ٣٩).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٢)، والبزار (٢٦٦٠). والحديث معلٌّ بالانقطاع والاضطراب في متنه.

(٣) ذكره البخاري معلقًا بلفظ: (وقيل) قبل (١٢٣٧)، ووصله في «تاريخه الكبير» (١/ ٩٥)، وغيره.

(٤) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (١٩٠). وإسناده ضعيف.

(٥) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (١٩٢). موقوف علىٰ يزيد بن شجرة.

علىٰ بابٍ من أبواب الجنَّة؟ قلتُ: بلىٰ، قال: «لَا حولَ ولا قوَّة إلا باللهِ»[١].

وقد جعل اللهُ سبحانه لكلِّ مطلوب مفتاحًا يفتح به، فجعل مفتاح الصلاة: الطهور، كما قال ﷺ: «**مفتاح الصلاةِ الطُّهور**»[٢]، ومفتاح الحج: الإحرام، ومفتاح البِرِّ: الصدق، ومفتاح الجنَّة: التوحيد، ومفتاح العلم: حسن السؤال وحسن الإصغاء، ومفتاح النصر والظفر: الصبر، ومفتاح المزيد: الشكر، ومفتاح الولاية والمحبة: الذكر، ومفتاح الفلاح: التقوىٰ، ومفتاح التوفيق: الرغبة والرهبة، ومفتاح الإجابة: الدعاء، ومفتاح الرغبة في الآخرة: الزهد في الدنيا، ومفتاح الإيمان: التفكر فيما دعا الله عباده إلىٰ التفكر فيه، ومفتاح الدخول علىٰ اللهِ: إسلام القلب وسلامته له والإخلاص له في الحُبِّ والبغض والفعل والتَّرك، ومفتاح حياة القلب: تدبر القرآن، والتضرع بالأسحارِ، وترك الذنوب، ومفتاح حصول الرحمة: الإحسان في عبادة الخالق، والسَّعي في نفع عبيده، ومفتاح الرزق: السعي مع الاستغفار والتقوىٰ، ومفتاح العِزِّ: طاعة اللهِ ورسوله، ومفتاح الاستعداد للآخرة: قِصَرُ الأملِ، ومفتاح كلِّ خيرٍ: الرغبة في اللهِ والدار الآخرة، ومفتاح كلِّ شرٍّ: حُب الدنيا، وطول الأمل.

وهذا بابٌ عظيم من أنفع أبواب العلمِ، وهو معرفة مفاتيح الخير والشر، لا يُوَفَّق لمعرفته ومراعاته إلا من عَظُمَ حظه وتوفيقه، فإنَّ اللهَ سبحانه وتعالىٰ جعل لكلِّ خير وشرٍّ مفتاحًا وبابًا يُدْخَل منه إليه، كما جعل الشرك والكبر والإعراض عمَّا بعث اللهُ به رسوله، والغفلة عن ذكره والقيام بحقه = مفتاحًا للنَّار، وكما جعل

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٢٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٣٥٧) وغيرهما. وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه الترمذي (٣)، وأبو داود (٦١)، وابن ماجه (٢٧٥) وغيرهم، وقد جاء عن غير واحد من الصحابة، والثابت عن ابن مسعود موقوفًا.

الخمر: مفتاح كلِّ إثمٍ، وجعل الغناء: مفتاح الزنا، وجعل إطلاق النظر في الصُّوَرِ: مفتاح الطلَب والعِشْق، وجعل الكسل والراحة: مفتاح الخيبة والحرمان، وجعل المعاصي: مفتاح الكفر، وجعل الكذب: مفتاح النِّفَاق، وجعل الشح والحرص: مفتاح البخل وقطيعة الرحم، وأخذ المال من غير حِلِّهِ، وجعل الإعراض عمَّا جاء به الرسول ﷺ: مفتاح كل بدعة وضلالة.

وهذه الأمور لا يصدِّق بها إلا من له بصيرة صحيحة، وعقلٌ يعرف به ما في نفسه، وما في الوجود من الخير والشرِّ، فينبغي للعبد أن يعتني كل الاعتناء بمعرفة المفاتيح، وما جُعِلَت مفاتيح له، واللهُ من وراء توفيقه وعدله، له الملك وله الحمدُ، وله النعمة والفضل، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

ص(١٤١)

الباب الخامس عشر
في توقيع الجنَّة، ومنشورها الَّذي يُوَقَّعُ به لأصحابها بعد الموت، وعند دخولها

قال اللهُ تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين:١٨-٢١].

فأخبر تعالىٰ أنَّ كتابهم كتابٌ مرقوم، تحقيقًا لكونه مكتوبًا كتابة حَقِيقية، وخصَّ تعالىٰ كتاب الأبرار بأنَّه يكتب ويوقع لهم به بمشهد المقرَّبين من الملائكة والنَّبيين وسادات المؤمنين، ولم يذكر شهادة هؤلاء لكتاب الفجار = تنويهًا بكتاب الأبرار، وما وقع لهم به، وإشهارًا له، وإظهارًا بين خواصِّ خلقه، كما تكتب الملوك تواقيع من تعظمه بين الأمراء، وخواص أهل المملكة تنويهًا باسم المكتوب له، وإشادةً بذكره، وهذا نوعٌ من صلاة الله سبحانه وتعالىٰ، وملائكته علىٰ عبده.

ورویٰ الإمام أحمد في «مسنده»، وابن حبان، وأبو عوانة الإسفراييني في «صحيحيهما» من حديث المنهال، عن زاذان عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلىٰ جنازةٍ، فجلس رسول الله ﷺ علىٰ القبر وجلسنا حوله كأنَّ علىٰ رؤوسنا الطير، وهو يُلْحَد له، فقال: «**أعوذ بالله من عذاب القبر**» ثلاثَ مرَّاتٍ، ثمَّ قال: «**إنَّ المؤمن إذا كان في إقبالٍ من الآخرة وانقطاع من الدنيا؛ تنزلت إليه الملائكة كأنَّ علىٰ وجوههم الشمس مع كلِّ واحدٍ منهم كفن وحنوط[1]، فجلسوا منه مدَّ بصره، ثمَّ يجيء ملك الموت حتَّىٰ يجلسَ عند رأسه فيقول: أيتها النفس**

(١) الحنوط: هو ما يُخْلط من الطيب لأكفان الموتىٰ وأجسامهم خاصَّة.

الطيبة أخرجي إلىٰ مغفرةٍ من اللهِ ورضوان، قال: فتخرج تسيلُ كما تسيلُ القطرة مِنْ فِيِّ السِّقاءِ فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عينٍ حتىٰ يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسكٍ وُجِدَت علىٰ وجه الأرضِ، قال: فيصعدون بها فلا يمرون بها -يعني عَلَىٰ ملأٍ من الملائكة- إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان. بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتىٰ ينتهوا بها إلىٰ السماء الدنيا، فيستفتحون له فيُفتح لهم، ويُشَيِّعه من كلِّ سماءٍ مقربوها إلىٰ السماء التي تليها؛ حتىٰ ينتهي بها إلىٰ السماء التي فيها اللهُ ﷻ، فيقول اللهُ ﷻ: اكتبوا كتاب عبدي في علِّيين، وأعيدوه إلىٰ الأرضِ، فإنِّي منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارةً أخرىٰ، قال: فتعادُ روحُه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربُّكَ؟ فيقول: ربِّي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الَّذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأتُ كتابَ اللهِ فآمنت به وصدَّقت، قال: فينادي منادٍ من السمَّاء: أنْ صَدقَ عبدي فأفرشوه من الجنَّة، وألبسوه من الجنَّة، وافتحوا له بابًا إلىٰ الجنَّة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويُفسحُ له في قبره مدَّ بَصَرِهِ، قال: ويأتيه رجلٌ حسنُ الوجه حسن الثياب طيبُ الريح، فيقولُ: أبشر بالَّذي يسرُّك هذا يومك الَّذي كنتَ تُوْعد، فيقول له: من أنتَ فوجهك الوجه الَّذي يجيء بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح، فيقولُ: ربِّ أقم السَّاعة، ربِّ أقم السَّاعة حتىٰ أرجع إلىٰ أهلي ومالي.

قال: وإنَّ العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نَزَلَ إليه من السماء ملائكةٌ سودُ الوجوه معهم المُسُوْحُ[1] فيجلسون منه مدَّ البصرِ، ثمَّ يجيءُ

---

(١) المسوح: جمع كثرة، واحدُهُ: مِسْح، وهو الكساءُ من الشعر، وجمع القِلَّة: أَمْسَاح.

ملك الموت حتىٰ يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة، أخرجي إلىٰ سخطٍ من اللهِ وغضب، قال: فتفرَّق في جسده فينتزعها كما ينتزعُ السَّفُّود[١] من الصُّوف المبلول، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عينٍ حتىٰ يجعلوها في تلك المسوح، وتخرج منها كأنتن ريح جيفةٍ وجدت علىٰ وجه الأرضِ، فيصعدون بها فلا يَمرون بها علىٰ ملأٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث، فيقولون: فلانُ ابن فلان. بأقبح أسمائه التي كان يُسمَّىٰ بها في الدنيا، حتىٰ ينتهي بها إلىٰ سماء الدنيا فيستفتح فلا يفتح له، ثمَّ قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف:٤٠]. فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتاب عبدي في سِجِّينٍ في الأرضِ السفلىٰ. وتُطرَح رُوحُهُ طَرحًا، ثمَّ قرأ رسول الله: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١]، فتعاد روحُهُ في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربُّك؟ فيقول: هاه هاه! لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الَّذي بُعِثَ فيكم؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فينادي منادٍ من السماء، أن كذب عبدي فأفرشوه من النار وافتحوا له بابًا إلىٰ النَّار، فيأتيه من حرِّها وسمومها، ويُضَيَّقُ عليه قبرُهُ حتىٰ تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجلٌ قبيح الوجه، قبيحُ الثياب منتن الريح، فيقول: أبشر بالَّذي يسوؤك، هذا يومك الَّذي كنت توعد، فيقول: من أنت فوجهك الوجه الَّذي يجيء بالشر؟ فيقول أنا عملك الخبيث، فيقول: ربِّ لا تُقِمِ السَّاعة»[٢].

ورواه أبو داود بطوله بنحوه، فهذا التوقيع، والمنشور الأوَّل.

---

(١) السَّفُّود: الحديدة التي يشوي بها اللحم.

(٢) تقدم الكلام عليه ص (٣١).

ص(١٤٥)

فصل

وأمَّا المنشور الثاني: فقال الطبراني في «معجمه»: حدثنا إسحاق ابن إبراهيم الدَّبري، عن عبد الرزاق عن سفيان الثوري، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عطاء بن يسار عن سلمان الفارسي ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنَّة أحدٌ إلا بجوازٍ: بسم اللهِ الرحمن الرحيم، هذا كتابٌ من الله لفلان بن فلانٍ أَدْخلوهُ جنة عاليةً قطوفها دانية**»[1].

وأخبرنا سليمان بن حمزة الحاكم، أنبأنا محمد بن عبد الواحد المقدسي، أنبأنا زاهر الثقفي أنَّ عبد السلام بن محمد بن عبد اللهِ أخبرهم، أنبأنا المطهر بن عبد الواحد البُزاني، حدثنا محمد بن إسحاق بن منده أنبأنا محمد بن علي البلخي، حدثنا محمد بن خُشَام، حدثنا العباس بن زياد -ثقة-، حدثنا سَعْدان بن سعد، حدثنا سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي ﵁ أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**يُعْطىٰ المؤمن جوازًا علىٰ الصِّراط: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من اللهِ العزيز الحكيم، لفلانِ بن فلانٍ، أدخلوه جنَّةً عاليةً، قُطوفها دانية**»[2].

قلتُ: وقع المؤمن في قبضة أصحاب اليمين يوم القبضتين، ثمَّ كُتِبَ من أهل الجنَّة يوم نفخ الروح فيه، ثمَّ يُكتب في ديوان أهل الجنَّة يوم موته، ثمَّ يُعْطىٰ هذا المنشور يوم القيامة، فاللهُ المستعان.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦١٩١)، والبيهقي في «البعث» (٢٧٣)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٥٤٧) وقال: «لا يصح عن رسول الله ﷺ».

(٢) أخرجه الدَّارقطني في «الأفراد» كما في «أطراف الغرائب» (٢٢٣٢)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٥٤٨) وغيرهما. وإسناده ضعيف.

ص(١٤٧)

الباب السادس عشر

في توحُّد طريق الجنَّة وأنَّه ليس لها إلا طريق واحد

هذا ممَّا اتفقت عليه الرسل من أوَّلهم إلىٰ خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم.
وأمَّا طرق الجحيم: فأكثر من أن تُحصىٰ، ولهذا يُوَحِّد الله سبحانه سبيله، ويجمع سبل النَّار كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام:١٥٣]. وقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ﴾ [النحل:٩]. أي: ومن السُّبُل جائر عن القصد وهي: سُبُل الغي، وقال: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الحجر:٤١].

وقال ابن مسعود: خَطَّ لنا رسول الله ﷺ خطًّا، وقال: «هذا سبيل اللهِ، ثمَّ خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن يساره، ثمَّ قال: هذه سُبُلٌ علىٰ كلِّ سبيلٍ منها شيطانٌ يدعو إليه» ثمَّ قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ الآية [الأنعام:١٥٣][1].

فإنْ قيل: فقد قال الله تعالىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة:١٥-١٦] قيل: هي سُبُل تجتمع في سبيلٍ واحدٍ، وهي بمنزلة الجوادِّ[2] والطرق في الطريق الأعظم، فهذه هي شعب الإيمان يجمعها الإيمان، وهي شعبة، كما يجمع ساق

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٣٥)، وابن حبان (٦)، والحاكم (٣٢٤١) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٢) الجوادُّ: جمع جادَّه وهو معظم الطريق.

الشجرة أغصانها وشعبها، وهذه السبل هي إجابة داعي اللهِ بتصديق خبره، وطاعة أمره، فطريق الجنَّة هي إجابة الدَّاعي إليها ليس إلَّا.

وروىٰ البخاري في «صحيحه»[1] عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جاءت ملائكة إلىٰ النَّبي ﷺ، فقال بعضهم: إنَّه نائمٌ، وقال بعضهم: إنَّ العين نائمةٌ والقلبُ يقظان، فقالوا: إنَّ لصاحبكم هذا مثلًا، فاضربوا له مثلًا فقالوا: مثله مثل رجلٍ بنىٰ دارًا وجعل فيها مأدُبةً وبعث داعيًا، فمن أجاب الدَّاعي دخل الدَّار وأكَلَ من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة، فقالوا: أوِّلُوها له يفْقَهْهَا فقال بعضهم: إنَّ العين نائمة والقلب يقظان، فالدَّارُ: الجنَّة، والدَّاعي: محمدٌ، فمن أطاع محمدًا ﷺ فقد أطاع الله، ومن عصىٰ محمدًا فقد عصىٰ الله، ومحمد فَرْقٌ بين النَّاس».

ورواه الترمذي عنه ولفظه: خرج علينا رسول الله ﷺ يومًا فقال: **«إنِّي رأيت في المنام: كأنَّ جبريل عند رأسي، وميكائيل عند رجلي يقول أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلًا، فقال: اسمَع سمِعتْ أذنك، واعقِلْ عَقَلَ قلبُك، إنَّما مثلُكَ ومثلُ أمَّتك كمثل ملكٍ اتخذ دارًا، ثمَّ بنىٰ فيها بيتًا، ثمَّ جعل مائدةً، ثمَّ بعث رسولًا يدعو النَّاس إلىٰ طعامه، فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه، فاللهُ هو الملكُ، والدَّارُ الإسلامُ، والبيتُ الجنَّة، وأنت يا محمد رسولٌ، فمن أجابك دخل الإسلام، ومن دخل الإسلام دخل الجنَّة، ومن دخل الجنَّة أكل ما فيها»**[2].

وصحَّح الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «صلَّىٰ بنا رسول الله ﷺ العشاء ثمَّ انصرف، فأخذ بيدي حتىٰ خرج بي إلىٰ بطحاء مكة، فأجلسني ثمَّ خطَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٥٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٨٦٠). وأعله بالانقطاع؛ ثم أشار إلىٰ أنه قد روي من غير هذا الوجه بإسناد أصح.

عليَّ خطًّا، ثمَّ قال: لا تبرحنَّ خطَّكَ، فإنَّه سينتهي إليك رجال فلا تكلمهم؛ فإنَّهم لا يكلمونك، ثمَّ مضىٰ رسول الله ﷺ حيث أراد، فبينا أنا جالسٌ في خطِّي، إذ أتاني رِجالٌ كأنَّهم الزُّطُّ[١]، أشعارهم وأجسامهم، لا أرىٰ عورةً، ولا أرىٰ قِشْرًا، وينتهون إليَّ لا يجاوزون الخطَّ، ثمَّ يصدرون إلىٰ رسول الله ﷺ حتَّىٰ إذا كان من آخر الليل، لكن رسول الله ﷺ قد جاءني وأنا جالسٌ فقال: «لقد أُراني منذُ الليلة»، ثمَّ دخل عليَّ في خَطِّي فتوسَّدَ فخذي فرقد، وكان رسول الله ﷺ إذا رقد نفخ، فبينا أنا قاعدٌ، ورسول الله ﷺ متوسدٌ فخذي إذا أنا برجالٍ عليهم ثيابٌ بيضٌ، الله أعلمُ ما بهم من الجمال، فانتهوا إليَّ فجلس طائفةٌ منهم عند رأس رسول الله ﷺ، وطائفة منهم عند رجليه، ثمَّ قالوا: ما رأينا عبدًا قطُّ أوتي مثل ما أوتي هذا النَّبي، إنَّ عينيه تنامان وقلبُهُ يقظان، اضربوا له مثلًا، مثلَ سيدٍ بنىٰ قصرًا ثمَّ جعل مأدُبةً فدعا النَّاس إلىٰ طعامه وشرابه، فمن أجابه أكلَ من طعامه وشرب من شرابه، ومن لم يجبه عاقبه أو قال عذبه، ثمَّ ارتفعوا واستيقظ رسول الله ﷺ عند ذلك فقال: سمعت ما قال هؤلاء؟ وهل تدري من هم؟ قلت: اللهُ ورسولهُ أعلم، قال: هم الملائكة، فتدري ما المثل الَّذي ضربوه؟ قلت: اللهُ ورسوله أعلم، قال: الرحمن بنىٰ الجنَّة، ودعا إليها عبادَهُ فمن أجابه دخل الجنَّة، ومن لم يجبه عذَّبه»[٢].

---

(١) الزُّطّ: جيل من النَّاس. الواحد: زُطِّي، مثل: الزنج وزنجي، والرُّوم ورومي.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٨٦١) إسناده ضعيف، وله طرق أعلّها كلها البخاري وأبو حاتم وأبو زرعة، وبيَّنوا أن الثابت عن ابن مسعود أنَّه له لم يكن مع النَّبي ﷺ ليلة الجن. ينظر: صحيح مسلم (٤٥٠).

ص(١٥٢)

الباب السابع عشر

في درجات الجنَّة

قال تعالىٰ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:٩٥-٩٦].

ذكر ابن جرير: عن هشام بن حسان، عن جَبَلة بن عَطِيَّة، عن ابن مُحَيْرِيْز قال: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ﴾ [النساء:٩٥-٩٦]. قال: «هي سبعون درجة ما بين الدرجتين عَدْوُ الفرسِ الجواد المُضَمَّر سبعين عامًا»[١].

وقال ابن المبارك: أنبأنا سلمة بن نُبَيْط عن الضَّحَّاك في قوله تعالىٰ: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال:٤] قال: «بعضهم أفضلُ من بعض، فيرىٰ الَّذي قد فضل به فضله، ولا يرىٰ الَّذي هو أسفل منه، أنَّه فُضِّلَ عليه أحدٌ من النَّاس»[٢].

وتأمَّل قوله: كيف أوقع التَّفْضيل أوَّلًا بدرجة، ثمَّ أوقعه ثانيًا بدرجات، فقيل: الأوَّل بين القاعد والمعذور والمجاهد، والثاني بين القاعد بلا عذر والمجاهد.

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (١٦٢) هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران:١٦٢-١٦٣].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٣٢). وسنده صحيح إن كان شيخ الطبري ثقة.

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨٧٩٩). وسنده صحيح.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال:٢-٤].

وفي «الصحيحين»[١] من حديث مالك عن صَفْوان بن سُلَيم، عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أهل الجنَّة لَيتراءون أهلَ الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدُّرِّي الغابرَ من الأُفق: من المشرق أو المغرب؛ لتفاضل ما بينهم، قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: «بلىٰ، والَّذي نفسي بيده رجالٌ آمنوا باللهِ وصدَّقوا المرسلين**».

ولفظ البخاري «في الأفق»: وهو أبْيَن.

والغابر: هو الذَّاهب الماضي الَّذي قد تدلَّىٰ للغروب. وفي التمثيل به دون الكوكب المسامت للرَّأس، وهو أعلىٰ = فائدتان:

أحدهما: بُعْدُهُ عن العيون.

والثانية: أنَّ الجنَّة درجات بعضها أعلىٰ من بعض، وإنْ لم تُسامت العليا السُّفلىٰ، كالبساتين المُمْتدة من رأس الجبل إلىٰ ذيله، واللهُ أعلم.

وفي «الصحيحين»[٢] أيضًا من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ أهل الجنَّة ليتراءون الغرفة في الجنَّة، كما تراءون الكوكب في أفقِ السماء».

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٨٣)، ومسلم (٢٨٣١).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٨٨)، ومسلم (٢٨٣٠).

وقال الإمام أحمد: حدثنا قراد[١]، أخبرني فُلَيح عن هلال يعني ابن علي، عن عطاء، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أهل الجنَّة ليتراءون في الجنة كما تراءون -أو ترون- الكوكب الدريَّ الغاربَ في الأفق الطالع في تفاضل الدَّرجات**»، قالوا يا رسول الله أولئك النَّبيُّون؟ قال: «بلىٰ، والَّذي نفسي بيده وأقوامٌ آمنوا باللهِ وصدَّقُوا المرسلين»[٢].

ورجال هذا الإسناد احتجَّ بهم البخاري في «صحيحه».

وفي هذا الحديث: «الغارب»، وفي حديث أبي سعيد: «الغابر». وقوله: «الطالع» صِفَة للكوكب، وصَفَهُ بكونه غاربًا، وبكونه طالعًا.

وقد صُرِّحَ بهذا المعنىٰ في الحديث الَّذي رواهُ ابن المبارك: عن فليح بن سليمان عن هلال بن علي عن عطاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبي ﷺ: «**إنَّ أهل الجنَّة ليتراءون في الغرف كما يُرىٰ الكوكب الشرقي، والكوكب الغربي في الأفق في تفاضل الدرجاتِ، قالوا: يا رسول الله أولئك النَّبيون؟ قال: بلىٰ، والَّذي نفسي بيده وأقوامٌ آمنوا بالله وصدَّقوا المرسلين**»[٣].

وهذا علىٰ شرط البخاري أيضًا.

وفي «المسند» من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ المتحابين

---

(١) كذا في جميع النسخ، وفي المسند، وأطرافه لابن حجر (٧/ ٤١٧) «فزارة» هو: ابن عمرو، وهو الصواب.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٣٥)، والترمذي (٢٥٥٦) وغيرهما، وروي عند البخاري ومسلم من وجه آخر عن أبي سعيد، وهما صحيحان.

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» -زوائد نعيم- (٤١٨)، والترمذي (٢٥٥٦) وقال: «حسن صحيح».

لتُرىٰ غرفُهم في الجنَّة كالكوكب الطالع الشرقيِّ أو الغربيِّ، فيقال: من هؤلاء؟ فيقال: هؤلاء المتحابُّون في اللهِ عَجَّلَ»[١].

وفي «المسند» من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أيضًا عن النَّبي ﷺ قال: «**إنَّ في الجنَّة مئة درجةٍ، ولو أنَّ العالمين اجتمعوا في إحداهنَّ لوسعتهم**»[٢].

وفي «المسند» عنه أيضًا عن النَّبي ﷺ قال: «**يُقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنَّة: اقرأ واصعدْ، فيقرأ ويصعد بكلِّ آيةٍ درجة، حتَّىٰ يقرأ آخر شيءٍ معهُ**»[٣].

وهذا صريحٌ في أنَّ درج الجنَّة تزيد علىٰ مائة درجة.

وأمَّا حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الَّذي رواه البخاري في صحيحه[٤] عن النَّبي ﷺ قال: «**إنَّ في الجنَّة مائة درجةٍ أعدَّها اللهُ للمجاهدين في سبيله بين كلِّ درجتين كما بين السماء والأرضِ، فإذا سألتم اللهَ فاسألوه الفردوس، فإنَّه وسط الجنَّة، وأعلىٰ الجنَّة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجَّرُ أنهار الجنَّة**».

فإمَّا أن تكون هذه المائة درجة من جملة الدَرَج، وإمَّا أنْ تكون نهايتها هذه المائة، وفي ضمن كل درجة درج دونها.

ويدل علىٰ المعنىٰ الأوَّل حديث زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**من صلَّىٰ هؤلاء الصلوات الخمس، وصام شهر رمضان كان حقًّا علىٰ اللهِ أن يغفر له هاجر أو قعدَ حيثُ ولدته أُمُّهُ**»، قلتُ: يا رسول الله ألا أخرجُ فأُوذن النَّاس؟ قال: «**لا، ذرِ النَّاسَ يعملون، فإنَّ في**

(١) أخرجه أحمد في «المسند»: (٣/ ٧٨). وإسناده منقطع.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٢٩)، والترمذي (٢٥٣١)، وقال: «غريب».

(٣) تقدم ص (٩٧).

(٤) تقدم ص (٩٥).

الجنَّة مائة درجة بين كلِّ درجتين منها مثل ما بين السماء والأرضِ، وأعلىٰ درجةٍ منها الفردوس، وعليها يكون العرشُ، وهي أوسط شيءٍ في الجنَّة، ومنها تفجر أنهار الجنَّة، فإذا سألتم اللهَ فسلوه الفردوس»[١].

رواه الترمذي هكذا بلفظة «في».

وروىٰ أيضًا: من حديث عطاء عن عبادة بن الصامت أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**في الجنَّة مائة درجة**»[٢] ثمَّ ذكر نحو حديث معاذ.

وفيه أيضًا: من حديث عطاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**في الجنَّة مائة درجةٍ ما بين كلِّ درجتين مائة عامٍ**»[٣]. قال: «هذا حديثٌ حسن غريب».

وفيه أيضًا: من حديث أبي سعيد يرفعه: «**إنَّ في الجنَّة مائة درجة لو أنَّ العالمين اجتمعوا في إحداهنَّ لوسعتهم**»[٤].

ورواه أحمدُ بدون لفظة: «في» كما تقدَّم. وقد رويت هذه الأحاديث بلفظة: «في» وبدونها، فإن كان المحفوظ ثبوتها فهي من جملة درجها، وإنْ كان المحفوظ سقوطها، فهي الدَّرَج الكبار المتضمنة للدَّرج الصِّغار، والله أعلم.

ولا تناقض بين تقدير ما بين الدرجتين بالمائة وتقديرها بالخمس مائة لاختلاف السَّير في السرعة والبُطْءِ، والنَّبي ﷺ ذكر هذا تقريبًا للأفهام، ويدل عليه حديث زيد بن حُباب: حدثنا عبد الرحمن بن شُرَيح، حدَّثني أبو هانئ التُّجِيبي، سمعتُ

---

(١) تقدم ص (٩٥)، وهو منقطع.

(٢) تقدم ص (٩٥).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٥٢٩)، وأحمد (٣/ ٢٩)، قال الترمذي: «حسن غريب»، ورجَّح الدَّارقطني كونه من قول عطاء. انظر: العلل (١١/ ١٠٣).

(٤) تقدم ص (١١١).

أبا علي الجَنْبي سمعت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مائة درجة في الجنَّة ما بين الدرجتين ما بين السماء والأرض، وأبعد ممَّا بين السماء والأرض» قلتُ: يا رسول الله لمن؟ قال: «للمجاهدين في سبيل اللهِ»[1].

---

(١) أخرجه عبد بن حميد (٩٢٠) «المنتخب»، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (١٩٢). وإسناده حسن.

ص(١٦٠)

الباب الثامن عشر
في ذكر أعلى درجاتها واسم تلك الدرجة

روىٰ مسلم في «صحيحه»[١] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّه سمع النَّبي ﷺ يقول: **«إذا سمعتُم المؤذن فقولوا مثلَ ما يقول، ثمَّ صلُّوا عليَّ، فإنَّه من صلَّىٰ عليَّ صلاةً صلَّىٰ اللهُ عليه بها عشرًا، ثمَّ سلُوا اللهَ لي الوسيلة، فإنَّها منزلةٌ في الجنَّة لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد اللهِ، وأرجو أنْ أكون أنا هو، فمن سأل ليَ الوسيلة حلَّتْ عليه الشفاعة»**.

وقال أحمد: ثنا عبد الرزاق، أنبأنا سفيان، عن ليث عن كعب، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«إذا صليتم عليَّ فاسألوا الله لي الوسيلة، قيل: يا رسول الله، وما الوسيلة؟ قال: أعلىٰ درجةٍ في الجنَّة لا ينالها إلا رجلٌ واحدٌ، وأرجوا أنْ أكونَ أنا هو»**[٢].

هكذا الرواية: «أنْ أكون أنا هو»، ووَجْهُهَا: أنْ تكون الجُملة خَبَرًا عن اسم كان المُسْتَتِر فيها، ولا تكون «أنا» فصْلًا، ولا توكيدًا، بل مبتدأ.

وفي «الصحيحين»[٣] من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قال حينَ يسمع النِّداء: اللَّهم رَبَّ هذِهِ الدعوة التَّامَّة، والصَّلاة القائمة، آتِ محمدًا الوسيلةَ**

(١) (٣٨٤).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٦٥)، والترمذي (٣٦١٢)، وضعَّفه حيث قال: «غريب، إسناده ليس بالقوي، وكعب ليس هو بمعروف، ولا نعلم أحدًا روىٰ عنه غير ليث بن أبي سليم».

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٩) و (٤٤٤٢)، ولم يخرجه مسلم.

والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته، حلَّت له شفاعتي يوم القيامة».

هكذا لفظ الحديث: «مقامًا» بالتَّنكير ليوافق لفظ الآية؛ ولأنَّهُ لمَّا تعين وانحصر نوعه في شخصه جرىٰ مجرىٰ المعرفة، فَوُصِفَ بما توصف به المعارف، وهذا ألطف مِنْ جَعْلِ «الَّذي وعدته» بدلًا، فتأمله.

وفي «المسند» من حديث عمارة بن غَزِيَّة، عن موسىٰ بن وَرْدَان عن أبي سعيد الخدري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«الوسيلة درجةٌ عند اللهِ ﷻ، ليس فوقها درجةٌ، فسلوا الله لي الوسيلة»**[1].

وذكره ابن أبي الدنيا وقال فيه: «درجةٌ في الجنَّة ليس في الجنَّة درجة أعلىٰ منها، فسلُوا اللهَ أنْ يؤتينيها علىٰ رؤوس الخلائقِ»[2].

وقال أبو نعيم، أنبأنا سليمان بن أحمد: حدثنا أحمد بن عمرو بن مسلم الخلَّال، حدثنا عبد الله بن عمران العابدي، حدثنا فُضَيل بن عِيَاض عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة -﵂- قالت: جاء رجلٌ إلىٰ النَّبي ﷺ فقال: يا رسول الله، واللهِ إنَّك لأحبُّ إليَّ من نفسي، وإنَّك لأحب إليَّ من أهلي، وأحبُّ إليَّ من ولدي، وإنِّي لأكون في البيت، فأذكرك فما أصبر حتَّىٰ آتيك فأنظرَ إليك، وإذا ذكرتُ موتي وموتك؛ عرفتُ أنَّك إذا دخلت الجنَّة رُفعتَ مع النبيين، وإنِّي إذا دخلتُ الجنَّة خشيتُ أنْ لا أراكَ. فلم يردَّ عليه النَّبي ﷺ حتىٰ نزل جبريل بهذه الآية: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩][3]».

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٣/ ٨٣)، من طريق ابن لهيعة، وهو ضعيف.

(٢) أخرج ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٠١).

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٧٧)، وأبو حاتم في تفسيره (٥٧٧)، وغيرهما.

قال الحافظ أبو عبد الله المقدسي: «لا أعلم بإسناد هذا الحديث بأسًا».

وسُمِّيت درجة النَّبي ﷺ الوسيلة؛ لأنَّها أقرب الدرجات إلىٰ عرش الرب تبارك وتعالىٰ، وهي أقرب الدرجات إلىٰ اللهِ.

وأصل اشتقاق لفظ: «الوسيلة» من القُرْب. وهي فَعِيلَة: مِنْ وَسَلَ إليه: إذا تقرَّب إليه.

قال لَبِيْد:

بلىٰ كلُّ ذي رأيٍ إلىٰ اللهِ واسلُ

ومعنىٰ الوسيلة: من الوُصْلَة، ولهذا كانت أفضل الجنَّة وأشرفها، وأعظمها نورًا.

قال صالح بن عبد الكريم: قال لنا فُضَيل بن عِيَاض: تدرون لِمَ حسنت الجنَّة؟ لأنَّ عرش رب العالمين سقفها.

وقال الحكم بن أبان: عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: «نور سقف مساكنهم نورُ عرشه»[(١)].

وقال بكر عن أشعث عن الحسن: «إنَّما سُمِّيت عَدْن؛ لأنَّ فوقها العرش، ومنها تفجَّر أنهار الجنَّة، وللحور العَدْنِيَّة الفضلُ علىٰ سائر الحور»[(٢)].

والقُرْبَىٰ والزُّلْفَىٰ: واحد، وإنْ كان في الوسيلة معنىٰ التقرب إليه بأنواع الوسائل.

قال الكلبي: «واطلبوا إليه القربة بالأعمال الصالحة».

وقد كشف سبحانه عن هذا المعنىٰ كلَّ الكشف بقوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء:٥٧] فقوله: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾،

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٢٢) وأوله: «إذا سكن أهل الجنَّةِ الجنَّة: نوَّر...» وسنده ضعيفٌ.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٢٣). وفيه أشعث بن سوار الكندي، وهو ضعيف.

هو تفسير للوسيلة التي يبتغيها هؤلاء الَّذين يدعونهم المشركون من دون اللهِ، فَيُنَافِسُون في القرب منه.

ولمَّا كان رسول الله ﷺ أعظم الخلق عبوديةً لربه، وأعلمهم به، وأشدَّهم له خشية، وأعظمهم له محبة؛ كانت منزلته أقرب المنازل إلىٰ اللهِ، وهي أعلىٰ درجة في الجنَّة، وأمرَ ﷺ أُمَّتَهُ أنْ يسألوها له لينالوا بهذا الدعاء الزلفىٰ من اللهِ، وزيادة الإيمان.

وأيضًا: فإنَّ الله سبحانه قدَّرها له بأسباب، منها: دعاء أُمَّته له بها بما نالوه علىٰ يده من الإيمان والهدىٰ، صلوات اللهِ وسلامه عليه.

فقوله: «حلت عليه»[1] يُرْوَىٰ: «عليه» و«له»، فمن رواه باللَّام فمعناهُ: حصلت له. ومن رواه بِعَلَىٰ فمعناهُ: وقعت عليه شفاعتي، واللهُ أعلم.

---

(١) تقدم ص (١١٤).

ص(١٦٧)

الباب التاسع عشر

في عرض الرَّبِّ تعالى سلعته الجنَّة على عباده وثمنها الَّذي طلبه منهم وعقد التبايع الَّذي وقع بين المؤمنين وبين ربِّهم

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١١١].

فجعل سبحانه الجنَّة ثمنًا لنفوس المؤمنين وأموالهم، بحيث إذا بذلوها فيه استحقُّوا الثَّمن، وعَقَدَ معهم هذا العقدَ، وأكَّدهُ بأنواع التأكيد:

أحدها: إخبارُهُ سبحانه بصيغة الخبر المؤكَّد بأداة إنَّ.

الثاني: الإخبارُ بذلك بصيغة الفعل الماضي، الَّذي قد وقع وثبت واستقر.

الثالث: إضافة هذا العقد إلىٰ نفسه سبحانه وأنَّه هو الَّذي اشترىٰ هذا المبيع.

الرَّابع: أنَّه أخبر بأنَّه وعد بتسليم هذا الثمن وَعْدًا لا يُخْلِفُهُ ولا يتركه.

الخامس: أنَّه أتىٰ بصيغة «علىٰ» التي للوجوب، إعلامًا لعباده، بأنَّ ذلك حقٌّ عليه، أحَقَّه هو علىٰ نفسه.

السادس: أنَّه أكَّد ذلك بكونه حقًّا عليه.

السابع: أنَّه أخبر عن محل هذا الوعد، وأنَّه في أفضل كتبه المنزلة من السماء، وهي: التوراة والإنجيل والقرآن.

الثامن: إعلامه لعباده بصيغة استفهام الإنكار، وأنَّه لا أحد أوفىٰ بعهده منه سبحانه.

التاسع: أنَّه سبحانه أمرهم أنْ يَبْشروا بهذا العقد، ويُبشِّر به بعضهم بعضًا بشارة من قد تمَّ له العقد ولزم، بحيث لا يثبت فيه خيار، ولا يعرض له ما يفسخه.

العاشر: أنَّه أخبرهم إخبارًا يؤكِّد بأنَّ ذلك البيع الَّذي بايعوا به هو الفوز العظيم، والبيع ها هنا: بمعنىٰ المَبِيع الَّذي أخذوه بهذا الثمن، وهو الجنَّة.

وقوله: ﴿بَايَعۡتُم بِهِۦۚ﴾ أي: عاوضتم وثامنتم به.

ثمَّ ذكر سبحانه أهل هذا العقد الذين وقع العقد وتمَّ لهم دون غيرهم، وهم:

- ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ﴾ مما يكره.
- ﴿ٱلۡعَـٰبِدُونَ﴾ له بما يحب.
- ﴿ٱلۡحَـٰمِدُونَ﴾ له علىٰ ما يحبون وما يكرهون.
- ﴿ٱلسَّـٰٓئِحُونَ﴾ وفُسِّرت السِّياحة: بالصيام، وفُسِّرت: بالسفر في طلب العلم، وفُسِّرت: بالجهاد، وفُسِّرت: بدوام الطاعة.

والتحقيق فيها: أنَّها سياحة القلب في ذكر الله ومحبته والإنابة إليه والشوق إلىٰ لقائه، ويترتب عليها كل ما ذكر من الأفعالِ، وكذلك وصف نساء النَّبي ﷺ الَّلاتي لو طلق أزواجه بدَّله بهن، بأنَّهنَّ ﴿سَـٰٓئِحَـٰتٖ﴾ [التحريم:٥] وليست سياحتهن جهادًا، ولا سفرًا في طلب العلم، ولا إدامة صيام، وإنَّما هي سياحة قلوبهنَّ في محبة الله وخشيته والإنابة إليه وذكره.

وتأمَّل كيف جعل سبحانه التوبة والعبادة قرينين: هذه ترك ما يكره، وهذه فعل ما يحب. والحمد والسياحة قرينين: هذا الثناء عليه بأوصاف كماله، وسياحة اللسان في أفضل ذكره، وهذا سياحة القلب في حُبِّه وذكره وإجلاله.

كما جعل سبحانه العبادة والسياحة قرينين في صفة الأزواج: فهذه عبادة البدن، وهذه عبادة القلب.

وجعل الإسلام والإيمان قرينين: فهذا علانية، وهذا في القلب؛ كما في «المسند» عنه ﷺ: **«الإسلام علانية، والإيمان في القلبِ»**[1].

وجعل القنوت والتوبة قرينين: فهذا فعل ما يحب، وهذا تركُ ما يكره.

وجعل الثُّيوبة والبَكَارة قرينين، فهذه قد وطئت وارتاضتْ وذُلِّلت صعوبتها، وهذه رَوْضَة أُنُفٌ[2] لم يُرتع فيها بعد.

وجعل الركوع والسجود قرينين، وجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قرينين، وأدخل بينهما الواو دون ما تقدم إعلامًا بأنَّ أحدهما لا يكفي حتىٰ يكون مع الآخر، وجعل ذلك قرينًا لحفظ حدوده، فهذا حِفْظُها في نفس الإنسان، وذاك أمرُ غيرِهِ بحفظها. وأفهمت الآية: خطر النفس الإنسانية وشرفها، وعظم مقدارها، فإنَّ السلعة إذا خفي عليك قدرها فانظر إلىٰ المشتري لها من هو، وانظر إلىٰ الثمن المبذول فيها ما هو؟ وانظر إلىٰ من جرىٰ علىٰ يده عقد التبايع، فالسِّلعة: النفس، واللهُ سبحانه: المشتري لها، والثمن: جنَّات النعيم، والسَّفِيْر في هذا العقد: خير خلقه من الملائكة وأكرمهم عليه، وخيرهم من البشرِ وأكرمهم عليه.

قد هيؤوكَ لأَمرٍ لو فَطِنْتَ له... فاربْأْ بِنفسِكَ أَنْ تَرْعَىٰ مَعَ الهَمَلِ

وفي «جامع الترمذي» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من خافَ أدلج، ومن أدلَجَ بلغَ المنزلَ، أَلا إنَّ سلعةَ اللهِ غاليةٌ، أَلا إنَّ سلعةَ اللهِ**

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٣٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٣١٠) وغيرهما، والحديث منكر.

(٢) روضة أُنُف -بالضم- أي لم يَرْعهَا أحد.

الجنَّة»[١]. قال: «هذا حديثٌ حسن غريب».

وفي كتاب «صفة الجنَّة» لأبي نعيم من حديث أبان، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء أعرابي إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: ما ثمن الجنَّة؟ قال: «لا إله إلا الله»[٢]. وشواهد هذا الحديث كثيرةٌ جدًّا.

وفي «الصحيحين»[٣] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنَّ أعرابيًّا جاء إلىٰ رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، دُلَّني علىٰ عملٍ إذا عملته دخلتُ الجنَّة، فقال: «تعبد الله لا تشركُ به شيئًا، وتقيمُ الصلاة المكتوبة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصومُ رمضان» قال: «والَّذي نفسي بيده لا أزيدُ علىٰ هذا شيئًا أبدًا ولا أنقصُ منه، فلمَّا ولَّىٰ قال: «من سرَّهُ أنْ ينظرَ إلىٰ رجلٍ من أهل الجنَّة فلينظر إلىٰ هذا».

وفي «صحيح مسلم»[٤] عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتىٰ النعمان بن قَوْقَل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إذا صليت المكتوبة، وحرَّمت الحرام، وأحللتُ الحلال، أدخل الجنَّة؟ فقال النَّبي ﷺ: «**نعم**».

وفي «صحيح مسلم»[٥] عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ماتَ وهو يعلمُ أن لا إله إلا الله دخلَ الجنَّة**».

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥٠)، والبخاري في «تاريخه» (٢/ ١١١) وغيرهما. والحديث منكرٌ بهذا الإسناد، ولذا قال الترمذي: «حسنٌ غريب»، وأما المتن فجاء من حديث أبي عند أبي نعيم وصححه الترمذي.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة»، (٥١). وإسناده واهٍ جدًّا، مسلسل بالمتروكين.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٣٣)، ومسلم (١٤).

(٤) برقم (١٥).

(٥) برقم (٢٦).

وفي «المسند» و«سنن أبي داود» عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقولُ: «**من كانَ آخرُ كلامه: لا إله إلا الله، دخل الجنَّة**»[1].

وفي «الصحيحين»[2] عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتاني آتٍ من ربي فأخبرني -أو قال- فبشرني أنَّه من ماتَ من أمتك لا يشرك باللهِ شيئًا دخل الجنَّة، قلتُ: وإن زنىٰ وإنْ سرق؟ قال: وإنْ زنىٰ وإن سرق**».

وفي «الصحيحين»[3] من حديث عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال: أشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبدُهُ ورسوله، وأنَّ عيسىٰ عبدُ اللهِ ورسوله، وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروحٌ منه، وأنَّ الجنَّة حقٌّ، وأنَّ النَّار حقٌّ، أدخلهُ اللهُ من أيِّ أبواب الجنَّة الثمانية شاء**».

وفي لفظٍ: «أدخله اللهُ الجنَّة علىٰ ما كان من عمل»[4].

وفي «صحيح مسلم»[5]: «أنَّ رسول الله ﷺ أعطىٰ أبا هريرة نعليه فقال: «**اذهبْ بنعليَّ هاتين، فمن لقيتَ من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبُهُ، فبشِّره بالجنَّة**».

وقال روح بن عبادة عن حبيب بن الشهيد عن الحسن قال: «ثمنُ الجنَّة لا إله إلا الله»[6].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣١١٦) وأحمد (٥/ ٢٣٤) وغيرهما، وصحح إسناده الحاكم.

(٢) البخاري (١١٨٠)، ومسلم (٩٤).

(٣) البخاري (٣٢٥٢)، ومسلم (٢٨).

(٤) راجع المصدرين السابقين.

(٥) برقم (٣١).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٣/ ٥٢٩)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٥٠). وإسناده صحيح.

وروىٰ أبو نعيم: من حديث أبي الزبير، عن جابر رضي الله عنه سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا يُدْخِلُ أحدًا منكم عمله الجنَّة، ولا يجيره من النَّار، ولا أنا إلا بتوحيد الله»[1]، وإسنادُه علىٰ شرط مسلم، وأصل الحديث في الصحيح.

فصل

ص(١٧٦)

وها هنا أمرٌ يجب التنبيه عليه وهو: أنَّ الجنَّة إنما تُدْخَلُ برحمة الله، وليس عمل العبد مستقلًّا بدخولها وإن كان سببًا، ولهذا أثبت الله تعالىٰ دخولها بالأعمال في قوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت:٨]، ونفىٰ رسول الله ﷺ دخلوها بالأعمال في قوله: «**لنْ يدخل أحدٌ منكم الجنَّة بعملِهِ**»[2].

ولا تنافي بين الأمرين لوجهين:

أحدهما: ما ذكره سفيان وغيره قال: «كانوا يقولون: النجاة من النار بعفو الله، ودخول الجنَّة برحمتِهِ، واقتسام المنازل والدرجاتِ بالأعمال»[3].

ويدل علىٰ هذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه الَّذي سيأتي إنْ شاء الله[4]، «أنَّ أهل

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٥٢)، وأخرجه مسلم (٢٨١٧) إلا أنَّه فيه: «برحمة من الله» بدلًا من «بتوحيد الله»، وعنده أيضًا بلفظ: «قاربوا وسدِّدوا، فإنَّه ليس أحدٌ منكم ينجيه عمله، قالوا: ولا إيَّاك يا رسول الله؟ قال: ولا إيَّايَ، إلا أنْ يتغمدني الله برحمته» وعليه فلفظة «بتوحيد الله» شاذة، والله أعلم.

(٢) أخرجه البخاري في «تاريخه الكبير» (٤/ ٢٣٩)، والطبراني في «الكبير»: (٧/ ٢٣٩ و ٣٧٠) وغيرهما، وأصح منه ما جاء عند مسلم (٢٨١٦) من حديث أبي هريرة وفيه «واعلموا أنه لن ينجوَ أحدٌ منكم بعمله».

(٣) ذكر ابن الجوزي في «كشف المشكل» (٣/ ١١٠): «أنَّهُ قد روي في بعض الأحاديث أنَّ نفسَ دخول الجنَّة بالرحمة، واقتسام الدرجات بالأعمال».

(٤) في الباب (٦٠) ص (٣٧٠، ٣٧١).

الجنَّة إذا دخلوها، نزلوا فيها بفضل أعمالهم»[١]، رواه الترمذي.

والثاني: أنَّ الباء التي نَفَتِ الدخول هي باء المعاوضة التي يكون فيها أحد العِوَضين مقابلًا للآخر، والباء التي أثبتت الدخول هي باء السَّببية التي تقتضي سَبَبِيَّة ما دخلت عليه لغيره، وإنْ لم يكن مستقلًّا بحصوله، وقد جمع النَّبي ﷺ بين الأمرين في قوله: «**سدِّدوا وقاربوا وابشروا، واعلموا أنَّ أحدًا منكم لن ينجوَ بعمله. قالوا: ولا أنتَ يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أنْ يتغمدني الله برحمته**»[٢].

ومن عرف الله سبحانه، وشَهِدَ مَشْهد حقِّه عليه، ومشهد تقصيره وذنوبه، وأبصرَ هذين المشهدين بقلبه عرف ذلك وجزم به، والله سبحانه وتعالىٰ المستعان.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٤٩)، وابن ماجه (٤٣٣٦)، وابن حبان (١٦/ ٧٤٣٨) وغيرهم. وهو ضعيف.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ص(١٧٩)

الباب العشرون

في طلب أهل الجنَّة لها من ربِّهم، وطلبها لهم، وشفاعتها فيهم إلى ربها عَزَّ وَجَلَّ

قال تعالىٰ حكايةً عن أولي الألباب من عباده قولهم: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾ [آل عمران:١٩٣-١٩٤].

والمعنىٰ: وآتنا ما وعدتنا علىٰ ألسنةِ رُسُلِكَ من دخول الجنَّة.

وقالت طائفة: معناه، وآتنا ما وعدتنا علىٰ الإيمان برسلك.

وليس يسهل حذف الاسم والحرف معًا، إلا أنْ يُقدَّر علىٰ تصديق رسلك وطاعة رسلك، وحينئذٍ فيتكافأ التقديران، ويترجَّح الأوَّل بأنَّه قد تقدَّم قولهم: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ ﴾ [آل عمران:١٩٣]. وهذا صريح في الإيمان بالرسول والمُرْسِل، ثمَّ توسلوا إليه بإيمانهم أن يؤتيهم ما وعدهم علىٰ ألسُنِ رسله، فإنهم إنَّما سمعوا وعده لهم بذلك من الرسل، وذلك أيضًا يتضمن التصديق بهم، وأنَّهم بلَّغوهم وَعْدَهُ فصدَّقوا به، وسألوه أن يؤتيهم إيَّاهُ، وهذا هو الَّذي ذكره السلف والخلف في الآية.

وقيل: المعنىٰ وآتنا ما وعدتنا من النَّصر والظَّفَر علىٰ ألسنة الرسل.

والأوَّل أعمُّ وأكمل.

وتأمَّل: كيف تضمَّن إيمانهم به الإيمان بأمره ونهيه ورسله ووعده ووعيده،

وأسمائه وصفاته وأفعاله، وصِدق وَعْدِه، والخوف من وعيده واستجابتهم لأمره، فبمجموع ذلك صاروا مؤمنين بربهم تعالىٰ، فبذلك صحَّ لهم التوسل إلىٰ سؤال ما وعدهم به والنجاة من عذابه.

وقد أشكَلَ علىٰ بعض النَّاس سؤالهم أن ينجز لهم وعده، مع أنَّه فاعل لذلك ولا بُدَّ.

وأجاب: بأنَّ هذا تعبُّدٌ مَحْضٌ، كقوله: ﴿رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ﴾ [الأنبياء:١١٢]، وقول الملائكة: ﴿فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾ [غافر:٧]، وخفيَ علىٰ هؤلاء أنَّ الوعد معلَّقٌ بشروطٍ منها:

الرغبة إليه سبحانه وسؤاله أنْ ينجزه لهم.

كما أنَّه مُعَلَّقٌ بالإيمان وموافاتهم به.

وأنْ لا يلحقه ما يحبطه.

فإذا سألوه سبحانه أنْ ينجز لهم ما وعدهم تضمن ذلك توفيقهم وتثبيتهم وإعانتهم علىٰ الأسباب التي ينجز لهم بها وعده، وكان هذا الدعاءُ من أهمِّ الأدعية وأنفعها، وهم أحوجُ إليه من كثير من الأدعية.

وأمَّا قوله تعالىٰ: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ﴾ [الأنبياء:١١٢]، فهذا سؤال له سبحانه أن ينصرهم علىٰ أعدائهم، فيحكم لهم عليهم بالنَّصر والغلبة.

وكذلك سؤال الملائكة ربهم أنْ يغفر للتَّائبين، هو من الأسباب التي توجب بها لهم المغفرة، فهو سبحانه نَصَبَ الأسباب التي يفعل بها ما يريده بأوليائه وأعدائه، وجعلها أسبابًا لإرادته، كما جعلها أسبابًا لوقوع مراده، فمنه السَّبَبُ والمُسَبَّبُ.

وإنْ أشكل عليك ذلك، فانظر إلىٰ خلقه الأسباب التي توجب محبته وغضبه، فهو يحب ويرضىٰ، ويغضب ويسخط عن الأسباب التي خلقها وشاءها، فالكل منه وبه، فهو مبتدئٌ من مشيئته، وعائدٌ إلىٰ حكمته وحمده.

وهذا بابٌ عظيمٌ من أبواب التوحيد لا يَلِجُهُ إلا العالمون بالله.

ونظيرُ هذه الآية في سؤاله ما وعد به قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾ [الفرقان:١٥-١٦]، يسألهُ إيَّاهُ عباده المؤمنون، ويسأله إيَّاهُ ملائكته لهم، فالجنَّةُ تسأل ربها أهلها، وأهلها يسألونه إيَّاها، والملائكة تسألها لهم، والرسل يسألونه إيَّاها لهم ولأتباعهم، ويوم القيامة يُقِيمهم سبحانه بين يديه يشفعون فيها لعباده المؤمنين، وفي هذا من تمام ملكه وإظهار رحمته وإحسانه وجوده وكرمه وإعطائه ما سُئِلَ = ما هو من لوازم أسمائه وصفاته، واقتضائها لآثارها ومتعلقاتها، فلا يجوز تعطيلها عن آثارها وأحكامها، فالربُّ تعالىٰ جوادٌ له الجُوْد كله، يحب أنْ يُسْأَل ويُطْلَبُ منه ويُرْغبُ إليه، فَخَلَقَ مَنْ يسأله وأَلْهَمه سؤاله، وخلق له ما يسأله إيَّاهُ، فهو خالق السائل وسؤاله ومَسْؤوله، وذلك لمحبته لسؤال عباده له، ورغبتهم إليه، وطلبهم منه، وهو يغضبُ إذا لم يُسْأل.

وأحب خلقه إليه أكثرهم وأفضلهم له سؤالًا، وهو يُحب المُلِحِّين في الدعاء، وكلَّما ألحَّ العبد عليه في السؤال أحبَّهُ وأعطاهُ.

وفي الحديث: «**مَنْ لم يسأل الله يغضب عليه**»[(١)].

فلا إله إلا اللهُ، أيُّ جنايةٍ جَنَتْ القواعد الفاسدة علىٰ الإيمان، وحالتْ بين القلوب وبين معرفة ربِّها وأسمائه، وصفات كماله ونعوت جلاله و ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:٤٣].

قال أبو نعيم الفضل: حدثنا يونس -هو ابن أبي إسحاق- حدثنا بُرَيد ابن

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٧٣) وابن ماجه (٣٨٢٧). وهو حديثٌ منكرٌ، تفرد به الخوزي وهو متكلمٌ فيه.

أبي مريم قال: قال أنس بن مالك: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلمٍ يسألُ اللهَ الجنَّة ثلاثًا إلا قالت الجنَّةُ: الَّلهم أدخلهُ الجنَّة، ومن استجارَ باللهِ من النَّار ثلاثًا قالت النَّارُ: اللهم أجِرْهُ من النَّار**»[1]، رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه عن هناد بن السري، عن أبي الأحوص عن أبي إسحاق عن بُرَيد به.

وقال الحسن بن سفيان: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير عن ليث عن يونس بن خَبَّاب عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما سأل الله عبدٌ الجنَّة في يومٍ سبع مرَّات إلا قالت الجنَّة: يا ربِّ إنَّ عبدكَ فلانًا سألني فأدخلنيه»[2].

وقال أبو يعلىٰ الموصلي: حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب حدثنا جرير عن يونس عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما استجارَ عبدٌ من النَّار سَبْعَ مرَّاتٍ إلا قالت النَّارُ: يا رب إنَّ عبدك فلانًا استجار منِّي فأجِرْهُ، ولا يسأل عبدٌ الجنَّة سبع مرَّاتٍ إلا قالت الجنَّة: يا ربَّ إنَّ عبدَك فلانًا سألني فأدخله الجنَّة». وإسناده علىٰ شرط الصحيحين.

وقال أبو داود في «مسنده»: حدثنا شعبة: حدثني يونس بن خباب: سمع أبا علقمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال: أسألُ اللهَ الجنَّة سبعًا، قالتِ الجنَّة: الَّلهم أدخله الجنَّة**».

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٢٦٢) وابن حبان في «صحيحه» (١٠١٤)، والطبراني في «الدعاء» (١٣١٢)، وغيرهم، وله طرق أخرىٰ، والحديث صححه ابن حبان والحاكم والضياء بتخريجهم له.

(٢) هذا الحديث والَّلذان بعده يرويها أبو علقمة، واختلف عليه، والصحيح أنَّه موقوفٌ علىٰ أبي هريرة، أو مقطوع من قول أبي علقمة.

وقال الحسن بن سفيان: حدثنا المُقَدَّمي عمر بن علي، عن يحيىٰ ابن عبيد الله عن أبيه عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكثروا مسألةَ اللهِ الجنَّة واستعيذوا به من النَّارِ؛ فإنَّهما شافعتانِ مشفعتان، وإنَّ العبدَ إذا أكثر من مسألةِ اللهِ الجنَّة، قالت الجنَّة: يا ربِّ عبدُك هذا الَّذي سألنيك فأسكنه إياي، وتقول النار: يا ربِّ عبدُكَ هذا الَّذي استعاذ بك منِّي فأعذْهُ**»[١].

وقد كان جماعةٌ من السلفِ لا يسألون اللهَ الجنَّة ويقولون: حسبنا أن يُجِيرنا من النَّار.

- فمنهم أبو الصَّهباء صِلَة بن أَشْيَم: صلَّىٰ ليلةً إلىٰ السَّحَرِ، ثمَّ رفعَ يديه وقال: «اللَّهمَّ أجرني من النَّار: أو مِثْلِي يَجْتَرِئُ أنْ يسألك الجنَّة؟»[٢].

- ومنهم عطاء السُّليمي: كان لا يسأل الجنَّة، فقال له صالح المُرِّي: إنَّ أبانَ حدثني عن أنس أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**يقولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: انظروا في ديوانِ عبدي، فمن رأيتموه سألني الجنَّة أعطيتُهُ، ومن استعاذني من النَّارِ أعذته**»[٣]. فقال عطاء: كفاني أنْ يُجيرني من النَّارِ. ذكرهما أبو نعيم.

وقد روىٰ أبو داود في «سننه» من حديث جابر في قصة معاذ وتطويله بهم، أنَّ النَّبي ﷺ قال لفتىٰ -يعني الَّذي شكاه- «**كيفَ تصنعُ يا ابن أخي إذا صليتَ؟**» قال: أقرأُ بفاتحة الكتاب وأسألُ اللهَ الجنَّة وأعوذُ به من النَّار، وإنِّي لا أدري ما دندنتُكَ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٧٠)، والديلمي في مسند الفردوس (٢١٣) مختصرًا. وسنده ضعيف.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٤٠) وفيه قصة. وسنده لا بأس به.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء»: (٦/ ١٧٥)، وفي «صفة الجنَّة» (٧١). وسنده ضعيف جدًّا.

ودندنة(١) معاذ؟ فقال النَّبي ﷺ: «**إنِّي ومعاذًا حولها ندندن**»(٢).

وفي «سنن أبي داود» من حديث محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يُسْأَلُ بوجهِ اللهِ إلا الجنَّة**»(٣).

رواهُ أحمد بن عمرو العُصْفُرِي حدثنا يعقوب بن إسحاق حدثنا سليمان بن معاذ عن محمد فذكره.

وقد تقدَّم في أوَّل الكتاب(٤) حديث الليث عن معاوية بن صالح عن عبد الملك بن أبي بشير يرفع الحديث: «ما من يومٍ إلا والجنَّة والنَّار تسألانِ، تقول الجنَّة: يا ربِّ قد طابت ثماري، واطَّردت أنهاري، واشتقت إلىٰ أوليائي، فعجِّل إليَّ بأهلي» الحديث.

فالجنَّة تطلب أهلها بالذَّات، وتجذبهم إليها جذبًا، والنَّار كذلك، وقد أمرنا رسول الله ﷺ أنْ لا نزال نذكرهما ولا ننساهما.

كما روىٰ أبو يعلىٰ الموصلي في «مسنده»: حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل حدثنا أيوب بن شبيب الصنعاني قال: كان فيما عرضنا علىٰ رباح بن زيد حدثني عبد الله بن بَحِيْر سمعت عبد الرحمن بن يزيد يقول: سمعت عبد الله بن عمر يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا تنسُوا العظيمتين» قلنا: وما العظيمتان يا

(١) الدَّنْدنة: أن يتكلم الرجل بالكلام تسمع نغمته ولا يُفْهَمُ، وهو أرفع من الهيْمَنَة قليلاً.

(٢) أخرجه أبو داود (٧٩٣)، وابن خزيمة (١٦٣٤)، وصححه.

(٣) أخرجه أبو داود (١٦٧١)، وابن منده في «الرد علىٰ الجهمية» (٨٩)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٢٥٧). وهذا الحديث تفرَّد به سليمان بن معاذ، وهو ليِّن الحديث، وجعله ابن عدي من منكراته.

(٤) ص (٤٢ - ٤٣).

رسول الله؟ قال: «الجنَّة والنَّار»[١].

وذكر أبو بكر الشافعي من حديث كُلَيب بن حَزْن قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اطلبُوا الجنَّة جُهدكم، واهربوا من النَّار جهدكم، فإنَّ الجنَّة لا ينامُ طالبُها، وإنَّ النَّارَ لا ينامُ هاربُها، وإنَّ الآخرة اليوم محفوفةٌ بالمكاره وإنَّ الدنيا محفوفةٌ باللَّذات تقرَّب المسافة والشهوات، فلا تلهينَّكم عن الآخرة**»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في «تاريخه الكبير» (١/ ٤١٧)، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٦٦). وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤٤٩)، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٣٠) وغيرهما. وإسناده ضعيف.

ص(١٩١)

الباب الحادي والعشرون

في أسماء الجنة ومعانيها واشتقاقها

ولها عِدَّةُ أسماءٍ باعتبار صفاتها، ومسماها واحد باعتبار الذَّات، فهي مترادفة من هذا الوجه، وتختلف باعتبار الصفات فهي متباينة من هذا الوجه، وهكذا أسماء الرب تعالىٰ وأسماء كتابه، وأسماء رسوله، وأسماء اليوم الآخر، وأسماء النَّار.

الاسم الأوَّل: الجنَّة:

وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار، وما اشتملت عليه من أنواع النَّعيم واللَّذة والبهجة والسرور وقرَّة الأعين.

وأصل اشتقاق هذه اللفظة من السِّتر والتغطية. ومنه الجنين: لاستتاره في البطن، والجان: لاستتاره عن العيون، والمِجَن: لستره، ووقايته الوجه، والمجنون: لاستتار عقله وتواريه عنه، والجانّ: وهي الحية الصغيرة الدقيقة، ومنه قول الشاعر:

فَدَقَّتْ وَجَلَّتْ واسْبَكَرَّتْ وأكملت... فلوجُنَّ إنسانٌ من الحُسن جُنَّت

أي لو غُطِّي وسُتِرَ عن العيون لفُعِلَ بها ذلك، ومنه سمِّي البستان جَنَّة؛ لأنَّه يستر داخله بالأشجار ويغطِّيه، فلا يستحق هذا الاسم إلا موضع كثير الشَّجَر مختلف الأنواع، والجُنَّة -بالضَّمِّ- ما يُسْتَجَنُّ به من تُرْسٍ أو غيره.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً﴾ [المجادلة:١٦] أي: يَتَتَرَّسُونَ بها من إنكار المؤمنين عليهم.

ومنه الجِنَّة: -بالكسر- وهو الجِنُّ، كما قال تعالىٰ: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس:٦]، وذهبت طائفة من المفسرين إلىٰ أنَّ الملائكة يسمون جِنَّة، واحتجوا

بقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ﴾ [الصافات:١٥٨] قالوا: وهذا النسب قولهم: الملائكة بناتُ اللهِ، ورجحوا هذا القول بوجهين:

أحدهما: أنَّ النَّسب الَّذي جعلوه إنَّما زعموا أنَّه بين الملائكة وبينه، لا بين الجِنّ وبينه.

الثاني: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات:١٥٨]. أي: قد علمت الملائكة أنَّ الَّذين قالوا هذا القول محضرون العذاب.

والصحيح خلاف ما ذهب إليه هؤلاء، وأنَّ الجِنَّة هم الجن أنفسهم كما قال تعالىٰ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس:٦].

وعلىٰ هذا ففي الآية قولان:

أحدهما: قول مجاهد، قال: «قالت كفار قريش: الملائكة بناتُ اللهِ، فقال لهم أبو بكر: فمن أمهاتهم؟ فقالوا: سَرَوات الجن»(١).

وقال الكلبي: «قالوا تزوج من الجن فخرج من بينهما الملائكة»(٢).

وقال قتادة: «قالوا: صاهر الجِن»(٣).

والقول الثاني: قول الحسن قال: «أشركوا الشياطين في عبادة اللهِ، فهو النسب الَّذي جعلوه»(٤).

والصحيح قول مجاهد وغيره، وما احتج به أصحاب القول الأوَّل ليس

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٠٨) وسنده حسن إلىٰ مجاهد، و«سروات الجِنِّ»: أي: أشرافهم.

(٢) ذكره الواحدي في تفسيره الوسيط (٣/ ٥٣٤).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٥٦٠). وسنده صحيح.

(٤) ذكره الماوردي في تفسيره النكت والعيون (٥/ ٧٠).

بمستلزم لصحة قولهم؛ فإنَّهم لمَّا قالوا الملائكة بناتُ اللهِ، وهم من الجِنِّ عقدوا بينه وبين الجنِّ نسبًا بهذا الإيلاد، أو جَعَلُوا هذا النَّسَبَ متولِّدًا بينه وبين الجِنَّة. وأمَّا قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ فالضمير يرجعَ إلىٰ الجِنَّة، أي: قد علمت الجِنَّة أنَّهم محضرون الحساب، قاله مجاهد[1]. أي لو كان بينه وبينهم نسَب لم يحضروا الحساب، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ [المائدة:١٨]، فجعل سبحانه وتعالىٰ عقوبتهم بذنوبهم وإحضارهم للعذاب مبطلًا لدعواهم الكاذبة، وهذا التقدير في الآية أبلغ في إبطال قولهم من التقدير الأوَّل، فتأمله، والمقصود ذكر أسماء الجنَّة.

ص(١٩٤)

فصل

الاسم الثاني: دارُ السَّلام:

وقد سمَّاها اللهُ تعالىٰ بهذا الاسم في قوله: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام:١٢٧]، وقوله ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس:٢٥]، وهي أحقُّ بهذا الاسم، فإنَّها دار السلامة من كلِّ بليةٍ وآفةٍ ومكروهٍ، وهي دار اللهِ، واسمه سبحانه وتعالىٰ السَّلام الَّذي سلَّمها، وسلَّم أهلها: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [يونس:١٠]، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد:٢٣،٢٤]، والرب تعالىٰ يسلم عليهم من فوقهم، كما قال تعالىٰ: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٧-٥٨]، وسيأتي حديث جابر[2] في سلام الربِّ تبارك وتعالىٰ عليهم في الجنَّة، وكلامهم كلُّه فيها سلام، أي: لا لغو فيه ولا فحش ولا باطل، كما قال تعالىٰ: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا﴾ [مريم:٦٢].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٠٨).

(٢) في ص (٤٣٦، ٤٣٧).

وأمَّا قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة:٩٠-٩١] فأكثر المفسرين حامُوا حولَ المعنىٰ وما وردُوْهُ، وقالوا أقوالًا لا يخفىٰ بُعْدها عن المقصود؛ وإنَّما معنىٰ الآية والله أعلمُ: فسلام لك أيُّها الرَّاحِلُ عن الدنيا حالَ كونك من أصحاب اليمين، أي: فسلامه لك كائنًا من أصحاب اليمين الَّذين سَلِمُوا من الدنيا وأنكادها، ومن النَّار وعذابها، فَبُشِّر بالسَّلامة عند ارتحاله من الدنيا، وقدومه علىٰ اللهِ تعالىٰ، كما يُبَشر الملك رُوْحَه عند أخذها بقوله: «أبشري برَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وربٍّ غير غضبان»[1]، وهذا أوَّل البُشرىٰ التي للمؤمن في الآخرة.

فصل

ص(١٩٦)

الاسم الثالث: دار الخلد

وسُمِّيت بذلك؛ لأنَّ أهلها لا يظعنون عنها أبدًا، كما قال تعالىٰ: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨] وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص:٥٤]، وقال: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد:٣٥] وقال: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٨].

وسيأتي إبطال قول من قال من الجهمية والمعتزلة بفنائها، أو فناء حركاتِ أهلها إنْ شاء اللهُ تعالىٰ[2].

فصل

ص(١٩٦)

الاسم الرَّابع: دار المُقامة

قال تعالىٰ حكاية عن أهلها: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [فاطر:٣٤-٣٥].

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٦٢)، وأحمد (٢/ ٣٦٤) وغيرهما. وسنده صحيح. وله طرقٌ عن أبي هريرة عند مسلم (٢٨٧٢)، وغيره.

(٢) في ص (٤٧٥ - ٤٧٨).

قال مُقَاتِل: «أنزلنا دار الخلود، أقاموا فيها أبدًا، لا يموتون، ولا يتحولون منها أبدًا»[١].

قال الفرَّاء والزَّجاج: «المقامة مثل الإقامة، يقال: أقمتُ بالمكان إقامة، ومقامة، ومقامًا».

ص(١٩٧)

فصل

الاسم الخامس: جنَّة المأوى

قال تعالىٰ: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ﴾ [النجم:١٥] والمأوىٰ: مَفْعَل من أوىٰ يأوي، إذا انضمَّ إلىٰ المكان، وصار إليه واستقرَّ به.

وقال عطاء عن ابن عباس: «هي الجنَّة التي يأوي إليها جبريل والملائكة»[٢].

وقال مقاتل والكلبي: «هي جنَّة تأوي إليها أرواح الشهداء»[٣].

وقال كعب: «جنَّة المأوىٰ: جنَّةٌ فيها طير خضر ترتعي فيها أرواح الشهداء»[٤].

وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وزِرُّ بن حُبَيْش: «هي جنَّة من الجنان»[٥].

والصحيح أنَّه اسمٌ من أسماء الجنَّة كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [النازعات:٤٠-٤١]، وقال في النَّار: ﴿فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [النازعات:٣٩] وقال: ﴿وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [العنكبوت:٢٥].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل: (٣/ ٧٨).

(٢) ذكره الواحدي في تفسيره الوسيط (٤/ ١٩٨)، ومعالم التنزيل للبغوي (٧/ ٤٠٦).

(٣) انظر: تفسير مقاتل: (٣/ ٢٩٠)، والوسيط للواحدي (٤/ ١٩٨).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤١٠٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٣٨١). وسنده صحيح.

(٥) لم أقف عليه.

فصل

ص(١٩٨)

الاسم السادس: جنَّات عدن

فقيل: هو اسم لجنَّةٍ من جملة الجنَّات، والصحيح أنَّه اسمٌ لِجُملة الجنَّات، فكلها جنَّات عدن، قال تعالىٰ: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [مريم:٦١]، وقال تعالىٰ: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر:٣٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [الصف:١٢]. والاشتقاق يدلُّ علىٰ أنَّ جميعها جنَّاتُ عدنٍ، فإنَّه من الإقامة والدَّوامِ. يقال: عَدَن بالمكان: إذا أقام به، وَعَدَنْتُ البلد: توطَّنْتُهُ، وعَدَنتِ الإبل بمكان كذا: لَزِمَتْهُ فلم تبرح منه.

قال الجوهري: «ومنه جنَّات عدن أي جنَّات إقامة، ومنه سمي المَعْدِن -بكسر الدَّالِ-؛ لأنَّ النَّاس يقيمون فيه الصيف والشتاء، ومركز كل شيءٍ معدنه. والعادن: النَّاقة المقيمة في المرعىٰ».

فصل

ص(١٩٩)

الاسم السَّابع: دار الحيوان

قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت:٦٤] والمراد: الجنَّة عند أهل التفسير، قالوا: وإنَّ الآخرة يعني: الجنة. لهي الحيوان: لهي دار الحياة التي لا موت فيها.

وقال الكلبي: «هي حياة لا موت فيها». وقال الزجاج: «هي دار الحياة الدائمة».

وأهل اللغة علىٰ أنَّ الحيوان بمعنىٰ: الحياة.

قال أبو عبيدة وابن قتيبة: «الحياةُ: الحيوان». قال أبو عبيدة: «الحياة والحيوان والحِي -بكسر الحاء- واحد». قال أبو علي: «يعني أنَّها مصادر، فالحياة فَعَلة

كالحَلَبَة، والحيوان: كالنَّزوان والغَلَيان، والحِيُّ: كالعِيِّ، قال العَجَّاج:

كنَّـا بِهَـا إذِ الحيـاةُ حِـيّ

أي: إذِ الحياة حياة».

وأمَّا أبو زيد فخالفهما وقال: «الحيوان ما فيه روح، والموتان والموات ما لا روح فيه».

والصواب: أنَّ الحيوان يقع علىٰ ضربين: أحدهما: مصدر، كما حكاه أبو عبيدة. والثاني: وصف كما حكاه أبو زيد، وعلىٰ قول أبي زيدٍ الحيوان مثل: الحَيِّ خلاف الميِّت، ورُجِّحَ القول الأول؛ بأنَّ الفَعَلان بابُهُ المصادر؛ كالنَّزوان والغَلَيان، بخلاف الصِّفات، فإنَّ بابها فَعْلَان كَسَكْران وغضبان.

وأجاب من رَجَّح القول الثاني، بأنَّ فَعَلان قد جاء في الصِّفات أيضًا، قالوا: رجل صَمَيَان: للسريع الخفيف، وزَفَيَان. قال في «الصحاح»: ناقة زفيان: سريعة. وقوس زفيان: سريعة الإرسال للسهم». فيحتمل قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت:٦٤] معنيين:

أحدهما: أنَّ حياة الآخرة هي الحياة؛ لأنَّه لا تنغيص فيها ولا نفاد لها: أي لا يشوبها ما يشوب الحياة في هذه الدار، فيكون الحيوان مصدرًا علىٰ هذا.

الثاني: أنْ يكون المعنىٰ: أنَّها الدار التي لا تفنىٰ ولا تنقطع، ولا تبيد كما يفنىٰ الأحياء في هذه الدنيا، فهي أحق بهذا الاسم من الحيوان الَّذي يفنىٰ ويموت.

فصل

ص(٢٠١)

الاسم الثامن: الفردوس.

قال الله تعالىٰ: ﴿أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون:١٠-١١]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف:١٠٧].

والفردوس: اسم يُقال على جميع الجنة، ويقال على أفضلها وأعلاها، كأنَّه أحق بهذا الاسم من غيره من الجنات.

وأصل الفردوس: البستان، والفراديس: البساتين. قال كعب: «هو البستان الَّذي فيه الأعناب»[١]. قال الليث: «الفردوس: جنة ذات كروم. يقال: كرم مُفَرْدَس: أي مُعَرَّش». وقال الضحاك: «هي الجنَّة الملتفة بالأشجار»[٢]، وهو اختيار المُبَرَّد. وقال: الفردوس فيما سمعت من كلام العرب: الشجر المُلْتَف، والأغلب عليه العنب، وجمعه: الفراديس: قال: وبهذا سمي الفراديس بالشام، وأنشد لجرير:

فقلت للرَّكب إذْ جدَّ المسيرُ بنا ... يا بُعد يَبْرِينَ من باب الفراديس»

وقال مجاهد: «هو البستان بالرومية»[٣]. واختاره الزجاج، فقال: هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية. قال: وحقيقته أنَّه البستان الَّذي يجمع كل ما يكون في البساتين. قال حسان:

وإنَّ ثوابَ اللهِ كل مُخلَّدٍ ... جِنَانٌ من الفردوس فيها يُخلَّدُ

فصل

ص(٢٠٢)

الاسم التاسع: جنات النعيم

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ [لقمان:٨]، وهذا أيضًا اسمٌ جامعٌ لجميع الجنَّات، لما تضمنته من الأنواع التي يتنعم بها من المأكول والمشروب والملبوس والصُّور، والرَّائحة الطَّيِّبة والمنظر البهيج، والمساكن الواسعة، وغير ذلك من النَّعيم الظاهر والباطن.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٦) وسنده ضعيف.

(٢) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٥/ ٢١١).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٦) وسنده صحيح.

ص(٢٠٣)

فصل

الاسم العاشر: المقام الأمين

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان:٥١]، فالمقام: موضع الإقامة، والأمين: الآمن من كلِّ سوءٍ ومكروهٍ، وهو الَّذي قد جمع صفات الأمن كلها، فهو آمن من الزَّوال والخراب، وأنواع النُّغص، وأهله آمنون فيه من الخروج والنَّقص والنَّكد.

و﴿ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين:٣]: الَّذي قد أمن أهله فيه ممَّا يخاف منه سواهم.

وتأمَّل كيف ذكر سبحانه الأمن في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾، وفي قوله تعالىٰ: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان:٥٥] فجمع لهم بين أمن المكان وأمن الطعام، فلا يخافون انقطاع الفاكهة ولا سوء عاقبتها ومضرَّتها، وأمن الخروج منها، فلا يخافون ذلك، وأمن الموت فلا يخافون فيها موتًا.

ص(٢٠٤)

فصل

الاسم الحادي عشر والثاني عشر: مَقْعَدُ الصدق، وقَدَمُ الصدق

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر:٥٤-٥٥]، فسمَّىٰ الجنَّة مقعد صِدْقٍ، لحصول كل ما يُراد من المقعد الحسن فيها، كما يقال: مودَّة صادقة: إذا كانت ثابتة تامَّة، وحلاوة صادقة، وحملة صادقة، ومنه الكلام الصَّدق، لحصول مقصوده منه.

وموضوع هذه اللفظة في كلامهم: الصِّحة والكمال، ومنه الصَّدق في الحديث، والصدق في العمل، والصَّديق الَّذي يصدِّق قوله بالعمل، والصَّدق -بالفتح- الصُّلب من الرِّماح، ويقال للرجل الشجاع: إنَّه لذو مِصْدق أي صادق الحَمْلَة.

وهذا مِصْداق هذا: أي ما يُصدِّقه، ومنه الصَّداقة؛ لصفاء المودَّة والمُخالَّة،

ومنه صَدَقَنِي القتال، وصَدَقَنِي المودَّة، ومنه قدم الصِّدْق، ولسان الصَّدق، ومدخل الصدق، ومخرج الصَّدق، وذلك كله للحقَّ الثابت المقصود الَّذي يرغب فيه، بخلاف الكذب الباطل، الَّذي لا شيءَ تحته، ولا يتضمن أمرًا ثابتًا، وفُسِّرَ قدم الصَّدق: بالجنَّة، وفُسِّر بالأعمال التي تنال بها الجنَّة، وفُسِّر بالسَّابقة التي سبقت لهم من الله، وفُسِّر بالرسول الَّذي علىٰ يده وهدايته نالوا ذلك.

والتَّحقيق أنَّ الجميع حقَّ؛ فإنَّهم سبقت لهم من الله بذلك السابقة بالأسباب التي قدَّرها لهم علىٰ يد رسوله، وادَّخر لهم جزاءها يوم لقائه، ولسان الصَّدق هو لسان الثناء الصادق بمحاسن الأفعال، وجميل الطرائق، وفي كونه لسان صِدْق إشارة إلىٰ مطابقته للواقع، وأنَّه ثناء بحقًّ لا بباطل، ومدخل الصدق ومخرج الصدق هو المدخل والمخرج الَّذي يكون صاحبه فيه ضامنًا علىٰ اللهِ، وهو دخوله وخروجه بالله ولله، وهذه الدعوة من أنفع الدعاء للعبد، فإنَّه لا يزال داخلًا في أمرٍ وخارجًا من أمرٍ، فمتىٰ كان دخوله لله وبالله وخروجه كذلك، كان قد أُدْخِل مدخل صدق وأُخْرِجَ مخرج صدق.

ص(٢٠٦)

الباب الثاني والعشرون

في عدد الجنَّات، وأنَّها نوعان: جنتان من ذهب، وجنتان من فضة

الجنَّة: اسمٌ شامل لجميع ما حوته من البساتين والمساكن والقصور وهي جنات كثيرة جدًّا، كما روىٰ البخاري في «صحيحه»[1] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ أم الربيع بنت البراء -وهي أم حارثة بن سراقة- أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا نبي الله ألا تحدِّثني عن حارثة؟ -وكان قُتِل يوم بدرٍ أصابه سهمُ غَرْبٍ[2]-، فإنْ كان في الجنَّة صبرتُ، وإنْ كان غيرَ ذلك اجتهدت عليه في البكاء، قال: «يا أمَّ حارثة، إنَّها جنان في الجنَّة، وإنَّ ابنك أصاب الفردوس الأعلىٰ».

وفي «الصحيحين»[3] من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «**جنتان من ذهبٍ آنيتهما وحليتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أنْ ينظروا إلىٰ ربِّهم إلا رداء الكبرياء علىٰ وجهه في جنَّة عدنٍ**».

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦] فذكرهما ثمَّ قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٦٢] فهذه أربع. وقد اختلف في قوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ هل المراد به أنَّهما فوقهما، أو تحتهما علىٰ قولين:

(١) (٢٦٥٤).

(٢) «سهم غرب»: أي لا يُعْرف راميه.

(٣) البخاري (٤٥٩٧)، ومسلم (١٨٠). وقوله «وحليتهما» ليس في الصحيحين.

فقالت طائفة: من دونهما أي: أقرب منهما إلىٰ العرش، فيكونان فوقهما.

وقالت طائفة: بل معنىٰ من دونهما: تحتهما.

قالوا: وهذا المنقول في لُغة العرب إذا قالوا: هذا دون هذا، أي دونه في المنزلة، كما قال بعضهم لمن بالغ في مدحه: أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك.

وفي «الصحاح»: «دون: نقيض فوق، وهو تقصيرٌ عن الغاية، ثمَّ قال: ويقال: هذا دون هذا أي أقرب منه».

والسِّياق يدلُّ علىٰ تفضيل الجنتين الأولتين من عشرة أوجه:

أحدها: قوله: ﴿ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ﴾ [الرحمن:٤٨] وفيه قولان:

أحدهما: أنَّه جمع فَنَن، وهو الغصن. والثاني: أنَّه جمع فَنٍّ، وهو الصِّنْف: أي ذواتا أصنافٍ شتَّىٰ من الفواكه وغيرها، ولم يذكر ذلك في الَّلتين بعدهما.

الثاني: قوله: ﴿فِيهِمَا عَيۡنَانِ تَجۡرِيَانِ﴾ [الرحمن:٥٠]، وفي الأُخْرَيَيْنِ: ﴿فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن:٦٦]، والنَّضاخة: هي الفوَّارة، والجارية: السَّارحة، وهي أحسن من الفوَّارة، فإنَّها تتضمن الفوران والجريان.

الثالث: أنَّه قال: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ﴾ [الرحمن:٥٢] وفي الأخريين: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ﴾ [الرحمن:٦٨]، ولا ريب أنَّ وصف الأولتين أكمل.

واختلف في هذين الزوجين بعد الاتفاق علىٰ أنَّهما صِنْفان.

فقالت طائفة: الزوجان: الرَّطب واليابس الَّذي لا يقصر في فضله وجودته عن الرَّطْب، وهو مُتَمَتَّع به كما يُتَمَتع باليابس، وفيه نظرٌ لا يَخْفىٰ.

وقالت طائفة: الزوجان صنفٌ معروف، وصنف من شكله غريب.

وقالت طائفة: نوعان. ولم تزد.

والظَّاهر والله أعلم: أنَّه الحلو والحامض، والأبيض والأحمر؛ وذلك لأنَّ اختلاف أصناف الفاكهة أعجب وأشهىٰ، وألذ لِلْعَيْنِ والفَمِ.

الرَّابع: أنَّه قال: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ [الرحمن:٥٤]، وهذا تنبيهٌ عن فضل الظَّهائر وخطرها، وفي الآخرتين قال: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ [الرحمن:٧٦]، وفُسِّرَ الرَّفْرَف: بالمحابس والبُسُط، وفُسِّر: بالفُرُش، وفُسِّر: بالمحابس فوقها. وعلىٰ كل قول فلم يصفه بما وصف به فرش الجنتين الأَوَّلتين.

الخامس: أنَّه قال: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ [الرحمن:٥٤] أي قريب سهل يتناولونه كيف شاؤوا، ولم يذكر ذلك في الآخرتين.

السَّادس: أنَّه قال: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾ [الرحمن:٥٦] أي قد قَصَرْنَ طَرْفَهُنَّ علىٰ أزواجهنَّ، فلا يُرِدْنَ غيرهم لرضاهنَّ بهم، وتحببهنَّ لهم، وذلك يتضمن قصرهنَّ لطرف أزواجهنَّ عليهنَّ، فلا يدعهم حسنهنَّ أن ينظروا إلىٰ غيرهنَّ، وقال في الآخرتين: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ [الرحمن:٧٢]، ومن قصرت طرفها علىٰ زوجها باختيارها أكمل ممَّن قصرت بغيرها.

السَّابع: أنَّهُ وَصَفَهُنَّ بشبه الياقوت والمرجان في صفاء اللون، وإشراقه وحسنه، ولم يذكر ذلك في التي بعدها.

الثامن: أنَّه سبحانه قال في الجنتين الأَوَّلتين: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن:٦٠] وهذا يقتضي أنَّ أصحابهما من أهل الإحسان المطلق الكامل، فكان جزاؤهم بإحسان كامل.

التاسع: أنَّه بدأ بوصف الجنتين الأَوَّلتين، وَجَعَلَهُمَا جزاءً لمن خاف مقامه، وهذا يدل علىٰ أنَّهما أعلىٰ جزاء الخائف لمقامه، فرتَّب الجزاء المذكور علىٰ الخوف ترتيب المسبَّب علىٰ سببه، ولما كان الخائفون نوعين: مُقَرَّبين وأصحاب يمين، ذكر جَنَّتَي المقربين، ثمَّ ذكر جنَّتي أصحاب اليمين.

العاشر: أَنَّهُ قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٦٢] والسِّياق يدل علىٰ أنَّه نقيض فوق، كما قال الجوهري.

فإنْ قيل: فكيف انقسمت هذه الجِنَان الأربع علىٰ من خاف مقام ربه؟

قيل: لمَّا كان الخائفون نوعين كما ذكرنا، كان للمقربين منهم الجنتان العاليتان، ولأصحاب اليمين الجنتان اللتان دونهما.

فإنْ قيل: فهل الجنتان لمجموع الخائفين يشتركون فيهما، أم لكلِّ واحد جنتان وهما البستانان؟

قيل: هذا فيه قولان للمفسرين، ورُجِّح القول الثاني بوجهين: أحدهما: من جهة النقل. والثاني: من جهة المعنىٰ.

فأمَّا الَّذي من جهة النقل، فإنَّ أصحاب هذا القول رَووا عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «**هما بستانان في رياض الجنَّة**»(١).

وأمَّا الَّذي من جهة المعنىٰ فإنَّ إحدىٰ الجنتين جزاء أداء الأوامر، والثانية جزاء اجتناب المحارم.

فإنْ قيل: فكيف قال في ذكر النساء ﴿فِيهِنَّ﴾ في الموضعين، ولمَّا ذكر غيرهنَّ قال ﴿فِيهِمَا﴾؟

قيل: لما ذكر الفرش قال بعدها: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن:٧٠] ثمَّ أعاده في الجنتين الآخرتين بهذا اللفظ، ليتشاكل الَّلفظ والمعنىٰ. واللهُ أعلم.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٨٩) والقرطبي في «تفسيره» (١٧/ ١٧٧) دون سند.

وأخرج ابن مردويه (٦/ ٢٠٣ - الدر)، عن عياض بن تميم أنه سمع رسول الله ﷺ تلا ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦]، قال: «بستانان عرض كل واحد منهما مسيرة مائة عام...».

ص(٢١٢)

الباب الثالث والعشرون
في خلق الرَّبِّ تبارك وتعالى بعض الجِنَان بيده وغرسها بيده تفضيلًا لها على سائر الجنَّات

وقد اتخذ الرب تعالىٰ من الجنَّات دارًا اصطفاها لنفسه، وخصها بالقرب من عرشه، وغرسها بيده، فهي سيدة الجنان، واللهُ سبحانه يختار من كلِّ نوع أعلاه وأفضله، كما اختار من الملائكة: جبريل، ومن البشر: محمدًا ﷺ ومن السماوات: العُليا، ومن البلاد: مكة، ومن الأشهر: الحُرُم، ومن الليالي: ليلة القَدْر، ومن الأيام: يوم الجمعة، ومن الليل: وسطه، ومن الأوقات: أوقات الصلوات، إلىٰ غير ذلك، فهو سبحانه ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:٦٨].

قال الطبراني في «معجمه»: حدثنا مُطَّلب بن شعيب الأزدي حدثنا عبد الله بن صالح حدثني الليث. قال الطبراني: وحدثنا أبو الزِّنْباع رَوْح بن الفَرَج حدثنا يحيىٰ بن بُكَير، حدثنا الليث عن زيادة بن محمد الأنصاري عن محمد بن كعب القُرَظي عن فَضَالة بن عُبيد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ينزلُ اللهُ تعالىٰ في آخر ثلاث ساعاتٍ يَبْقَيْنَ من الليل، فينظرُ اللهُ في الساعة الأولىٰ منهنَّ في الكتاب الَّذي لا ينظر فيه غيرُهُ، فيمحو ما يشاء ويثبت، ثمَّ ينظر في الساعة الثانية في جنَّة عدنٍ وهي مسكنُهُ الَّذي يسكن، لا يكون معه فيها أحدٌ إلا الأنبياء والشهداء والصدِّيقون، وفيها ما لم يره أحد، ولا خطرَ علىٰ قلب بشر، ثمَّ يهبطُ آخر ساعة من الليل، فيقول: ألَا مستغفر يستغفرني فأغفر له؟ ألا سائلٌ يسألني فأعطيه؟ ألا داع يدعوني فأستجيب له؟ حتَّىٰ يطلعَ الفجرُ، قال تعالىٰ: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾**

[الإسراء:٧٨]. **فيشهده اللهُ تعالىٰ وملائكته»**[١].

وقال الحسن بن سفيان: حدثنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السَّرْح قال: حدثني خالي عبد الرحمن بن عبد الحميد بن سالم، حدثنا يحيىٰ بن أيوب، عن داود بن أبي هند، عن أنس بن مالك ﵁ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله بَنَىٰ الفردوس بيده، وحَظَرَهَا علىٰ كلِّ مشركٍ، وكلِّ مدمنِ خَمْرٍ سِكِّيرٍ**»[٢].

وقد ذكر الدارمي والنَّجاد وغيرهما من حديث أبي معشر: نجيح بن عبد الرحمن -مُتَكَلَّمٌ فيه- عن عون بن عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن أخيه عبد الله ابن عبد الله عن أبيه عبد الله بن الحارث ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خلق الله تبارك وتعالىٰ ثلاثة أشياء بيده: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده**» ثمَّ قال: «**وعزَّتي وجلالي لا يدخلها مُدمنُ خمرٍ ولا الدَّيوثُ**». قالوا: يا رسول الله، قد عرفنا مدمن الخمر، فما الدَّيُّوث؟ قال: «**الَّذي يُقِرُّ السُّوء في أهله**»[٣].

قلتُ: المحفوظ أنَّه موقوف.

قال الدَّارمي: حدثنا موسىٰ بن إسماعيل حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا عبيد بن مهران حدثنا مجاهد قال: قال عبد الله بن عمر: «**خَلَقَ اللهُ أربعة أشياء بيدهِ:**

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٦٣٥)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٩٣) وغيرهما. والحديث منكر.

ونزول الله ﷻ إلىٰ السماء الدنيا ثابت بأحاديث صحيحة.

(٢) أخرجه تمام في فوائده (٥٦، ٥٧ - الروض البسَّام)، وابن منده في «الردِّ علىٰ الجهمية» (٥١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٩٤ - ٩٥)، وغيرهم. وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٤١)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «العظمة» (١١١٧) مختصرًا، والدارقطني في «الصفات» (٢٨)، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٢٣). والحديث مرسل.

العرشَ، والقلمَ، وعَدن، وآدم، ثمَّ قال لسائِرِ الخلقِ كُنْ فكان»[١].

وحدثنا موسىٰ بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة عن عطاء بن السَّائب عن مَيْسرة قال: إنَّ اللهَ لم يمسَّ شيئًا من خلقه غير ثلاثٍ: «خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنَّة عدنٍ بيده»[٢].

وحدثنا محمد بن المنهال حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس عن كعب قال: «لم يخلق اللهُ بيده غير ثلاث: خلقَ آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنَّة عدْنٍ بيده. ثمَّ قال لها: تكلمي، قالت: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾»[٣].

وقال أبو الشيخ: حدثنا أبو يعلىٰ، حدثنا أبو الربيع، حدثنا يعقوب القُمِّي حدثنا حفص بن حميد عن شِمْر بن عطية قال: «خلق اللهُ جنَّة الفردوس بيده، فهو يفتحها كل يوم خميس، فيقول: ازدادي طيبًا لأوليائي، ازدادي حسنًا لأوليائي»[٤].

وذكر الحاكم عن مجاهد قال: «إنَّ اللهَ تعالىٰ غرس جنات عدن بيده، فلمَّا تكاملت أُغلقت فهي تفتح في كلِّ سَحَرٍ، فينظر اللهُ إليها فيقول: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾»[٥].

وذكر البيهقي من حديث البغوي حدثنا يونس بن عبيد الله البصري حدثنا عدي

---

(١) أخرجه الدارمي في «الردِّ علىٰ بشر المريسي» (٤٤ و ١١٢)، والحاكم (٣٢٤٤) وقال: «صحيح الإسناد».

(٢) أخرجه الدَّارمي في «النقض علىٰ بشر المريسي» (٤٥)، والطبري في «تفسيره» (١/ ١٨)، والأثر حسن.

(٣) أخرجه الدارمي في «النقض علىٰ بشر المريسي» (٤٦)، والآجري في «الشريعة» (٧٥٩). إسناده صحيح.

(٤) أخرجه حرب في «مسائله» ص (٤٠٧)، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (١٨١). وسنده حسن.

(٥) أخرجه البيهقي في «البعث» (٢٣٧)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ١).

بن الفضل عن الجُرَيري، عن أبي نَضْرَة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ أحاط حائط الجنَّة لبنةً من ذهب ولبنةً من فضة، وغرس غرْسها بيده، ثمَّ قال لها: تكلمي، فقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون:١]، فقال: طوبىٰ لك منزل الملوك**»[1].

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن المثنىٰ البزاز، حدثنا محمد ابن زياد الكلبي حدثنا بشر بن حسين عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خَلَقَ اللهُ جنَّة عدنٍ بيده، لَبنَةً من درَّةٍ بيضاءَ، ولبنةً من ياقوتةٍ حمراء، ولبنةً من زَبرجَدةٍ خضراءَ، ملاطها المسك، وحصباؤها اللؤلؤ، وحشيشها الزعفران، ثمَّ قال لها: انطقي، فقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، فقال الله عز وجل: وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل، ثمَّ تلا رسول الله ﷺ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾** [الحشر:٩][2].

وتأمَّل هذه العناية كيف جعل الجنَّة التي غرسها بيديه لمن خلقه بيديه ولأفضل ذريته = اعتناءً وتشريفًا وإظهارًا لفضل ما خلقه بيديه وشرفه، وتمييزه بذلك عن غيره، وبالله التوفيق، فهذه الجنَّة في الجنان؛ كآدم في نوع الحيوان.

وقد روىٰ مسلم في «صحيحه»[3] عن المغيرة بن شعبة عن النَّبي ﷺ قال: «**سأَلَ موسىٰ ربه: ما أدنىٰ أهل الجنَّة منزلةً؟ قال: رجلٌ يجيء بعدما دخل أهل**

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (١٤٠، ٢٣٧) وفي «الحلية» (٦/ ٢٠٤)، والبيهقي في «البعث» (٢٣٦). وإسناده ضعيف، وروي من وجه آخر موقوفًا، وهو الصحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٢٠)، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (١٧) مختصرًا. وهو حديث باطل.

(٣) برقم (١٨٩).

الجنَّة الجنَّة، فيقال له: أدخلِ الجنة، فيقول: ربِّ كيف وقد نزل النَّاس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم؟! فيقال له: أترضىٰ أنْ يكون لك مثل مَلِكٍ من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت ربِّ، فيقول له: لك ذلك ومِثْلُه ومِثْله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب. قال: رب، فأعلاهم منزلةً، قال: أولئك الَّذين أردت، غرست كرامتهم بيديَّ، وختمت عليها، فلم ترَ عينٌ ولم تسمع أذُنٌ، ولم يخطر علىٰ قلب بشر»، ومصداقه من كتاب اللهِ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:١٧].

ص(٢٢١)

الباب الرَّابع والعشرون

في ذكر بوَّابي الجنَّة وخزنتها، واسم مُقدَّمهم ورئيسهم

قال تعالىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر:٧٣].

والخَزَنَة: جمع خازن، مثل حَفَظَة وحَافِظ، وهو المُؤْتَمَن علىٰ الشيء الَّذي قد استحفظه.

وروىٰ مسلمٌ في «صحيحه»[1] من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«آتي بابَ الجنَّة يومَ القيامة فأستفتح، فيقول الخازنُ: من أنتَ؟ فأقول محمدٌ، فيقول: بك أمرتُ أنْ لا أفتح لأحدٍ قبلَكَ»**.

وقد تقدَّم حديث أبي هريرة المتفق عليه[2]: «من أنفق زوجين في سبيل الله دعاهُ خزنةُ الجنَّة كلُّ خزنة باب: أي فُلُ هلُمَّ». قال أبو بكر: يا رسول الله، ذاك الذي لا تَوَىٰ عليه، فقال النَّبي ﷺ: **«إنِّي لأرجو أنْ تكون منهم»**.

وفي لفظٍ: هل يدعىٰ أحدٌ من تلك الأبواب كلها؟ قال: «نعم، وأرجو أنْ تكون منهم».

لمَّا سَمَتْ هِمَّةُ الصِّدِّيق إلىٰ تكميل مراتب الإيمان، وطمعت نفسه أنْ يُدْعَىٰ من تلك الأبواب كلِّها، فسأل رسول الله ﷺ هل يحصل ذلك لأحد من النَّاس، ليسعىٰ في العمل الَّذي ينال به ذلك، فأخبره بحصوله وبشَّره بأنَّه من أهله، فكأنَّهُ

(١) (١٩٧).

(٢) تقدم ص (٨٣).

قال: هل يكمل أحد هذه المراتب فيُدعىٰ يوم القيامة من أبوابها كلها؟

فلِلَّهِ ما أعلىٰ هذه الهمَّة، وأكبر هذه النَّفس.

وقد سمَّىٰ اللهُ سبحانه وتعالىٰ كبير الخزنة رِضْوان[١]. وهو اسمٌ مشتقٌّ من الرِّضا، وسمَّىٰ خازن النَّارِ مالكًا[٢]، وهو اسمٌ مشتقٌّ من الملك، وهو القوَّة والشِّدَّة حيث تَصَرَّفت حُرُوفُه.

---

(١) في الباب أحاديث عدة، لا يصح منها شيء.

(٢) في قوله تعالىٰ: ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾ [الزخرف:٧٧].

ص(٢٢٣)

الباب الخامس والعشرون

في ذكر أوَّل من يقرع باب الجنَّة

قد تقدم في حديث أنس[(١)]، ورواه الطبراني بزيادة فيه قال: «فيقومُ الخازنُ، فيقولُ: لا أفتحُ لأحدٍ قبلَك، ولا أقومُ لأحدٍ بعدك»[(٢)].

وذلك أنَّ قيامه إليه ﷺ خاصة إظهار لمزِيَّته ومرتبته، ولا يقوم في خدمة أحد بعده، بل خزنة الجنَّة يقومون في خدمته، وهو كالملك عليهم، وقد أقامه اللهُ في خدمة عبده ورسوله حتىٰ مشىٰ إليه وفتح له الباب.

وقد روىٰ أبو هريرة رضي الله عنه، عنه ﷺ قال: «**أنا أوَّلُ من يُفْتَحُ له باب الجنَّة، إلا أنَّ امرأة تبادرني، فأقول لها مالَكِ أو ما أنتِ؟ فتقول: أنا امرأةٌ قعدتُ علىٰ يتاماي** »[(٣)].

وفي الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: جلسَ ناسٌ من أصحاب النَّبي ﷺ ينتظرونه، قال: فخرج حتَّىٰ إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون، فسمع حديثهم، فقال بعضهم: عَجَبًا إنَّ الله من خلقه خليلًا، اتخذ إبراهيم خليلًا، وقال آخر: ماذا بأعجب من كلامه موسىٰ كلَّمه تكليمًا، وقال آخر: فعيسىٰ كلمة اللهُ وروحه، وقال آخر: آدم اصطفاهُ اللهُ، فخرج عليهم، فسلَّم وقال: سمعتُ كلامكم وعجبكم، إنَّ إبراهيم خليلُ الله وهو كذلك، وموسىٰ نجيُّ اللهِ، وهو كذلك، وعيسىٰ روحه

---

(١) ص (٨٩).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٨٣)، والخليلي كما في «كنز العمَّال» (١١/ ٣٢٠٤٧)، ولا يصح.

(٣) أخرجه أبو يعلىٰ (٦٦٥١) والأصبهاني في «الترغيب» (٣/ ٢٠٢٥)، وقال ابن حجر: «رواته لا بأس بهم».

وكلمته، وهو كذلك، وآدم اصطفاهُ اللهُ، وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أوَّل شافعٍ وأوَّل مشفَّع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أوَّل من يحرِّك حَلَقَ الجنَّة فيفتح لي فأدخلها، ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر»[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا أوَّل النَّاسِ خروجًا إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وقائدهم إذا وفدوا، وشافعهم إذا حُبِسوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد بيدي، ومفاتيح الجنَّة يومئذٍ بيدي، وأنا أكرمُ ولد آدم يومئذ علىٰ ربي ولا فخر، يطوف عليَّ ألف خادم كأنَّهم اللؤلؤ المكنون»** رواه الترمذي[2]، والبيهقي واللفظ له.

وفي «صحيح مسلم»[3] من حديث المختار بن فلفل عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا أكثر النَّاس تبعًا يوم القيامة، وأنا أوَّل من يقرع بابَ الجنَّة»**.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٦١٦) والدارمي (٤٨). والحديث ضعفه الترمذي وابن كثير.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦١٠)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٤٨٣ - ٤٨٤). قال الترمذي: «حسن غريب».

(٣) برقم (١٩٦).

ص(٢٢٧)

الباب السادس والعشرون
في ذكر أوَّل الأمم دخولًا الجنَّة

وفي «الصحيحين»[1] من حديث همَّام بن مُنَبِّهٍ، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**نحنُ السَّابقون الأوَّلون يوم القيامة، بَيْدَ أنَّهم أوتوا الكتابَ من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم**».

أي: لم يسبقونا إلا بهذا القدر، فمعنىٰ: «بَيْدَ» معنىٰ سِوَىٰ وغير وإلَّا أنَّ، ونحوها.

وفي «صحيح مسلم»[2] من حديث أبي صالح عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**نحنُ الآخرون الأوَّلون يومَ القيامة، ونحنُ أوَّل من يدخل الجنَّة، بيدَ أنَّهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، فاختلفوا فهدانا اللهُ لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه**».

وفي «الصحيحين»[3] من حديث طاووس عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبي ﷺ قال: «**نحنُ الآخرون الأوَّلون يومَ القيامة، نحنُ أوَّلُ النَّاسِ دخولًا الجنَّة، بيدَ أنَّهم أوتوا الكتابَ من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم**».

ورویٰ الدارقطني من حديث زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عَقِيل،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٣٠)، ومسلم (٨٥٥) وفيهما «الآخرون السابقون» بدل «السابقون الأولون».

(٢) برقم (٨٥٥).

(٣) البخاري (٨٥٦)، ومسلم (٨٤٩) واللفظ للبخاري وعنده «السابقون» بدل «الأوَّلون».

عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الجنَّة حُرِّمت علىٰ الأنبياء كلِّهم حتىٰ أدخلها، وحُرِّمت علىٰ الأمم حتىٰ تدخلها أمتي**»(١).

قال الدَّارقطني: «غريب عن الزهري، ولا أعلمُ رُوي عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهري غير هذا الحديث، ولا رواهُ إلا عمرو بن أبي سلمة التِّنِّيسي عن صدقة السَّمين عن زهير».

فهذه الأمة أسبق الأمم خروجًا من الأرضِ وأسبقهم إلىٰ أعلىٰ مكان في الموقف، وأسبقهم إلىٰ ظل العرش، وأسبقهم إلىٰ الفصل والقضاء بينهم، وأسبقهم إلىٰ الجواز علىٰ الصراط، وأسبقهم إلىٰ دخول الجنَّة، فالجنَّة محرمة علىٰ الأنبياء حتىٰ يدخلها محمد ﷺ ومحرمة علىٰ الأمم حتىٰ تدخلها أمته.

وأمَّا أوَّل الأمة دخولًا: فقال أبو داود في «سننه» حدثنا هنَّاد بن السَّريِّ، عن عبد الرحمن بن محمد المُحاربي عن عبد السلام بن حرب عن أبي خالد الدَّالاني عن أبي خالد مولىٰ آل جَعْدة عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتاني جبريل فأخذ بيدي، فأراني باب الجنَّة الَّذي تدخلُ منه أمتي**». فقال أبو بكر: يا رسول الله، وددتُ لئن كنتُ معك حتىٰ أنظر إليه، فقال رسول الله ﷺ: «**أما إنَّك يا أبا بكر أوَّل من يدخل الجنَّة من أمتي**»(٢).

وقوله: «وددت لئن كنت معك ». حرصًا منه علىٰ زيادة اليقين، وأن يصير الخبر عيانًا، كما قال إبراهيم الخليل ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ

(١) أخرجه الدَّارقطني في «الأفراد» كما في «أطراف الغرائب» (١/ ١٠٣)، وابن أبي حاتم في «العلل» (٢١٦٧)، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٢٩). والحديث منكر.

(٢) تقدم في الباب الحادي عشر ص (٩١).

بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وأمَّا الحديث الَّذي رواهُ ابن ماجه في «سننه»: حدثنا إسماعيل بن عمر الطلحي، أنبأنا داود بن عطاء المديني، عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب، عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أوَّل من يصافحه الحق عمر وأوَّل من يسلِّم عليه، وأوَّل من يأخذ بيده فيدخله الجنَّة**»[1].

فهو حديثٌ منكر جدًّا، قال الإمام أحمد: «داود بن عطاء ليس بشيءٍ»، وقال البخاري: «منكر الحديث».

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٠٤) والحاكم (٤٤٨٩) وغيرهما. والحديث منكر جدًّا، بل موضوع كما قال الذهبي.

ص(٢٣١)

الباب السابع والعشرون

في ذكر السَّابقين من هذه الأمة إلى الجنَّة وصفتهم

في «الصحيحين»[١] من حديث همَّام بن مُنبِّه عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أوَّل زُمرة تَلجُ الجنَّة صُوَرُهم على صورة القمرِ ليلة البَدْرِ، لا يبصقون فيها، ولا يمتخطون فيها، ولا يتغوطون فيها، آنيتهم وأمشاطهم الذهبُ والفضة، ومجامرهم الأُلُوَّة[٢]، ورشحهم المسك، ولكلِّ واحدٍ منهم زوجتان يُرى مُخُّ سوقهما من وراء اللحم من الحُسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبُهم على قلب واحد[٣]، يسبحون اللهَ بُكْرَةً وعَشيًّا».

وفي «الصحيحين»[٤] أيضًا من حديث أبي زُرعة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أوَّل زُمرةٍ يدخلون الجنَّة على صورة القمر ليلةَ البدرِ، والَّذين يلونهم على ضوءِ أشدِّ كوكبٍ دُريٍّ في السماء إضاءةً، لا يبولون ولا يتغوَّطون، ولا يتفُلون ولا يَمْتخِطون، أمشاطهم الذهبُ ورشحهم المسكُ، ومجامرهم الأُلُوَّةُ، وأزواجهم الحورُ العينُ، أخلاقُهم على خَلْقِ رجلٍ واحدٍ، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا في السَّماءِ»**.

وروى شُعْبة وقيس عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس

(١) البخاري (٣٠٧٣)، ومسلم (٢٨٣٤).
(٢) الأُلُوَّة: هو العود الَّذي يتبخر به، وتُفْتح همزته وتُضَم.
(٣) عند البخاري «قلوبهم قلبُ رجلٍ واحدٍ» وعند مسلم «قلوبهم قلبٌ واحد».
(٤) البخاري (٣١٤٩)، ومسلم (٢٨٣٤).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: **«أوَّل من يُدعىٰ إلىٰ الجنَّة يومَ القيامة الحمَّادون الَّذين يحمدون اللهَ في السَّرَّاء والضَّراء»**[1].

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا هشام الدسْتوائي عن يحيىٰ بن كثير عن عامر العُقَيلي عن أبيه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«عُرِضَ عليَّ أوَّل ثلاثةٍ من أُمَّتي يدخلون الجنَّة وأوَّل ثلاثةٍ يدخلون النَّار، فأمَّا أوَّل ثلاثة يدخلون الجنَّة: فالشهيدُ، وعبدٌ مملوكٌ لم يشغله رِقّ الدنيا عن طاعة ربِّه، وفقير مُتعَفِّف ذو عِيَال، وأوَّل ثلاثة يدخلون النَّار: فأميرٌ مُسَلَّطٌ، وذو ثروةٍ من مالٍ لا يؤدِّي حقَّ الله في ماله، وفقيرٌ فخور»**[2].

وروىٰ الإمام أحمد في «مسنده» والطبراني في «معجمه» واللفظ له من حديث أبي عُشَّانة المعافري أنَّه سمع عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: قال رسول الله ﷺ: **«هل تدرون أوَّل من يدخل الجنَّة؟ قالوا: اللهُ ورسوله أعلمُ، قال: فقراء المُهاجرين الَّذين تُتَّقىٰ بهم المكاره، ويموتُ أحدهم وحاجته في صَدْرِهِ لا يستطيع لها قضاءً، تقول الملائكة: ربَّنا نحنُ ملائكتك وخزنتك وسُكَّان سماواتك لا تدخلهم، الجنَّة قبلنا، فيقول: عبادي لا يُشْركون بي شيئًا، تُتَّقىٰ بهم المكاره، يموت أحدهم وحاجته في صدره لم يستطع لها قضاءً، فعند ذلك تدخل عليهم الملائكة من كلِّ بابٍ، سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعمَ عُقبىٰ الدَّارُ»**[3].

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٩)، والبزار (٥٠٢٨)، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٨٢) وغيرهم، والصحيح أنه مقطوع من قول سعيد كما أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٠٦).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٤٢٥)، والترمذي (١٦٤١) مختصرًا، وحسّنه.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٤٢١)، والحاكم (٢٣٩٣) وصحح إسناده.

ولمَّا ذكر اللهُ تعالىٰ أصناف بني آدم سَعيدهم وشقيهم، قسم سُعَداءهم إلىٰ قسمين: سابقين وأصحاب يمين فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الواقعة:١٠].

واختلف في تقديرها علىٰ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه من باب التَّوكيد اللَّفظي، ويكون خبره قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة:١١].

والثاني: أنْ يكون السَّابقون الأوَّل مبتدأ، والثاني خَبَرًا له علىٰ حدِّ قولك: زيد زيد، أي زيد الَّذي سمعت به هو زيد كما قال:

أنا أبو النَّجم وَشِـعْري شِعْري

وكقول الآخر:

إذا النَّـاسُ ناسٌ والنَّهـارُ نهارُ

قال ابن عطية: وهذا قول سيبويه.

والثالث: أنْ يكون السَّبقُ الأوَّل غيرَ الثاني، ويكون المعنىٰ: السابقون في الدنيا إلىٰ الخيرات هم السابقون يوم القيامة إلىٰ الجنَّات، والسابقون إلىٰ الإيمان هم السابقون إلىٰ الجنان، وهذا أظهر، واللهُ أعلم.

فإنْ قيل: فما تقولون في الحديث الَّذي رواه الإمام أحمد والترمذي وصحَّحه من حديث بريدة بن الحصيب قال: أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالًا، فقال: «**يا بلالُ، بمَ سبقتني إلىٰ الجنَّة، فما دخلتُ الجنَّة قطُّ إلا سمعت خَشْخَشَتَكَ أَمامي. دخلتُ البارحة فسمعتُ خَشْخَشَتَكَ أَمامي، فأتيت علىٰ قصر مُرَبَّع مشرفٍ من ذهبٍ، فقلتُ: لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجلٍ عربيٍّ، قلتُ: أنا عربي، لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من قريش، قلتُ: أنا قرشي، لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجلٍ من أُمَّة محمدٍ، قلت: أنا محمد، لمن هذا القَصْر؟ قالوا: لعمرَ بن الخطاب**» فقال بلال:

يا رسول الله ما أَذَّنتُ قط إلا صليتُ ركعتين، وما أصابني حَدَثٌ قطُّ إلا توضأتُ عندها، ورأيتُ أنَّ للهِ عليَّ ركعتين، فقال رسول الله ﷺ: «**بهما**»[١].

قيل: نتلقَّاه بالقبول والتصديق، ولا يدل علىٰ أنَّ أحدًا يسبق رسول الله ﷺ إلىٰ الجنَّة، وأمَّا تقدُّم بلال بين يديه ﷺ في الجنَّة؛ فلأنَّ بلالًا كان يدعو إلىٰ اللهِ أوَّلًا في الأذان فيتقدم أذانه بين يدي رسول الله ﷺ، فيتقدَّم دخوله بين يديه كالحاجب والخادم.

وقد رُوِيَ في حديثٍ: «أنَّ النَّبي ﷺ يبعثُ يوم القيامة وبلالٌ بين يديه ينادي بالأذان»[٢].

فتقدَّمه بين يديه ﷺ كرامةً لرسول الله ﷺ وإظهارًا لشرفه وفضله، لا سَبْقًا من بلالٍ له، بل هذا السَّبق من جنس سبقه إلىٰ الوضوء، ودخول المسجد ونحوه، واللهُ تعالىٰ أعلم.

---

(١) تقدم تخريجه ص (٣٧).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٦٢٩) والخطيب في «تاريخه» (٣/ ٣٥٧). والحديث موضوع.

ص(٢٣٧)

الباب الثامن والعشرون

في سبق الفقراء للأغنياء إلى الجنَّة

قال الإمام أحمدُ: حدَّثنا عفَّان، حدَّثنا حمَّاد بن سلمة، عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يدخلُ فقراء المسلمين الجنَّة قبل أغنيائهم بنصف يوم، وهو خمسُ مئة عام**»(١).

قال الترمذي: «هذا حديثٌ حسن صحيح».

ورجال إسناده احتجَّ بهم مسلم في «صحيحه».

وروىٰ الترمذي من حديث عبَّاس الدُّوري، عن المُقْرِئ عن سعيد بن أبي أيوب عن عمرو بن جابر الحضرمي عن جابر بن عبد الله عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «**يدخلُ فقراءُ أُمَّتي الجنَّة قبلَ الأغنياء بأربعين خريفًا**»(٢).

وفي «صحيح مسلم»(٣) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يومَ القيامة بأربعين خريفًا**».

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسين بن محمد حدثنا دُوَيْد عن سلم ابن بشير عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النَّبي ﷺ: «**التقىٰ مؤمنان علىٰ باب الجنَّة،**

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٦ و ٣٤٢)، والترمذي (٢٣٥٣)، وابن ماجه (٤١٢٢)، وابن حبان (٦٧٦)، وصححه غير واحد.

(٢) أخرجه الترمذي (٤٣٥٥)، وأحمد (٣/ ٣٢٤)، وحسنه الترمذي.

(٣) (٢٩٧٩).

مؤمنٌ غنيٌّ، ومؤمنٌ فقيرٌ، كانا في الدنيا، فأُدْخِلَ الفقيرُ الجنَّة، وحُبسَ الغني ما شاء اللهُ أنْ يُحْبس، ثمَّ أُدْخِلَ الجنَّة، فلقيه الفقيرُ فيقول: أي أخي وماذا حبسك؟ والله لقد احْتبَستَ حتىٰ خفت عليك، فيقول: أي أخي إنِّي حبستُ بعدك محبسًا فظيعًا كريهًا، وما وصلتُ إليك حتىٰ سال منِّي العَرَق، ما لو وَرَدَهُ ألفُ بعيرٍ كلها آكلة حمضٍ لصدرتْ عنه رواء»[1].

وقال الطبراني: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، وعلي ابن سعيد الرَّازي قالا: حدثنا علي بن بهرام العطار، حدثنا عبد الملك بن أبي كريمة، عن سفيان الثوري عن محمد بن زيد عن أبي حازم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ فقراء المؤمنين يدخلون الجنَّة قبل أغنيائهم بنصف يومٍ، وذلك خمس مائة عام**» وذكر الحديث بطوله[2].

والَّذي في الصحيح أنَّ سبقهم لهم «بأربعين خريفًا».

فإمَّا أنْ يكون هو المحفوظ، وإمَّا أنْ يكون كلاهما محفوظان، وتختلف مُدَّة السبق بحسب أحوال الفقراء والأغنياء، فمنهم من يسبق بأربعين، ومنهم من يسبق بخمس مئة كما يتأخر مكث العُصاة من الموحدين في النَّار بحسب جرائمهم واللهُ أعلم.

ولكن ها هنا أمرٌ يجب التنبيه عليه، وهو أنَّه لا يلزم من سبقهم لهم في الدخول ارتفاع منازلهم عليهم، بل قد يكون المتأخر أعلىٰ منزلة؛ وإن سَبَقَهُ غيره في الدخول، والدليل علىٰ هذا أنَّ من الأمة من يدخل الجنَّة بغير حساب، وهم السَّبعون ألفًا، وقد يكون بعض من يُحَاسب أفضل من أكثرهم، والغني إذا حوسب علىٰ غِنَاهُ، فوجد قد شكر الله تعالىٰ فيه، وتقرَّب إليه بأنواع البرِّ والخير والصَّدقة والمعروف، كان

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٣٠٤). وسنده ضعيف.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٩٩) والحديث منكر.

أعلىٰ درجة من الفقير الَّذي سبقه في الدخول، ولم تكن له تلك الأعمال، ولا سيِّما إذا شاركه الغني في أعماله هو وزاد عليه فيها، واللهُ لا يضيع أجرَ من أحسن عملًا.

فالمزيَّة مزيَّتان؛ مزية سبق، ومزية رِفْعة، وقد يجتمعان وينفردان، فيحصل لواحد السبق والرِّفعة، ويعدمهما آخر، ويحصل لآخر السبق دون الرِّفعة، ولآخر الرفعة دون السبق، وهذا بحسب المتقضي للأمرين، أو لأحدهما وعدمه، وبالله التوفيق.

ص(٢٤٢)

الباب التاسع والعشرون
في ذكر أصناف أهل الجنة الذين ضمنت لهم دون غيرهم

قال تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٦].

فأخبر أنه أعدَّ الجنَّة للمتقين دون غيرهم، ثم ذكر أوصاف المتقين، فذكر بذلهم للإحسان في حالتي العسر واليسر، والشدة والرخاء، فإنَّ من النَّاس من يبذل في حال اليسر والرخاء، ولا يبذل في حال العسر والشدة، ثم ذكر كف أذاهم للنَّاس بحبس الغيظ بالكظم، وحبس الانتقام بالعفو، ثمَّ ذكر حالهم بينهم وبين ربهم في ذنوبهم، وأنَّها إذا صدرت منهم قابلوها بذكر الله، والتوبة والاستغفار، وترك الإصرار، فهذا حالهم مع اللهِ، وذاك حالهم مع خلقه.

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

فأخبر تعالىٰ أنَّه أعدَّها للمهاجرين والأنصار، وأتباعهم بإحسان، فلا مطمع لمن خرج عن طريقتهم فيها.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال:٢-٤].

فوصفهم بإقامة حقه باطنًا وظاهرًا، وبأداء حق عباده.

وفي «صحيح مسلم»[(١)] عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما كان يومُ خيبر أقبل نفرٌ من صحابة النَّبي ﷺ فقالوا: فلانٌ شهيد، وفلانٌ شهيد، حتىٰ مروا علىٰ رَجُلٍ فقالوا: فلانٌ شهيد، فقال رسول الله ﷺ: **«كلَّا إنِّي رأيته في النَّار في بُرْدةٍ غَلَّها أو عباءةٍ، ثمَّ قال رسول الله ﷺ: «يا ابنَ الخطاب، اذهب فنادِ في النَّاسِ إنَّهُ لا يدخل الجنَّة إلا المؤمنون، قال: فخرجتُ فناديتُ: ألا إنَّهُ لا يدخل الجنَّة إلا المؤمنون»**. وللبخاري معناه[(٢)].

وفي «الصحيحين»[(٣)] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ أمرَ بلالًا أنْ يناديَ في النَّاسِ: **«إنَّه لا يدخلُ الجنَّة إلا نفسٌ مسلمةٌ»**، وفي بعض طرقه **«مؤمنة»** وفي الحديث قصة.

وفي «صحيح مسلم»[(٤)] من حديث عِيَاض بن حِمَار المجاشعي أنَّ رسول الله ﷺ قال ذات يومٍ في خطبته: «ألا إنَّ ربي أمرني أنْ أُعَلِّمَكم ما جهلتم ممَّا علمني يومي هذا، كلُّ مالٍ نحلته عبدًا حلالٌ، وإنِّي خلقتُ عبادِي حنفاء كلَّهم، وإنَّهم

(١) برقم (١١٤).

(٢) (٣٩٦٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) البخاري (٢٨٩٧)، ومسلم (١١١).

(٤) (٢٨٦٥).

أتتهم الشياطين فاجتالتهم[١] عن دينهم، وحرَّمت عليهم ما أحللتُ لهم، وأمَرَتْهم أنْ يشركوا بي ما لم أُنْزل به سُلطانًا، وإنَّ اللهَ نظر إلىٰ أهل الأرضِ فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب. وقال: إنَّما بعثتُك لأبتليكَ، وأبتلي بكَ، وأنزلتُ عليك كتابًا لا يغسلهُ الماءُ، تقرأهُ نائمًا ويقظان. وإنَّ اللهَ أمرني أن أُحرِّق قريشًا، فقلتُ: ربِّ إذا يثلغوا رأسي، فيدعوه خُبزة، قال: استخرجهم كما أخرجوك واغزهم نُغِزْكَ، وأنفق فسننفق عليك، وابعث جيشًا نبعثْ خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك مَنْ عصاكَ، قال: وأهل الجنَّة ثلاثةٌ: ذو سلطان مقسطٌ متصدقٌ موفق ورجلٌ رحيمٌ رقيقُ القلب لكلِّ ذي قربىٰ ومسلم، وعفيفٌ متعفف ذو عيال. وأهل النَّار خمسة: الضعيف الَّذي لا زَبْر[٢] له الَّذين هم فيكم تبعًا، لا يبغون أهلًا ولا مالًا. والخائن الَّذي لا يخفىٰ له طمعٌ وإنْ دقَّ إلا خانه. ورجلٌ لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك» وذَكَرَ البخل والكذب، والشِّنظير الفحَّاشُ «**وإنَّ اللهَ أوحىٰ إليَّ أن تواضعوا حتىٰ لا يفخر أحدٌ علىٰ أحدٍ، ولا يبغي أحدٌ علىٰ أحد**».

وفي «الصحيحين»[٣] من حديث حارثة بن وهب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ألا أخبركم بأهل الجنَّة، كلُّ ضعيف متضعَّفٍ لو أقسم علىٰ اللهِ لأبرَّهُ، ألا أخبركم بأهل النَّار؟ كلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُتكبر** ».

وقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن إسحاق قال: أنبأنا عبد الله أنبأنا موسىٰ بن عُلَي بن رباح قال: سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن

(١) فاجتالتهم أي: استخفتهم، أي: فجالوا معهم في الضلال.

(٢) لا زبر له، أي: لا عقل له يزبره وينهاه عن الإقدام علىٰ ما لا ينبغي.

(٣) البخاري (٤٦٣٤)، ومسلم (٢٨٥٣).

النَّبي ﷺ قال: «إنَّ أهل النَّار كلُّ جَعْظَرِيٍّ[١] جوَّاظ[٢] مُسْتكبر، جمَّاعٍ منَّاعٍ، وأهل الجنَّة الضعفاء المغلوبون»[٣].

وذكر خلف بن خليفة عن أبي هاشم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنَّة: النَّبي في الجنَّة، والصديق في الجنة، والشهيد في الجنة، والرجل يزور أخاه ناحية المِصْر لا يزوره إلا لله = في الجنة، ونساؤكم من أهل الجنَّة: الودود الولود التي إذا غَضِبَ أو غضِبتْ جاءت حتىٰ تضع يدها في يد زوجها، ثمَّ تقول: لا أذوق غُمْضًا[٤] حتىٰ ترضىٰ»**[٥].

أخرج النسائي من هذا الحديث فضل النساء خاصة، وباقي الحديث علىٰ شرطه.

وروىٰ الإمام أحمد في «مسنده» بإسنادٍ صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النَّبي ﷺ قال: **«إنَّ أهل النَّار كلُّ جعْظَرِيٍّ جَوَّاظٍ مستكبر جمَّاعٍ منَّاعٍ، وأهل الجنَّة الضعفاء المغلوبون»**.

وقال ابن ماجه في «سننه»: حدثنا محمد بن يحيىٰ وزيد بن أخزم قالا: حدثنا مسلم ابن إبراهيم حدثنا هلال الرَّاسبي، حدثنا عُقْبة بن أبي ثُبَيْت الراسبي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«أهل الجنَّة من ملأ أُذنيه من ثناء النَّاس خيرًا وهو يسمع، وأهل النَّار من ملأ أذنيه من ثناء النَّاس شرًّا وهو يسمع»**[٦].

---

(١) الجعظري: الفظُّ الغليظ المتكبر، وقيل هو: الَّذي ينتفخ بما ليس عنده، وفيه قِصَر.

(٢) الجوَّاظ: الجَموع المَنوع، وقيل: الكثير اللحم المختال في مشيته، وقيل: القصيرِ البطين.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٤٩٩ و ١٦٩)، والحاكم (٣٨٤٤) وصحَّحه المؤلف والحاكم.

(٤) غُمْضًا: أي نومًا.

(٥) أخرجه النسائي في «الكبرىٰ» (٩١٣٩)، والطبراني في «الكبير» (١٢٤٦٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٠٣)، وغيرهم. والحديث ضعيفٌ جدًّا.

(٦) أخرجه ابن ماجه (٤٢٢٤) والطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٧٠)، وذكره أبو نعيم واستغربه.

وفي «الصحيحين»[(١)] عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «مُرَّ بجنازة فأُثنيَ عليها خيرٌ، فقال نبي الله ﷺ وجبتْ وجبتْ وجبتْ، ومُرَّ بجنازةٍ فأُثني عليها شرٌ فقال نبي الله ﷺ: وجبت وجبتْ وجبتْ، فقال عمر رضي الله عنه: فداك أبي وأمي، مُرَّ بجنازةٍ فأُثني عليها خيرٌ فقلتَ: وجبت وجبت وجبت: ومُرَّ بجنازةٍ فأثني عليها شرٌّ، فقلت: وجبت وجبت وجبت؟ فقال رسول الله ﷺ: من أثنيتم عليه خيرًا وجبتْ له الجنَّة، ومن أثنيتم عليه شرًّا وجبت له النَّارُ، أنتم شهداء اللهِ في الأرضِ، أنتم شهداء اللهِ في الأرضِ».

وفي الحديث الآخر: «**يوشكُ أنْ تعلموا أهل الجنَّة من أهل النَّارِ، قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: بالثناء الحسن والثناء السيء**»[(٢)].

وبالجملة فأهل الجنَّة أربعة أصناف، ذكرهم الله سبحانه وتعالىٰ في قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩].

فنسأل الله أنْ يجعلنا معهم بمنِّه وكرمه.

---

(١) البخاري (١٣٠١)، ومسلم (٩٤٩).

(٢) أخرجه البزار في «مسنده» (١١٣٤) من حديث سعد بن أبي وقاص، وصححه ابن حبان والحاكم.

ص(٢٥١)

الباب الثلاثون

في أنَّ أكثر أهل الجنَّة هم أُمَّة محمد ﷺ

في «الصحيحين» من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ: **«أما ترضون أنْ تكونوا رُبُعَ أهلِ الجنَّة؟ فكبرنا، ثمَّ قال: أما ترضون أنْ تكونوا ثلثَ أهل الجنَّة؟ فكبرنا، ثمَّ قال: إنِّي لأرجو أنْ تكونوا شطرَ أهلِ الجنَّة، وسأخبركم عن ذلك، ما المسلمون في الكفار إلا كشعرةٍ بيضاءِ في ثورٍ أسودَ، أو كشعرةٍ سوداء في ثورٍ أبيض»** هذا لفظ مسلم[1].

وعند البخاري[2]: «وكشعرةٍ سوداء» بغير ألف.

وعن بُرَيدة بن الحصيب قال: قال رسول الله ﷺ: **«أهل الجنَّة عشرون ومئة صفٍ، هذه الأمة منها ثمانون صفًّا»**[3].

رواه الإمام أحمد والترمذي، وإسناده علىٰ شرط الصحيح.

ورواه الطبراني في «معجمه»[4] من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه، وفي إسناده خالد بن يزيد البجلي، وقد تُكُلِّمَ فيه.

ورواهُ أيضًا من حديث القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

---

(١) في «صحيحه» (٢٢١).

(٢) برقم (٦١٦٣).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٥٤٦)، وأحمد (٥/ ٣٤٧)، وابن حبان (٧٤٥٩)، وغيرهم، وحسنه الترمذي وصححه ابن حبان والحاكم والمؤلف.

(٤) «الكبير» (١٠٦٨٢)، وابن عدي في الكامل (٣/ ١٣) وسنده ضعيف.

قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنتم وربُعُ الجنَّة لكم، ولسائر النَّاسِ ثلاثةُ أرباعها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: كيف أنتم وثلثها؟ قالوا: ذاك أكثر، قال: كيف أنتم والشطر لكم؟ قالوا: ذاك أكثر، فقال رسول الله ﷺ: أهل الجنَّة عشرون ومئة صف، لكم منها ثمانون صفًّا**»[1]، قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن القاسم بن عبدالرحمن إلا الحارث بن حُصيرة، تفرد به عبد الواحد بن زياد».

وقال عبد الله بن أحمد: حدثنا موسىٰ بن غيلان ثنا هاشم بن مخلد حدثنا عبدالله بن المبارك عن سفيان عن أبي عمرو عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لمَّا نزلت ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ [الواقعة:٣٩-٤٠]، قال رسول الله ﷺ: «أنتم رُبُعُ أهل الجنَّة، أنتم ثلث أهل الجنَّة، أنتم نصفُ أهل الجنَّة. أنتم ثلثا أهل الجنَّة»[2].

قال الطبراني: «تفرَّد برفعه ابن المبارك عن الثوري».

وقال خيثمة بن سليمان القرشي: حدثنا أبو قلابة هو عبد الملك بن محمد حدثنا محمد بن بكار الصيرفي حدثنا حمَّاد بن عيسىٰ حدثنا سفيان الثوري عن بهز ابن حكيم عن أبيه عن جده عن النَّبي ﷺ قال: «**أهل الجنَّة عشرون ومئة صف، أنتم منها ثمانون صفًّا**»[3].

وهذه الأحاديث قد تعددت طرقها، واختلفت مخارجها وصح سند بعضها،

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٥٣)، والطبراني في «الأوسط» (٥٣٩)، وفي «الصغير» (٧٦). وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ١٠١). والحديث ضعيف الإسناد، مضطرب المتن.

(٣) أخرجه خيثمة بن سليمان الأطرابلسي كما في «المنتخب» من الجزء الأوَّل من فوائده ص (٧٨-٧٩)، والطبراني في الكبير (١٠١٢)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٨٦). والحديث منكر.

ولا تنافي بينها وبين حديث الشطر؛ لأنَّه ﷺ رجا أوَّلًا أنْ يكونوا شطر أهل الجنَّة، فأعطاهُ اللهُ سبحانه رجاءه، وزاده عليه شيئًا آخر.

وقد روىٰ أحمد في «مسنده» من حديث أبي الزبير أنَّه سمع جابرًا يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«أرجو أنْ يكون من يتبعني من أُمَّتي يوم القيامة رُبُعَ أهلِ الجنَّة، قال: فكبرنا، قال: فأرجو أنْ تكونوا الشَّطرَ»**[1]، وإسناده علىٰ شرط مسلم.

---

(١) أخرجه أحمد في (٣/ ٣٤٦)، والبزار كما في «كشف الأستار» (٣٥٣٣).

الباب الحادي والثلاثون

ص(٢٥٦)

في أنَّ النساء في الجنَّة أكثر من الرجال وكذلك هم في النَّار

ثبت في «الصحيحين»[(١)] من حديث أيوب عن محمد بن سيرين قال: إمَّا تفاخروا، وإمَّا تذاكروا: الرجال أكثر في الجنَّة أم النساء؟ فقال أبو هريرة ﷺ: ألم يقل أبو القاسم ﷺ: «**إنَّ أوَّل زُمرةٍ تدخل الجنَّة علىٰ صورة القمر ليلة البدرِ، والتي تليها علىٰ أضوإِ كوكبٍ دريٍّ في السماء، لكلِّ امرئٍ منهم زوجتان اثنتان، يُرىٰ مُخُّ سُوقِهِما من وراء اللحم، وما في الجنَّة عَزَبٌ**».

فإنْ كن من نساء الدنيا فالنساء في الدنيا أكثر من الرجال، وإنْ كُنَّ من الحور العين لم يلزم أنْ يكُنَّ في الدنيا أكثر، والظاهر أنَّهنَّ من الحور العين؛ لما رواه الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا يونس عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة ﷺ عن النَّبي ﷺ قال: «**للرَّجل من أهل الجنَّة زوجتان من الحور العين، علىٰ كلِّ واحدةٍ سبعون حُلَّة يرىٰ مخ ساقها من وراء الثياب**»[(٢)].

فإنْ قيل: فكيف تجمعون بين هذا الحديث وبين حديث جابر ﷺ المتفق عليه: شهدتُ مع رسول الله ﷺ العيد، فصلىٰ قبل أنْ يخطب بغير أذان ولا إقامة، ثمَّ خطب بعدما صلَّىٰ، فوعظ النَّاس وذكرهم، ثمَّ أتىٰ النساء فوعظهنَّ ومعه بلال، فذكرهنَّ وأمرهنَّ بالصدقة، قال: فجعلت المرأة تلقي خاتمها وخُرْصها والشيء

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٧٣ و ٣٠٧٤ و ٣٠٨١ و ٣١٤٩) ومسلم (٢٨٣٤)، واللفظ له.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٤٥ و ٤٢٠ و ٤٢٢)، ولفظ: «علىٰ كل واحدةٍ سبعون حُلَّة» لم يصح مرفوعًا، وقد جاء موقوفًا عن ابن مسعود وهو الصواب.

كذلك، فأمر النَّبي ﷺ بلالًا فجمع ما هناكَ، ثمَّ قال: «**إنَّ منكنَّ في الجنَّة ليسير**». فقالت امرأةٌ: يا رسول الله لِمَ؟ قال: «**إنَّكنَّ تُكثرن اللَّعن، وتكفرن العشير**»[١].

وفي الحديث الآخر: «**إنَّ أقلَّ ساكني الجنَّة النساء**»[٢].

قيل: هذا يدلُّ علىٰ أنَّهنَّ إنَّما كُنَّ في الجنَّة أكثر بالحور العين اللَّاتي خلقن في الجنَّة، وأقل ساكنيها نساء الدنيا، فنساء الدنيا أقل أهل الجنَّة، وأكثر أهل النَّار.

وأمَّا كونهنَّ أكثر أهل النَّارِ، فلما روىٰ البخاري في «صحيحه» من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: بلغني أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**اطَّلعتُ في النَّارِ فرأيتُ أكثر أهلها النساءَ، واطَّلعتُ في الجنَّة فرأيت أكثر أهلها الفقراء**»[٣].

وفي «صحيح مسلم»[٤] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**اطَّلعتُ في الجنَّة فرأيتُ أكثر أهلها الفقراء، واطَّلعتُ في النَّار فرأيتُ أكثر أهلها النساء**».

وروىٰ الإمام أحمد بإسنادٍ صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اطَّلعتُ في النَّار فرأيتُ أكثرَ أهلها النساء، واطَّلعتُ في الجنَّة فرأيتُ أكثر أهلها الفقراء**»[٥].

وفي «المسند» أيضًا من حديث عبد اللهِ بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**اطَّلعتُ في الجنَّة فرأيتُ أكثر أهلها الفقراء، واطَّلعتُ في النَّار فرأيتُ أكثر أهلها**

---

(١) أخرجه البخاري (٩٣٥)، ومسلم (٨٨٥) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم في (٢٧٣٨) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في (٣٠٦٩).

(٤) أخرجه مسلم في (٢٧٣٧).

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٢٩٧). وسنده منقطع، والمتن محفوظ كما تقدم.

الأغنياء والنساء»[١].

وفي الصحيح من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «**يا معشر النساء تصدقن، وأكثرن الاستغفار، فإنِّي رأيتكنَّ أكثر أهل النَّار، فقالت امرأةٌ منهنَّ جَزْلَة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النَّار؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيتُ من ناقصات عقلٍ ودينٍ أغلبَ لذي لبٍّ منكنَّ، قالت: يا رسول الله وما نقصان العقل والدِّين؟ قال: أمَّا نقصان العقل فشهادة امرأتين بشهادة رجلٍ، فهذا نقصان العقل، وتمكث الأيام لا تصلي وتفطر فهذا نقصان الدِّين»**[٢].

وأمَّا كونهنَّ أقل أهل الجنَّة ففي «أفراد مسلم» عن مطرف بن عبد الله: أنَّه كانت له امرأتان، فجاء من عند إحداهما، فقالتِ الأخرىٰ: جئتَ من عند فلانةٍ، فقال: جئتُ من عند عمران بن حصين، فحدثنا رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أقلَّ ساكني الجنَّة النساء**»[٣].

فإنْ قيل: فما تصنعون بالحديث الَّذي رواه أبو يعلىٰ الموصلي: حدثنا عمرو بن الضحاك بن مخلد حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد، حدثنا أبو رافع إسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي عن رجلٍ من الأنصار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ وهو في طائفةٍ من أصحابه فذكر حديثًا طويلًا وفيه: «**فيدخلُ الرجُل منهم علىٰ ثنتين وسبعين زوجة ممَّا ينشئ**

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٤٨٩) مطوَّلاً. وهذه اللفظة غريبة من حديث أبي إسحاق. فقد روىٰ الحديث عطاء بن السائب عند أحمد (٢/ ١٨٨) وغيره مطوَّلًا، وليس فيه هذه اللفظة.

(٢) أخرجه مسلم (٧٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٣٨).

اللهُ تعالىٰ وثنتين من ولد آدم، لهما فضلٌ علىٰ من أنشأ اللهُ، بعبادتهما الله في الدنيا»[١] وذكر الحديث.

قيل: هذا قطعة من حديث الصور الطويل، ولا يعرف إلا من حديث إسماعيل بن رافع، وقد ضعفه أحمد، ويحيىٰ وجماعة وقال الدَّارقطني وغيره: «متروك الحديث»، وقال ابن عدي: «أحاديثه كلها ممَّا فيه نظر».

وأمَّا البخاري، فقال فيه: ما حكاه الترمذي عنه قال: «سمعت محمدًا يقول: هو ثقة، مقارب الحديث».

قلتُ: ولكن إذا روىٰ مثل هذا ما يخالف الأحاديث الصحيحة لم يلتفت إلىٰ روايته، وأيضًا فالرجل الَّذي رواه عنه القُرَظي لا يُدْرَىٰ منْ هو؟

وقد روىٰ أحمد في «مسنده» من حديث عُمَارة بن خزيمة بن ثابت قال: كُنَّا مع عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حج أو عمرة، حتَّىٰ إذا كنَّا بمرِّ الظَّهران، فإذا امرأة في هودجها، قال: فمال فدخل الشِّعْبَ فدخلنا معه فقال: كنا مع رسول الله ﷺ في هذ المكان، فإذا نحن بغربان كثيرةٍ فيها غُرَابٌ أعصم أحمر المنقار والرجلين، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنَّة من النساء إلا مثل هذا الغراب في هذه الغربان**»[٢].

والأعصم من الغِربان: الَّذي في جناحه ريشة بيضاء.

قال الجوهري: «ويقال هذا كقوهم: الأبلق العَقُوق، وبَيْض الأنُوق، لكلِّ شيء يعزُّ وجوده».

---

(١) أخرجه البيهقي في «البعث» (٦٦٨)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٦٧)، والحديث ضعيف جدًّا.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٩٧) والنسائي في «الكبرىٰ» (٩٢٦٨)، وصححه الحاكم (٨٧٨١) علىٰ شرط مسلم.

وفي «النهاية»: «الغراب الأعصم»: هو الأبيض الجناحين، وقيل الأبيض الرجلين، أراد: قلَّة من يدخل الجنَّة من النساء؛ لأنَّ هذا الوصف في الغربان قليل عزيز.

وفي حديث آخر: «المرأة الصالحةُ مثل الغراب الأعصم»، قيل: يا رسول الله وما الغراب الأعصم؟ قال: «الَّذي إحدىٰ رجليه بيضاء»[1].

وفي حديثٍ آخر: «عائشة في النساء، كالغراب الأعصم في الغربان»[2].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مسنده» كما في المطالب العالية (١٦٨٦) معلقًا. وهذا حديثٌ ضعيفٌ جدًّا.

(٢) لم أقف عليه.

ص(٢٦٥)

الباب الثاني والثلاثون

فيمن يدخل الجنَّة من هذه الأمة بغير حساب وذكر أوصافهم

ثبت في «الصحيحين»[١] من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يدخل الجنَّة من أمتي زمرةٌ: هم سبعون ألفًا، تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر**»، فقام عُكَّاشة بن مِحْصَنٍ الأسدي فرفع نمرة عليه، فقال: يا رسول الله، ادع الله أنْ يجعلني منهم، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم اجعله منهم**»، ثمَّ قام رجلٌ من الأنصار فقال: يا رسول الله، ادعُ اللهُ أنْ يجعلني منهم، فقال: «**سبقك بها عُكَّاشة**».

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث سهل بن سعد أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ليدخلنَّ الجنَّة من أمتي سبعون ألفًا أو سبع مئة ألف آخذٌ بعضهم ببعض حتىٰ يدخل أوَّلُهم وآخرهم الجنَّة، وجوههم علىٰ صورة القمر ليلة البدر**».

فهذه هي الزُمرة الأولىٰ، وهم يدخلونها بغير حساب، والدَّليل عليه ما ثبت في «الصحيحين»[٣] والسِّياق لمسلم، حدثنا سعيد بن منصور حدثنا هشيم أخبرنا حُصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير، فقال: أيكم رأىٰ الكوكب الَّذي انقض البارحة، قلت: أنا، ثمَّ قلتُ: أما إنِّي لم أكن في صلاة، ولكنِّي لُدغت قال: فما صنعت؟ قلتُ: استرقيت قال: فما حملك علىٰ ذلك؟ قلتُ: حديث

(١) البخاري (٦١٧٦)، ومسلم (٢١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٧٧)، ومسلم (٢١٩).

(٣) البخاري (٦١٧٥)، ومسلم (٢٢٠).

حدثناه الشعبي، قال: وما حدثكم الشعبي؟ قلتُ: حدثنا عن بُرَيدة بن حصيب الأسلمي أنَّه قال: لا رُقية إلا من عينٍ أو حُمَة، فقال: قد أحسن من انتهىٰ إلىٰ ما سمع، ولكن حدثنا ابن عباس رضي الله عنهما عن النَّبي ﷺ قال: «**عرضت عليَّ الأمم فرأيت النَّبي ومعه الرهط، والنَّبي ومعه الرجل والرجلان، والنَّبي وليس معه أحد، إذ رُفِعَ لي سوادٌ عظيم، فظننتُ أنَّهم أمتي، فقيل لي: هذا موسىٰ وقومه؛ ولكن انظر إلىٰ الأفق، فنظرت، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلىٰ الأفق الآخر فإذا سوادٌ عظيم فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنَّة بغير حسابٍ ولا عذاب**»، ثمَّ نهض فدخل منزله، فخاض النَّاس في أولئك الَّذين يدخلون الجَنَّة بغير حسابٍ ولا عذاب، فقال بعضهم: فلعلهم الَّذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلهم الَّذين وُلِدُوا في الإسلام ولم يشركوا بالله، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله فقال: «**ما الَّذي تخوضون فيه**»؟ فأخبروه، فقال: هم الَّذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون، وعلىٰ ربهم يتوكلون، فقام عُكاشة بن محصن فقال: ادعُ الله أنْ يجعلني منهم، فقال: «**أنت منهم**»، ثمَّ قام رجلٌ آخر فقال: ادعُ اللهَ أنْ يجعلني منهم، فقال: سبقك بها عكاشة».

وليس عند البخاري «**ولا يَرْقُون**».

قال شيخنا[1]: وهو الصواب، وهذه اللفظة وقعت مقحمة في الحديث، وهو غلطٌ من بعض الرواة، فإنَّ النَّبي ﷺ جعل الوصف الَّذي استحق به هؤلاء دخول الجنَّة بغير حساب، هو تحقيق التوحيد وتجريده، فلا يسألون غيرهم أنْ يرقيهم، ولا يتطيرون -والطيرة: نوعٌ من الشرك- ويتوكلون علىٰ اللهِ وحده لا علىٰ غيره، وتركهم الاسترقاء والتطير هو من تمام التوكل علىٰ اللهِ كما في الحديث: «**الطيرة**

(١) هو ابن تيمية، انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١/ ١٨٢، ٣٢٨).

شرك»، قال ابن مسعود: «وما منَّا إلَّا، ولكن الله يذهبه بالتوكل»[١].

فالتوكل ينافي التطير، وأمَّا رقية الغير فهي إحسان من الرَّاقي، وقد رقىٰ رسول الله جبريلُ، وأذن في الرُّقا[٢]، وقال: «**لا بأس بها ما لم يكن فيها شرك**»[٣]، واستأذنوه فيها فقال: «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه**»[٤]، وهذا يدلُّ علىٰ أنَّها نفع وإحسان، وذلك مستحب مطلوب لله ورسوله، فالرَّاقي محسنٌ، والمسترقي سائلٌ راجٍ نفع الغير، وتحقيق التوكل ينافي ذلك.

فإنْ قيل: فعائشة قد رقت رسول الله ﷺ وجبريل قد رقاهُ.

قيل: أجل، ولكن هو لم يسترقِ، وهو ﷺ لم يقل: لا يرقيهم راقٍ، وإنَّما قال: لا يطلبون من أحدٍ أنْ يرقيهم، وفي امتناعه ﷺ أنْ يدعو للرجل الثاني سدٌّ لباب الطلب؛ فإنَّه لو دعا لكلِّ من سأله ذلك، فربما طلبه من ليس من أهله، واللهُ أعلم.

وفي «صحيح مسلم»[٥] من حديث محمد بن سيرين، عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يدخل الجنَّة من أُمَّتي سبعون ألفًا بغير حسابٍ ولا عذاب**» قيل: من هم؟ قال: «**هم الَّذين لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون وعلىٰ ربهم يتوكلون**».

(١) أخرجه الترمذي (١٦١٤)، وأبو داود (٣٩١٠)، وابن ماجه (٣٥٣٨)، وأحمد (١/ ٣٨٩)، وصححه غير واحد.

(٢) يشير إلىٰ حديث عائشة وأبي سعيد الخدري عند مسلم (٢١٨٥ و ٢١٨٦).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٠٠) من حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (٢١٩٩) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٥) برقم (٢١٨).

وفي «صحيحه»[1] أيضًا من حديث أبي الزبير أنَّه سمع جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعتُ النَّبي ﷺ يذكر حديثًا وفيه **«فتنجوا أوَّل زمرةٍ وجوههم كالقمر ليلة البدرِ، سبعون ألفًا لا يحاسبون، ثمَّ الَّذين يلونهم كأضوإِ نجمٍ في السماء ثمَّ كذلك»** وذكر تمام الحديث.

وقال أحمد بن منيع في «مسنده»: حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز حدثنا حمَّاد عن عاصم عن زِرٍّ عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«عُرِضَتْ عليَّ الأُمم بالموسم فراثتْ عليَّ أمتي ثمَّ رأيتهم فأعجبتني كثرتهم وهيئتهم، قد ملؤوا السهل والجبل، فقال: أرضيتَ يا محمد؟ فقلتُ: نعم، فقال: فإنَّ مع هؤلاء سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب، وهم الَّذين لا يسترقون، ولا يكتوون وعلىٰ ربِّهم يتوكلون، فقام عكاشة بن محصن فقال: يا رسول الله، ادعُ اللهَ أن يجعلني منهم، فقال النَّبي ﷺ: أنت منهم، فقال رجلٌ آخر، فقال: «سبقك بها عُكاشة»**[2]، وإسناده علىٰ شرط مسلم.

---

(١) (١٩١).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٠٣)، والطيالسي (٣٥٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٩١١) وغيرهم. وصححه غير واحد.

ص(٢٧١)

الباب الثالث والثلاثون

في ذِكر حَثَيَات الرَّب تبارك وتعالى الَّذين يدخلهم الجنَّة

قال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا إسماعيل بن عياش عن محمد بن زياد قال: سمعتُ أبا أُمامة الباهلي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**وعدني ربي أنْ يدخل الجنَّة من أمتي سبعين ألفًا، مع كلِّ ألفٍ سبعون ألفًا لا حسابَ عليهم ولا عذاب، وثلاث حثيات من حثيات ربي**»[١].

قلتُ: وإسماعيل بن عياش إنَّما يخاف من تدليسه وضعفه.

فأمَّا تدليسه: فقد قال الطبراني: حدثنا أحمدُ بن المعلىٰ الدمشقي، والحسين بن إسحاق التستري قالا: حدثنا هشام بن عمَّار قال: حدثنا إسماعيل بن عياش قال: أخبرني محمد بن زياد الألهاني قال: سمعتُ أبا أُمامة يقول: فذكره.

وأمَّا ضعفه: فإنَّما هو في غير حديث الشاميين وهذا من روايته عن الشاميين.

وأيضًا: فقد جاء من غير طريقه، قال أبو بكر بن أبي عاصم: حدثنا دحيم حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر وأبي اليمان الهوزني عن أبي أُمامة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ وعدني أنْ يدخل الجنَّة من أُمتي سبعين ألفًا بغير حساب**» قال يزيد بن الأخنس: والله ما أولئك يا رسول الله إلا مثل

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٣٧)، وابن ماجه (٤٢٨٦)، وأحمد في «المسند» (٥/٢٦٨)، والطبراني في «الكبير» (٧٥٢٠) وغيرهم. قال الترمذي: «حسنٌ غريب» وقال ابن كثير: «هذا إسنادٌ جيِّدٌ».

الذباب الأصهب[١] في الذِّبانِ، قال رسول الله ﷺ: «**فإنَّ اللهَ وعدني سبعين ألفًا، مع كلِّ ألفٍ سبعين ألفًا، وزادني ثلاثَ حثياتٍ**»[٢].

قال أبو عبد الله المقدسي: «أبو اليمان اسمه: عامر بن عبد الله بن لحي، ودحيم لقب، واسمه: عبد الرحمن بن إبراهيم القاضي شيخ البخاري ومن فوقه إلىٰ أبي أمامة من رجال الصحيح إلا الهوزني وما علمتُ فيه جرحًا».

وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن خليدٍ حدثنا أبو توبة حدثنا معاوية ابن سلَّام عن زيد بن سلَّام أنَّه سمع أبا سلَّام يقول: حدثني عامر ابن يزيد بن البكالي أنَّه سمع عتبة بن عبدٍ السلمي قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ ربي ﷻ وعدني أنْ يدخل الجنَّة من أُمتي سبعين ألفًا بغير حسابٍ، ثمَّ يشفع كلُّ ألفٍ لسبعين ألفًا، ثُمَّ يحثي ربي تبارك وتعالىٰ بكفيه ثلاث حثياتٍ**»، فكبَّر عمر وقال: إنَّ السبعين الأول يشفعهم اللهُ في آبائهم وأمهاتهم وأبنائهم وعشائرهم وأرجو أنْ يجعلني الله في أحد الحثيات الأواخر»[٣].

قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد: «لا أعلم لهذا الإسناد عِلَّة».

قال الطبراني: وحدثنا أحمد بن خُليد حدثنا توبة حدثنا معاوية بن سلَّام عن زيد بن سلَّام أنَّه سمع أبا سلَّام يقول: حدثني عبد الله بن عامر أنَّ قيس الكندي حدَّثه أنَّ أبا سعيد الأنماري رضي الله عنه حدثه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ ربي ﷻ وعدني**

---

(١) الأصهب: هو الَّذي يعلو لونه صُهْبة، كالشُّقْرة، وهو أنْ يخالط لونه لونًا آخر.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٠)، والطبراني في «الكبير» (٧٦٧٢)، وابن حبان (٧٢٤٦). وصححه وابن حجر.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣١٢)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٣٤١)، والبيهقي في «البعث» (٣٠٠).

أنْ يدخل الجنَّة من أمتي سبعين ألفًا بغير حسابٍ، ويشفع كلُّ ألفٍ لسبعين ألفًا، ثمَّ يحثي ربي ثلاث حثيات بكفيه» قال قيس: فقلتُ لأبي سعيد: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم بأذني ووعاه قلبي، قال أبو سعيد: فقال رسول الله ﷺ: **«وذلك إنْ شاء الله يستوعب مهاجري أمتي ويوفي الله ﷻ بقيته من أعرابنا»**[1].

قال الطبراني: «لم يُروَ هذا الحديث عن أبي سعيد الأنماري إلا بهذا الإسناد، تفرَّد به معاوية بن سلَّام».

وقد رواه محمد بن سهل بن عسكر عن أبي توبة الربيع بن نافع بإسناده وفيه: قال أبو سعيد: فحُسِبَ ذلك عند رسول الله ﷺ فبلغ أربعة مئة ألفِ ألفِ وتسع مئة ألفٍ، فقال رسول الله ﷺ: **«إنَّ ذلكَ يستوعب إنْ شاء الله مهاجري أمتي»**.

قال الطبراني: حدثنا محمد بن صالح بن الوليد النَّرسي، ومحمد ابن يحيىٰ ابن منده الأصبهاني قالا: أخبرنا أبو حفص عمرو بن علي، حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة عن أبي بكر بن أنس عن أبي بكر بن عمير عن أبيه رضي الله عنه أنَّ النَّبي ﷺ قال: **«إنَّ اللهَ وعدني أنْ يدخل من أمتي ثلاث مئة ألف الجنَّة، فقال عمير: يا رسول الله زدنا، فقال: هكذا بيده، فقال عميرٌ: يا رسول الله زدنا، فقال عمر: حسبكَ يا عميرُ، فقال: ما لنا ولك يا ابنَ الخطاب، وما عليكَ أن يدخلنا الله الجنَّة، فقال عمر: إنَّ الله ﷻ إنْ شاءَ أدخل النَّاس الجنَّة بحفنةٍ أو بحثيةٍ واحدةٍ، فقال نبي الله ﷺ: «صدَقَ عمر»**[2].

قال محمد بن عبد الواحد: «لا أعرف لعمير حديثًا غيره».

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٠٤)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦٨١٧)، وغيرهما.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٣)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٥٢٧٢)، وأحمد (٣/ ١٩٣) وفيه مقال.

وفي «الحلية» من حديث سليمان بن حرب حدثنا أبو هلال عن قتادة عن أنس عن النَّبي ﷺ قال: «**وعدني ربي ﷻ أنْ يدخل من أمتي الجنَّة مئة ألفٍ، فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله زِدْنا، فقال: وهكذا -وأشار سليمان بن حرب بيده كذلك- قال: يا رسول الله زدنا، فقال عمر: إنَّ الله ﷻ قادرٌ أنْ يدخل النَّاس الجنَّة بحفنةٍ واحدةٍ، فقال رسول الله ﷺ: «صدق عمر»**.

رواهُ عنه إبراهيم بن الهيثم البلوي، وفيه ضعفٌ. تفرَّد به أبو هلال الرَّاسبي: بصري واسمه محمد بن سُليم.

وقال عبد الرزاق: أنبأنا معمر عن قتادة عن النضر بن أنس عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله ﷻ وعدني أنْ يدخل الجنَّة من أمتي أربعَ مئةِ ألف**». قال أبو بكر: زدْنا يا رسول الله قال: وهكذا وجمع بين يديه، قال: زدنا يا رسول الله قال: وهكذا وجمع كفيه، فقال عمرُ: حسبُك يا أبا بكر، فقال أبو بكر: دَعْني وما عليك أنْ يدخلنا الله الجنَّة كلَّنا!! فقال عمر: إنَّ الله إنْ شاء أدخل خلقه الجنَّة بكفٍّ واحدةٍ، فقال النَّبي ﷺ: «**صدق عمر**».

تفرَّد به عبد الرزاق.

وقال أبو يعلىٰ الموصلي في «مسنده»: حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا عبد القاهر بن السري السلمي حدثنا حميد عن أنس رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: «**يدخل الجنَّة من أمتي سبعون ألفًا**». قالوا: زدنا يا رسول الله قال: لكلِّ رجلٍ سبعون ألفًا». قالوا: زدْنا يا رسول الله وكان علىٰ كثيب فحثا بيده، قالوا: زدنا يا رسول الله فقال: هكذا وحثا بيده، قالوا: يا نبي اللهِ، أبعدَ الله من دخل النَّار بعد هذا»[1].

قال محمد بن عبد الواحد: «لا أعلمه رُويَ عن أنس إلا بهذا الطريق، وسئل

(١) أخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده» (٣٧٨٣). وهو حديث منكر.

يحيىٰ بن معين عن عبد القاهر فقال: صالح».

وأصحاب هذه الحثيات هم الَّذين وقعوا في قبضته الأولىٰ سبحانه يوم القبضتين[1].

فإنْ قيل: فكيف كانوا أوَّلًا قبضة واحدة، ثمَّ صاروا ثلاث حثيات مع العدد المذكور؟

قيل: الرَّبُّ سبحانه وتعالىٰ أخرج يوم القبضتين صورهم وأشباحهم، وقد روي أنَّهم كانوا كالذَّر[2]، وأمَّا يوم الحَثَيات، فيكونون أتمَّ ما كانوا خِلْقةً، وأكمل أجسامًا، فناسبَ أنْ تتعدد الحثيات بكلتا اليدين، والله أعلم.

---

(١) لعلَّه يشيرُ إلىٰ ما أخرجهُ أحمد في «المسند» (٤/ ١٧٦ - ١٧٧) وفيه «إنَّ اللهَ قبض بيمينه قبضة، وأُخرىٰ باليد الأُخرىٰ، وقال: هذه لهذه، وهذه لهذه، ولا أُبالي». وسنده صحيح.

(٢) لعلَّه يشيرُ إلىٰ حديث أبي الدرداء مرفوعًا: «خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنىٰ، فأخرج ذرية بيضاء، كأنهم الذر» أخرجه أحمد (٦/ ٤٤١)، والبزار (٤١٣٣) وحسن إسناده.

ص(٢٨٠)

الباب الرَّابع والثلاثون

في ذكر تربة الجنَّة وطينها وحصبائها وبنائها

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر، وأبو كامل قالا: ثنا زهير، حدثنا سعد الطائي، حدثنا أبو المُدِلَّة مولىٰ أم المؤمنين سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قلنا: يا رسول الله، إذا رأيناك رقَّت قلوبنا، وكُنَّا من أهلِ الآخرة، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا، وشَمَمْنا النِّساء والأولاد، قال: «**لو تكونون علىٰ كلِّ حالٍ علىٰ الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكُفِّهم، ولزارتكم في بيوتكم، ولو لم تذنبوا لجاء اللهُ بقومٍ يذنبون كي يغفر لهم**». قال: قلنا: يا رسول الله، حدثنا عن الجنَّة ما بناؤها؟ قال: «**لبنةُ ذهبٍ، ولبنةُ فضة، ومِلاطُها**[1] **المسك، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم لا يَبْؤس، ويخلدُ لا يموتُ، لا تبلىٰ ثيابُه، ولا يفنىٰ شبابه، ثلاثةٌ لا تُرَدُّ دعوتهم: الإمامُ العادلُ، والصائمُ حتىٰ يفطر، ودعوة المظلوم؛ تُحملُ علىٰ الغمام، وتفتح لها أبواب السماواتِ، ويقول الرَّبُّ: وعِزَّتي لأنصرنك ولو بعد حينٍ**»[2].

وروىٰ أبو بكر بن مردويه من حديث الحسن عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سُئِل رسول الله ﷺ عن الجنَّة فقال: «**من يدخل الجنَّة يحيا ولا يموتُ، وينعم لا يبأس لا تبلىٰ ثيابه، ولا يفنىٰ شبابه**» قيل: يا رسول الله كيف بناؤها؟ قال: لبنةٌ من ذهبٍ ولبنةٌ

(١) الملاط: الطين يكون بين اللَّبنتين. يعني طينها مسك.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٠٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٣٨٧)، وغيرهما.

من فضة، وملاطها مسكٌ أذفرٌ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران»[(١)].

هكذا جاء في هذه الأحاديث أنَّ ترابها الزعفران.

وكذلك روىٰ يزيد بن زريع، حدثنا سعيد عن قتادة عن العلاء بن زياد، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الجنَّةُ لبنةٌ من ذهبٍ، ولبنةٌ من فضة، ترابها الزعفرانُ وطينها المسكُ**»[(٢)].

وفي «الصحيحين[(٣)] من حديث الزهري عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان أبو ذرٍّ يحدث أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أُدْخِلْتُ الجنَّة فإذا فيها جنابذُ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسكُ**» وهو قطعة من حديث المعراج.

وروىٰ مسلمٌ في «صحيحه»[(٤)] من حديث حمَّاد بن سلمة عن الجُريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ سأل ابن صائد عن تربة الجنة، فقال: دَرمَكةٌ بيضاءُ، مسكٌ خالصٌ، فقال رسول الله ﷺ: «**صدق**».

ثمَّ رواهُ عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي أُسامة عن الجُريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد أنَّ ابن صياد سأل النَّبي ﷺ عن تربة الجنَّة فقال: «**دَرمكَةٌ بيضاءُ مسكٌ خالصٌ**»[(٥)].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٩٤٤)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (١٢)، وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (١٦٠)، والبيهقي في «البعث» (٢٨٣). ولعل الصواب وقفه علىٰ أبي هريرة كما عند عبد الرزاق (٢٠٨٧٥)، وابن المبارك في «الزهد» وغيرهما.

(٣) البخاري (٣١٦٤)، ومسلم (١٦٣).

(٤) ليس هذا الطريق في صحيح مسلم، وإنَّما هو عند أحمد (٣/ ٤، ٢٤، ٢٥، ٤٣) وغيره، والَّذي في مسلم (٢٩٢٨)، من طريق بشر بن المفضَّل عن أبي مسلمة عن أبي نضرة به.

(٥) أخرجه مسلم (٢٩٢٨).

وقال سفيان بن عيينة عن مُجَالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: جاء رجلٌ إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، قد غُلِبَ أصحابك اليوم، قال: وبأي شيءٍ غُلِبُوا؟ قال: سألهم اليهود: كم عدد خزنة النَّار فقالوا: لا ندري حتىٰ نسأل نبينا، فقال رسول الله ﷺ: **«أَيُغْلَبُ قومٌ سُئِلوا عمَّا لا يعلمون؛ فقالوا: حتىٰ نسأل نبينا؟! ولكن هم أعداءُ اللهِ سألوا نبيهم أنْ يريهم الله جهرةً، عليَّ بأعداءِ اللهِ، فإنِّي سائلهم عن تربة الجنَّة وأنَّها دَرْمَكَةٌ»**. فلمَّا أنْ جاؤوهُ قالوا: يا أبا القاسم كم عِدَّة خزنة أهل النَّار؟ فقال رسول الله ﷺ بيديه كلتيهما: هكذا وهكذا، وقبض واحدة، أي: تسعة عشر، فقال لهم رسول الله ﷺ: **«ما تربة الجنَّة؟ فنظر بعضهم إلىٰ بعض، وقالوا: خبزة يا أبا القاسم، فقال النَّبي ﷺ: «الخبزة من الدرمك»**[1].

فهذه ثلاث صفات في تربتها، لا تعارض بينها.

فذهبت طائفة من السلف إلىٰ أنَّ تربتها متضمنةٌ للنوعين: المِسْك والزعفران.

قال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا محمد بن أبي عبيدة عن أبيه عن الأعمش عن مالك بن الحارث قال: قال مُغِيث بن سُمَي: «الجنَّة ترابها المسك والزعفران»[2].

ويحتمل معنيين آخرين:

أحدهما: أنْ يكون التراب من زعفران، فإذا عجن بالماء صار مِسْكًا، والطين يسمَّىٰ ترابًا، ويدل علىٰ هذا قوله في اللفظ الآخر: «ملاطها المسك»[3]،

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٢٧)، وأحمد (٣/ ٣٦١) مختصرًا، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (١٥٩) وغيرهم بإسناد ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٠١٤)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥٧٦)، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (١٦٢) واللفظ له، وسنده صحيح.

(٣) تقدم تخريجه ص(١٤٩).

والملاط: الطين، ويدل عليه أنَّ في حديث العلاء بن زياد: «ترابُها الزعفران، وطينها المسك»[١]، فلمَّا كانت تربتها طيبة، وماؤها طيِّبًا، فانضمَّ أحدهما إلىٰ الآخر حدثَ لهما طيب آخر فصارا مسكًا.

المعنىٰ الثاني: أنْ يكون زعفرانًا: باعتبار اللون. مسكًا: باعتبار الرَّائحة. وهذا من أحسن شيءٍ تكون البهجة والإشراق في لون الزعفران، والرائحة في رائحة المسك، وكذلك تشبيهها بالدرمك، وهو الخبز الصافي الَّذي يضرب لونه إلىٰ صفرة مع لينها ونعومتها، وهذا معنىٰ ما ذكره سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: «أرض الجنَّة من فضة، وترابها مسك»[٢]، فاللون في البياض لون الفضة، والرَّائحة رائحة المسك.

وقد ذكر ابن أبي الدنيا من حديث أبي بكر بن أبي سَبْرة، عن عمر ابن عطاء بن وراز، عن سالم أبي الغيث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: «**أرض الجنَّة بيضاء، عرصتها صخورُ الكافور، وقد أحاط به المسكُ مثل كثبان الرمل، فيها أنهارٌ مطردَةٌ، فيجتمع فيها أهل الجنَّة أدناهم وآخرهم، فيتعارفون، فيبعث اللهُ ريح الرحمة، فتهيج عليهم ريح المسك، فيرجع الرجل إلىٰ زوجته، وقد ازدادَ حسنًا وطيبًا، فتقول: لقد خرجتَ من عندي، وأنا بك معجبة، وأنا بك الآن أشدُّ إعجابًا**»[٣].

وقال ابن أبي شيبة: حدثنا معاوية بن هشام حدثنا علي بن صالح، عن عمر بن ربيعة عن الحسن عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قيل: يا رسول الله كيف بناء الجنَّة؟ قال:

---

(١) تقدم تخريجه ص(١٨٨).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٣٩٤٣)، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (١٦١) واللفظ له.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٢٨). وإسناده ضعيف جدًّا.

لبنةٌ من فضة، ولبنةٌ من ذهب، ملاطها مسكٌ أذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران»[١].

وقال أبو الشيخ: حدثنا الوليد بن أبان حدثنا أسيد بن عاصم حدثنا الحوضي حدثنا عدي بن الفضل حدثنا سعيد الجُرَيْري عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ عز وجل بنىٰ جنَّات عدنٍ بيده، وبناها لبنة من ذهبٍ ولبنة من فضة، وجعل ملاطها المسك الأذفر، وترابها الزعفران، وحصباءها اللؤلؤ، ثمَّ قال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلحَ المؤمنون، فقالت الملائكة: طُوبىٰ لك منزل الملوك**»[٢].

وقال أبو الشيخ: حدثنا عمرو بن الحصين حدثنا ابن علاثة حدثنا ابن جُريج عن عطاء عن عُبَيْد بن عُمَيْر عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «**قلت ليلة أُسريَ بي: يا جبريل إنَّهم سيسألوني عن الجنَّة قال: فأخبرهم أنَّها من دُرَّةٍ بيضاء، وأنَّ أرضها عِقيان**»[٣].

والعِقْيَانُ: الذَّهبُ، فإنْ كان ابن علاثة حفظه، فهي أرض الجنتين الذهبيتين، ويكون جبريل أخبره بأعلىٰ الجنتين وأفضلهما، واللهُ أعلم.

---

(١) تقدم تخريجه ص(١٤٩).

(٢) تقدم تخريجه ص(١٤٩).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (١٥١). وهو حديثٌ موضوع.

ص(٢٨٩)

الباب الخامس والثلاثون
في ذكر نورها وبياضها

قال أحمد بن منصور الرَّمادي: حدثنا كثير بن هشام حدثنا هشام بن زياد أبو المقدام عن حبيب بن الشهيد عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«خلقَ اللهُ الجنَّة بيضاءَ، وأحبُّ الزِّيِّ إلىٰ الله البياض، فليلبسهُ أحياؤكم، وكفنوا فيه موتاكم، ثمَّ أمرَ برعاء الشاءِ فجمعتْ، فقال: من كان ذا غنمٍ سودٍ فليخلط بها بِيْضًا، فجاءته امرأة فقالت: يا رسول الله، إنِّي اتخذت غنمًا سودًا فلا أَراها تنموا، قال: عفِّري»**[1].

وقوله: «عَفِّرِي» أي: بَيِّضِي.

وذكر أبو نُعَيْم من حديث عبَّاد بن عبَّاد حدثنا هشام بن زياد عن يحيىٰ بن عبدالرحمن عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه: **«إنَّ اللهَ خلق الجنَّة بيضاء، وإنَّ أحبَّ اللَّون إلىٰ اللهِ البياض، فليلبسه أحياؤكم، وكفِّنُوا فيهِ موتاكم»**.

وذكر من طريق عبد الحميد بن صالح حدثنا أبو شهاب عن حمزة عن عمرو ابن دينار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«عليكم بالبياض، فإنَّ اللهَ خلق الجنَّة بيضاءَ، فليلبسه أحياؤكم، وكفنوا فيه موتاكم»**[2].

ورُوِّينا من طريق النِّجاد حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سويد بن سعيد حدثنا عبد ربه الحنفي عن خالِهِ الزميل بن سماك سمع أباه يحدث أنَّه لقي عبد الله بن

---

(١) أخرجه البزار (٤٧٩٥)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ١٠٧)، وغيرهما. وهو حديثٌ ضعيف جدًّا.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (١٣٠)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٣٧٧). وهو ضعيف جدًّا.

عباس بالمدينة بعدما كُفَّ بَصَرُه فقال: يا ابن عباس ما أرض الجنَّة؟ قال: مَرْمرة بيضاء من فضة كأنَّها مرآة، قلتُ: ما نورها؟ قال: ما رأيت الساعة التي تكون فيها قبل طلوع الشمس، فذلك نورها إلا أنَّه ليس فيها شمسٌ ولا زمهرير»، وذكر الحديث[١]، وسيأتي إنْ شاء الله[٢].

وفي حديث لقيط بن عامر الطويل الَّذي رواه عبد الله بن أحمد في «مسند أبيه» عن النَّبي ﷺ فذكر الحديث وقال: «وتحبس الشمس والقمر فلا يرون منهما واحدًا، قال: قلتُ يا رسول الله فبِمَ نبصرُ؟ قال: بمثل بصرك في ساعتك هذه، وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرقته الأرضِ، وواجهته الجبال»[٣].

وفي «سنن ابن ماجه» من حديث الوليد بن مسلم عن محمد بن مهاجر عن الضحاك المعافري عن سليمان بن موسىٰ حدثني كريب أنَّه سمع أسامة بن زيد يقول: قال رسول الله ﷺ: **«ألا هل مُشمِّر للجنَّة، فإنَّ الجنَّة لا خطر لها، هي وربِّ الكعبة نورٌ يتلألأ، وريحانةٌ تهتزُّ، وقصرٌ مشيدٌ، ونهرٌ مطردٌ، وثمرةٌ نضيجةٌ، وزوجةٌ حسناءُ جميلة، وحُلَلٌ كثيرةٌ، ومقامٌ في أبدٍ في دارٍ سليمةٍ، وفاكهةٍ وخضرةٍ، وحَبرة ونعمةٍ، في محلَّةٍ عالية بهيةٍ»** قالوا: نعم يا رسول الله، نحن المشمرون لها، قال: «قولوا: إنْ شاء اللهِ»، قال القوم: إنْ شاء اللهُ»[٤].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (١٤٧)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥٩٩). وحسَّنه المنذري.

(٢) انظر: ص(٢٨٣).

(٣) تقدم الكلام عليه ص(٣٤٣، ٣٤٤).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤٣٣٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٣٨١) وغيرهما.

ص(٢٩٢)

الباب السادس والثلاثون

في ذكر غرفها وقصورها ومقاصيرها وخيامها

قال الله تعالىٰ: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ [الزمر:٢٠].

فأخبر تعالىٰ أنَّها غرفٌ فوق غرف، وأنَّها مبنية بناء حقيقة، لئلا تتوهم النفوس أنَّ ذلك تمثيل، وأنَّه ليس هناك بناء، بل تتصور النفوس غرفًا مبنية كالعلالي بعضها فوق بعض، حتىٰ كأنَّها تنظر إليها عيانًا، و«مَبْنِيَّة»: صفةٌ للغرف الأولىٰ والثانية، أي لهم منازل مرتفعة، وفوقها منازل أرفع منها.

وقال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الفرقان:٧٥].

والغرفة جنْس كالجنَّة، وتأمَّل كيف جعل جزاءهم علىٰ هذه الأفعال المتضمنة للخضوع، والذلِّ والاستكانة لله = الغرفة؛ والتحية والسلام في مقابلة صبرهم علىٰ سوء خطاب الجاهلين لهم، فبُدِّلُوا بذلك سلام الله وملائكته عليهم.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ:٣٧]، وقال تعالىٰ: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [الصف:١٢]، وقال تعالىٰ عن امرأة فرعون إنَّها قالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم:١١].

وروىٰ الترمذي في «جامعه» من حديث عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ في الجنَّة لغُرَفًا يُرىٰ ظهورها من**

بطونها وبطونها من ظهورها، فقام أعرابي فقال: يا رسول الله لمن هي؟ قال: لمن طيَّبَ الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلَّىٰ باللَّيل والنَّاس نيام»[١].

قال الترمذي: «هذا حديثٌ غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق».

وقال الطبراني: حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا هشام بن عمَّار حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام حدثني أبو سلام حدثني أبو معانق الأشعري حدثني أبو مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ في الجنَّة غُرفًا يُرىٰ ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدَّها اللهُ لمن أطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلَّىٰ بالليل والنَّاس نيام**»[٢].

وقال ابن وهب: حدثني حُيَيٌّ عن أبي عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبي ﷺ قال: «**إنَّ في الجنَّة غُرفًا يُرىٰ ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، قال أبو مالك الأشعري: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وبات قائمًا والنَّاس نيام**»[٣].

قال محمد بن عبد الواحد: «وهذا عندي إسناد حسن، وذكر أبي مالك فيه ممَّا يدل علىٰ صحته؛ لأنَّ أبا مالك قد رواهُ، وإسناده أيضًا حسن».

وقد تقدَّم حديث أبي سعيد المتفق علىٰ صحته: «**إنَّ أهل الجنَّة ليتراءون أهل**

(١) أخرجه الترمذي (١٩٨٤)، وأحمد (١/ ١٥٦)، وابن خزيمة (٢١٣٦).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣٤٦٧)، وابن حبان (٥٠٩) وابن خزيمة (٢١٣٧)، والحديث أصله ثابت لما بعده.

(٣) أخرجه الحاكم (١٢٠٠)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٢٧٧)، وحسَّن إسناده الهيثمي والمنذري.

الغرفِ فوقهم كما تراءون الكوكب الغابرَ من الأفق»[١].

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث أبي موسىٰ الأشعري عن النَّبي ﷺ قال: **«إنَّ للمؤمن في الجنَّة لخيمة من لؤلؤة واحدةٍ مجوفةٍ، طولها ستون ميلًا، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن، فلا يرىٰ بعضهم بعضًا»**.

وقد تقدَّم قوله ﷺ في الحديث الصحيح: **«من بنىٰ لله مسجدًا بنىٰ اللهُ له بيتًا في الجنَّة»**[٣].

وقوله في حديث أبو موسىٰ: يقول ﷻ لمن حمده واسترجع عند موت ولده: **«ابنوا لعبدي بيتًا في الجنَّة وَسَمُّوه بيت الحمد»**[٤].

وفي «الصحيحين»[٥] من حديث عبد الله بن أبي أوفىٰ وأبي هريرة وعائشة رضي الله عنهم أنَّ جبريل قال للنَّبي ﷺ: **«هذه خديجة أقرئها السلام من ربِّها، وأمره أنْ يُبشِّرها ببيتٍ في الجنَّة من قصب، لا صخبَ فيه ولا نصب»**.

والقَصَبُ هاهنا: قَصَبُ اللؤلؤ المجوف.

وقد روىٰ ابن أبي الدنيا من حديث يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن عكرمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: **«إنَّ في الجنَّة لقصرًا من لؤلؤ ليس فيه**

---

(١) تقدم في الباب (١٧) ص (١٠٩، ١١٠).

(٢) البخاري (٤٥٩٨)، ومسلم (٢٨٣٨).

(٣) تقدم في الباب (٧) ص (٧٠).

(٤) تقدم في الباب (٧) ص (٧٠).

(٥) البخاري (٣٦٠٨)، ومسلم (٢٤٣٣) من حديث ابن أبي أوفىٰ رضي الله عنه.
والبخاري (٣٦٠٥)، ومسلم (٢٤٣٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.
والبخاري (٣٦٠٩)، ومسلم (٢٤٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

صدعٌ ولا وهن، أعدَّه اللهُ ﷻ لخليله إبراهيم»[١].

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث حميد عن أنس رضي الله عنه أنَّ النَّبي ﷺ قال: **«دخلتُ الجنَّة فإذا أنا بقصرٍ من ذهب، فقلتُ: لمن هذا القصر؟ قالوا: لشاب من قريش، فظننتُ أنِّي أنا هو، فقلتُ: ومن هو؟ قالوا: لعمر بن الخطاب»**.

وهو فيهما من حديث جابر ولفظه: «فأتيت علىٰ قصرٍ مُرَبَّع مشرفٍ من ذهبٍ» وقد تقدَّم[٣].

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا شجاع بن الأشرس قال: سمعت عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن حميد عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: **«دخلتُ الجنَّة فإذا فيها قصرٌ أبيض قال: قلتُ لجبريل: لمن هذا القصر؟ قال: لرجلٍ من قريش، فرجوت أنْ أكون أنا، فقلتُ: لأيِّ قريش؟ قال: لعمر بن الخطاب»**.

وهذا إنْ كان محفوظًا فبياضه: نوره وإشراقه وضياؤه، واللهُ أعلم.

وقال الحسن: «قصر من ذهب لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حكم عدل. يرفع بها صوته»[٤].

وقال الأعمش: حدثنا مالك بن الحارث عن مُغِيث بن سُمَيٍّ قال: «إنَّ في

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦٥٤٣ و ٨١١٤)، وابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٢١٧)، وقد اختلف في رفعه ووقفه، والموقوف أصح، كما قال أبو حاتم والدارقطني.

(٢) لم أقف عليه في الصحيحين من هذا الوجه. وإنَّما أخرجه الترمذي (٣٦٨٨)، وأحمد (٣/ ١٠٧) وغيره.

(٣) في الباب الأوَّل ص(٤٣)، وراجع ص(١٦٠).

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في «التفسير» (١١٦٨)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٨١). وسنده صحيح.

الجنَّة قصورًا من ذهبٍ، وقصورًا من فضة، وقصورًا من لؤلؤ، وقصورًا من ياقوت، وقصورًا من زبرجد»[١].

وقال الأعمش: عن مجاهد عن عُبَيد بن عُمير قال: «**إنَّ أدنىٰ أهل الجنَّة منزلةً من له دار من لؤلؤة واحدةٍ، منها غرفها وأبوابها**»[٢].

وروىٰ البيهقي من حديث حفص بن عمر حدثنا عمرو الملائي عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ في الجنَّة لغرفًا، فإذا كان ساكنها فيها لم يَخْفَ عليه ما خلفها، وإذا كان خلفها لم يخف عليه ما فيها**»، قيل: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «لمن أطاب الكلام، وواصل الصيام، وأطعمَ الطعام، وأفشىٰ السلام، وصلَّىٰ والنَّاس نيام»، قيل: وما طيب الكلام؟ قال: «سبحان اللهُ والحمدُ لله، ولا إله إلا الله، واللهُ أكبر، فإنَّها تأتي يوم القيامة ولها مقدماتٌ ومجنباتٌ ومعقباتٌ»، قيل: وما وصال الصيام؟ قال: «من صام شهر رمضان، ثمَّ أدركَ شهر رمضان فصامه»، قيل: وما إطعام الطعام؟ قال: «من قات عياله وأطعمهم»، قيل: فما إفشاء السلام؟ قال: «مصافحة أخيك وتحيته»، قيل: وما الصلاة والنَّاس نيام؟ قال: «صلاة العشاء الآخرة»[٣].

قال: «حفص بن عمر هذا مجهول، لم يروِهِ عنه غير علي بن حرب فيما أعلم».

قلتُ: هذا يلقب بالكَفْر -بفتح الكاف وسكون الفاء- وقد روىٰ عنه محمد

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (١٨٠). وسنده صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٣٩٨٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٧٤). ورجاله ثقات، لكنَّه مرسل.

(٣) أخرجه البيهقي في «البعث» (٢٨٠)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٣٨٨)، وابن حبان في «المجروحين» (١/ ٢٥٩ - ٢٦٠). والحديث باطل بهذا الإسناد.

بن غالب: تمتام وعلي بن حرب وهما ثقتان؛ ولكن ضعفه ابن عدي وابن حبان وحديثه هذا له شواهد، واللهُ أعلم.

وفي «فوائد ابن السماك»: حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور حدثنا أبي حدثنا عبد الرحمن بن عبد المؤمن قال: سمعت محمد بن واسع يذكر عن الحسن عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال النَّبي ﷺ: «**ألا أحدثكم بغرف الجنَّة؟ قال: قلنا بلىٰ يا رسول الله بأبينا أنت وأمّنا، قال: «إنَّ في الجنَّة غرفًا من أصناف الجوهر كله، يُرَىٰ ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، فيها من النعيم واللَّذات ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت**»، قال: قلنا: يا رسول الله، لمن هذه الغرف؟ قال: «**لمن أفشىٰ السلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلَّىٰ باللَّيل والنَّاس نيام**»، قال: قلنا: يا رسول الله، ومن يطيق ذلك؟ قال: أمتي تطيق ذلك، وسأخبركم عن ذلك: من لقي أخاه فسلَّم عليه، أو ردَّ عليه فقد أفشىٰ السلام، ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتىٰ يشبعهم، فقد أطعم الطعام، ومن صام رمضان، ومن كل شهر ثلاثة أيام، فقد أدامَ الصيامَ، ومن صلَّىٰ صلاة العشاء الآخرة في جماعة، فقد صلَّىٰ الليل والنَّاس نيامٌ: اليهود والنَّصارىٰ والمجوس»[1].

وهذا الإسناد وإنْ كان لا يُحْتَجُّ به وحده، فإذا انضمَّ إليه ما تقدَّم استفاد قُوَّة مع أنَّه قد رُوِيَ بإسنادين آخرين.

---

(١) أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» (٢٧٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٥٦)، وقوّاه البيهقي بما قبله.

ص(٣٠٣)

الباب السابع والثلاثون

في ذكر معرفتهم بمنازلهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنَّة وإنْ لم يروها قبل ذلك

قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد:٤-٦].

قال مجاهد: «يَهْتدي أهلها إلىٰ بيوتهم ومساكنهم، لا يخطئون، كأنَّهم ساكنوها منذ خلقوا، لا يستدلون عليها أحدًا»(١).

وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: «لهُمْ أَعْرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلىٰ منازلهم»(٢).

وقال محمد بن كعب: «يعرفونها كما تعرفون بيوتكم في الدنيا، إذا انصرفتم من يوم الجمعة»(٣).

هذا قول جمهور المفسرين. وتلخيص أقوالهم ما قاله أبو عبيدة: ﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد:٦] أي: بيَّنها لهم، حتىٰ عرفوها من غير استدلال.

وقال مُقَاتل بن حيَّان: «بلغنا أنَّ الملك الموكل بحفظ عمل بني آدم يمشي في الجنَّة، ويتبعه ابن آدم حتىٰ يأتي أقصىٰ منزل هو له، فيعرفه كل شيءٍ أعطاهُ اللهُ في

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٦/ ٤٤) وسنده حسن.

(٢) أخرجه عبد الملك بن حبيب السلمي في «وصف الفردوس» (٢٤١). وسنده ضعيف جدًّا.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٢٨٩). وإسناده لا بأس به.

الجنَّة، فإذا دخلَ إلىٰ منزله وأزواجه انصرف الملك عنه»[١].

وقال سلمة بن كُهَيْل: «طَرَّقها لهم»[٢].

ومعنىٰ هذا: أنَّه طرقها لهم حتَّىٰ يهتدوا إليها.

وقال الحسن: «وصف الله الجنَّة في الدنيا لهم، فإذا دخلوها عرفوها بصفتها»[٣].

وعلىٰ هذا القول، فالتعريف وقع في الدنيا، ويكون المعنىٰ: يدخلهم الجنَّة التي عرَّفها لهم، وعلىٰ القول الأوَّل: يكون التعريف واقعًا في الآخرة، هذا كلُّه إذا قيل: إنَّه من التعريف.

وفيها قولٌ آخر: إنَّها من العَرْفِ، وهو الرَّائحة الطيبة، وهذا اختيار الزجاج، أي: طيَّبها، ومنه طعام مُعرَّف أي مطيَّب.

وقيل: هو من العُرف، وهو التَّتابع: أي تابع لهم طيباتها وملاذَّها.

والقول هو الأوَّل، وأنَّه سبحانه أعلمها وبيَّنها بما يعلم به كل أحد منزله وداره، فلا يتعدَّاهُ إلىٰ غيره.

وفي «صحيح البخاري»[٤] من حديث قتادة عن أبي المتوكل النَّاجي عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ نبي الله ﷺ قال: إذا خلص المؤمنون من النَّارِ حُبِسوا بقنطرةٍ بين الجنَّة والنَّار، يتقاصُّون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتىٰ إذا هُذِّبوا

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدرر (٦/ ٢٣). وقال القرطبي في تفسيره (١٦/ ٢٣١): «وحديث أبي سعيد الخدري يردُّه». قلتُ: حديث أبي سعيد سيورده ابن القيم قريبًا وهو نصٌّ في ذلك.

(٢) أخرجه الحربي في «غريب الحديث» (١/ ١٨٩): بلفظ: «يُعَرَّفون طُرُقها». وسنده حسن.

(٣) ذكره الماوردي في تفسيره (٥/ ٢٩٤ - ٢٩٥) بنحوه.

(٤) برقم (٢٣٠٨).

ونقُّوا أُذِنَ لهم بدخول الجنَّة، والَّذي نفسي بيده إنَّ أحدهم بمنزله في الجنَّة أدلُّ منه بمسكنه كان في الدنيا».

وفي «مسند إسحاق» من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**والَّذي بعثني بالحقِّ، ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنَّة بأزواجهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنَّة**»[1].

---

(١) هو قطعة من حديث الصور الطويل، وقد تقدم ص(١٧٥-١٧٦).

الباب الثامن والثلاثون

ص(٣٠٦)

في كيفية دخولهم الجنة وما يُستقبلون عند دخولها

وقد تقدَّم قوله تعالىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ﴾ [الزمر:٧٣] وقال تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا﴾ [مريم:٨٥].

قال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن عباد بن موسىٰ العُكلي حدثنا يحيىٰ بن سُلَيم الطائفي حدثنا إسماعيل بن عبد الله المكي حدثني أبو عبد الله أنَّه سمع الضحاك بن مزاحم يحدث عن الحارث عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه سأل رسول الله ﷺ عن هذا الآية: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا﴾ [مريم:٨٥]، قال: قلتُ يا رسول الله، ما الوفد إلا ركبٌ؟ قال النَّبي ﷺ: «**والَّذي نفسي بيده إنَّهم إذا خرجوا من قبورهم استُقبلوا بنوقٍ بيضٍ، لها أجنحة عليها رحال الذهب، شرك نعالهم نورٌ يتلألأ، كلُّ خطوةٍ منها مثلُ مدِّ البصر، وينتهون إلىٰ باب الجنَّة، فإذا حلقة من ياقوتةٍ حمراء علىٰ صفائح الذَّهبِ، وإذا شجرةٌ علىٰ باب الجنَّة ينبع من أصلها عينان، فإذا شربوا من إحداهما جرتْ في وجوههم نضرة النَّعيم، وإذا توضؤوا من الأُخرىٰ لم تشعث أشعارهم أبدًا، فيضربون الحلقة بالصَّفيحة، فلو سمعت طنين الحلقة، فيبل كل حوْرَاء، أنَّ زوجها قد أقبل، فتستخفها العَجَلة، فتبعثُ قيِّمها فيفتح له الباب، فلولا أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ عرَّفه نفسه لخرَّ له ساجدًا ممَّا يرىٰ من النور والبهاء، فيقول: أنا قيِّمُك الَّذي وُكِّلْتُ بأمرِك، فيتبعه فيقفوا أثره، فيأتي زوجته، فتستخفها العجلة، فتخرج من الخيمة فتعانقه، وتقول: أنت حِبِّي وأنا حِبُّكَ، وأنا الرَّاضية فلا أسخط أبدًا، وأنا النَّاعمة فلا أبأس أبدًا، والخالدة فلا أظعن أبدًا، فيدخل بيتًا من أساسه إلىٰ سقفه مئة**

ألف ذراعٍ مبنيٌّ علىٰ جَنْدل اللؤلؤ والياقوت، طرائقَ حمرٍ، وطرائق خُضر، وطرائقَ صفرٍ، ما منها طريقةٌ تُشاكل صاحبتها، فيأتي الأريكة، فإذا عليها سريرٌ، علىٰ السَّرير سبعونَ فراشًا، عليها سبعون زوجةً، علىٰ كلِّ زوجةٍ سبعون حُلَّةً يُرىٰ مُخُّ ساقها من باطن الجلْد، يقضي جمَاعهنَّ في مقدار ليلة، تجري من تحتهم أنهارٌ مُطَّردةٌ: أنهار من مَاءٍ غير آسن صافي ليس فيه كدرٌ، وأنَّهارٌ من عسلٍ مصفًّىٰ، لم يخرج من بطون النحل، وأنهارٌ من خمرٍ لذَّةٍ للشَّاربين، لم تعصره الرجال بأقدامها، وأنهارٌ من لبنٍ لم يتغير طعمهُ، لم يخرج من بطون الماشية، فإذا اشتهوا الطعامَ، جاءتهم طيرٌ بيض، فترفع أجنحتها، فيأكلون من جنوبها من أي الألوان شاؤوا، ثمَّ تطير فتذهبُ، فيها ثمار مُتدليَّة، إذا اشتهوا انبعث الغُصنُ إليهم، فيأكلون من أيِّ الثمار شاؤوا، إنْ شاء قائمًا، وإنْ شاء متكئًا، وذلك قوله ﷻ: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن:٥٤]، وبين أيديهم خدمٌ كاللؤلؤ»[١].

هذا حديثٌ غريب، وفي إسناده ضعف، وفي رفعه نظر، والمعروف أنَّه موقوف علىٰ عليٍّ.

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن عمرو بن سليمان حدثنا محمد ابن فضيل عن عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد في هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ قال: «أما واللهِ ما يحشر الوفد علىٰ أرجلهم، ولكن يؤتون بنوقٍ لم ترَ الخلائق مثلها، عليها رِحالُ الذهب، وأزِمَّتُها الزبرجد، فيركبون عليها يضربوا باب الجنَّة»[٢].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٧)، والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ٨٦)، ووقفه علىٰ عليٍّ أصح.

(٢) أخرجه موقوفًا علىٰ عليٍّ الطبريُّ (١٦/ ١٢٦) والحاكم (٣٤٢٥) وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٢٨١). وصححه الحاكم وتعقَّبه الذهبي.

وقال علي بن الجعد في «الجعديات»: أخبرنا زهير بن معاوية عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: يُساق الَّذين اتقوا ربهم إلىٰ الجنَّة زُمَرًا حتَّىٰ ينتهوا إلىٰ بابٍ من أبوابها، وجدوا عنده شجرةً يخرج من تحت ساقها عينان تجريان، فعدوا إلىٰ إحداهما كأنَّما أُمِرُوا بها، فشربوا منها فأذهبت ما في بطونهم من أذىً أو قذىً أو بأس، ثمَّ عمدوا إلىٰ الأُخرىٰ فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم، فلن تغيَّر أبشارهم أو تغير بعدها أبدًا، ولن تشعث أشعارهم كأنَّما دُهِنُوا بالدِّهان، ثمَّ انتهوا إلىٰ خزنة الجنَّة فقالوا: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر:٧٣] قال: ثمَّ تتلقَّاهم الولدان يطيفون بهم، كما يطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم يقدم من غيبته، فيقولون: أبشرْ بما أعدَّ اللهُ لك من الكرامة -كذا قال- ثمَّ ينطلقُ غلامٌ من أولئك الولدان إلىٰ بعض أزواجه من الحور العين، فيقول: قد جاء فلانٌ باسمه الَّذي يُدعىٰ به في الدنيا، فتقول: أنتَ رأيته؟ فيقول: أنا رأيته، وهو ذا بأثري، فيستخف إحداهنَّ الفرحُ، حتىٰ تقوم علىٰ أسكُفَّةِ بابها، فإذا انتهىٰ إلىٰ منزله نظر إلىٰ أساس بنيانه، فإذا جندل اللؤلؤ فوقه صرحٌ أخضرُ وأصفرُ وأحمرُ، ومن كلِّ لونٍ، ثمَّ رفع رأسه، فنظر إلىٰ سقه، فإذا مثل البرقِ، فلولا أنَّ اللهَ قدَّره له لألمَّ أنْ يذهب ببصره، ثمَّ طأطأ رأسه فنظرَ إلىٰ أزواجه وأكوابٍ موضوعةٍ، ونمارق مصفوفة، وزرابي مبثوثة، فنظروا إلىٰ تلك النعمة، ثمَّ اتكئوا وقالوا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا﴾ [الأعراف:٤٣] ثمَّ ينادي منادٍ: تَحْيونَ فلا تموتون أبدًا، وتقيمون فلا تظعنون أبدًا، وتصحون فلا تمرضون أبدًا»[1].

وقال عبد الله بن المبارك: أخبرنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال:

---

(١) أخرجه علي بن الجعد في «الجعديات» (٢/ ٩٢٦)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٩٩٣). وصحَّحه ابن حجر والبوصيري وبيَّنا أن له حكم الرفع؛ إذ ليس للرأي فيه مجال.

«ذُكِرَ لنا أنَّ الرَّجل إذا دخل الجنَّة صُوِّر صورة أهل الجنَّة، وأُلبسَ لباسهم، وحلِّيَ حليتهم، وأُري أزواجه وخدمه، ويأخذه سَوَارّ فرحٍ لو كان ينبغي أنْ يموت لمات من سوار فرحه، فيقالُ له: أرأيتَ فرحتك هذه، فإنَّها قائمة لك أبدًا»[1].

قال ابن المبارك: وأخبرنا رشدين بن سعد: أنبأنا زهرة بن معبد القرشي، عن أبي عبد الرحمن الحبلي قال: «إن العبد أوَّل ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم، كأنَّهم اللؤلؤ»[2].

قال ابن المبارك: وأنبأنا يحيىٰ بن أيوب، حدثني عبيد الله بن زحر، عن محمد بن أبي أيوب المخزومي، عن أبي عبد الرحمن المعافري قال: «إنه لَيُصَفُّ للرجل من أهل الجنة سِمَاطان، لا يرىٰ طرفاهما من غلمانه، حتىٰ إذا مرَّ مشوا وراءه»[3].

وقال أبو نعيم: حدثنا سلمة عن الضحاك قال: «إذا دخل المؤمن الجنَّة، دخل أمامه ملك فأخذ به في سِكَكِهَا، فيقول له: انظر ما ترىٰ؟ قال: أرىٰ أكثر قصور رأيتها من ذهبٍ وفضةٍ، وأكثر أنيس. فيقول له الملكُ: فإنَّ هذا أجمع لك، حتَّىٰ إذا رُفِعَ إليهم استقبلوه من كلِّ بابٍ، ومن كلِّ مكانٍ: نحن لك، نحن لك، ثمَّ يقول له: امشِ، فيقول له: ماذا ترىٰ، فيقول: أرىٰ أكثر عساكِرَ رأيتها من خيام، وأكثر أنيسٍ، قال: فإنَّ هذا أجمعَ لك، قال: فإذا رُفِعَ إليهم استقبلوه يقولون: نحن لك، ونحن لك»[4].

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٤٢٩)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٢٤). وسنده صحيح.

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٤٢٧)، وابن أبي الدنيا (٢٥). وفي سنده ضعف.

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٤١٥)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٢٦) وفي سنده ضَعْف.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٢٧) وسنده صحيح.

وفي «الصحيحين» من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«ليدخلنَّ الجنَّة من أمتي سبعون ألفًا، أو سبع مئة ألف متماسكون آخذٌ بعضهم ببعض، لا يدخل أوَّلهم حتىٰ يدخل آخرهم، وجوههم علىٰ صورة القمر ليلة البدرِ»**[1].

---

(١) تقدم تخريجه في الباب الثاني والثلاثين ص(١٧٨).

ص(٣١٣)

الباب التاسع والثلاثون

في ذكر صفة أهل الجنة في خَلْقِهِم وخُلُقِهِم وطولهم وعرضهم ومقدار أسنانهم

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«خلق اللهُ عز وجل آدَمَ علىٰ صورته، طولُه ستون ذراعًا، فلما خلقه قال له: اذهب فسلِّم علىٰ أولئك النفر - وهم نفرٌ من الملائكة جُلوسٌ -، فاستمع ما يحيونك، فإنَّها تحيتك وتحية ذريتك، قال: فذهبَ فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليكَ ورحمةُ اللهِ، فزادوه ورحمة الله قال: فكلُّ من يدخل الجنَّة علىٰ صورة آدمَ، طولُهُ ستون ذراعًا، فلم يزل ينقص الخلق بعدهُ حتَّىٰ الآن»**[1] متفقٌ علىٰ صحته.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، وعفان بن مسلم، قالا: حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد ابن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يدخل أهل الجنَّةِ الجنَّةَ جُردًا مُردًا بيضًا جعادًا مكحَّلين، أبناء ثلاث وثلاثين، وهم علىٰ خلق آدم ستون ذراعًا في عرض سبعة أذرع»**[2]

قيل: تفرد به حماد، عن علي بن زيد.

وفي «جامع الترمذي» من حديث شهر بن حوشب عن عبد الرحمن ابن

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٤٨)، ومسلم (٢٨٤١)، وأحمد (٢/ ٣٥١)، وغيرهم.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٢٩٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٩٩٥). بإسناد ضعيف.

غنْم عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**يدخل أهل الجنَّةِ الجنَّةَ جردًا مردًا مكحلين بني ثلاثٍ وثلاثين**»[١]، قال: «هذا حديث حسن غريب».

وقال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا محمود بن خالد وعباس بن الوليد قالا: حدثنا عمر عن الأوزاعي عن هارون بن رئاب عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُبْعثُ أهل الجنَّةِ علىٰ صورة آدم في ميلاد ثلاثٍ وثلاثين سنة جُرْدًا مُرْدًا مكحلين، ثمَّ يذهبُ بهم إلىٰ شجرةٍ في الجنَّة، فيُكسون منها لا تبلىٰ ثيابهم، ولا يفنىٰ شبابهم**»[٢].

وقال الترمذي: حدثنا سويد بن نصر حدثنا عبد الله بن المبارك عن رِشْدِين بن سعد عن عمرو بن الحارث أنَّ درَّاجًا أبا السَّمْحِ حدَّثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ماتَ من أهل الجنَّة من صغيرٍ أو كبيرٍ يُردُّونَ بني ثلاثين سنة في الجنَّة لا يزيدون عليها أبدًا، وكذلك أهل النَّار**»[٣].

فإن كان هذا محفوظًا لم يناقض ما قبله، فإنَّ العرب إذا قدَّرت بعدَدٍ له نيِّف؛ فإنَّ لهم طريقين: تارةً يذكرون النَّيف للتحرير، وتارةً يحذفونه، وهذا معروف في كلامهم، وخطاب غيرهم من الأمم.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا القاسم بن هاشم حدثنا صفوان بن صالح حدثنا

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٤٥)، وأحمد (٥/ ٢٤٣). والصواب عدم ذكر عبد الرحمن بن غنم كما عند أحمد (٥/ ٢٣٢ و ٢٣٩) وغيره، وعليه فالإسناد ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي داود في «البعث» (٦٤)، والطبراني في «الصغير» (١١٦٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٥٦). وسنده ضعيف.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٥٦٢)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (١٧)، قال الترمذي: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث رشدين» ورشدين الأفريقي ضعيف.

روَّاد بن الجراح العسقلاني حدثنا الأوزاعي عن هارون بن رئاب عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يدخل أهلُ الجنَّة الجنَّة علىٰ طول آدم ستين ذراعًا بذراع الملك، علىٰ حُسْنِ يوسف، وعلىٰ ميلاد عيسىٰ ثلاثٍ وثلاثين سنة، وعلىٰ لسان محمد جُرْد مُرْد مُكحَّلون**».

وقال ابن وهب: حدثني معاوية بن صالح عن عبد الوهاب بن بُخْت عن أبي الزِّناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أهل الجنَّة يدخلون الجنَّة علىٰ قدر آدم ستون ذراعًا، وعلىٰ ذلك قطعتْ سُررهم**»[(١)].

وقد تقدَّم[(٢)] أنَّ أوَّل زمرة صورهم علىٰ صورة القمر ليلة البدر، وأنَّ الذين يلونهم علىٰ ضوء أشدِّ كوكبٍ في السَّماءِ إضاءةً.

وأمَّا الأخلاق فقد قال تعالىٰ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر:٤٧]، فأخبر عن قلوبهم وتلاقي وجوههم.

وفي «الصحيحين»[(٣)]: «**أخلاقهم علىٰ خَلْق رجلٍ واحد، علىٰ صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا في السماء**».

الرواية «**علىٰ خَلْق**» -بفتح الخاء وسكون اللام- والأخلاق كما تكون جمعًا للخُلق بالضم، فهي جمع للخَلق بالفتح، والمراد: تساويهم في الطول والعرض والسن، وإن تفاوتوا في الحسن والجمال، ولهذا فسره بقوله: «**علىٰ صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا في السماء**».

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٢٤٨)، وروي من وجه آخر عن أبي هريرة عند البخاري (٣١٤٨ و ٣١٤٩)، ومسلم (٢٨٣٤ و ٢٨٤١). وليس فيه «وعلىٰ ذلك قطعت سررهم».

(٢) في ص (١٧٨).

(٣) تقدم تخريجه في الباب (٢٧).

وأما أخلاقهم وقلوبهم ففي «الصحيحين»[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**أول زمرة تلج الجنة**» الحديث. وقد تقدم وفيه: «**لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم علىٰ قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشيًا**».

وكذلك وصف الله سبحانه وتعالىٰ نسائهم بأنهنَّ أتراب. أي: في سِنٍّ واحدة، ليس فيهن العجائز والشواب، وفي هذا الطول.

والعرض والسن من الحكمة ما لا يخفىٰ، فإنه أبلغ وأكمل في استيفاء اللذة؛ لأنة أكمل سن القوة مع عظم آلات الَّلذة، وباجتماع الأمرين يكون كمال اللذة وقوتها، بحيث يصل في اليوم الواحد إلىٰ مئة عذراء، كما سيأتي إن شاء الله تعالىٰ[2]، ولا يخفىٰ التناسب الذي بين هذا الطول والعرض، وأنه لو زاد أحدهما علىٰ الآخر فات الاعتدال وتَنَاسُب الخِلْقة، يصير طولًا مع دِقَّةٍ، أو غلظًا مع قصر، وكلاهما غير مناسب، والله أعلم.

---

(١) تقدم تخريجه في الباب (٢٧).

(٢) سيأتي في ص(٣٢٥، ٣٣٥).

ص(٣٢٠)

الباب الأربعون

في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم، وأعلاهم منزلة سيِّد ولدِ آدم صلوات اللّهِ وسلامه عليه

قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [البقرة:٢٥٣].

قال مجاهد وغيره: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾: موسىٰ ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾: هو محمد ﷺ [(١)].

وفي حديث الإسراء المتفق علىٰ صحته: أنه ﷺ، لما جاور موسىٰ قال: «رب لم أظن أن يُرفَع عليَّ أحد»، ثم علا فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتىٰ جاوز سدرة المنتهىٰ [(٢)].

وفي «صحيح مسلم» [(٣)] من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه، أنه سمع النَّبي ﷺ يقول: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ، فإنه من صلىٰ عليَّ صلاةً صلَّىٰ الله عليه عشرًا، ثم سلوا لي الوسيلة، فإنها منزلةٌ في الجنة لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة**».

وفي «صحيح مسلم» [(٤)]: من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ: «أنَّ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٥٥٣)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ١). وسنده حسن.

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٧٩)، واللفظ له، ومسلم (١٦٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) برقم (٣٨٤).

(٤) برقم (١٨٩).

موسىٰ سألَ ربَّهُ: ما أدنىٰ أهل الجنَّة منزلةً؟ فقال: رجلٌ يجيء بعدما دخل أهل الجنَّةِ الجنَّةَ، فيقال له: ادخلِ الجنَّة، فيقول: ربِّ كيف، وقد نزل النَّاسُ منازلهم، وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضىٰ أنْ يكون لك مثل مَلِكٍ من ملوك الدنيا، فيقول: رضيتُ ربِّ، فيقول له: لك ذلك، ومثله، ومثله، ومثله، ومثله، فقال في الخامسة: رضيت ربِّ، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذَّت عينك، فيقول: رضيتُ ربِّ. قال: ربِّ فأعلاهم منزلةً؟ قال: أولئك الَّذين أردت، غرستُ كرامتهم بيديَّ، وختمتُ عليها فلم ترَ عينٌ، ولم تسمع أذنٌ، ولم يخطر علىٰ قلب بشر».

وقال الترمذي: حدثنا عبد بن حميد أخبرنا شَبَابَة عن إسرائيل عن ثوير قال: سمعت ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يقول: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أدنىٰ أهل الجنَّة منزلةً لمن ينظر إلىٰ جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسُررِهِ مسيرة ألفِ سنة، وأكرمهم علىٰ اللهِ من ينظر إلىٰ وجهه غُدوةً وعشيةً، ثمَّ قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]**»[1].

قال: «وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن إسرائيل عن ثوير عن ابن عمر مرفوعًا. قال: ورواهُ عبد الملك بن أبجر، عن ثُوَيْر، عن ابن عمر: موقوفًا. ورواهُ عبيد الله الأشجعي عن سفيان عن ثُوير عن مجاهد عن ابن عمر نحو، ولم يرفعه».

قلتُ: ورواه الطبراني في «معجمه» من حديث أبي معاوية عن عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن ابن عمر مرفوعًا: «**إنَّ أدنىٰ أهل الجنَّة منزلةً لرجل ينظر في ملكه**

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٥٣ و ٣٣٣٠). وضعَّفه والذهبي والهيثمي وغيرهم.

والثابت عن ابن عمر: ما عند ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٣٦) بسند صحيح، قال: إنَّ أدنىٰ أهل الجنَّة منزلةً، لمَن يقال له تمنَّ، ويذكِّره أصحابه، فيقال له: هولك ومثله معه، قال محمد بن سيرين: قال ابن عمر: «هو لك وعشرة أمثاله، وعند الله المزيد»

ألفي سنة، يرىٰ أقصاه كما يرىٰ أدناهُ، ينظر إلىٰ أزواجه وسرره وخدمه» الحديث.

ورواهُ أبو نعيم عن إسرائيل عن ثوير قال: سمعتُ ابن عمر.

قال إسرائيل: لا أعلم ثويرًا إلا رفعه إلىٰ النَّبي ﷺ.

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن هو: ابن موسىٰ، حدثنا سُكَين بن عبد العزيز، حدثنا أبو الأشعث الضرير، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أدنىٰ أهل الجنة منزلة من له سبع درج، وهو علىٰ السادسة، وفوقه السابعة، وإن له لثلاث مئة خادم، ويُغْدَىٰ عليه ويُراح كل يوم بثلاث مئة صحفة -ولا أعلمه إلا قال- من ذهب، في كل صحفة لون ليس في الأُخرىٰ، وإنه ليلَذّ أوله كما يلذ آخره، ومن الأشربة ثلاث مئة إناء، في كل إناء لون ليس في الآخر، وإنَّه ليلذ أوله كما يلذ آخره، وإنه ليقول: يا رب لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص ممَّا عندي شيء، وإن له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة سوىٰ أزواجه من الدنيا، وإن الواحدة منهن ليأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض**»[1].

قلت: سكين بن عبد العزيز: ضعفه النسائي. وشهر بن حوشب: ضعفه مشهور.

والحديث منكر، مخالف للأحاديث الصحيحة:

- فإن طول ستين ذراعًا لا يحتمل أن يكون مقعدة صاحبه بقدر ميل من الأرض.

- والذي في «الصحيحين»[2]، في أول زمرة تلج الجنة: «**لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين**»، فكيف يكون لأدناهم ثنتان وسبعون؟

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٥٣٧)، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٢٢٩).

(٢) تقدم تخريجه ص(١٧٣).

- وأقل ساكني الجنة نساء الدنيا[1]، فكيف يكون لأدنىٰ أهل الجنة جماعة منهن؟

- وأيضًا فإن الجنتين الذهبيتين أعلىٰ من الفضيتين؟ فكيف يكون أدناهم في الذهبيتين؟

قال الدولابي: «شهر بن حوشب لا يشبه حديثه حديث النَّاس»، وقال ابن عون: «إنَّ شهرًا نزكوه». وقال النسائي وابن عدي: «ليس بالقوي». وقال أبو حاتم: «لا يحتج به». وتركه شعبة ويحيىٰ بن سعيد، وهذان من أعلم الناس بالحديث، ورواته وعلله، وإن كان غير هؤلاء، قد وثقه وحسَّن حديثه، فلا ريب أنه إذا تفرد بما يخالف ما رواه الثقات لم يقبل. والله أعلم.

---

(١) تقدم تخريجه ص(١٧٤).

ص(٣٢٧)

الباب الحادي والأربعون

في تحفة أهل الجنة إذا دخلوها

روىٰ مسلم في «صحيحه»[1] من حديث ثوبان قال: كنتُ قائمًا عند رسول الله ﷺ، فجاء حَبْرٌ من أحبار اليهود فقال: السلام عليكَ يا محمد، فدفعته دفعةً كاد يصرع منها، فقال: لم تدفعني؟ فقلتُ: ألا تقول يا رسول الله؟ فقال اليهودي: إنَّما ندعوه باسمه الَّذي سمَّاه به أهله، فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اسمي محمد الَّذي سماني به أهلي**» فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول الله ﷺ: أينفعك شيءٌ إنْ حدَّثتكَ؟ فقال: أسمعُ بأذني، فنكتَ رسول الله ﷺ بعودٍ معه في الأرض، فقال: سل؟ فقال اليهودي: أين يكون النَّاسُ يومَ تبدل الأرضُ غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول الله ﷺ: هم في الظلمة دون الجسر، قال: فمن أوَّل النَّاس إجازةً يوم القيامة؟ قال: فقراء المهاجرين، قال اليهودي: فما تُحْفتهم حين يدخلون الجنَّة؟ قال: زيادة كبد النون، قال: فما غِذاؤهم علىٰ إثره؟ قال: ينحر لهم ثور الجنَّة الَّذي كان يأكل من أطرافها، قال: فما شرابهم عليه؟ قال: من عينٍ فيها تُسمَّىٰ سلسبيلًا، قال: صدقت، قال: وجئتُ أسألك عن شيءٍ لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي، أو رجل أو رجلان، قال: ينفعك إنْ حدثتك؟ قال: أسمع بأُذُنيَّ، قال: جئت أسألك عن الولد؟

قال: ماء الرجل أبيضُ، وماءُ المرأة أصفرُ، فإذا اجتمعا فعلا منيُّ الرجل منيَّ المرأة أذكرا بإذن الله تعالىٰ، وإن علا مني المرأة منيَّ الرجل آنثا بإذن الله تعالىٰ،

---

(١) برقم (٣١٥).

فقال اليهودي: لقد صدقت وإنَّك لنبي ثمَّ انصرف، فقال رسول الله ﷺ: لقد سألني هذا عن الَّذي سألني عنه ومالي علمٌ بشيءٍ منه، حتَّىٰ أتاني الله ﷻ به».

وفي «صحيح البخاري»[١] عن أنس رضي الله عنه قال: سمع عبدُ اللهِ بن سلام مَقْدَم النَّبي ﷺ المدينة، وهو في أرضٍ يَخْتَرِفُ، فأتىٰ النَّبي ﷺ فقال: إنِّي سائلكَ عن ثلاث لا يعلمهنَّ إلا نبي، فما أوَّل أشراط السَّاعة؟ وما أوَّل طعام أهل الجنَّة؟ وما ينزع الولدُ إلىٰ أبيه أو أُمِّهِ؟ قال: أخبرني بهنَّ جبريل آنفًا، قال جبريل؟ قال: نعم، قال ذاك عدوُّ اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٩٧]، أمَّا أوَّل أشراط السَّاعة: فنارٌ تحشر النَّاس من المشرق إلىٰ المغرب، وأمَّا أوَّل طعام يأكله أهل الجنَّة: فزيادة كبدِ الحوت، وإذا سبق ماءُ الرجل ماءَ المرأة نزع الولدُ، وإذا سبق ماءُ المرأة ماءَ الرجل نزعت الولد، قال: أشهد أنْ لا إله إلا الله وأشهد أنَّك رسول الله، يا رسول الله، إنَّ اليهود قومٌ بهتٌ، وإنَّهم إنْ يعلموا بإسلامي قبل أنْ تسألهم بهتوني، فجاءتِ اليهود فقال: أيُّ رجلٍ عبدُ اللهِ فيكم؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، قال: أفرأيتم إن أسلم عبدُ الله؟ فقالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله فقال: أشهد أنْ لا إله إلا الله وأشهد أنَّ محمد رسول الله، فقالوا: شَرُّنا وابنُ شرِّنا وانتقصوه، فقال: هذا الَّذي كنتُ أخاف يا رسول الله».

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تكون الأرض يوم القيامة خُبزةً واحدةً يتكفَّؤها الجبَّارُ بيدِهِ كما يتكفَّأ أحدكم خُبزته في السَّفر نُزُلًا لأهلِ الجنَّة، فأتىٰ رجلٌ من اليهود فقال:**

---

(١) برقم (٣٧٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٥٥)، ومسلم (٢٧٩٢).

بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم، ألا أخبرك بنزل أهل الجنَّة يوم القيامة؟ قال: بلىٰ، قال: تكون الأرض خُبزةً واحدةً، كما قال النَّبي ﷺ، فنظر النَّبي ﷺ إلينا ثمَّ ضحك حتىٰ بدت نواجذه، ثمَّ قال: ألا أخبرك بإدامهم؟ قال: بلىٰ، قال: إدامهم بالامٌ ونُونٌ، قال: وما هذا؟ قال: ثور ونون يأكل من زيادة كبدهما سبعون ألفًا».

قال عبد الله بن المبارك: أخبرنا ابن لهيعة، حدثني يزيد بن أبي حبيب أنَّ أبا الخير أخبره أنَّ أبا العوام أخبره أنَّه سمع كعبًا يقول: «إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يقول لأهل الجنَّة إذا دخلوها: إنَّ لكلِّ ضيفٍ جَزورًا، وإنِّي أجْزِرَكم اليومَ، فيؤتىٰ بثورٍ وحوتٍ، فيُجزَرُ لأهل الجنَّة»[1].

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٤٣٢)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (١١١). وسنده لا بأس به.

ص(٣٣٠)

الباب الثاني والأربعون

في ذكر ريح الجنَّة، ومن مسيرة كم يُنْشَق

قال الطبراني: حدثنا موسىٰ بن خازم الأصبهاني، حدثنا محمد بن بُكير الحضرمي، حدثنا مروان بن معاوية الفزاري عن الحسن بن عمرو عن مجاهد عن جُنَادة بن أبي أُمية عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النَّبي ﷺ قال: «**من قتل قتيلًا من أهل الذمة لم يَرَحْ رائحة الجنَّة، وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة مئة عام**»[1].

ورواهُ البخاري في «الصحيح» عن قيس بن حفص عن عبد الواحد بن زياد عن الحسن بن عمرو الفُقَيمي عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ولم يذكر بينهما جنادة، وقال: «ليوجد من مسيرة أربعين عامًا».

وقال الترمذي: حدثنا محمد بن بشار حدثنا معدي بن سليمان هو البصري عن ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: «**ألا من قتل نفسًا معاهدًا له ذِمَّةُ اللهِ وذمَّةُ رسوله، فقد أخفر بذمَّة اللهِ، فلا يرح رائحة الجنَّة، وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفًا**»[2].

قال: «وفي الباب عن أبي بكرة، وحديث أبي هريرة حديث حسن صحيح».

قال محمد بن عبد الواحد: «وإسناده عندي علىٰ شرط الصحيح».

---

(١) أخرجه الطبراني لعلَّه في المعجم الكبير -في القسم المفقود-، وقد غلط محمد بن بكير الحضرمي في قوله «مائة عام»، والصحيح رواية «أربعين عامًا» كما أخرجه البخاري (٢٩٩٥) وغيره.

(٢) أخرجه الترمذي (١٤٠٣)، وابن ماجه (٢٦٨٧)، والحاكم (٢٥٨١)، وصححه غير واحد.

قلتُ: وقد رواهُ الطبراني من حديث عيسىٰ بن يونس عن عوف الأعرابي عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة يرفعه: «من قتل نفسًا مُعاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنَّة، وإنَّ ريح الجنَّة يوجد من مسيرة مئة عام»(١).

وقال الطبراني: حدثنا إسحاق بن إبراهيم عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن أو غيره عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**ريحُ الجنَّة يوجدُ من مسيرة مئة عام**»(٢).

وهذه الألفاظ لا تعارض بينها بوجه.

وقد أخرجا في «الصحيحين»(٣) من حديث أنس قال: لم يشهد عَمِّي مع رسول الله ﷺ بدرًا، قال: فشقَّ عليه، قال: أوَّلُ مشهدٍ شهده رسول الله ﷺ غبتُ عنه، فإنْ أراني اللهُ مشهدًا فيما بعدُ مع رسول الله ﷺ ليرينَّ الله ما أصنعُ، قال: فهابَ أنْ يقول غيرها، قال: فشهد مع رسول الله ﷺ يومَ أحد، قال فاستقبل سعد بن معاذ فقال له: أين؟ فقال: واهًا لريح الجنَّة أجده دون أُحد، قال: فقاتلهم حتىٰ قُتِلَ، قال: فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية، فقالت أخته عمَّة الرُّبَيِّع بنتُ النضر: فما عرفتُ أخي إلا ببَنَانه، ونزلت هذه الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٢٣]. قالوا: فكانوا يرون أنَّها نزلت فيه وفي أصحابه.

وريح الجنَّة نوعان: ريحٌ يوجد في الدنيا تشمُّه الأرواح أحيانًا ولا تدركه

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦٦٣). بإسناد ظاهره الصحة.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٤٦)، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (١٩٣). والحديث ثابتٌ عن أبي بكرة، لكن رواية «حرَّم الله عليه الجنَّة» عند أحمد (٥/ ٣٦ و٣٨)، وابن حبان (٤٨٨٢) أقوىٰ وأصحّ إسنادًا ممَّن روىٰ «مئة عام» أو «خمس مئة عام».

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (١٩٠٣).

العبارة، وريح يُدرك بحاسة الشمِّ للأبدان، كما تشم روائح الأزهار وغيرها، وهذا يشترك أهل الجنَّة في إدراكه في الآخرة من قرب وبُعد، وأمَّا في الدنيا فقد يدركه من شاء اللهُ من أنبيائه ورسله، وهذا الَّذي وجدهُ أنس بن النضر يجوز أنْ يكون من هذا القسم، وأنْ يكون من الأوَّل، واللهُ أعلمُ.

وقال أبو نعيم: حدثنا محمد بن معمر حدثنا محمد بن أحمد المؤدب، حدثنا عبد الواحد بن غياث أخبرنا الربيع بن بدر حدثنا هارون بن رئاب عن مجاهد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «**رائحة الجنَّة توجد من مسيرة خمس مئة عامٍ**»[1].

وقال الطبراني: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا محمد بن أحمد بن محمد بن طريف حدثنا أبي حدثنا محمد بن كثير حدثني جابر الجعفي عن أبي جعفر محمد بن علي عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ريح الجنَّة يوجد من مسيرة ألف عام، والله لا يجدها عاقٌّ، ولا قاطع رحم**»[2].

وقال أبو داود الطيالسي في «مسنده»: حدثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النَّبي ﷺ قال: «**من ادَّعىٰ إلىٰ غير أبيه لم يرحْ رائحة الجنَّة، وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة خمسين عامًا**»[3].

وقد أشهد اللهُ سبحانه عباده في هذه الدَّار آثارًا من آثار الجنَّة، وأنموذجًا منها من الرائحة الطيبة، واللَّذات المُشْتهاة، والمناظر البَهيَّة، والفاكهة الحسنة، والنعيم والسُّرور، وقُرَّة العين.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (١٩٤)، والطبراني في «الصغير» (٤٠٨). وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٦٦٤)، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (١٩٤). وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه الطيالسي (٢٣٨٨)، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (١٩٦) وغيرهما. والحديث سنده صحيح.

وقد روىٰ أبو نُعيم من حديث الأعمش عن أبي سفيان عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول اللهُ عز وجل للجنَّة: طِيْبي لأهلك فتزداد طيبًا، فذلك البَرْد الَّذي يجده النَّاس بالسَّحَرِ من ذلك**»(١).

كما جعل سبحانه نار الدنيا وآلامها وغمومها وأحزانها مُذكِّرةً بنار الآخرة، قال تعالىٰ في هذه النَّار: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً﴾ [الواقعة:٧٣].

وأخبر النَّبي ﷺ أنَّ شدَّة الحرِّ والبردِ من أنفاس جهنَّم(٢)، فلا بُدَّ أنْ يشهد عباده أنفاس جنته، وما يذكرهم بها، واللهُ المستعان.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٢٠ و ١٩٩)، والطبراني في «الصغير» (٧٥). وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري (٥١٢)، ومسلم (٦١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ص(٣٣٨)

الباب الثالث والأربعون

في الأذان الَّذي يؤذن به مؤذن الجنَّة فيها

روى مسلمٌ في «صحيحه»[1] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وأبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: «يُنادي منادٍ: إنَّ لكم أنْ تَصِحُّوا فلا تسقموا أبدًا، وإنَّ لكم أنْ تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإنَّ لكم أنْ تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإنَّ لكم أنْ تنعموا فلا تبأسوا أبدًا، وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف:٤٣].

وقال عثمان بن أبي شيبة: حدثنا يحيىٰ بن آدم حدثنا حمزة الزَّيَّات، عن أبي إسحاق عن الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما عن النَّبي ﷺ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ قال: نودوا أنْ صِحُّوا فلا تسقموا أبدًا، واخلدوا فلا تموتوا أبدًا، وأنعموا فلا تبأسوا أبدًا»[2].

وفي «صحيح مسلم»[3] من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن ابن أبي ليلىٰ عن صهيب رضي الله عنه أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنَّة الجنَّة، وأهل النَّارِ النَّارَ، نادىٰ منادٍ، يا أهل الجنَّة، إنَّ لكم عند اللهِ موعدًا، فيقولون: ما هو؟ ألم يُثَقِّل موازيننا، ويُبيِّض وجوهنا، ويدخلنا الجنَّة، وينجِّينا من النَّارِ؟ فيكشف الحجاب**

(١) (٢٨٣٧).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٢٩٠) وروي مرفوعًا وموقوفًا، ورَفعُه صحيح، والحديث أخرجه مسلم (٢٨٣٧).

(٣) برقم (١٨١).

فينظرون إلىٰ اللهِ، فواللهِ ما أعطاهم الله شيئًا هو أحبَّ إليهم من النظر إليه».

وقال عبد الله بن المبارك: حدثنا أبو بكر الهذلي، أخبرني أبو تميمة الهُجَيمي، قال: سمعتُ أبا موسىٰ الأشعري يخطب علىٰ منبر البصرة يقول: إنَّ اللهَ ﷻ يبعث يوم القيامة ملكًا إلىٰ أهل الجنَّة، فيقول: يا أهل الجنَّة، هل أنجزكم اللهُ ما وعدكم؟ فينظرون فيرون الحُلي والحُلل والأنهار، والأزواج المطهرة، فيقولون: نعم، قد أنجز ما وعدنا، قالوا ذلك ثلاث مرَّاتٍ، فينظرون فلا يفتقدون شيئًا ممَّا وعدوا، فيقولون: نعم، فيقول: قد بقي شيء، إنَّ اللهَ يقول: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]: ألَا إنَّ الحسنىٰ: الجنَّة، والزيادة: النظر إلىٰ وجه اللهِ»[1].

وفي «الصحيحين»[2] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله ﷻ يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟**

فيقولون: وما لنا لا نرضىٰ وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: ربنا وأي شيء أفضل من ذلك؟ قال: أُحِلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدًا».

ومن تراجم البخاري عليه: بابٌ: كلامُ الربِّ مع أهل الجنة.

وسيأتي في هذا أحاديث نذكرها في باب معقود لذلك إن شاء الله تعالىٰ[3].

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٤١٩)، والدَّارقطني في «الرؤية» (٤٦)، وإسناده ضعيف جدًّا.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٨٣)، ومسلم (٢٨٢٩).

(٣) انظر الباب (٦٦) ص(٤٦٩).

وفي «الصحيحين»[(١)] من حديث نافع عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«يدخل الله أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، كلٌّ خالدٌ فيما هو فيه»**.

وهذا الأذان وإن كان بين الجنة والنار فهو يبلغ جميع أهل الجنة والنار، ولهم نداء آخر يوم زيارتهم ربهم تبارك وتعالىٰ، يرسل إليهم ملكًا، فيؤذن فيهم بذلك فيسارعون إلىٰ الزيارة، كما يؤذن مؤذن الجمعة إليها، وذلك في مقدار يوم الجمعة، كما سيأتي مبينًا في باب: زيارتهم الرب عَزَّ وَجَلَّ[(٢)] إن شاء الله تعالىٰ، والله أعلم.

---

(١) البخاري (٦١٧٨)، ومسلم (٢٨٥٠).

(٢) انظر الباب (٦١) ص(٣٧٤).

ص(٣٤٢)

الباب الرَّابع والأربعون
في أشجار الجنَّة، وبساتينها وظلالها

قال تعالىٰ: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة:٢٧-٣٣]، وقال تعالىٰ: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن:٤٨]، وهو جمع فَنَنٍ: وهو الغصن، وقال: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن:٦٨].

والمخضود: الَّذي خُضِد شوكه: أي نُزِعَ وقُطِعَ، فلا شوك فيه.

وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل، وقتادة، وأبي الأحوص، وقسامة بن زهير، وجماعة[1].

واحتجَّ هؤلاء بحجتين:

إحداهما: أنَّ الخضد في اللغة: القطعُ، وكلُّ رطب قضبته فقد خضدته، وخضدت الشجر: إذا قطعت شوكه، فهو خضيد ومخضود، ومنه الخَضَدُ علىٰ مثال الثَّمَر، وهو كل ما قطع من عودٍ رطبٍ، خَضَد بمعنىٰ مَخْضود كقَبَض وسَلَب، والخضاد: شجر رخو لا شوكَ له.

الحُجَّة الثانية: قال ابن أبي داود: حدثنا موسىٰ بن مصفَّىٰ، حدثنا محمد بن المبارك حدثنا يحيىٰ بن حمزة حدثني ثور بن يزيد حدثني حبيب بن عُبيد عن عُتْبة بن عبدٍ السلمي رضي الله عنه قال: كنتُ جالسًا مع رسول الله، فجاء أعرابي فقال: يا

(١) انظر: تفسير عبد الرزاق (٣١٢٥) والطبري (٢٧/ ١٧٩ - ١٨٠)، والزهد لهناد (١٠٩، ١١٠).

رسول الله، أسمعك تذكر في الجنَّة شجرة لا أعلمُ شجرة أكثرَ شوكًا منها -يعني الطلح- فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ يجعل مكان كلَّ شوكةٍ منها ثمرةً مثل خَصْوةِ التَّيْسِ الملبود، فيها سبعون لونًا من الطعامِ، لا يُشْبِهُ لونٌ آخَرَ**»(١). «الملبود»: الَّذي قد اجتمع شعره بعضه علىٰ بعض.

وقال عبد الله بن المبارك: أخبرنا صفوان بن عمرو عن سُلَيم بن عامر قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إنَّ اللهَ لينفعنا بالأعراب ومسائلهم، أقبل أعرابي يومًا، فقال: يا رسول الله، ذكر الله في الجنَّة شجرةً مؤذيةً، وما كنتُ أرىٰ في الجنَّة شجرةً تُوذي صاحبها، قال رسول الله ﷺ: وما هي؟ قال: السِّدْرُ، فإنَّ له شوكًا مؤذيًا، قال: أليس الله يقول: ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ [الواقعة:٢٨]؟! خَضَدَ اللهُ شوكه فجعل مكان كلِّ شوكةٍ ثمرةً»(٢).

وقالت طائفة: المخضود هو: المُوْقَر حَمْلًا.

وأُنْكِرَ عليهم هذا القول، وقالوا: لا يُعْرَفُ في اللغة الخضد بمعنىٰ الحمل. ولم يُصِبْ هؤلاءِ الَّذين أنكروا هذا القول، بل هو قولٌ صحيح، وأربابه ذهبوا إلىٰ أنَّ اللهَ سبحانه وتعالىٰ لمَّا خضد شوكه وأذهبه، وجعل مكان كلِّ شوكةٍ ثمرة أوقره بالحمل، والحديثان المذكوران يجمعان القولين.

وكذلك قول من قال: المخضود الَّذي لا يَعْقِر اليد، ولا يرد اليد منه شوك ولا أذىٰ فيه، فسَّره بلازم المعنىٰ، وهكذا غالب المفسرين يذكرون لازم المعنىٰ المقصود تارة، وفردًا من أفراده تارة، ومثالًا من أمثلته فيحكيها الجمَّاعون للغثِّ والسَّمين أقوالًا مختلفة، ولا اختلاف بينها.

---

(١) أخرجه ابن أبي داود في «البعث» (٦٩). بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٦٣)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (١٠٩)، وقد روي متصلًا ومرسلًا، والمرسل أصح.

ص(٣٤٥)

فصل

وأمَّا الطَّلحُ: فأكثر المفسرين قالوا: إنَّه شجر الموز.

قال مجاهد: «أعجبهم طلح وَجٍّ وحُسْنه، فقيل لهم: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾»[1].

وهذا قول علي بن أبي طالب، وابن عبَّاس، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم[2].

وقالت طائفة أخرىٰ: «بل هو شجرٌ عظامٌ طوالٌ، وهو من شجر البوادي الكثير الشوك عند العرب. قال حَاديهم:

بَشَّرَهَا دَلِيْلُهَا وقَالَا ... غدًا ترينَ الطَّلحَ والجِبَالا

ولهذا الشجر نورٌ ورائحة طيبة، وظلٌّ ظليل، وقد نضد بالحمل والثَّمر مكان الشوك.

قال ابن قتيبة: «هو الَّذي نُضِدَ بالحمل أو بالورق والحمل من أوَّله إلىٰ آخره، فليس له ساق بارز»[3].

وقال مسروق: «ورق الجنَّة نُضِدَ من أسفلها إلىٰ أعلاها، وأنهارها تجري في غير أخدود»[4].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٧/ ١٨١)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٣٠٤). وسنده صحيح.

(٢) انظر: «تفسير عبد الرزاق» (٣١٢٦ و ٣١٢٨)، و«الزهد» لهناد (١/ ١١١)، و«تفسير الطبري» (٢٧/ ١٨١)، و«البعث والنشور» للبيهقي (٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٨)، و«تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٠٩).

(٣) انظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص (٤٤٨)، وفيه «... له سوق بارزة».

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٣٩٤٨)، وابن صاعد في «زوائده علىٰ الزهد» (١٤٨٩)، وسنده صحيح.

وقال الليث: «الطلح: شجر أم غيلان له شوك أحجن، من أعظم العضاة شوكًا، وأصلبه عودًا، وأجوده صَمْغًا».

قال أبو إسحاق: «يجوز أنْ يُعْنىٰ به شجر أم غيلان؛ لأنَّ له نَوْرًا طيبَ الرائحة جدًّا، فَوُعِدُوا بما يحبون مثله، إلا أنَّ فضله علىٰ ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنَّة علىٰ سائر ما في الدنيا، فإنَّه ليس ما في الجنَّة ممَّا في الدنيا إلا الأسامي.

والظَّاهر أنَّ من فسَّر الطَّلح المنضود: بالموز، إنَّما أراد التمثيل به لحسن نضده، وإلَّا فالطلح في اللغة: هو الشَّجر العظام من شجر البوادي والله أعلم.

وفي «الصحيحين»[1] من حديث أبي الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ في الجنَّة شجرةً يسير الرَّاكبُ في ظلها مئة عامٍ لا يقطعها فاقرؤوا إنْ شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠] »**.

وفي «الصحيحين»[2] أيضًا من حديث أبي حازم عن سهل بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: **«إنَّ في الجنَّة لشجرةً يسيرُ الرَّاكبُ في ظلها مئة عامٍ لا يقطعها»**.

قال أبو حازم: فحدثْتُ به النعمان بن أبي عيَّاش الزُّرقي فقال: حدثني أبو سعيد الخدري عن النَّبي ﷺ قال: **«إنَّ في الجنَّة لشجرةً يسيرُ الرَّاكبُ الجوادُ المضمَّر السريعُ مئة عامٍ لا يقطعها»**[3].

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا شعبة عن أبي الضَّحَّاك سمعتُ أبا هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ في الجنَّة شجرةً يسير الرَّاكبُ**

(١) أخرجه البخاري (٣٠٨٠، ٤٥٩٩)، ومسلم (٢٨٢٦).

(٢) البخاري (٦١٨٦)، ومسلم (٢٨٢٧).

(٣) أخرجه البخاري (٦١٨٦)، ومسلم (٢٨٢٨).

في ظلِّها سبعين أو مئة سنة، هي شجرة الخلد»[(١)].

وقال وكيع: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن زياد مولىٰ بني مخزوم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إنَّ في الجنَّة شجرةً يسيرُ الرَّاكبُ في ظلها مئة عام اقرؤوا إنْ شئتم** ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [**الواقعة: ٣٠**] ». فبلغ ذلك كعبًا فقال: صدق، والَّذي أنزل التوراة علىٰ لسان موسىٰ، والفرقان علىٰ لسان محمد ﷺ لو أنَّ رجلًا ركب جذعةً أو جذعًا، ثمَّ دار بأصل تلك الشجرة ما بلغها حتىٰ يسقط هرمًا، إنَّ الله غرسها بيده، ونفخ فيها من روحه، وإنَّ أفنانها من وراء سور الجنَّة، ما في الجنَّة نهرٌ إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة»[(٢)].

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني إبراهيم بن سعيد الجوهري، حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا زمعة بن صالح عن سلمة بن وَهْرَام عن عكرمة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «الظِّلُّ الممدود: شجرةٌ في الجنَّة علىٰ ساقٍ، قدر ما يسير الرَّاكب المُجِدُّ في ظلها مئة عام في كلِّ نواحيها، فيخرج إليها أهل الجنَّة: أهل الغرف وغيرهم فيَتَحدَّثون في ظلها، قال: فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا، فيرسل الله ريحًا من الجنَّة فتحرِّك تلك الشجرة بكل لهوٍ كان في الدنيا»[(٣)].

وفي «جامع الترمذي» من حديث أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما في الجنَّة شجرة إلا وساقها من ذهب**»[(٤)]، قال: «هذا حديث حسن».

---

(١) أخرجه أحمد في (٢/ ٤٦٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٧/ ١٨٣)، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٤٠٣) بإسناد ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٤٤). بإسناد ضعيف.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٤٥). وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٥٢٤)، وابن حبان (٧٤١٠).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول اللهُ: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، اقرؤوا إنْ شئتم:** ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٧]، **وفي الجنَّة شجرة يسير الرَّاكبُ في ظلها مئة عامٍ لا يقطعها، واقرؤوا إنْ شئتم:** ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة:٣٠]، **وموضع سوط من الجنَّة خيرٌ من الدنيا وما فيها، واقرؤوا إنْ شئتم:** ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران:١٨٥]»[١].

رواهُ بهذا اللفظ والسِّياق الترمذي والنسائي وابن ماجه، وصَدْرُهُ في الصحيحين[٢].

وفي «صحيح البخاري»[٣] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ في الجنَّة لشجرةً يسير الرَّاكب في ظلِّها مئة عام لا يقطعها، وإنْ شئتم فاقرؤوا:** ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾» [الواقعة:٣٠-٣١].

وقال ابن وهب: حدثنا عمرو بن الحارث أنَّ درَّاجًا أبا السَّمْحِ حدَّثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رجلٌ: يا رسول الله، ما طوبى؟ قال: «**شجرة في الجنَّة مسيرة مئة سنة، ثيابُ أهل الجنَّة تخرج من أكمامها**»[٤].

وقد رواه عنه حرْمَلَة بزيادة، فقال: أخبرني ابن وهب، أخبرني عمرو أنَّ درَّاجًا حدثه أنَّ أبا الهيثم حدثه، عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله، طوبَى

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٩٢)، وابن حبان (٧٤١٧)، والحاكم (٣١٧٠) والبغوي في «شرح السنة» (٤٣٧٢)، وصحَّحوه.

(٢) البخاري (٣٠٧٢)، ومسلم (٢٧٢٤).

(٣) برقم (٣٠٧٩).

(٤) أخرجه ابن أبي داود في «البعث» (٦٧)، وابن حبان (٧٤١٣). بإسناد ضعيف.

لمن رآكَ وآمن بكَ؟ فقال: «**طُوبىٰ لمن رآني وآمن بي، ثمَّ طوبىٰ، ثمَّ طوبىٰ، ثمَّ طوبىٰ لمن آمن بي ولم يرني**»، فقال رجلٌ: يا رسول الله، ما طوبىٰ؟ قال: «**شجرة في الجنَّة مسيرة مئة سنة، ثياب أهل الجنَّة تخرج من أكمامها**».

قلتُ: وأوَّل هذا الحديث في «المسند» ولفظه: «**طوبىٰ لمن رآني وآمن بي، وطُوبىٰ لمن آمن بي ولم يرني سبع مرَّاتٍ**»[1].

وقال ابن المبارك: حدثنا سفيان عن حمَّاد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «نخلُ الجنَّة جذوعها من زُمرد أخضر، وكربها ذهبٌ أحمر، وسعفها كسوة لأهل الجنَّة، منها مُقطَّعاتهم وحللهم، وثمرها أمثال القِلالِ والدِّلاءِ، أشدُّ بياضًا من الَّلبن، وأحلىٰ من العسلِ، وألينُ من الزُّبْد، ليس فيه عَجَمٌ»[2].

وقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن بحر، حدثنا هشام بن يوسف حدثنا معمر عن يحيىٰ بن أبي كثير عن عامر بن زيد البكالي أنَّه سمع عتبة بن عبد السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: جاء أعرابي إلىٰ النَّبي ﷺ فسأله عن الحوض، وذكر الجنَّة، ثمَّ قال الأعرابي: فيها فاكهة، قال: «**نعم، وفيها شجرةٌ تُدْعَىٰ طُوبىٰ**»، فذكر شيئًا لا أدري ما هو؟ فقال: إنَّ شجر أرضنا تشبهه، قال: «**ليست تشبه شيئًا من شجر أرضك**»، فقال النَّبي ﷺ: «**أتيت الشام**»؟ قال: لا، قال: «**تشبه شجرة بالشام تُدعىٰ الجَوْزة، تنبتُ علىٰ ساق واحدٍ، وينفرشُ أعلاها**»، قال: ما عِظَمُ أصلها؟ قال: «**لو ارتحلت جذعة من إبل**

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٨)، والبخاري في «تاريخه» (٢/ ٢٧)، وابن حبان (٧٢٣٣). وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٥١). والأثر ثابتٌ موقوفًا علىٰ ابن عباس، وجوَّده المنذري.

و«كرب الجنَّة»: أصل منابت السعف، وذلك العريض، و«العجم»: النوىٰ، واحدها: عجمة.

أهلك ما أحاطتْ بأصلها حتىٰ تنكسر ترقوتها هرمًا»، قال: فيها عنبٌ؟ قال: «**نعم**»، قال: فما عِظَمُ العنقود؟ قال: «**مسيرة شهر للغراب الأبقع لا يفتر**»، قال: فما عِظَمُ الحَبَّة؟ قال: «**هل ذبح أبوك تيسًا** -من غنمه قطُّ- **عظيمًا**»؟ قال: نعم، قال: «**فسلخ أهابه فأعطاهُ أمَّك، فقال: اتخذي لنا منه دلوًا**»؟ قال: نعم، قال الأعرابي: فإنَّ تلك الحبَّة لتشبعني وأهل بيتي، قال: «**نعم، وعامة عشيرتك**»(١).

وقال أبو يعلىٰ الموصلي في «مسنده»: حدثنا عبد الرحمن بن صالح حدثنا يونس بن بُكَير عن محمد بن إسحاق عن يحيىٰ بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر ﵄ قالت: سمعت رسول الله ﷺ، وذكر سدرة المنتهىٰ فقال: «**يسيرُ في ظلِّ الفَنَنِ منها الرَّاكبُ مئة سنة، أو قال: يستظلُّ في الفَنَنِ منها مئة راكب، فيها فراش الذهب كأنَّ ثمرها القلالُ**»(٢).

ورواهُ الترمذي وقال: «شك يحيىٰ، وهو حديث حسن غريب».

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: «أرضُ الجنَّة من ورق، وترابها مسك، وأصول أشجارها ذهبٌ ووَرق، وأفنانها لؤلؤ وزبرجد وياقوت، والورق والثمر تحتَ ذلك، فمن أكَل قائمًا لم يؤذِهِ، ومن أكل جالسًا لم يؤذه، ومن أكل مضطجعًا لم يؤذه، ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤]»(٣).

وقال أبو معاوية: حدثنا الأعمش عن أبي ظبيان عن جرير بن عبد الله ﵄ قال: نزلنا الصَّفاح، فإذا رجلٌ نائم تحتَ شجرة قد كادتِ الشمسُ أنْ تبلغه، قال:

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٨٣ - ١٨٤)، وقد تقدم الكلام عليه في باب (٣٢) و(٤٤).

(٢) أخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده الكبير» وليس المطبوع، والترمذي (٢٥٤١)، وقال: «حسن غريب»، والحاكم (٣٧٤٨) وصححه علىٰ شرط مسلم.

(٣) تقدم الكلام عليه في الباب (٣٤).

فقلتُ للغلام: انطلق بهذا النِّطع فأظله، قال: فانطلق فأظلَّهُ، فلما استيقظَ إذا هو سلمان فأتيته أُسلِّمُ عليه، فقال: يا جريرُ، تواضع لله، فإنَّهُ من تواضع لله في الدنيا رفعه اللهُ يوم القيامة، يا جرير، هل تدري ما الظلماتُ يوم القيامة؟ قلتُ: لا أدري، قال: ظلمُ النَّاسِ بينهم، ثمَّ أخذ عويدًا، لا أكادُ أراهُ بين أصبعيه، فقال: يا جرير، لو طلبت في الجنة مثل هذا لم تجده، قلتُ: يا أبا عبد اللهِ، فأينَ النخلُ والشجرُ؟ قال: أصولها اللؤلؤ والذهبُ وأعلاها الثمر»[1].

---

(١) أخرجه أحمد في «الزهد» (٨١٠)، وهناد في «الزهد» (٩٨)، وغيرهما، وسنده صحيح.

ص(٣٥٨)

الباب الخامس والأربعون

في ثمارها وتعدُّد أنواعها وصفاتها وريحانها

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ﴾ [البقرة:٢٥].

وقولهم: ﴿هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ﴾ [البقرة:٢٥]: أي شبيهه ونظيره لا عَيْنَهُ، وهل المراد أنَّ هذا الَّذي رُزقنا في الدنيا نظيره من الفواكه والثمارِ، أو هذا نظيرُ الَّذي رزقنا في الجنة قبلُ؟

قيل: فيه قولان: ففي «تفسير السُّدي» عن أبي مالكٍ، وعن أبي صالح: عن ابن عباس، وعن مُرَّة عن ابن مسعود: وعن ناس من أصحاب النَّبي ﷺ قالوا: ﴿هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ﴾ أنَّهم أُتُوا بالثمرة في الجنَّة، فلمَّا نظروا إليها قالوا: هذا الَّذي رزقنا من قبل في الدنيا»[1].

قال مجاهد: «ما أشبهه به»[2].

وقال ابن زيد: « ﴿هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ﴾: في الدنيا، ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ﴾: يعرفونه»[3].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥١٢) وسنده ضعيف.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥١٤ و ٥١٥) وسنده حسن.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥١٦). وسنده صحيح.

وقال آخرون: هذا الَّذي رُزِقْنَا من قبل من ثمار الجنَّة، من قبل هذا، لشدة مشابهة بعضه بعضًا في اللَّون والطَّعم[١].

واحتجَّ أصحاب هذا القول بحُجَجٍ:

أَحَدُها: أنَّ المشابهة التي بين ثمار الجنَّة بعضها لبعض أعظمُ من المشابهة التي بينها وبين ثمار الدنيا، ولشدة المشابهة قالوا: هذا هو.

الحجة الثانية: ما حكاه ابن جرير عنهم قال: «ومن عِلَّة قائلي هذا القول أنَّ ثمار الجنَّة كلمَّا نزع منها شيء عاد مكانه آخر مثله، كما حدثنا ابن بشار، حدثنا ابن مَهْدِي، حدثنا سفيان سمعتُ عمرو بن مُرَّة يحدِّث عن أبي عُبَيْدة، وذكر ثمر الجنَّة، قال: «كُلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرىٰ»[٢].

الحجَّة الثالثة: قوله: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [البقرة:٢٥] وهذا كالتعليل والسبب الموجب لقولهم: ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ [البقرة:٢٥].

الحجة الرابعة: أنَّ من المعلوم أنَّه ليس كل ما في الجنَّة من الثمار قد رزقوه في الدنيا، وكثير من أهلها لا يعرفون ثمار الدنيا ولا رأوها.

ورجحت طائفة منهم: ابن جرير وغيره القول الآخر، واحتجَّت بوجوه.

قال ابن جرير: «والَّذي يحقق صحة قول القائلين: إنَّ معنىٰ ذلك ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ [البقرة:٢٥] في الدنيا، أنَّ اللهَ جلَّ ثناؤه قال: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾ [البقرة:٢٥] يقولون: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ [البقرة:٢٥] ولم يُخَصِّص أنَّ ذلك من قِيْلهم في بعضٍ دون بعض، فإنْ كان قد أخبر جلَّ ذكره عنهم

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٣٨٦).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥١٧). وسيأتي أنَّه من قول مسروق.

أنَّ ذلك من قيلهم كلما رزقوا ثمرة، فلا شكَّ أنَّ ذلك من قيلهم في أوَّل رزقٍ رُزِقُوهُ من ثمارها أُتُوا به بعد دخولهم الجنَّة، واستقرارهم فيها، الَّذي لم يتقدمه عندهم من ثمارها ثمرة، فإذ كان لا شك أنَّ ذلك من قيلهم في أوَّله، كما هو من قيلهم في أوسطه، وما يتلوه؛ فمعلوم أنَّه محال أنْ يقولوا لأوَّل رزق رزقوه من ثمار الجنَّة: هذا الَّذي رزقنا من قبل هذا من ثمار الجنَّة، وكيف يجوز أنْ يقولوا لأوَّل رزق رزقوه من ثمارها ولمَّا يتقدمه عندهم غيره منها: هذا الَّذي رزقناه قبل، إلا أنْ ينسبهم ذو غَيَّةٍ وضلالٍ إلىٰ قيل الكذب، الَّذي قد طهَّرهم اللهُ منه، أو يدفعَ دافعٌ أنْ يكون ذلك من قِيْلهم لأوَّل رزقٍ يرزقونه من ثمارها، فيدفع صحة ما أوجب اللهُ صحته من غير نصب دلالةٍ علىٰ أنَّ ذلك في حال من أحوالهم دون حال، فقد تبين أنَّ معنىٰ الآية: كلما رزقوا من ثمرة من ثمار الجنَّة في الجنَّة رزقًا، قالوا: هذا الَّذي رزقنا من قبل هذا في الدنيا»[1].

قلتُ: أصحاب القول الأول يخصُّون هذا العام بما عدا الرزق الأوَّل، لدلالة العقل والسياق عليه، وليس هذا ببدع من طريقة القرآن، وأنت مضطر إلىٰ تخصيصه ولا بد بأنواع من التخصيصات:

أحدها: أنَّ كثيرًا من ثمار الجنَّة وهي التي لا نظير لها في الدنيا، لا يُقال فيها ذلك.

الثاني: أنَّ كثيرًا من أهلها لم يُرْزَقُوا جميع ثمرات الدنيا التي لها نظير في الجنَّة.

الثالث: أنَّهُ من المعلوم أنَّهم لا يستمرون علىٰ هذا القول أَبَدَ الآباد، كلَّما أكلوا ثمرةً واحدة قالوا: هذا الَّذي رزقناه في الدنيا، ويستمرون علىٰ هذا الكلام دائمًا إلىٰ غير نهاية، والقرآن العزيز لم يقصد إلىٰ هذا المعنىٰ، ولا هو ممَّا يُعْتنىٰ به من نعيمهم

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٣٨٦ - ٣٨٨).

ولذتهم، وإنَّما هو كلام مبين خارجٌ علىٰ المعتاد المفهوم من المخاطب.

ومعناه: إنَّه يشبه بعضه بعضًا، ليس أوَّله خَيْرًا من آخره، ولا هو ممَّا يَعْرض له ما يَعْرض لثمر الدنيا عند تقادم الشجر وكبرها من نقصان حملها، وصغر ثمرها وغير ذلك، بل أوَّله مثلُ آخره، وآخره مثل أوَّله، وهو خيار كله يشبه بعضه بعضًا، فهذا وجه قولهم. ولا يلزم مخالفه ما نصَّه اللهُ سبحانه وتعالىٰ، ولا نِسْبَة أهل الجنَّة إلىٰ الكذب بوجهٍ، والَّذي يلزمهم من التَّخصيص يلزمك نظيره وأكثر منه، واللهُ أعلم.

وأمَّا قوله ﷻ: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [البقرة:٢٥].

فقال الحسن: «خيارٌ كله لا رَذْل فيه، ألم تروا إلىٰ ثمر الدنيا كيف يسترذلون بعضه، وأنَّ ذلك ليس فيه رذل»[١].

وقال قتادة: «خيارٌ لا رَذْلَ فيه، وإنَّ ثمار الدنيا ينفىٰ منها، ويرذل منها»[٢].

وكذلك قال ابن جريج وجماعة[٣].

وعلىٰ هذا، فالمراد بالمُتَشَابه المُتَوافِق والمُتَماثِل.

وقالت طائفة أخرىٰ: منهم ابن مسعود، وابن عباس، وناس من أصحاب رسول الله ﷺ: **«متشابهًا في اللَّون والمرأىٰ، وليس يُشْبِهُ الطعمُ الطعمَ»**[٤].

قال مجاهد: «متشابهًا لونه مختلفًا طعمه»[٥]، وكذلك قال الربيع ابن أنس[٦]، وقال

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥٢٠)، وسنده صحيح.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥٢٢) وسنده صحيح.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره»(٥٢٣) عن ابن جريج. وسنده صحيح.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥٢٤).

(٥) أخرجه الطبري (٥٢٥، ٥٢٨) وغيره، وهو صحيح عنه.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ص (٩) البقرة، والطبري في «تفسيره» (٥٢٧). وسنده حسن.

يحيىٰ بن أبي كثير: «عشب الجنَّة الزعفران، وكثبانها المسك، ويطوف عليهم الولدان بالفاكهة، فيأكلونها، ثمَّ يأتونهم بمثلها فيقولون: هذا الَّذي جئتمونا به آنفًا، فيقول لهم الخدم: كلوا فإنَّ اللون واحد، والطعم مختلف، فهو قوله ﷻ: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ﴾ [البقرة:٢٥]»(١).

وقال طائفة: معنىٰ الآية: أنَّه يشبه ثمر الدنيا، غيرَ أنَّ ثمر الجنَّة أفضل وأطيب. قال ابن وهب: قال عبد الرحمن بن زيد: يعرفون أسماءه كما كانوا في الدنيا: التفاح بالتفاح، والرمان بالرمان، قالوا في الجنَّة: هذا الَّذي رزقنا من قبل، وأُتوا به متشابهًا: يعرفونه، وليس هو مثله في الطعم»(٢).

واختار ابن جرير هذا القول، قال: «وقد دلَّلنا علىٰ فساد قول من قال: إنَّ معنىٰ الآية: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ﴾ [البقرة:٢٥] أي: في الجنَّة، وتلك الدلالة علىٰ فساد ذلك القول، هي الدلالة علىٰ فساد قول من خالف قولنا في تأويل قوله: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ﴾ [البقرة:٢٥] لأنَّ الله سبحانه وتعالىٰ أخبر عن المعنىٰ الَّذي من أجله قال القوم ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ﴾ بقوله ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ﴾.

قلتُ: وهذا لا يدل علىٰ فساد قولهم لما تقدم.

وقال تعالىٰ: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ۝٥٠ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ [ص:٥٠-٥١]، وقال تعالىٰ: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان:٥٥].

وهذا يدلُّ علىٰ أمنهم من انقطاعها ومضرتها.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٦٢)، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٣٥٣). وسنده صحيح.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥٣٦)، وسنده صحيح.

وقال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧٢ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف:٧٢-٧٣]. وقال تعالىٰ: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة:٣٢-٣٣] أي لا تكون في وقتٍ دون وقتٍ، ولا تُمْنَع مِمَّن أرادها.

وقال تعالىٰ: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة:٢١-٢٣].

والقطوف: جمع قِطْف، وهو ما يُقْطف. والقَطْف -بالفتح- الفِعْل، أي ثمارها دانية: قريبة ممَّن يتناولها، فيأخذها كيف يشاء، قال البراء بن عازب: «يتناول الثمرة وهو نائم»(١).

وقال تعالىٰ: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان:١٤].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إذا هَمَّ أنْ يتناول من ثمارها تدلَّتْ إليه حتَّىٰ يتناول ما يريد»(٢).

وقال غيره: «قُرِّبت إليهم مُذلَّلة كيف شاؤوا، فهم يتناولوها قيامًا وقعودًا ومضطجعين»(٣)، فيكون كقوله: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة:٢٣]

ومعنىٰ تذليل القطف: تسهيل تناوله. وأهل المدينة يقولون: ذَلِّلِ النخل، أي سَوِّىٰ عذوقه وأخرجها من السَّعف، حتَّىٰ يسهل تناولها.

وفي نصب ﴿دَانِيَةً﴾ وجهان:

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٩/ ٦١)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٤٦ - ٣٤٧). وسنده حسن.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٠٣)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/ ٤٣٦).

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٥/ ٣٦٠)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٨/ ٤٣٦).

أحدهما: أنَّه على الحال عطفًا على قوله ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾.

والثاني: أنَّه صفة لـ ﴿جَنَّةٍ﴾.

وقال تعالى: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن:٥٢]، وفي الجنتين الأخريين: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن:٦٨].

وخصَّ النخل والرُّمَّان من بين الفاكهة بالذِّكْرِ لفضلهما وشرفهما، كما نصَّ على حدائق النخل والأعناب في سورة النبأ، إذ هما من أفضل أنواع الفواكه، وأطيبها وأحلاها.

وقال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد:١٥].

وقال الطبراني: حدثنا معاذ بن المثنى حدثنا علي بن المديني حدثنا ريحان بن سعيد عن عبَّاد بن منصور، عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماءَ عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ الرَّجلَ إذا نزعَ ثمرةً من الجنَّة عادتْ مكانها أخرى**»[١].

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدثني عُقبة بن مُكرم العمي، حدثنا رِبْعِي بن إبراهيم ابن عُليَّة حدثنا عوف، عن قسامة بن زُهَير عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اهبط اللهُ آدم من الجنَّة، وعلَّمه صنعةَ كل شيءٍ، وزوَّده من ثمار الجنَّة، فثماركم هذه من ثمار الجنَّة، غير أنَّها تغيَّر، وتلك لا تغيَّر**»[٢].

وقد تقدَّم: أنَّ سدرة المنتهى نبقها مثل القلال[٣].

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٤٤٩)، والبزار في «مسنده» (٤١٨٧)، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٣٤٥). وهو حديث منكر.

(٢) تقدم الكلام عليه ص(٤٩-٥٠)، والصواب فيه أنه موقوف.

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٣٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

وفي «صحيح مسلم»[١] من حديث أبي الزبير، عن جابر رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: «**عُرضت عليَّ الجنَّة حتىٰ لو تناولت منها قطفًا أخذته**».

وفي لفظ: «فتناولت منها قطفًا فقصرت عنه يدي»[٢].

وقال أبو خيثمة: حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا عبيد الله، حدثنا ابن عقيل، عن جابر رضي الله عنه قال: بينما نحن في صلاة الظهر إذ تقدم رسول الله ﷺ فتقدمنا، ثم تناول شيئًا ليأخذه ثم تأخر، فلمَّا قضىٰ الصلاة قال له أبي بن كعب: يا رسول الله، صنعت اليوم في الصلاة شيئًا، ما كنت تصنعه؟ قال: «**إنه عرضت عليَّ الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة، فتناولت منها قطفًا من عنب لآتيكم به، فحيل بيني وبينه، ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقصونه**»[٣].

وقال ابن المبارك: أنبأنا سفيان، عن حماد، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «ثمرُ الجنَّة أمثال القلال والدلاء، أشدُّ بياضًا من اللبن، وأحلىٰ من العسل، وألينُ من الزُّبْدِ، ليس فيه عَجَم»[٤].

وقال سعيد بن منصور: حدثنا شريك عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «إنَّ أهل الجنَّة يأكلون من ثمار الجنَّة قيامًا وقعودًا، ومضطجعين علىٰ أيِّ حالٍ شاؤوا»[٥].

وقال البزار في «مسنده»: حدثنا أحمد بن الفرج الحمصي حدثنا عثمان بن

(١) برقم (٩٠٤).

(٢) المصدر السَّابق، وهو من شك أحد الرواة.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٣٥٢) و (٥/ ١٣٧)، وعبد بن حميد (١٠٣٦). والحديث منكر.

(٤) تقدم في الباب (٤٤).

(٥) أخرجه البيهقي (٣١٣)، وابن المبارك في «الزهد» (٦٧) وغيرهما. وإسناده حسن.

سعيد بن كثير بن دينار الحمصي حدثنا محمد بن المهاجر عن الضحاك المعافري عن سليمان بن موسىٰ قال: حدثني كريب أنَّه سمع أُسامة بن زيد رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله ﷺ: «**أَلَا مُشمرٌ للجنَّة، فإنَّ الجنَّة لا خطر لها، هي وربِّ الكعبة نورٌ يتلألأ، وريحانةٌ تهتزُّ، وقصرٌ مشيدٌ، ونهرٌ مطردٌ، وثمرة نضيجة، وزوجة حسناءُ جميلة، وحلَلٌ كثيرة في مقام أبدٍ، في دارٍ سليمة، وفاكهة وخضرةٍ، وحِبَرةٍ ونعمةٍ في محلَّةٍ عاليةٍ بهيَّة، قالوا: نعم يا رسول الله، نحن المشمرون لها: قال: قولوا: إنْ شاء الله، قال: القوم: إنْ شاء الله**»[1].

قال البزار: «وهذا الحديث لا نعلمُ من رواهُ عن النَّبي ﷺ إلا أسامة، ولا نعلم له طريقًا عن أسامة إلا هذا الطريق، ولا نعلم رواهُ عن الضحاك المعافري إلا هذا الرجل محمد بن مهاجر».

وفي حديث لَقِيْط بن صَبِرَة الَّذي رواه عبد الله بن أحمد في «مسند أبيه» وغيره: قلتُ: يا رسول الله علىٰ ما نطَّلع من الجنَّة؟ قال: «**علىٰ أنهار من عسلٍ مصفَّىٰ، وأنهار من كأس ما بها صُدَاع، ولا نَدامة، وأنهار من لبنٍ لم يتغير طعمه، وماءٍ غير آسن، وبفاكهة، لعَمْر إلهك ممَّا تعلمون، وخير من مثله معه**»[2].

وأمَّا الرَّيْحَانة: فهو كل نبت طيِّب الرَّائحة.

قال الحسن وأبو العالية: «هو ريحاننا هذا، يؤتىٰ بِغُصْنٍ من ريحان الجنَّة فنشمُّه»[3].

---

(١) تقدم تخريجه ص(١٩٣).

(٢) تقدم الكلام عليه ص(٩٢).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٧/ ٢١٢).

ص(٣٧٢)

الباب السادس والأربعون
في زرع الجنَّة

قال تعالىٰ: ﴿وَفِيهَا مَا تشتهي ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف:٧١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبي ﷺ كان يومًا يحدث -وعنده رجلٌ من أهل البادية-: «**أنَّ رجلًا من أهل الجنَّة استأذنَ ربَّهُ عز وجل في الزرع فقال له: أولستَ فيما اشتهيت؟ فقال: بلىٰ، ولكن أحبُّ أنْ أزرع، فأسرع وبذرَ فبادر الطَّرْف نباته واستواؤُهُ واستحصاده وتكويره أمثال الجبال فيقول اللهُ عز وجل: دونك يا ابنَ آدم، فإنَّه لا يشبعك شيءٌ**»، فقال الأعرابي: يا رسول الله لا نجدُ هذا إلا قُرَشيًّا أو أنصاريًّا، فإنَّهم أصحاب زرعٍ، فأمَّا نحنُ فلسنا بأصحاب زرع فضحك رسول الله ﷺ[1].

رواهُ البخاري في كتاب التوحيد في باب كلام الربِّ تعالىٰ مع أهل الجنَّة، وخرَّجه في غيره أيضًا[2].

وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ في الجنَّة زرعًا، وذلك البَذْرُ منه، وهذا أحسنُ أنْ تكون الأرض معمورةً بالشَّجر والزرع.

فإنْ قيل: فكيف استأذن هذا الرجل ربَّه في الزرع، فأخبره أنَّه في غنْيةٍ عنه؟

قيل: لعلَّه استأذن في زرع يباشره ويبذره بيده، وقد كان في غُنيةٍ عن ذلك وقد كُفِي مؤونته، ولا أعلم ذكر الزرع في الجنَّة إلا في هذا الحديث، واللهُ أعلم.

(١) أخرجه البخاري (٧٠٨١).

(٢) (٢٢٢١).

وروىٰ إبراهيم بن الحكم، عن أبيه، عن عكرمة قال: بينما رجل في الجنَّة، فقال في نفسه: لو أنَّ اللهَ يأذن لي لزرعتُ، فلا يعلمُ إلا والملائكة علىٰ أبوابه فيقولون: سلامٌ عليك، يقول لك ربُّك: تَمَنَّيْتَ في نفسك شيئًا فقد علمته، وقد بُعِثَ معنا البذرُ، فيقول: ابذروا فيخرج أمثال الجبال، فيقول له الربُّ من فوق عرشه: كلْ يا ابنَ آدمَ فإنَّ ابن آدم لا يشبع»[1]. واللهُ أعلم.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٣٣٤) مطوَّلاً، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (٦٩) مطوَّلًا.

ص(٣٧٤)

الباب السابع والأربعون
في ذكر أنهار الجنَّة وعيونها وأصنافها ومجراها الَّذي تجري عليه

وقد تكرَّر في القرآن في عدَّة مواضع قوله تعالىٰ: ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة:٢٥]، وفي موضع: ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا﴾ [التوبة:١٠٠]، وفي موضع: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [يونس:٩].

وهذا يدلُّ علىٰ أمور:

أحدها: وجود الأنهار فيها حقيقة.

الثاني: أنَّها جارية لا واقفة.

الثالث: أنَّها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم، كما هو المعهود في أنهار الدنيا.

وقد ظنَّ بعض المفسرين أنَّ معنىٰ ذلك جريانها بأمرهم، وتصريفهم لها كيف شاؤوا، وكأنَّ الَّذي حملهم علىٰ ذلك أنَّه لمَّا سمعوا أنَّ أنهارها تجري في غير أخدودٍ، فهي جارية علىٰ وجه الأرض حملوا قوله: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ علىٰ أنَّها تجري بأمرهم، إذْ لا يكون فوق المكان تحته.

وهؤلاء أُتُوا من ضعف الفَهم، فإنَّ أنهار الجنَّة وإنْ جَرَتْ في غير أخدود؛ فهي تحت القصور والمنازل والغرف، وتحت الأشجار، وهو سبحانه وتعالىٰ لم يقل: من تحتِ أرضها، وقد أخبر سبحانه عن جريان الأنهار تحت النَّاس في الدنيا، فقال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ﴾ [الأنعام:٦]، فهذا علىٰ المعهود

المتعارف، وكذلك ما حكاهُ من قولِ فرعون: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾ [الزخرف:٥١].

وقال تعالىٰ: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن:٦٦].

قال ابن أبي شيبة: حدثنا يحيىٰ بن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد قال: «نضَّاختان بالماءِ والفواكه»(١).

وحدثنا ابن يَمَان عن أبي إسحاق عن أبان عن أنس رضي الله عنه قال: «نضَّاختان: بالمسكِ والعنبر، تنضخان علىٰ دُوْرِ أهل الجنَّة، كما ينضخ المطر علىٰ دور أهل الدنيا»(٢).

وحدثنا عبد الله بن إدريس عن أبيه عن أبي إسحاق عن البراء رضي الله عنه قال: «اللتان تجريان أفضل من النَّضَّاختين»(٣).

وقال تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ﴾ [محمد:١٥].

فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة، ونفىٰ عن كلِّ واحدٍ منها الآفة التي تعرض له في الدنيا، فآفة الماء أنْ يأسن ويأجن من طول مكثه، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلىٰ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٠٤٤) وابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٧١)، والطبري في «تفسيره» (٢٧/ ١٥٦). بإسناد حسن.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٧٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره»، كما في «الدر المنثور» (٦/ ٢٠٩).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا (٧٣)، وابن المنذر وابن أبي حاتم في تفسيريهما (٦/ ٢٠٩ الدر). وسنده صحيح.

الحموضة، وأنْ يصير قارصًا، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذَّة شربها، وآفة العسلِ عدم تصفيته.

وهذا من آيات الرب تعالىٰ أنْ يُجري أنهارًا من أجناس لم تجر العادة في الدنيا بإجرائها، ويُجْرِيْها في غير أخدود، وينفي عنها الآفات التي تمنع كمال اللَّذة بها، كما نفىٰ عن خمر الجنَّة جميع آفات خمر الدنيا، من الصداع والغَوْلِ واللَّغوِ والإنزافِ وعدم اللَّذة.

فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا: تغتال العقل، وتكثر اللَّغو علىٰ شربها؛ بل لا يطيب لشرابها ذلك إلا باللَّغو، وتنزف في نفسها، وتنزف المال، وتصدِّع الرَّأس، وهي كريهة المذاق. وهي رجس من عمل الشيطان، توقع العداوة والبغضاءِ بين النَّاسِ، وتصُد عن ذكر اللهِ وعن الصلاة، وتدعو إلىٰ الزِّنا، وربما دعتْ إلىٰ الوقوع علىٰ البنت والأُخت وذوات المحارم، وتُذْهِب الغَيْرة، وتورث الخِزْي والنَّدامة والفضيحة، وتُلْحِق شاربها بأنقص نوع الإنسان: وهم المجانين، وتسلبه أحسن الأسماءِ والسماتِ، وتكسوهُ أقبح الأسماء والصفاتِ، وتسهِّل قتل النَّفس، وإفشاء السرِّ الَّذي في إفشائه مضرَّته أو هلاكه، ومؤاخاة الشياطين في تبذير المالِ، الَّذي جعله اللهُ قيامًا له، ولمن تلزمه مؤنته، وتهتك الأستار، وتظهر الأسرار، وتدلُّ علىٰ العورات، وتهوِّن ارتكاب القبائح والمآثم، وتخرج من القلب تعظيم المحارم، ومُدْمِنها كعابدِ وثنٍ، وكم أهاجت من حرْبٍ، وأفقرتْ من غنيٍّ، وأذلَّتْ من عزيز، ووضعتْ من شريفٍ، وسلبتْ من نعمة، وجلبتْ من نقمة، ونسختْ مودَّة، ونسجتْ عداوة، وكم فرَّقتْ بين رجلٍ وحِبِّهِ فذهبت بقلبه، وراحت بلُبِّهِ، وكم أورثتْ من حسرةٍ وأجرتْ من عَبْرة، وكم أغلقتْ في وجه شَاربها بابًا من الخير، وفتحت له بابًا من الشرِّ، وكم أوقعت في بليَّه، وعجَّلت من منية، وكم أورثت

من خزية، وجرَّت علىٰ صاحبها من محنة، وجرأت عليه من سَفَلةٍ، فهي جماع الإثم، ومفتاح الشرِّ، وسلَّابة النِّعم، وجالبة النقم، ولو لم يكن من قبائحها إلا أنَّها لا تجتمع هي وخمرة الجنَّة في جوف عبدٍ، كما ثبت عنه ﷺ أنَّه قال: «**من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة**»(١).

وآفات الخمر أضعاف أضعاف ما ذكرنا، وكلها منتفية عن خمر الجنَّة.

فإنْ قيل: فقد وصفَ سبحانه الأنهارَ بأنَّها جارية، ومعلوم أنَّ الماء الجاري لا يأسن، فما فائدة قوله: ﴿غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ [محمد:١٥]؟

قيل: الماء الجاري وإنْ كان لا يأسَن، فإنَّه إذا أُخِذَ منه شيء وطال مكثه أسن، وماء الجنَّة لا يَعْرض له ذلك، ولو طال مكثه ما طال.

وتأمَّل اجتماع هذه الأنهار الأربعة، التي هي أفضل أشربة النَّاس، فهذا لريِّهم وطهورهم، وهذا لقوَّتهم وغذائهم، وهذا للذَّتهم وسرورهم، وهذا لشفائهم ومنفعتهم.

فصل

ص(٣٧٩)

وأنهار الجنَّة تتفجَّر من أعلاها، ثمَّ تنحدر نازلةً إلىٰ أقصىٰ درجاتها، كما روىٰ البخاري في «صحيحه»(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ في الجنَّة مئة درجة أعدَّها اللهُ عز وجل للمجاهدين في سبيله بين كلِّ درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم اللهُ فاسألوهُ الفردوس، فإنَّه وسطُ الجنَّة، وأعلىٰ الجنَّة، وفوقه عرشُ الرحمن، ومنه تفجَّر أنهار الجنَّة**».

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٥٣)، ومسلم (٢٠٠٣) من حديث ابن عمر، واللفظ لمسلم مختصرًا.

(٢) تقدم ص(٩٥).

وروىٰ الترمذي نحوه من حديث معاذ بن جبل وعُبادة بن الصامت، ولفظ حديث عُبَادة: «**الجنَّة مئةُ درجةٍ ما بين كلِّ درجتين مسيرة مئة عام، والفردوس أعلاها درجة، ومنها الأنهارُ الأربعة، والعرشُ فوقها، فإذا سألتم الله فاسألوهُ الفردوسَ الأعلىٰ**»[1].

وفي «معجم الطبراني» من حديث الحسن عن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الفردوس ربوةُ الجنَّة، وأعلاها وأوسطها، ومنها تفجرُ أنهار الجنَّة**»[2].

وفي «صحيح البخاري»[3] من حديث شعبة عن قتادة قال: أخبرني أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**رفعت لي سدرة المنتهىٰ في السماء السابعة، نبقها مثلُ قلال هَجَر، وورقها مثل آذانِ الفيلة، ويخرج من أصلها نهران ظاهران، ونهران باطنان، فقلتُ: يا جبريل، ما هذا؟ قال: أما النهران الباطنان ففي الجنَّة، وأمَّا النهرانِ الظاهران، فالنيل والفرات**».

وفي «صحيحه»[4] أيضًا من حديث همام عن قتادة عن أنس أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**بينا أنا أسيرُ في الجنَّة، إذا أنا بنهرٍ حافتاهُ قبابُ اللؤلؤِ المجوَّفِ، فقلتُ: ما هذا يا جبريلُ؟ قال: هذا الكوثر الَّذي أَعطاك ربُّك، قال: فضرب الملك بيده، فإذا طينه أذفر**».

وفي «صحيح مسلم»[5] من حديث المختار بن فلفل عن أنس بن مالك رضي الله عنه

---

(١) تقدم ص(٩٥).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦٨٨٥)، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (١١)، والبزار في «مسنده» (٤٥٨٢).

(٣) معلقًا برقم (٥٦٠٩).

(٤) (٦٢١٠).

(٥) (٤٠٠).

عن النَّبي ﷺ قال: «**الكوثرُ نهرٌ في الجنَّة وَعَدَنِيْه ربي ﷻ**»[1].

وقال محمد بن عبد الله الأنصاري: حدثنا حُميد الطَّوِيْل عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**دخلت الجنَّة فإذا بنهر يجري حافتاه خيام اللؤلؤ، فضربتُ بيدي إلىٰ ما يجري فيه من الماءِ، فإذا أنا بمسكٍ أذفر، فقلتُ: لمن هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثرُ الَّذي أعطاكه اللهُ ﷻ**».

وقال الترمذي: حدثنا هَنَّادٌ حدثنا محمد بن فُضَيْل عن عطاء بن السائب عن محارب بن دِثار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الكوثر نهرٌ في الجنَّة حافتاهُ من ذهب، ومجراهُ علىٰ الدر والياقوتِ، تربته أطيبُ من المسك، وماؤه أحلىٰ من العسلِ، وأبيضُ من الثلج**»[2]. قال: «هذا حديثٌ حسن صحيح».

وقال أبو نعيم الفضل: حدثنا أبو جعفر -هو الرَّازي- حدثنا ابن أبي نَجِيح عن مجاهد: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ قال: «الخير الكثير»[3].

وقال أنس بن مالك: «نهرٌ في الجنَّة»[4].

وقالت عائشة رضي الله عنها: «هو نهرٌ في الجنَّة ليس أحدٌ يدخل إصبعيه في أذنيه إلا سمع خرير ذلك النهر»[5].

وهذا معناهُ -واللهُ أعلم- أنَّ خرير ذلك النَّهر يشبه الخرير الَّذي يسمعه حين يدخل أصبعيه في أذنيه.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٣٢٧). وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٦٠)، وابن ماجه (٤٣٣٤). وصححه الترمذي.

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٢٢)، وابن مردويه في «تفسيره» (٦/ ٦٨٧ الدر المنثور). وسنده حسن.

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٢١)، وابن مردويه في «تفسيره» (٦/ ٦٨٧ الدر)، وسنده منقطع.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٦٨). وإسناده ضعيف.

وفي «جامع الترمذي» من حديث الجُرَيري عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النَّبي ﷺ قال: «**إنَّ في الجنَّة بحرَ الماءِ، وبحر العسلِ، وبحرَ اللبن، وبحر الخمر، ثمَّ تشقق الأنهار بعدُ**»[١]، قال: «هذا حديث حسن صحيح».

وقال الحاكمُ: حدثنا الأصم حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسىٰ حدثنا ابن ثوبان عن عطاء بن قرَّة عن عبد الله بن ضمرة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سرَّهُ أنْ يسقيه اللهُ عز وجل من الخمر في الآخرة فليتركها في الدنيا، ومن سرَّهُ أنْ يكسوهُ الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا، أنهار الجنَّة تَفَجَّرُ من تحت تِلَالٍ، أو تحت جبال المسكِ، ولو كان أدنىٰ أهل الجنَّة حليةً عدلتْ بحلية أهل الدنيا جميعًا؛ لكان ما يحليه الله به في الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعًا**»[٢].

وذكر الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد اللهِ قال: «إنَّ أنهار الجنَّة تُفجرُ من جبل مسكٍ»[٣]. وهذا موقوفٌ صحيح.

وذكر ابن مردويه في «مسنده»: حدثنا أحمد بن محمد بن عاصم حدثنا عبدالله بن محمد بن النعمان حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا الحارث بن عبيد، حدثنا أبو عمران الجوني، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه رضي الله عنه قال: قال

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٦٦)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٥)، وصححه الترمذي وابن حبان.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٤٣) مختصرًا، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٣١٣) مختصرًا، والبيهقي في «البعث» (٢٩٢). بإسناد ضعيف.
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٣٩٤٧)، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٣٠٦)، والبيهقي في «البعث» (٢٩٣). وإسناده صحيح.

رسول الله ﷺ: «**هذه الأنهار تَشْخُبُ من جنَّة عدنٍ في جَوْبَةٍ، ثمَّ تصدَّعُ بعدُ أنهارًا**»[١].

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا يعقوب بن عبيد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا الجريري عن معاوية بن قُرَّة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «أظنُّكُم تظنون أنَّ أنهار الجنَّة أخدود في الأرض؟ لا والله، إنَّها لسائحة علىٰ وجه الأرض، إحدىٰ حافتيها اللؤلؤ، والأخرىٰ الياقوت، وطينه المسك الأذفر، قال قلتُ: ما الأذفر؟ قال: الَّذي لا خلط له»[٢].

ورواهُ ابن مردويه في «تفسيره» عن محمد بن أحمد حدثنا محمد بن أحمد بن أبي يحيىٰ حدثنا مهدي بن حكيم حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا الجُريري عن معاوية ابن قُرَّة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ، فذكرهُ هكذا، رواهُ مرفوعًا.

وقال أبو خيثمة: حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أنَّه قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ فقال: قال رسول الله ﷺ: «**أعطيت الكوثر فإذا هو يجري، ولم يُشقَّ شقًّا، وإذا حافتاهُ قبابُ اللؤلؤ، فضربتُ بيدي إلىٰ تربته، فإذا مسكٌ أذفر، وإذا حصباؤه اللؤلؤ**»[٣].

وذكر سفيان الثوري، عن عمرو بن مُرَّة عن أبي عبيدة عن مسروق في قوله: ﴿وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ﴾ [الواقعة:٣١] قال: «أنهار تجري في غير أخدود» قال: ﴿وَنَخۡلٖ

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤١٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٠٩٨)، وابن أبي الدنيا (٨٤)، وهذا اللفظ منكر، والصحيح ما أخرجه البخاري (٤٥٩٧)، ومسلم (١٨٠) بلفظ: «جنَّتان من ذهبٍ آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما...».

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٦٩)، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٣١٦). وهو صحيح عنه.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٧٥)، وأحمد (٣/ ٢٤٧). وهو حديث صحيح.

طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ [الشعراء:١٤٨] قال: «من أصلها إلىٰ فرعها، أو كلمة نحوها»[(١)].

وفي «صحيح مسلم»[(٢)] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيحان وجيحان والفراتُ والنيل: كلٌّ من أنهار الجنَّة**».

وقال عثمان بن سعيد الدَّارمي: حدثنا سعيد بن سابق حدثنا مسلمة بن علي، عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس عن النَّبي ﷺ قال: «**أنزلَ اللهُ من الجنَّة خمسة أنهارٍ: سيحون: وهو نهرُ الهندِ، وجيحون: وهو نهرُ بلْخٍ، ودجلة والفراتَ: وهما نهرا العراقِ، والنيل: وهو نهرُ مصرَ، أنزلها اللهُ من عينٍ واحدةٍ من عيون الجنَّة من أسفل درجةٍ من درجاتها علىٰ جناحي جبريل عليه السلام، فاستودعها الجبالَ، وأجراها في الأرض، وجعل فيها منافع للنَّاس في أصناف معايشهم، فذلك قوله:** ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون:١٨]، **فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أُرسل جبريل فرفع من الأرض القرآن والعلم كله، والحجرَ الأسود من ركن البيت، ومقام إبراهيم، وتابوت موسىٰ بما فيه، وهذه الأنهار الخمسة فرفع ذلك كله إلىٰ السماء، فذلك قوله تعالىٰ:** ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون:١٨]، **فإذا رُفِعت هذه الأشياء من الأرضِ، فقد حُرِم أهلها خير الدنيا والآخرة**»[(٣)].

رواه أبو أحمد ابن عدي في ترجمة: مسلمة هذا مع أحاديث غيره، وقال: «عامة أحاديثه غير محفوظة، وبالجملة فهو من الضعفاء». قال البخاري: منكر الحديث،

---

(١) أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» (٣٢٠) بتمامه. وهو أثرٌ صحيح.

(٢) برقم (٢٨٣٩).

(٣) أخرجه ابن عدي في ضعفاء «الكامل» (٦/ ٣١٥)، وابن حبان في «المجروحين» (٣/ ٣٤). وهو منكر.

وقال النسائي: متروك، وقال أبو حاتم: «لا يُشْتَغَلُ به»[١].

وقال عبد الله بن وهب: حدثنا سعيد بن أبي أيوب عن عُقَيل بن خالد عن الزهري أنَّ ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إنَّ في الجنَّة نهرًا يُقال له: البَيْذَخُ، عليه قِبَابٌ من ياقوتٍ تحته جوارٍ، يقول أهل الجنَّة: انطلقوا بنا إلىٰ البَيْذَخ، فيتصفَّحون تلك الجواري، فإذا أعجب رجلًا منهم جاريةٌ مسَّ مِعصَمها فتتبعه»[٢].

فصل

ص(٣٩١)

وأمَّا العيون: فقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الذاريات:١٥]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان:٥-٦].

قال بعض السلف: «معهم قضبان الذهب، حيثما مالوا مالت معهم»[٣].

وقد اختلف في قوله: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ [الإنسان:٦]:

- فقال الكوفيون: الباء بمعنىٰ مِنْ. أي يشرب منها.

- وقال آخرون: بل الفعل مُضَمَّن. ومعنىٰ يشرب بها: أي يروىٰ بها، فلمَّا ضمَّنه معناه عدَّاه تعديته، وهذا أصح وألطف وأبلغ.

- وقالت طائفة: الباء للظَّرفية، والعين اسم للمكان، كما تقول: كنا بمكان كذا وكذا.

---

(١) انظر: ترجمته وأقوال العلماء فيه في «تهذيب الكمال» (٢٧/ ٥٦٧ - ٥٧١).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٧٠)، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٣٢٤). والإسناد منقطع.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٩/ ٢٠٨)، و«الدر المنثور» (٦/ ٤٨٣).

ونظير هذا التَّضمين قوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ [الحج:٢٥] ضُمِّنَ معنىٰ يَهُمُّ فَعُدِّيَ تَعْدِيته.

وقال تعالىٰ: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ [الإنسان:١٨،١٧]، فأخبر سبحانه عن العين التي يشرب بها المقربون صِرْفًا؛ أنَّ شراب الأبرار يمزج منها؛ لأنَّ أولئك أخلصوا الأعمال كلها لله، فأخلص شرابهم، وهؤلاء مزجوا، فمزج شرابهم.

ونظير هذا قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين:٢٢-٢٨].

فأخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين؟ بالكافور في أوَّل السُّورة، والزنجبيل في آخرها، فإنَّ في الكافور من البرد وطيب الرَّائحة، وفي الزنجبيل من الحرارة وطيب الرَّائحة، وما يحدث لهم باجتماع الشَّرابين -ومجيء أحدهما علىٰ إثر الآخر- حالةً أخرىٰ أكمل وأطيب وألذ من كلٍّ منهما بانفراده، وتعتدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر، وما ألطف موقع ذكر الكافور في أوَّل السورة، والزنجبيل في آخرها، فإنَّ شرابهم مُزِج أوَّلًا بالكافور، وفيه من البرد ما يجيء الزنجبيل بعده فيعدله.

والظَّاهرُ أنَّ الكأس الثانية غير الأولىٰ، وأنَّهما نوعان لذيذان من الشراب، أحدهما: مُزِجَ بكافور، والثاني: مُزِجَ بزنجبيل.

وأيضًا: فإنَّه سبحانه أخبر عن مَزْجِ شرابهم بالكافور وبَرْدِهِ في مقابلة ما وصفهم به من حرارة الخوف، والإيثار، والصبر، والوفاءِ بجميع الواجبات التي نبَّهَ بوفائهم بأضعفها، وهو ما أوجبوه علىٰ أنفسهم بالنَّذْرِ علىٰ الوفاءِ بأعلاها، وهو ما أوجبه اللهُ عليهم، ولهذا قال: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان:١٢]، فإنَّ في الصَّبر من

الخشونة وحبس النَّفس عن شهواتها؛ ما اقتضىٰ أنْ يكون في جزائهم من سعة الجنَّة، ونعومة الحريرِ ما يقابل ذلك الحبس والخشونة، وجمع لهم بين النضرة والسرور، هذا جمال ظواهرهم، وهذا جمال بواطنهم، كَمَا جمَّلُوا في الدنيا ظواهرهم بشرائع الإسلام، وبواطنهم بحقائق الإيمان.

ونظيره قوله تعالىٰ في آخر السورة: ﴿عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ﴾ [الإنسان:٢١]، فهذه زينة الظاهر، ثمَّ قال: ﴿وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا﴾ [الإنسان:٢١].

فهذه زينة الباطن المُطَهِّر له من كلِّ أذىٰ ونقص.

ونظيرُ قوله تعالىٰ لأبيهم آدم عليه السلام: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ﴾ [طه:١١٨-١١٩].

فضَمِنَ لهُ أنْ لا يصيبه ذل الباطن بالجوع، ولا ذُلُّ الظاهر بالعُرِيِّ، وأنْ لا يناله حرّ الباطن بالظمأ، ولا حرُّ الظاهر بالضحىٰ.

ونظيرُ هذا ما عدَّدهُ علىٰ عباده من نعمه أنَّه أنزل عليهم لباسًا يواري سوآتهم، ويزين ظواهرهم، ولباسًا آخر يزين بواطنهم وقلوبهم، وهو لباس التقوىٰ، وأخبر أنَّه خير اللباسين[1].

وقريبٌ من هذا إخباره أنَّه زيَّنَ السَّماءَ الدنيا بزينة الكواكب، وحفظها من كلِّ شيطانٍ ماردٍ، فزيَّن ظاهرها بالنُّجوم، وباطنها بالحراسة[2].

وقريبٌ منه أمره من أراد الحج بالزَّاد الظَّاهر، ثمَّ أخبر أنَّ خير الزَّادِ الزادُ

(١) يُشير إلىٰ آية (٢٦) من سورة الأعراف.

(٢) يشير إلىٰ آيتي (٦ و ٧) من سورة الصافات.

الباطن، وهو التقوىٰ[1].

وقريبٌ منه قول امرأة العزيز عن يوسف: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمۡتُنَّنِى فِيهِۖ﴾ [يوسف:٣٢]، فأرتهنَّ حُسْنَهُ وجماله، ثمَّ قالت: ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ﴾ [يوسف:٣٢]. فأخبرتهنَّ بجمال باطنه، وزينته بالعِفَّةِ.

وهذا كثيرٌ في القرآن لمن تأمله.

(١) يشير إلىٰ آية (١٩٧) من سورة البقرة.

ص(٣٩٥)

الباب الثامن والأربعون

في ذكر طعام أهل الجنَّة، وشرابهم ومصرفه

قال اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المرسلات:٤١-٤٣]، وقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة:١٩-٢٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف:٧٢-٧٣]، وقال تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ﴾ [الرعد:٣٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الطور:٢٢-٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين:٢٥-٢٦].

وفي «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي الزبير، عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يأكل أهل الجنَّة ويشربون، ولا يمتخطون ولا يتغوطون ولا يبولون، طعامهم ذلك جُشاءٌ كريحِ المسكِ، يُلْهَمُون التسبيح والتكبير كما تُلهمون النَّفَسَ»**.

ورواهُ أيضًا من رواية طلحة بن نافع، عن جابر وفيه: قالوا: فما بال الطعام؟ قال: «جُشاءٌ ورشحٌ كرشح المسك، يُلْهَمون التسبيح والحمد»[2].

---

(١) (٢٨٣٥).

(٢) (٢٨٣٥).

وفي «المسند» و«سنن النسائي» بإسناد صحيح علىٰ شرط الصحيح من حديث الأعمش، عن ثمامة بن عقبة، عن زيد بن أرقم قال: «جاء رجلٌ من أهل الكتاب إلىٰ النَّبي ﷺ فقال: يا أبا القاسم، تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ قال: «نعم، والذي نفس محمد بيده، إن أحدهم ليُعْطَىٰ قوة مئة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة»، قال: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس في الجنة أذىٰ، قال: «تكون حاجة أحدهم رشحًا يفيض من جلودهم كرشح المسك فَيَضْمُر بطنه»[1].

ورواه الحاكم في «صحيحه»[2] ولفظه: «أتىٰ النَّبي ﷺ رجل من اليهود فقال: يا أبا القاسم، ألست تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون؟ -ويقول لأصحابه: إن أقرَّ لي بهذا خصمته- فقال رسول الله ﷺ: «**بلىٰ والذي نفس محمدٍ بيده، إن أحدهم ليُعْطَىٰ قوة رجل في المَطْعم والمَشْرب والشهوة والجماع**»، فقال له اليهودي: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة، فقال رسول الله ﷺ: «**حاجتهم عَرَق يفيض من جلودهم مثل المسك، فإذا البطن قد ضمر**».

وقال الحسن بن عرفة: حدثنا خلف بن خليفة، عن حميد الأعرج، عن عبد الله ابن الحارث، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**إنك لتنظر إلىٰ الطير في الجنة فتشتهيه، فَيَخِرّ بين يديك مشويًّا**»[3].

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٣٦٧ و ٣٧١)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٤٧٨)، وهناد في «الزهد» (٦٣، ٩٠) واللفظ له. وقد صححه غير واحد.

(٢) لم أقف عليه في المطبوع، ولا في «إتحاف المهرة» لابن حجر (٤٦٧١، ٤٦٧٣). لكن أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» (٣٥٢) عن الحاكم ومحمد بن موسىٰ به.

(٣) أخرجه الحسن بن عرفة في «جزئه» (٢٢)، والبزار (٢٠٣٢)، والبيهقي في «البعث» (٣٥٣). وضعّفه غير واحد.

وقد تقدم حديث أنس في قصة عبد الله بن سلام في أول طعام يأكله أهل الجنة، وشرابهم على أثره[١].

وحديث أبي سعيد الخدري: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفَّؤها الجبار بيده نُزُلًا لأهل الجنة»[٢].

وقال الحاكم: أنبأنا الأصم، حدثنا إبراهيم بن منقذ، حدثنا إدريس ابن يحيى، حدثني الفضل بن المختار، عن عبيد الله بن موهب، عن عصمة بن مالك الخطمي، عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة طيرًا أمثال البخاتي، فقال أبو بكر: إنها لناعمة يا رسول الله، قال: أنعم منها من يأكلها، وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر**»[٣].

قال الحاكم: وأنبانا الأصم، حدثنا يحيى بن أبي طالب، أنبأنا عبد الوهاب بن عطاء، أنبأنا سعيد، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة:٢١] قال: ذكر لنا أن أبا بكر قال: يا رسول الله، إني لأرى طير الجنة ناعمة كما أهلها ناعمون، قال: «من يأكلها أنعم منها، وإنها أمثال البخاتي، وإني لأحتسب على الله أن تأكل منها يا أبا بكر»[٤].

وبهذا الإسناد عن قتادة، عن أبي أيوب رجلٌ من أهل البصرة، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ﴾ [الزخرف:٧١]، قال:

(١) عند البخاري (٣٧٢٣).

(٢) عند البخاري (٦١٥٥)، ومسلم (٢٧٩٢).

(٣) أخرجه البيهقي في «البعث» (٣٥٤). بإسناد ضعيف.

(٤) أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» (٣٥٥). وسنده حسن إلى قتادة، والحديث مرسل.

«يطاف عليهم بسبعين صحفة من ذَهَبٍ، كلُّ صفحةٍ فيها لون ليس في الأُخرىٰ»(١).

وقال الدراوردي: حدثني ابن أخي ابن شهاب، عن أبيه عبد الله بن مسلم أنه سمع أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول في الكوثر: قال رسول الله ﷺ: «**هو نهرٌ أعطانيه ربي أشد بياضًا من اللبن، وأحلىٰ من العسل، فيه طيور أعناقها كأعناق الجُزُرِ**»، فقال عمر ابن الخطاب: إنها يا رسول الله لناعمة، فقال رسول الله ﷺ: «**آكِلُها أنعم منها**»(٢).

تابعه إبراهيم بن سعد عن ابن أخي ابن شهاب، وقال: فقال «أبو بكر» بدل «عمر».

وقال عثمان بن سعيد الدارمي: حدثنا عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة:١٨]، يقول: «الخمر»، ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [الصافات:٤٧] يقول: «ليس فيها صداع»، وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [الواقعة:١٩] يقول: «لا تذهب عقولهم»، وقوله تعالىٰ: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النبأ:٣٤]، يقول: «ممتلئة»، وقوله: ﴿رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ [المطففين:٢٥] يقول: «الخمر ختم بالمسك»(٣).

وقال علقمة، عن ابن مسعود: ﴿خِتَامُهُۥ مِسْكٌ﴾ [المطففين:٢٦]. قال: «خلطه، وليس بخاتم يختم»(٤).

---

(١) أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» (٣٥٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٥/ ٩٦) مختصرًا. وسنده صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٢٢٠)، وبقي بن مخلد فيما روي في «الحوض والكوثر» (٣٢/ ٣٣)، والطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٣٢٤) والبيهقي في «البعث والنشور» (٢٩١)، وغيرهم.

(٣) أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» (٣٥٧). وسنده حسن.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (١٣١)، والطبري (٣٠/ ١٠٦) وغيرهم. والإسناد لا بأس به.

قلت: يريد -والله أعلم- أن آخره مسك يخالطه فهو من الخاتمة، ليس من الخاتم.

وقال زيد بن معاوية: سألت علقمة عن قوله تعالىٰ: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞ﴾ [المطففين:٢٦] فقرأ ﴿خَاتَمُهُ مِسْكٌ﴾، فقال لي علقمة: «ليست خاتمه، ولكن اقرأها ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞ﴾ قال علقمة: ختامه: خلطه، ألم تر إلىٰ المرأة من نسائكم تقول للطيب: إنَّ خَلْطهُ من مسك، لكذا وكذا»[1].

وذكر سعيد بن منصور[2]: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق: «الرحيق: الخمر، والمختوم: يجدون عاقبتها طعم المسك».

وبهذا الإسناد عن مسروق، عن عبد الله في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ﴾ [المطففين:٢٧] قال: «يمزج لأصحاب اليمين، ويشربُها المقربون صرفًا»[3].

وكذلك قال ابن عباس: «يشرب منها المقربون صرفًا، ويمزج لمن دونهم»[4].

وقال مجاهدٌ: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞ﴾ [المطففين:٢٦] يقول: «طينه مسك»[5].

وهذا التفسير يحتاج إلىٰ تفسير. ولفظ الآية أوضح منه، وكأنه - والله أعلم- يريد ما يبقىٰ في أسفل الإناء من الدُّرْدِيِّ[6].

(١) أخرجه هناد في «الزهد» (٦٧)، والطبري في «تفسيره» (٣٠/ ١٠٦)، والإسناد ثابت.

(٢) أخرجه البيهقي في «البعث» (٣٦١)، والصحيح أن مسروقًا يرويه عن ابن مسعود كما عند هناد في «الزهد» (٦٤)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (١٣٧).

(٣) أخرجه البيهقي في «البعث» (٣٦٢) والأثر ثابت صحيح.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٤٥)، والطبري في «تفسيره» (٣٠/ ١٠٩)، وسنده صحيح.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣٠/ ١٠٧)، والبيهقي في «البعث» (٣٦٤). وسنده حسن.

(٦) دُرديُّ الشيء: ما يبقىٰ في أسفله.

وذكر الحاكم: من حديث آدم، حدثنا شيبان، عن جابر، عن ابن سابط، عن أبي الدرداء في قوله: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞ﴾ [المطففين:٢٦]، قال: «هو شرابٌ أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم، لو أنَّ رجلًا من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها؛ لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها»[١].

قال آدم: وحدثنا أبو شيبة، عن عطاء قال: «التَّسْنِيم: اسم العين التي يمزج به الخمر»[٢].

وقال الإمام أحمد: حدثنا هشيم، أنبأنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا﴾ [النبأ:٣٤] قال: «هي المتتابعة الممتلئة»، قال: ورُبَّما سمعت العباس يقول: اسقنا وادْهَق لنا»[٣].

وقد تقدَّم الكلام على قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا﴾ [الإنسان:٥-٦] وعلى قوله: ﴿وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا﴾ [الإنسان:١٧-١٨][٤].

فقالت فرقة: «سلسبيلًا» جملة مركبة من فعل وفاعل، و«سبيلًا» منصوب على المفعول، أي سل سبيلًا إليها[٥].

وليس هذا بشيء، وإنما السلسبيل كلمة مفردة، وهي اسم للعين نفسها

---

(١) أخرجه البيهقي في «البعث» (٣٦٥) والأثرُ ضعيفُ الإسناد.

(٢) أخرجه البيهقي في «البعث» (٣٦٦)، بإسناد حسن.

(٣) أخرجه البيهقي في «البعث» (٣٥٨)، ورواهُ يحيى بن المهلب عن حصين به نحوه وفيه (اسقنا كأسًا دهاقًا). أخرجه البخاري (٣٦٢٧).

(٤) انظر ص (٢٥٥).

(٥) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٦/ ١٧١) ولا يصح، وهذا تأويل باطل.

باعتبار صفتها، وقد شفىٰ قتادة ومجاهد في اشتقاق اللفظة، فقال قتادة: «سَلِسَة لهم يصرفونها حيث شاؤوا»(١). وهذا من الاشتقاق الأكبر.

وقال مجاهد: «سَلِسَةُ السبيل حديدة الجرية»(٢).

وقال أبو العالية والمقاتلان(٣): «تسيل عليهم في الطرق، وفي منازلهم»، وهذا من سلاستها وحِدَّة جريتها.

وقال آخرون: معناها طيبة الطعم والمذاق(٤).

وقال أبو إسحاق: **سلسبيل**: صفة لِمَا كان في غاية السلاسة، فسميت العين بذلك.

وقال ابن الأنباري: «الصواب في سلسبيل: أنه صفة للماء، وليس باسم للعين»، واحتج علىٰ ذلك بحجتين:

إحداهما: بأنَّ سلسبيلَ مصْرُوف، ولو كان اسمًا للعين لم يُصْرَف للتأنيث والعلمية.

الثانية: أن ابن عباس قال: معناه «أنها تنسل في حلوقهم انسلالًا»(٥).

قلت: ولا حجة له في واحدة منهما، أما الصرف: فلاقْتِضَاء رؤوس الآي له

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٣٧)، والطبري (٢٩/ ٢١٨). وهو أثر صحيح عن قتادة.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٣٦) والطبري (٢٩/ ٢١٨ و ٢١٩). وهو أثر صحيح عن مجاهد.

(٣) المقاتلان هما: مقاتل بن حيان، ومقاتل بن سليمان. وانظر هذا النقل عنهما في «بحر العلوم» للسمرقندي (٣/ ٤٣٢)، وتفسير القرطبي (١٩/ ١٤٣)، و«معالم التنزيل» للبغوي (٨/ ٢٩٧).

(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٩/ ١٤٢).

(٥) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٦/ ١٧١).

كنظائره. وأما قول ابن عباس: فإنما يدل علىٰ أن العين سميت بذلك باعتبار صفة السلاسة والسهولة[١].

فقد تضمنت هذه النصوص أنَّ لهم فيها الخبز واللَّحم والفاكهةَ والحلوىٰ، وأنواع الأشربة من الماء واللبن والخمر، وليس في الدنيا ممَّا في الآخرة إلا الأسماء، وأمَّا المسميات فبينها من التفاوت ما لا يعلمه البشر.

فإنْ قيل: فأين يُشْوىٰ اللحم وليس في الجنة نار؟

فقد أجاب عن هذا بعضهم بأنه يُشْوىٰ بـ ﴿كُن﴾.

وأجاب آخرون: بأنَّه يشوىٰ خارج الجنة، ثم يؤتىٰ به إليهم.

والصواب: أنه يشوىٰ في الجنة بأسباب قدرها العزيز العليم لإنضاجه وإصلاحه، كما قَدَّرَ هناك أسبابًا لإنضاج الثمر والطعام، علىٰ أنَّه لا يمتنع أن يكون فيها نار تصلح ولا تفسد شيئًا.

وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**مجامرهم الألُوَّةُ**»[٢]، و«المجامر»: جمع مَجْمَر، وهو البخور الذي يتبخر بإحراقه. و«الألوة»: العود المُطرَّىٰ. فأخبر أنهم يتجمرون به، أي: يتبخرون بإحراقه، لتسطع لهم رائحته.

وقد أخبر سبحانه أنَّ في الجنَّة ظلالًا، والظلال لا بُدَّ أنْ تفيء ممَّا يقابلها فقال: ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ [يس:٥٦].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾ [المرسلات:٤١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء:٥٧].

---

(١) راجع «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٦١)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٨/ ٤٣٨).

(٢) تقدم تخريجه ص(١٥٨).

فالأطعمة والحلوىٰ والتَّجمر تستدعي أسبابًا تتم بها، والله سبحانه خالق السَّبب والمُسَبَّب، وهو رب كل شيء ومليكه لا إله إلا هو، وكذلك جعل لهم سبحانه أسبابًا تُصَرِّف الطعام من الجشاء والعرق الذي يفيض من جلودهم، فهذا سبب إخراجه، وذاك سبب إنضاجه، وكذلك يجعل في أجوافهم من الحرارة ما يطبخ ذلك الطعام ويُلطِّفه، ويهيئه لخروجه رشحًا وجشاءً، وكذلك ما هناك من الثمار والفواكه يخلق لها من الحرارة ما يُنْضِجها، ويجعل سبحانه أوراق الشجر ظلالًا، فربُّ الدنيا والآخرة واحد، وهو الخالق بالأسباب والحِكَم ما يجعله في الدنيا والآخرة، والأسباب مظهر أفعاله وحكمته؛ ولكنَّها تختلف، ولهذا يقع التعجب من العبد لورود أفعاله سبحانه علىٰ أسباب غير الأسباب المعهودة المألوفة، وربما حمله ذلك علىٰ الإنكار والكفر، وذلك محض الجهل والظلم؛ وإلَّا فليست قدرته سبحانه وتعالىٰ مقصّرة عن أسباب أُخَر؛ وَمُسَبِّبَات ينشئها منها؛ كما لم يقصر في هذا العالم المشهود عن أسبابه ومسبباته، وليس هذا بأهون عليه من ذلك.

ولعل النشأة الأولىٰ التي أنشأها الرب سبحانه وتعالىٰ فيها بالعيان والمشاهدة = أعجب من النشأة الثانية التي وعدنا بها إذا تأملها اللبيب. ولعل إخراج هذه الفواكه والثمار من بين هذه التربة الغليظة، والماء والخشب والنوىٰ المناسب لها = أعجب عند العقل من إخراجها من بين تربة الجنة ومائها وهوائها.

ولعل إخراج هذه الأشربة التي هي غذاء ودواء وشراب ولذَّة من بين فرث ودم، ومن فِيِّ ذُبَابٍ = أعجب من إجرائها أنهارًا في الجنة بأسباب أُخر.

ولعل أخراج جوهَرَي الذهب والفضة في عروق الحجارة من الجبال وغيرها = أعجب من إنشائها هناك من أسباب أخر. ولعل إخراج الحرير من لعاب دُوْدِ القَزِّ، وبنائها علىٰ أنفسها القباب البِيْض والحُمر والصفر أحكم بناء = أعجب من

إخراجه من أكمام تتفتَّق عنه شجر هناك، قد أودع فيها، وأنشئ منها.

ولعلَّ جريان بحار الماء بين السماء والأرض علىٰ ظهور السحاب = أعجب من جريانها في الجنة في غير أخدود.

وبالجملة، فتأمل آيات الله التي دعا عباده إلىٰ التفكُّر فيها، وجعلها آياتٍ دالةً علىٰ كمال قدرته، وعِلَّةً في مشيئته وحكمته وملكه، وعلىٰ توحُّده بالربوبية والإلهية، ثم وازن بينها وبين ما أخبر به من أمر الآخرة والجنة والنار = تجد هذه أدلَّ شيءٍ علىٰ تلك، شاهدة لها، وتجدهما من مشكاةٍ واحدة، وربٍّ واحد، وخالقٍ واحد، وملكٍ واحد، فبُعدًا لقومٍ لا يؤمنون.

الباب التاسع والأربعون

ص(٤١١)

في ذكر آنيتهم التي يأكلون فيها ويشربون، وأجناسها وصفاتها

قال الله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف:٧١]، فالصحاف: جمعُ صَحْفَة، قال الكلبي: «بقصاعٍ من ذهبٍ». وقال الليث: «الصحفة: قطعةٌ مُسْلَنْطِحَة عريضة، الجمعُ: صِحَاف، قال الأعشىٰ:

والمَكَاكِيْكَ والصِّحَافَ منَ الفِضَّـ ـــة والضَّامِـزَاتِ تحـتَ الرِّحَـالِ

وأمَّا الأكواب فجمع كوبٍ، قال الفرَّاء: «الكوب: المستدير الرَّأس الَّذي لا أُذَنَ له، وأنشد لِعَدِي:

مُتكئًـا تصفـقُ أبوابُـه يســعىٰ عليه الغيد بالكوب

وقال أبو عبيدة: «الأكواب: الأباريق التي لا خراطيم لها»[١].

قال أبو إسحاق: «واحدها كوبٌ، وهو إناء مستدير لا عُروة له»[٢].

وقال ابن عباس: «هي الأباريق التي ليست لها آذان»[٣].

وقال مقاتل: «هي أواني مستديرة الرَّأس ليس لها عُرًىٰ»[٤].

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٠٦)، وفيه «الأبارق» بدل «الأباريق».

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٤/ ٤١٩).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» المنسوب إليه (٣/ ٣١٢).

وقال البخاري في «صحيحه»[1]: الأكواب: الأباريق التي لا خراطيم لها».

وقال تعالىٰ: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة:١٧-١٨].

الأباريق: هي الأكواب التي لها خراطيم، فإنْ لم يكن لها خراطيم ولا عُرًىٰ فهي أكواب. وإبريق: إفعيل من البَرِيق، وهو الصفاء الَّذي يبرق لونه من صفائه، ثمَّ سُمِّيَ ما كان علىٰ شكله إبريق؛ وإنْ لم يكن صافيًا، وأباريق الجنَّة من الفضة في صفاء القوارير، يُرَىٰ من ظاهرها ما في باطنها، والعربُ تسمىٰ السيف إبريقًا، لَبريق لونه، ومنه قول ابن أحمر:

تعلَّقَتَ إبريقًا وعلَّقْتَ جَعْبَة لتُهلِكَ حيًّا ذَا زُهَاءً وَجَامِل

وفي «نوادر اللِّحياني»: «امرأة إبريق إذا كانت برَّاقة».

وقال تعالىٰ: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان:١٥-١٦].

فالقوارير: هي الزجاج، فأخبر سبحانه وتعالىٰ عن مادة تلك الآنية أنَّها من الفضة، وأنَّها بصفاء الزجاج وشفافته، وهذا من أحسن الأشياء وأعجبها، وقطع سبحانه توهُّم كون تلك القوارير من زجاج فقال: ﴿قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ﴾، قال مجاهد وقتادة ومُقاتل والكلبي والشعبي: «قوارير الجنَّة من الفضة»[2]، فاجتمع لها بياض الفضة وصفاء القوارير.

---

(١) الَّذي في «الصحيح» (١١٨٤) بهذا اللفظ: «والكوب: ما لا أذن له ولا عروة، والأباريق: ذات الآذان والعُرىٰ».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٩/ ٢١٥)، و«تفسير البغوي» (٨/ ٢٩٦)، و«تفسير مقاتل» (٣/ ٣١٢).

قال ابن قتيبة: «كل ما في الجنَّة من الأنهار وسررها وفرشها وأكوابها مخالفٌ لما في الدنيا من صنعة العباد، كما قال ابن عباس: «ليس في الدنيا شيءٌ ممَّا في الجنَّة إلا الأسماء»[(١)]، والأكواب في الدنيا، قد تكون من فضة، وتكون من قوارير، فأعلمنا اللهُ تعالىٰ أنَّ هناك أكوابًا لها بياض الفضة، وصفاء القوارير، قال: وهذا علىٰ التشبيه، أراد قوارير كأنَّها من فضة، وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن:٥٨]، أي لهنَّ ألوان المرجان في صفاء الياقوت»[(٢)].

وهذا مردودٌ عليه، فإنَّ الآية صريحةٌ أنَّها من فضة، و«من» ها هنا لبيان الجنس كما تقول: خاتم من فضة، ولا يراد بذلك أنه يشبه الفضة، بل جنسه ومادته الفضة، ولعله أشكل عليه كونها من فضة وهي قوارير، وهو الزجاج، وليس في ذلك إشكال لما ذكرناه.

وقوله: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ التقدير: جعل الشيء بقدر مخصوص، فقدرت الصُّناع هذه الآنية علىٰ قدر رِيِّهِم، لا يزيد عليه ولا ينقص منه، وهذا أبلغ في لذة الشارب، فلو نقص عن رِيِّهِ لنقص التذاذه، ولو زاد حتىٰ يُسْئِر[(٣)] منه حصل له ملالة وسآمة من الباقي.

هذا قول جماعة المفسرين.

قال الفراء: «قدروا الكأس علىٰ رِيِّ أحدهم، لا فضل فيه، ولا عجز عن رِيِّه، وهو الَذُّ الشراب»[(٤)].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» البقرة (٢٦١)، والطبري (١/ ١٧٤)، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (١٢٤). وهو أثرٌ صحيح ثابت.

(٢) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة ص (٨٠ - ٨١).

(٣) يسئر: أي يَفْضل.

(٤) انظر: «معاني القرآن» له (٣/ ٢١٧).

وقال الزجاج: «جعلوا الإناء علىٰ قدر ما يحتاجون إليه ويريدونه»[١].

وقال أبو عبيد: «يكون التقدير للذين يسقون يقدرونها، ثم يسقون». يعني أن الضمير في «قدروا» للملائكة والخدم، قدروا الكأس علىٰ قدر الرِّيِّ، فلا يزيد عليه فَيُثْقِل الكف، ولا ينقص منه فتطلب النفس الزيادة كما تقدم.

وقالت طائفة: الضمير يعود علىٰ الشاربين، أي قدروا في أنفسهم شيئًا، فجاءهم الأمر بحسب ما قدروه وأرادوه.

وقول الجمهور أحسن وأبلغ، فهو مستلزم لهذا القول. والله أعلم.

وأما الكأس، فقال أبو عبيدة: «هو الإناء بما فيه»[٢]. وقال أبو إسحاق: «الكأس: الإناء إذا كان فيه خمر، ويقع الكأس لكلِّ إناءٍ مع شرابه»[٣].

والمفسرون فسَّروا الكأس بالخمر، وهو قول عطاء والكلبي ومقاتل[٤]، حتىٰ قال الضحاك: «كل كأس في القرآن، فإنما عنىٰ به: الخمر»[٥].

وهذا نظر منهم إلىٰ المعنىٰ والمقصود: فإن المقصود ما في الكأس لا الإناء معه. وأيضًا، فإن من الأسماء ما يكون اسمًا للحال والمحل مجتمعين ومنفردين: كالنهر، والكأس. فإن النهر اسم للماء ولمحله معًا، ولكل منهما علىٰ انفراده، وكذلك الكأس، والقرية. ولهذا يجيء لفظ القرية مرادًا به الساكن فقط، والمسكن فقط، والأمران معًا.

---

(١) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» له (٥/ ٢٦٠).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٦٩).

(٣) انظر: «المخصص» لابن سيده (٣/ ١٩٦ - ١٩٧)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (١٥/ ٣٦٣).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣١٣).

(٥) أخرجه هنَّاد في «الزهد» (٧٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٤). وسنده صحيح.

وقد أخرجا في «الصحيحين»[1] من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما: «وما بين القوم وبين أن ينظروا إلىٰ ربهم إلا رداء الكبرياء علىٰ وجهه في جنة عدن**».

وفيهما أيضًا من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أول زمرة يدخلون الجنة علىٰ صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم علىٰ أشد كوكب دُرِّيٍّ في السماء إضاءةً، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يتفلون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم علىٰ خلق رجل واحد، علىٰ صورة أبيهم آدم، عليه السلام ستون ذراعًا في السماء**»[2].

وفي «الصحيحين»[3] من حديث حذيفة بن اليمان أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**لا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة**».

وقال أبو يعلىٰ الموصلي في «مسنده»: حدثنا شيبان، حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا ثابت قال: قال أنس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ تعجبه الرؤيا، فربما رأىٰ الرجل الرؤيا فيسأل عنه إذا لم يكن يعرفه، فإذا أثنىٰ عليه معروف كان أعجب لرؤياه إليه. فأتته امرأة فقالت: يا رسول الله رأيت كأنِّي أُتيت فأخرجت من المدينة فأُدخلت الجنة، فسمعت وجبة انتحت[4] لها الجنة، فنظرت فإذا فلان ابن فلان، وفلان ابن فلان، فَسَمَّتْ اثني عشر رجلًا، كان رسول الله ﷺ قد بعث سرية قبل

(١) تقدم تخريجه (١٤٢).

(٢) تقدم ص(١٥٨).

(٣) البخاري (٥١١٠)، ومسلم (٢٠٦٧).

(٤) الوجْبَة: السَّقْطة. وانتحت يعني: مالت وتحركت.

ذلك، فجيء بهم، عليهم ثياب طُلْس تَشْخَب أوداجهم، فقيل: اذهبوا بهم إلىٰ نهرِ البيذخ أو البنذخ فغمسوا فيه فخرجوا، ووجوهم كالقمر ليلة البدرِ، فأتوا بصحفة من ذهبٍ فيها بُسْر، فأكلوا من بسره ما شاؤوا، فما يقلبونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا، وأكلتُ معهم، فجاء البشير من تلك السرية فقال: أصيبَ فلانٌ وفلانٌ، حتَّىٰ عدَّ اثني عشرَ رجلًا، فدعا رسول الله ﷺ المرأة، فقال: «**قُصِّي رؤياكِ**» **فقصتها، وجعلت تقول: جيء بفلان، وفلان، كما قال**»[1].

رواهُ الإمام أحمد في «مسنده» بنحوه، وإسناده علىٰ شرط مسلم.

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ (٣٢٨٩)، وابن حبان (٦٠٥٤). والحديث صححه أبو عوانة وابن حبان والمؤلف.

ص(٤١٩)

الباب الخمسون

في ذكر لباسهم وحليتهم ومناديلهم وفرشهم وبسطهم ووسائدهم ونمارقهم وزرابيِّهم

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الدخان: ٥١-٥٣].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ [الكهف: ٣٠-٣١].

قال جماعةٌ من المفسرين: السندس: ما رقَّ من الديباج، والاستبرق: ما غلظَ منه[1].

وقال طائفة: ليس المراد به الغليظ، ولكن المراد به: الصَّفيق.

وقال الزجاج: «هما نوعان من الحرير»[2].

وأحسن الألوان الأخضر، وألين الملابس الحرير، فجمع لهم بين حسن منظر اللباس، والتذاذ العين به، وبين نعومته والتذاذ الجسم به.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٢٤٣)، و«زاد المسير» (٥/ ١٣٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٣٣).

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» له (٣/ ٢٨٤).

وها هنا مسألة هذا موضع ذكرها، وهي أنَّ اللهَ سبحانه وتعالىٰ أخبر أنَّ لباس أهل الجنَّة حرير، وصحَّ عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «**من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة**»[1].

متفق علىٰ صحته، من حديث عمر بن الخطاب وأنس بن مالك رضي الله عنهما.

وقد اخْتُلِفَ في المراد بهذا الحديث:

فقالت طائفة من السلف والخلف: إنَّه لا يلبس الحرير في الجنَّة، ويلبس غيره من الملابس، قالوا: وأمَّا قوله تعالىٰ: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ فمن العام المخصَّص.

وقال الجمهور: هذا من الوعيد الَّذي له حكم أمثاله من نصوص الوعيد التي تدل علىٰ أنَّ هذا الفعل مقتضٍ لهذا الحكم، وقد يتخلَّف عنه لمانع.

وقد دلَّ النص والإجماع علىٰ أنَّ التوبة مانعةٌ من لحوق الوعيد، ويمنع من لحوقه أيضًا الحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، ودعاء المسلمين، وشفاعة من أذن اللهُ له في الشفاعة فيه، وشفاعة أرحم الراحمين إلىٰ نفسه، فهذا الحديث نظير الحديث الآخر «**من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة**»[2].

وقال تعالىٰ: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان:١٢]، وقال: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان:٢١]، وتأمَّل ما دلَّت عليه لفظة ﴿عَٰلِيَهُمْ﴾ من كون اللباس ظاهرًا بارزًا يُجَمِّل ظواهرهم، ليس بمنزلة الشعار الباطن، بل الَّذي يلبس فوق الثياب للزينة والجمال.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٩٦)، ومسلم (٢٠٦٩) من حديث عمر رضي الله عنه، والبخاري (٥٤٩٤)، ومسلم (٢٠٧٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه ص(٢٤٩).

وقد اختلف القُرَّاء السبعة في نصب ﴿عَٰلِيَهُمْ﴾ ورفعه علىٰ قراءتين.

واختلف النحاة في وجه نَصْبِهِ، هل هو علىٰ الظرف، أو علىٰ الحال = علىٰ قولين.

واختلف المفسرون: هل ذلك للولدان الَّذين يطوفون عليهم، فيطوفون وعليهم ثياب السندس والإستبرق، أو السادات الذين يطوف عليهم الولدان، فيطوفون علىٰ ساداتهم، وعلىٰ السادات هذه الثياب؟.

وليس الحال ها هُنا بالبيِّن، ولا تحته ذلك المعنىٰ البديع الرَّائع، فالصواب فيه: أنَّه منصوب علىٰ الظرف، فإنَّ «عاليًا» لمَّا كان بمعنىٰ فوق أُجْرِيَ مجراهُ، قال أبو علي: وهذا الوجه أبين، وهو أنَّ «عاليًا» صفة، فجُعِلَ ظرفًا كما كان قوله: ﴿وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ [الأنفال:٤٢] كذلك، وكما قالوا: هو ناحية من الدار.

وأمَّا من رفع ﴿عَٰلِيَهُمْ﴾ فعلىٰ الابتداء، و ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾: خبره، ولا يمنع من هذا إفراد عالٍ، وجمع الثياب؛ فإنَّ فاعلًا قد يُراد به الكثرة، كما قال:

ألا إنَّ جيراني العَشيَّة رَائحٌ... دعتهم دواع مِن هوًىٰ ومُنَادحُ

وقال تعالىٰ: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾ [المؤمنون:٦٧].

ومن رفع ﴿خُضْرًا﴾: أجراه صفة للثياب، وهو الأقيس من وجوه: أحدها: المطابقة بينهما في الجمع.

الثاني: موافقته لقوله تعالىٰ: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا﴾ [الكهف:٣١].

الثالث: تخلصه من وصف المفرد بالجمع.

ومَنْ جرَّ أجراه صفةً للسندس علىٰ إرادة الجنس، كما يقال: أهلك النَّاس الدينار الصُّفْر، والدرهم البيض.

وتترجَّح القراءة الأولىٰ بوجهٍ رابعٍ أيضًا: وهو: أنَّ العرب تجيء بالجمع الَّذي هو في لفظ الواحد، فيجرونه مجرىٰ الواحد، كقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ [يس:٨٠]، وكقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر:٢٠]، فإذا كانوا قد أفردوا صفات هذا النوع من الجمع، فإفراد صفة الواحد، وإنْ كان في معنىٰ الجمع أولىٰ.

وفي ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ قراءتان: الرفع: عطفًا علىٰ ثياب. والجرُّ: عطفًا علىٰ سندس.

وتأمَّل كيف جمع لهم بين نوعي الزينة الظاهرة من اللباس والحلي، كما جمع لهم بين الظاهرة والباطنة، كما تقدم قريبًا، فجمَّل البواطن بالشراب الطهور، والسواعد بالأساور، والأبدان بثياب الحرير.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج:٢٣].

واختلفوا في جرِّ «لؤلؤ» ونصبه، فمن نصبه ففيه وجهان:

أحدهما: أنَّه عطف علىٰ موضع قوله: ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾.

والثاني: أنَّه منصوب بفعلٍ محذوفٍ دلَّ عليه الأوَّل، أي: ويُحَلَّون لؤلؤًا.

ومن جرَّه فهو عطفٌ علىٰ الذهب، ثمَّ يحتمل أمرين:

أحدهما: أنْ يكون لهم أساور من ذهبٍ وأساور من لؤلؤ.

ويحتمل أنْ تكون الأساور مركبة من الأمرين معًا: الذهبُ المرصَّعُ باللؤلؤ، واللهُ أعلم بما أراد.

قال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن رزق الله، حدثنا زيد بن الحباب، قال

حدثني عتبة بن سعد قاضي الرَّي عن جعفر بن أبي المغيرة عن شمر بن عطية عن كعب قال: «إنَّ لله عَجَّلَّ ملكًا منذُ يوم خُلِقَ = يصوغُ حُليَّ أهلِ الجنَّة إلىٰ أنْ تقوم الساعة، لو أنَّ قُلْبًا من حلي أهل الجنَّة أُخْرِجَ لذهب بضوء شُعَاع الشمس، فلا تسألوا بعد هذا عن حُلي أهل الجنَّة»[1].

حدثنا الحسن بن يحيىٰ بن كثير العنبري حدثنا أبي عن أشعث عن الحسن قال: «الحُلي في الجنَّة علىٰ الرِّجالِ أحسنُ منه علىٰ النساء»[2].

حدثنا أحمد بن منيع حدثنا الحسن بن موسىٰ حدثنا ابن لهيعة حدثنا يزيد بن أبي حبيب عن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده عن النَّبي ﷺ قال: «**لو أنَّ رجلًا من أهلِ الجنَّة اطَّلعَ فبدا سِوَارُه لطَمَسَ ضوءَ الشمس، كما تطمسُ الشمس ضوءَ النجوم**»[3].

وقال ابن وهب: حدثني ابن لهيعة عن عُقَيْل بن خالد عن الحسن عن أبي هريرة أنَّ أبا أُمامة حدث أنَّ رسول الله ﷺ حدثهم -وذكر حُلِيَّ الجنَّة- فقال: «**مسوَّرون بالذَّهب والفضة، مُكلَّلون بالدُّرِّ، عليهم أكاليلُ من دُرٍّ وياقوتٍ متواصلة، وعليهم تاجٌ كتاج الملوك، شبابٌ جردٌ مُرْد مكحلون**»[4].

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٢٢٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٩٨).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٢٢٤) وزاد «وكان يقرأُ: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج:٢٣].

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٢٢٥)، وأحمد (١/ ١٦٩)، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٢٦٦). والحديث ضعفه الترمذي بقوله: «هذا حديث غريب لا نعرفه بهذا الإسنادِ».

(٤) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٢٦٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (كما عند ابن كثير (٤/ ١٤٥) وليس فيه هذا اللفظ. وإسناده ضعيف.

وقد أخرجا في «الصحيحين»[(١)] والسياق لمسلم: عن أبي حازم قال: كنت خلف أبي هريرة وهو يتوضأ للصلاة، فكان يمد يدهُ حتىٰ تبلغ إبطه، فقلتُ له: يا أبا هريرة ما هذا الوضوء؟ فقال يا بني فَرُّوخ أنتم ها هنا؟ لو علمتُ أنَّكم ها هنا ما توضأتُ هذا الوضوء، سمعتُ خليلي ﷺ يقول: «**تبلغُ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء**».

وقد احتجَّ بهذا من يرىٰ استحباب غسل العَضُد وإطالته.

والصحيح أنَّه لا يستحب، وهو قول أهل المدينة، وعن أحمد روايتان.

والحديث لا يدلُّ علىٰ الإطالة، فإنَّ الحلية إنَّما تكون زِينًا في الساعد والمِعصم لا في العضد والكتف.

وأمَّا قوله: «فمن استطاع منكم أنْ يطيل غرَّتهُ فليفعل»[(٢)].

فهذه الزيادة مدرجة في الحديث من كلام أبي هريرة لا من كلام النَّبي ﷺ بيَّن ذلك غير واحدٍ من الحفَّاظ.

وفي «مسند الإمام أحمد» في هذا الحديث قال نُعَيْمٌ: فلا أدري قوله: «من استطاع منكم أنْ يطيل غرته فليفعل» من تمام كلام النَّبي ﷺ أو شيء قاله أبو هريرة من عنده.

وكان شيخنا يقول: «هذه اللفظة لا يمكن أنْ تكون من كلام رسول الله ﷺ، فإنَّ الغرة لا تكون في اليد، لا تكون إلا في الوجه، وإطالتها غير ممكنة، إذ تدخل في الرأس ولا يسمَّىٰ ذلك غُرَّة».

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦)، ومسلم (٢٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦)، ومسلم (٢٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي «صحيح مسلم»[(١)] عن أبي هريرة عن النَّبي ﷺ قال: «**من يدخل الجنَّة ينعمُ لا يبأس، لا تبلىٰ ثيابه ولا يفنىٰ شبابه، في الجنَّة ما لا عينٌ رأت، وأُذُنٌ سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر**».

وقوله: «لا تبلىٰ ثيابه»: الظاهر أنَّ المراد به الثِّياب المُعَيَّنة لا يلحقها البِلَىٰ، ويحتمل: أنْ يراد به الجنس، بل لا تزال عليه الثياب الجُدد، كما أنَّها لا ينقطع أكلها في جنسه، بل كلُّ مأكولٍ يخلفه مأكولٌ آخر، واللهُ أعلم.

وقال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا محمد بن أبي الوضاح، حدثنا العلاء بن عبد الله بن رافع، حدثنا حنان بن خارجة عن عبدالله ابن عمرو رضي الله عنهما قال: جاء أعرابي جرمي فقال: يا رسول الله أخبرنا عن الهجرة: أإليك أينما كنت، أم لقومٍ خاصة، أم إلىٰ أرضٍ معلومة، أم إذا مِتَّ انقطعت؟ فسأل ثلاث مرَّات، ثمَّ جلس، فسكت رسول الله ﷺ يسيرًا ثمَّ قال: أين السائل؟ فقال: ها هو ذا يا رسول الله، قال: الهجرة: أنْ تهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وتقيمَ الصلاة، وتؤتي الزكاة، ثمَّ أنتَ مهاجرٌ وإنْ متَّ بالحَضَر. فقام آخر: فقال: يا رسول الله أخبرني عن ثياب أهل الجنَّة أتُخلق خلقًا أم تنسج نسجًا؟ قال: فضحك بعض القوم، فقال رسول الله ﷺ: تضحكون من جاهلٍ يسأل عالمًا! فسكتَ النَّبي ﷺ ساعة، ثمَّ قال: أينَ السَّائلُ؟ فقال: ها هو ذا يا رسول الله، قال: لا، بل تُشقَّقُ عنها ثمر الجنَّة»[(٢)] ثلاث مِرار.

وقال الطبراني في «معجمه» حدثنا أحمد بن يحيىٰ الحلواني والحسن بن علي الفَسَوي قالا: حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا فضيل ابن مرزوق عن أبي إسحاق

(١) برقم (٢٨٣٦)، وأحمد (٢/ ٣٦٩ و ٤١٦) واللَّفظ له، ولفظ مسلم إلىٰ قوله «شبابه».

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢٤٤)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (١٧١)، وإسناده ضعيف.

عن عمرو بن ميمون عن عبد الله عن النَّبي ﷺ قال: «**أوَّل زُمْرةٍ يدخلون الجنَّة، كأنَّ وجوههم ضوءُ القمر ليلة البدر، والزمرة الثانية على لون أحسن كوكب دُرِّيٍّ في السماء، لكلِّ واحدٍ منهم زوجتان من الحورِ العينِ، على كلِّ زوجةٍ سبعون حُلَّة يُرى مُخُّ سوقهما من وراء لحومهما وحللهما، كما يُرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء**»[1]. وهذا الإسناد على شرط الصحيح.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يونس بن محمد حدثنا الخزرج بن عثمان السعدي، حدثنا أبو أيوب مولًى لعثمان بن عفان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**قِيْدُ سوط أحدِكم من الجنَّة خيرٌ من الدنيا ومثلها معها، ولقابُ قوسِ أحدكم من الجنَّة خيرٌ من الدنيا ومثلها معها، ولنصيف امرأةٍ من الجنَّة خيرٌ من الدنيا ومثلها معها**» قال: قلتُ يا أبا هريرة ما النَّصيف؟ قال: الخِمارُ[2].

وقال ابن وهب: أخبرنا عمرو أنَّ درَّاجًا أبا السَّمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الرجل في الجنَّة ليتَّكئ سبعين سنة قبل أنْ يتحول، ثمَّ تأتيه امرأةٌ فتضرب على منكبه، فينظر وجْهَهُ في خدِّها أصفى من المرآة، وإنَّ أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، فتسلم عليه فيرد السلامَ، ويسألها من أنتِ؟ فتقول: أنا المزيد، وإنَّه ليكون عليها سبعون ثوبًا أدناها مثل النعمان من طوى، فينفذها بصره، حتى يرى مُخَّ ساقها من وراء ذلك، وإنَّ**

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠٣٢١)، والبزار في «مسنده» (١٨٥٥)، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٢/ ١٠٠).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٤٨٣)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (١٨٣)، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٥٩). والحديث صححه الترمذي وابن حبان.

عليهم التِّيجان، وإنَّ أدنىٰ لؤلؤة عليها لتضيءُ ما بين المشرق والمغرب»[١].

وروىٰ الترمذي منه ذكر التيجان: «وإنَّ أدنىٰ لؤلؤة» عن سويد بن نصر، عن رِشْدين بن سعد عن عمرو به.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن إدريس الحنظلي، حدثنا أبو عتبة حدثنا إسماعيل بن عياش عن سعيد بن يوسف عن يحيىٰ بن أبي كثير عن أبي سلام الأسود قال: سمعت أبا أُمامة عن رسول الله ﷺ قال: «**ما منكم من أحدٍ يدخل الجنَّة إلا انطلقَ به إلىٰ طُوبىٰ، فتُفتح له أكمامها فيأخذُ من أيِّ ذلك شاء: إنْ شاء أبيض، وإنْ شاء أحمر، وإنْ شاء أخضر، وإنْ شاء أصفر، وإنْ شاء أسود، مثل شقائق النعمان، وأرق وأحسن**»[٢].

وقال ابن أبي الدنيا: وحدثنا سويد عن سعيد حدثنا عبد ربه بن بارق الحنفي عن خاله الزُّميل أنَّه سمع أباهُ قال: قلتُ لابن عباس: ما حُلُل الجنَّة؟ قال: «فيها شجر فيها ثمرٌ كأنَّه الرُّمان، فإذا أراد وليُّ الله كسوةً انحدرت إليه من غُصنها، فانفلقت عن سبعين حلةً ألوانًا بعد ألوانٍ، ثمَّ تنطبق فترجعُ كما كانتْ»[٣].

قال: وحدثنا عبد الله حدثنا أبو خيثمة حدثنا الحسن بن موسىٰ حدثنا ابن لهيعة حدثني درَّاج أبو السَّمح أنَّ أبا الهيثم حدثه، عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ أنَّ رجلًا قال له: يا رسول الله طُوبَىٰ لمن رآك وآمن بكَ، قال: «**طوبىٰ لمن رآني وآمن بي، وطوبىٰ، ثمَّ طوبىٰ، ثمَّ طوبىٰ، لمن آمن بي ولم يرني**»، فقال له رجل: وما طوبىٰ؟

(١) أخرجه ابن أبي داود في «البعث» (٨١)، وابن حبان (٧٣٩٧) وغيرهما، وضعفه الترمذي.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (١٤٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «البدور السافرة» (١٩٥٧). والحديث منكر.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (١٤٧) مطوَّلاً. وقد تقدَّم.

قال: «**شجرةٌ في الجنَّة مسيرة مئة سنة، ثيابُ أهل الجنَّة تخرج من أكمامها**»[١].

قال: وحدثني يعقوب بن عبيد حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا حماد بن سلمة عن أبي المُهَزِّم قال: قال أبو هريرة: «دارُ المؤمن في الجنَّة لؤلؤة فيها شجرة تنبتُ الحلل، فيأخذ الرجلُ بأصبعيه -وأشارَ بالسَّبابة والإبهام- سبعين حلَّة مُتَمَنْطِقةً باللؤلؤ والمرجان»[٢].

قال: وحدثنا حمزة بن العباس حدثنا عبد الله بن عثمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا صفوان بن عمرو عن شريح بن عبيد قال: قال كعبٌ: «لو أنَّ ثوبًا من ثياب أهل الجنَّة لُبِسَ اليومَ في الدنيا لصعق من ينظر إليه، وما حملته أبصارهم»[٣].

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن بُشَير بن كعب أو غيره قال: «ذكر لنا أنَّ الزوجة من أزواج الجنَّة لها سبعون حلَّة هي أرقُّ من شُقَيْقكم[٤] هذا، يُرىٰ مخُّ ساقِها من وراء اللحم»[٥].

وفي «الصحيحين»[٦] عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أهدىٰ أُكَيْدَرُ دومَة إلىٰ النَّبي ﷺ جُبَّةً من سُندس، فتعجَّب النَّاسُ من حُسْنِها، فقال: «**لمناديلُ سعدٍ في الجنَّة أحسنُ من هذا**».

(١) تقدم تخريجه ص(٢٣١-٢٣٢).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (١٥١). وإسناده واهٍ.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (١٥٢)، وابن المبارك في «الزهد» (٤١٧). وإسناده منقطع.

(٤) شُقيقكم: تصغير شُقَّة وهو ضَربٌ من الثياب، وقيل نصف ثوب.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (١٥٤) وسنده صحيح.

(٦) البخاري (٢٤٧٣ و ٣٠٧٦)، ومسلم (٢٤٦٩).

وفي «الصحيحين»[(١)] من حديث البراء قال: أُهديَ لرسول الله ﷺ ثوب حرير، فجعلوا يعجبون من لينه، فقال رسول الله ﷺ: «**تعجبون من هذا؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنَّة أحسنُ من هذا**».

ولا يخفىٰ ما في ذكر سعد بن معاذ بخصوصه هاهنا، فإنَّه كان في الأنصار بمنزلة الصِّدِّيق في المهاجرين، واهتزَّ لموته العرش[(٢)]، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم، وختم اللهُ له بالشهادة، وآثر رضا اللهِ ورسوله، علىٰ رضا قومه وعشيرته وحلفائه، ووافق حكمه الَّذي حكم به حُكم الله فوق سبع سماواته[(٣)]، ونعاهُ جبريل عليه السلام إلىٰ النَّبي ﷺ يوم موته[(٤)]، فحُقَّ له أنْ تكون مناديله التي يمسح بها يديه في الجنَّة أحسن من حُلَل الملوك.

فصـــل

ص(٤٣٨)

ومن ملابسهم التِّيجان على رؤوسهم:

ذكر البيهقي من حديث يعقوب بن حُمَيْد بن كاسب، حدثنا هشام بن سليمان عن عكرمة عن إسماعيل بن رافع عن سعيد المُقْبُرِي وزيد بن أسلم عن أبي هريرة عن النَّبي ﷺ قال: من قرأ القرآن فقام به آناء الليل والنهار، ويُحل حلالَه ويحرِّم حرامه، خلطه اللهُ بلحمه ودمه، وجعله رفيق السفرةِ الكرام البرَرَةِ، وإذا كان يوم القيامة كان القرآن له حجيجًا، فقال: يا رب كلُّ عاملٍ يعمل في الدنيا يأخذ بعمله من الدنيا؛ إلا فلانًا كان يقوم بي آناءَ الليل والنهار، فيحل حلالي، ويحرِّم حرامي

(١) البخاري (٣٠٧٧)، ومسلم (٢٤٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٩٢)، ومسلم (٢٤٦٦).

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٧٨) (٢٥٩٣)، ومسلم (١٧٦٨).

(٤) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١٤٨٩) وهو مرسل.

يقول: يا ربِّ، فأعطه، فيتوِّجُهُ الله تاجَ الملكِ ويكسوهُ من حُلَّة الكرامة، ثمَّ يقول له: رضيت؟ فيقول: يا ربِّ أرغبُ له في أفضل من هذا، فيعطيه الله الملكَ بيمينه، والخلدَ بشماله، ثمَّ يقول له: هل رضيتَ؟ فيقول: نعم يا ربِّ»[(١)].

وذكر الإمام أحمد في «المسند» من حديث ابن بُرَيْدة عن أبيه يرفعه: «تعلموا سورة البقرة فإنَّ أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البَطَلَةُ، ثمَّ سكت ساعة، ثمَّ قال: تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنَّهما الزهراوان، وإنَّهما يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنَّهما غَمَامَتَان أو غَيَايتان أو فرقان من طيرٍ صوافَّ، والقرآن يلقىٰ صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرَّجل الشَّاحب، فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول له: ما أعرفك، فيقول: أنا القرآن، أنا الَّذي أظمأتُك في الهواجر، وأسهرت ليلك، وإنَّ كلَّ تاجرٍ من وراء تجارته، وإنَّك اليومَ من وراء كلِّ تجارة، فيعطىٰ الملكَ بيمينه، والخلدَ بشماله، ويوضع علىٰ رأسه تاجُ الوقار، ويكسىٰ والداهُ حلتين لا تقومُ لهما الدنيا، فيقولان: بِمَ كُسينا هذا؟ فيقال: بأخذِ ولدكما القرآن، ثمَّ يقال له: اقرأ واصعد في درج الجنَّة وغرفها، فهو في صعودٍ ما دام يقرأ: هذًّا كان، أو ترتيلًا»[(٢)].

البَطَلَة: السَّحَرة. والغَيَاية: ما أظل الإنسان فوقه.

وقال عبد الله بن وهب: أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري أنَّ النَّبي ﷺ تلا قوله ﷻ: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٨٣٦). وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٤٨)، وابن الضريس في «فضائل القرآن» (٩٩)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٢١)، والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ١٤٤) وغيرهم. وصححه الحاكم والبوصيري، وحسنه البغوي وابن كثير.

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ [فاطر:٣٣] فقال: «إنَّ عليهم التيجان، إنَّ أدنىٰ لؤلؤةٍ منها لتضيءُ ما بين المشرق والمغربِ»(١).

فصـــل

ص(٤٤٠)

وأمَّا الفرش: فقد قال تعالىٰ: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن:٥٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة:٣٤].

فَوَصَفَ الفُرُش بكونها مبطنة بالإستبرق، وهذا يدلُّ علىٰ أمرين:

أحدهما: أنَّ ظهائرها أعلىٰ وأحسن من بطائنها؛ لأنَّ بطائنها للأرض، وظهائرها للجمال والزينة والمباشرة.

قال سفيان الثوري: عن أبي إسحاق عن هُبيرة بن يريم، عن عبد الله رضي الله عنه في قوله تعالىٰ: ﴿بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن:٥٤]، قال: «هذه البطائن قد خُبِّرتم بها، فكيفَ بالظَّهائر»؟(٢).

الثاني: يدلُّ علىٰ أنَّها فرش عالية لها سَمْك وحَشْو بين البطانة والظهارة.

وقد رُوِيَ في سمكها وارتفاعها آثار؛ إنْ كانت محفوظة، فالمراد: ارتفاع محلِّها؛ كما رواهُ الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النَّبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالىٰ: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة:٣٤] قال: ارتفاعها كما بين السماء والأرض، ومسيرة ما بينهما خمس مئة عام»(٣).

---

(١) تقدم تخريجه ص(٢٨٢-٢٨٣).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (١٥٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٧/ ١٤٩) والبيهقي في «البعث والنشور» (٣٣٠). وسنده لا بأس به.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٥٤٠، ٣٢٩٤).

قال الترمذي: «حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد. قيل: ومعناهُ أن الارتفاع المذكور للدرجات، والفرش عليها».

قلتُ: رشدين بن سعد عنده مناكير: قال الدارقطني: «ليس بالقوي»، وقال الإمام أحمد: «لا يبالي عمَّن روىٰ، وليس به بأس في الرقاق»، وقال: «أرجو أنَّه صالح الحديث»، وقال يحيىٰ بن معين: «ليس بشيء»، وقال أبو زرعة: «ضعيف»، وقال الجوزجاني: «عنده مناكير».

ولا ريبَ أنَّه كان سيء الحفظ، فلا يعتمد علىٰ ما ينفرد به.

وقد قال عبد الله بن وهب: حدثنا عمرو بن الحارث عن درَّاج أبي السَّمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤] قال: «**ما بين الفراشين كما بين السماء والأرض**»[١].

وهذا أشبه أنْ يكون هو المحفوظ، واللهُ أعلم.

وقال الطبراني: حدثنا المقدام بن داود حدثنا أسد بن موسىٰ حدثنا حمَّاد بن سلمة عن علي بن زيد عن مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّيْر عن كعب في قوله عز وجل: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤] قال: «**مسيرة أربعين سنة**»[٢].

قال الطبراني: وحدثنا إبراهيم بن نائلة، حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلي حدثنا

---

(١) هذا لفظُ الشاذكوني عن ابن وهب عند البيهقي في «البعث» (٣٤٢) وفيه «الفرشتين» بدل «الفراشين» والشاذكوني متروك الحديث، وقد خُولف في لفظه، فرواه جماعة ثقات عن ابن وهب به بلفظ: «والَّذي نفسي بيده إنَّ ارتفاعها لكما بين السماء والأرضِ لمسيرة خمسمائة سنة» وهو الصحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٣٢٢) والأثرُ مدارهُ علىٰ علي بن زيد بن جدعان وفي حفظه كلام.

إسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أُمامة قال: سُئِلَ رسول الله ﷺ عن الفرش المرفوعة قال: «لو طُرِحَ فراشٌ من أعلاها لهوىٰ إلىٰ قرارها مئة خريف»(١).

وفي رفع هذا الحديث نظر، فقد قال ابن أبي الدنيا: حدثنا إسحاق ابن إسماعيل حدثنا معاذ بن هشام قال: وجدت في كتاب أبي عن القاسم عن أبي أُمامة في قوله ﷻ: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ قال: «لو أنَّ أعلاها سَقَطَ ما بلغَ أسفلها أربعين خريفًا».

فصـــل

ص(٤٤٥)

وأمَّا البُسُط والزَّرابي: فقد قال تعالىٰ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن:٧٦]، وقال تعالىٰ: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية:١٣-١٦].

ذكر هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال: «الرَّفْرف: رياض الجنَّة، والعَبْقَرِي: عتاق الزرابي»(٢).

وذكر إسماعيل بن عُليَّة عن أبي رجاء عن الحسن في قوله تعالىٰ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ قال: «هي البُسط»، قال: وأهل المدينة يقولون: هي البُسط»(٣).

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٩٤٧) وهذا إسناد ضعيف، والمحفوظ ما عند هناد في «الزهد» (٧٩)، وابن أبي شيبة (٣٤٠٧١) من وجه آخر عن أبي أمامة قال: «لو خرَّ من أعلاها فراش لهوىٰ إلىٰ قرارها كذا وكذا خريفًا».

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٧٠)، وابن أبي الدنيا «صفة الجنَّة» (١٦٢). وسنده صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (١٦٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٧/ ١٦٣). وسنده صحيح.

وأمَّا النمارق: فقال الواحدي: «هي الوسائد؛ في قول الجميع، واحدها: نُمْرُقة، بضمِّ النُّون، وحكىٰ الفرَّاء: نِمْرِقَة بكسرها»[١]، وأنشد أبو عبيدة:

إذا ما بِساطُ اللَّهو مُدَّ وَقُرِّبَتْ ... للَذَّاتِـهِ أنماطُـهُ ونمارقُـه

قال الكلبي: «وسائد مصفوفة بعضها إلىٰ بعض»[٢].

وقال مقاتل: «هي الوسائد مصفوفة علىٰ الطنافس»[٣].

﴿وَزَرَابِيُّ﴾ يعني: البسط، والطَّنافس. واحدها زِرْبِيَّة: في قول جميع أهل اللغة والتفسير، و ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾: مبسوطة منشورة.

فصل

ص(٤٤٦)

وأمَّا الرَّفْرف: فقال الليث: «هو ضربٌ من الثياب خضر تبسط. الواحد: رَفْرَفة»[٤].

وقال أبو عبيدة: الرَّفارِف: البسط، وأنشد لابن مُقبل:

وَإنَّـا لنزَّالـون تغْشـىٰ نِعَالنَـا ... سَواقِطُ من أصنافِ رِيْطٍ وَرَفْرَفُ[٥]

وقال أبو إسحاق: «قالوا الرفرف هاهنا: رياض الجنَّة، وقالوا: الرفرف: الوسائد، وقالوا: الرفرف: المحابس، وقالوا: فضول المحابس للفرش». وقال المبرد: «هو فضول الثياب التي تتخذ الملوك في الفرش وغيره». قال الواحدي:

(١) انظر: «الوسيط» للواحدي (٤/ ٤٧٥)، ومعاني القرآن للفرَّاء (٣/ ٢٥٨).

(٢) انظر: «الوسيط» (٤/ ٤٧٥).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٤٧٩).

(٤) انظر: «العين» المنسوب للخليل بن أحمد ص (٣٥٩) و«الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٧/ ١٩٠).

(٥) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٤٦)، و«تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص (٤٤).

«وكأنَّ الأقرب هذا؛ لأنَّ العرب تسمِّي كِسَرَ الخِبَاءِ، والخِرْقة التي تخاط في أسفل الخباء: رفرفًا، ومنه الحديث في وفاة النَّبي ﷺ: فرفع الرفرف فرأينا وجهه كأنَّه ورقة »[1]. قال ابن الأعرابيِّ: «الرَّفْرَف: ها هنا طرف البساط، فشبه ما فضل من المحابس، عمَّا تحته بطرف الفسطاط، فسمي رفرفًا».

قلتُ: أصل هذه الكلمة من الطَّرَف والجانب، فمنه: الرَّفُّ في الحائط. ومنه: الرفرف، وهو كسر الخباء، وجوانب الدرع، وما تدلَّىٰ منها، الواحدة رفرفة. ومنه: رفرف الطير: إذا حرَّك جناحيه حول الشَّيء، يريد أنْ يقع عليه. والرفرف: ثياب خضر تُتَّخَذُ منها المحابس، الواحدة رفرفة. وكل ما فضل من شيء فثُنِيَ وعُطِفَ فهو رفرف، وفي حديث ابن مسعود في قوله ﷻ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٨] قال: «رأىٰ رفرفًا أخضر سدَّ الأُفق»[2]. وهو في «الصحيحين».

فصـــل

ص(٤٤٨)

وأمَّا العَبْقَرِيُّ: فقال أبو عبيدة: «كل شيء من البُسُط عبقري. قال: ويرون أنَّها أرض يُوَشَّىٰ فيها». وقال الليث: «عبقر: موضع بالبادية كثير الجن، يقال: كأنَّهم جنُّ عبقر». وقال أبو عبيد في حديث النَّبي ﷺ حين ذكر عمر: «**فلَمْ أرَ عبقريًّا يفرِي فَرِيَّه**»[3] وإنَّما أصلُ هذا فيما يقال: إنَّه نُسِبَ إلىٰ عبقر، وهي أرضٌ يسكنها الجنُّ، فصارَ مثلًا منسوبًا إلىٰ شيء رفيعٍ، وأنشد لزهير:

---

(١) لم أقف علىٰ الرواية التي فيها «الرفرف»، والحديث أصله عند البخاري (٦٤٨)، ومسلم (٤١٩)، وفيه «فكشف النبي ﷺ ستر الحجرة، ينظر إلينا وهو قائم كأنَّ وجهه ورقة مصحف».

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٦١، ٤٥٧٧) دون مسلم.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٣٤)، ومسلم (٢٣٩٣) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

بِخَيْـلٍ عليهـا جِنَّـةٌ عبقريـةٌ جَدِيرون يومًا أنْ ينالوا فيستعلوا

قال أبو الحسن الواحدي: «وهذا القول هو الصحيح في العبقري، وذلك أنَّ العربَ إذا بالغتْ في وصف شيءٍ نَسَبتْهُ إلىٰ الجنِّ، أو شَبَّهته بهم، ومنه قول لَبِيْدٍ:

جِـنُّ البَـديِّ رواسـيًا أقدامُها

وقال آخر يَصِفُ امرأةً:

جنِّيـةٌ ولهـا جِـنٌّ يُعلِّمُهـا رَمْيَ القُلوبِ بِقَوْسٍ ما لها وَتَر

وذلك أنَّهم يعتقدون في الجن كل صفة عجيبة، وأنَّهم يأتون بكلِّ أمرٍ عجيبٍ، ولمَّا كان عبقر معروفًا بسكناهم نسبوا كلَّ شيءٍ مبالغٍ فيه إليها، يريدون بذلك أنَّه من عملهم وصنعهم. هذا هو الأصل، ثمَّ صار العبقري اسمًا ونعتًا لكلِّ ما بُولِغَ في صفته، ويشهد لما ذكرنا بيت زهير، فإنَّه نسب الجن إلىٰ عبقر، ثمَّ رأينا أشياء كثيرة نُسِبَت إلىٰ عبقرٍ غير البسط والثياب: كقوله في صفة عمر «**عَبْقَرِيًّا**»[١]، وروىٰ سلمة عن الفرَّاء قال: العبقري: السَّيِّد من الرجال، وهو الفاخر من الحيوان والجوهر». فلو كانت عبقر مخصوصة بالوشي، لما نُسِبَ إليها غير الموشَّىٰ، وإنَّما ينسب إليها البسط المُوَشِّية العجيبة الصنعة، لما ذكرنا، كما نسب إليها كل ما بولغ في وصفه.

قال ابن عباس: «وعبقري: يريد البسط والطنافس»[٢]، وقال الكلبي: «هي الطنافس المُخْمَلة»[٣]، وقال قتادة: «هي عتاق الزَّرابي»[٤]، وقال مجاهد: «الديباج

---

(١) تقدم ص(٢٩١).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: النكت والعيون للماوردي (٦/ ٢٦١).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١١٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٧/ ١٦٤). وسنده صحيح.

الغليظ»[1]، وعبقريٌّ: جمع. واحِدُهُ عبقرية، ولهذا وُصِفَ بالجمع».

وتأمَّل كيف وصَفَ سبحانه وتعالىٰ الفُرش بأنَّها مرفوعة، والزرابي بأنَّها مبثوثة، والنمارق بأنَّها مصفوفة، فرفْعُ الفرش دالٌّ علىٰ سُمْكِهَا ولينها، وبثُّ الزرابي دالٌّ علىٰ كثرتها، وأنَّها في كل موضع لا يختصُّ بها صدر المجلس دون مؤخره وجوانبه، وصفُّ المساند، يدلُّ علىٰ أنَّها مهيأة للاستناد إليها دائمًا، ليست مُخَبَّأة تُصَفُّ في وقتٍ دون وقتٍ، واللهُ أعلمُ.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٠٧٥) واللفظ له، وهناد في «الزهد» (٨٣). والإسناد لا بأس به.

ص(٤٥٣)

الباب الحادي والخمسون

في ذكر خيامهم وسررهم وأرائكهم وبشخاناتهم[١]

قال الله تعالىٰ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن:٧٢].

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبي ﷺ قال: **«إنَّ للمؤمن في الجنَّة لخيمة من لؤلؤةٍ واحدةٍ مجوَّفة طولها ستون ميلًا، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمنُ فلا يرىٰ بعضهم بعضًا»**.

وفي لفظٍ لهما: **«في الجنَّة خيمةٌ من لؤلؤةٍ مجوفة، عرضها ستون ميلًا في كلِّ زاوية منها أهلٌ، ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمن»**.

وفي لفظٍ آخر لهما أيضًا: **«الخيمة دُرَّة طُولها في السماء ستون ميلًا، في كلِّ زاوية منها أهل، لا يراهم الآخرون»**.

وللبخاري وحده في لفظ: **«طُولُها ثلاثون ميلًا»**.

وهذه الخيام غير الغُرَفِ والقصور، بل هي خيام في البساتين، وعلىٰ شواطئ الأنهارِ.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني الحسين بن عبد الرحمن عن أحمد بن أبي الحواري

---

(١) جمع بشخانة: وهي كلمة فارسية معرَّبة، مركَّبة من بشه: أي البعوض، ومن خانه: أي البيت، والمعنىٰ بيت البعوض، وهي الكِلَّة التي تسمِّيها العامة «ناموسية»: «وهي غشاء رقيق يخاط كالبيت، يتوقَّىٰ به من البعوض.

(٢) اختلفت الروايات في لفظ هذا الحديث، ففي بعضها: «ثلاثون ميلاً»، وفي أخرىٰ «ستون ميلًا»، وهو الصحيح، وكلاهما عند الشيخين.

قال: سمعتُ أبا سليمان قال: ينشأ خلق الحور العين إنشاءً، فإذا تكامل خلقهنَّ ضربت عليهنَّ الملائكة الخيام[١].

وقال بعضهم: لمَّا كُنَّ أبكارًا، وعادة البكر أنْ تكون مقصورة في خدرها، حتَّىٰ يأخذها بعلها، أنشأ اللهُ سبحانه وتعالىٰ الحور وقصرهنَّ في خدور الخيام، حتىٰ يجمع بينهنَّ وبين أوليائه في الجنَّة.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا إسحاق، حدثنا سفيان، عن جابر عن القاسم بن أبي بَزَّة عن أبي عبيدة عن مسروق عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لكلِّ مسلمٍ خيرةٌ، ولكلِّ خيرةٍ خيمةٌ، ولكلِّ خيمةٍ أربعة أبواب، يدخل عليها كلَّ يومٍ من كلِّ بابٍ تحفةٌ وهديةٌ وكرامةٌ لم تكن قبل ذلك، لا مَرِحاتٍ ولا ذفرات، ولا بخرات ولا طَمَّاحات، حورٌ عينٌ كأنَّهنَّ بيضٌ مكنون»[٢].

حدثنا علي بن الجعد حدثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال: سمعتُ أبا الأحوص يُحدِّثُ عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالىٰ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ قال: «دُرٌّ مُجوَّف»[٣].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا (٣١٨).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا (٣٢٠)، وابن أبي شيبة (٣٤٠٤٥)، والطبري (٢٧/ ١٥٨). وإسناده ضعيف.

والمرِحات من المَرَح، وهو التَّبختر والاختيال.

والذَّفِرات، من الذَّفَر، وهو الصُّنَان وخُبْث الريح.

والبَخِرات، من البَخَر، وهو الرائحة والنَّتَن يكون في الفم وغيره.

والطَّمَّاحات، يقال: امرأة طمَّاحة: هي التي تُكرُّ بنظرها يمينًا وشمالًا إلىٰ غير زوجها.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٣٢٦)، وابن وهب في التفسير (٣٢٥)، وغيرهما.

وقال ابن المبارك: أنبأنا سليمان التيمي عن قتادة عن خُلَيد العَصَرِي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «الخيمة لؤلؤةٌ واحدةٌ لها سبعون بابًا كلُّها من دُرَّةٍ»(١).

قال ابن المبارك: وأخبرنا همام عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «الخيمة درةٌ مجوفةٌ فرسخٌ في فرسخٍ، لها أربعة آلاف مصراعٍ من ذهبٍ»(٢).

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا فضيل بن عبد الوهاب حدثنا شريك عن منصور عن مجاهد: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن:٧٢] قال: «في خيام اللؤلؤ، والخيمة لؤلؤة واحدة»(٣).

حدثني محمد بن جعفر حدثنا منصور حدثنا يوسف بن الصَّبَّاح عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ قال: «الخيمة من دُرَّةٍ مجوَّفة طولها فرسخ، وعرضها فرسخ، ولها ألفُ بابٍ من ذهبٍ، حولها سُرَادِق دَوْرُه خمسون فرسخًا، يدخل عليه من كلِّ بابٍ منها مَلَك بهدية من عند الله عز وجل وذلك قوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد:٢٣] »(٤) واللهُ أعلم.

وأمَّا السُّرَر: فقال تعالىٰ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور:٢٠]، وقال تعالىٰ: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ﴾ [الواقعة:١٣-١٦] وقال تعالىٰ: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية:١٣].

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٥٠)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٣٢٧). وهو صحيح إلىٰ خليد.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٤٠٤٧)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٣٢٨).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٣٢٩). وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٣٣٢). وإسناده ضعيف.

فأخبر تعالىٰ عن سُرُرِهم بأنَّها مصفوفة بعضها إلىٰ جانب بعض، ليس بعضها خلف بعض، ولا بعيدًا من بعض، وأخبر أنَّها موضونة، والوَضْن في لغتهم: النضد والنسج المضاعف، يقال: وَضَنَ فلان الحجر والآجُرَّ بعضه فوق بعض، فهو موضون.

وقال الليث: «الوَضْنُ: نسج السرير وأشباهه[1]»، ويقال: درع موضونة مقاربة في النسج. وقال رجل من العرب لامرأته: ضِني متاع البيت: أي قاربي بعضه مِن بعض.

وقال أبو عبيدة والفراء والمبرد وابن قتيبة: موضونة: منسوجة مضاعفة متداخلة، بعضها علىٰ بعض، كما تُوضن حلق الدرع، ومنه سُمِّي الوَضين، وهو نطاق من سيور ينسج، فيدخل بعضه علىٰ بعض، وأنشدوا للأعشىٰ:

ومــن نســج داودَ موضونة ... تســاقُ مع الحيِّ عِيْرًا فَعِيرًا

قالوا موضونة: منسوجة بقضبان الذهب مشبَّكة بالدرِّ والياقوت والزبرجد.

قال هشيم: حدثنا حصين، عن مجاهد عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «مرْمولة[2] بالذهب»[3].

وقال مجاهد: «موصولة بالذهب»[4]، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «موضونة: مصفوفة»[5].

---

(١) وتتمته «بالجوهر والثياب، وهو موضون»، انظر: «معجم تهذيب اللغة» للأزهري (٤/ ٣٩٠٨).

(٢) المرمولة: المضفورة المنسوجة. انظر «وصف الفردوس» لابن حبيب ص (٩٠).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (١٦٦)، والبيهقي في «البعث» (٣٣٧)؛ صحيح عن ابن عباس.

(٤) أخرجه هناد في «الزهد» (٧٤)، وابن أبي شيبة (٣٤٠٦٩)، والطبري (٢٧/ ١٧٢)؛ صحيح عن مجاهد.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٧/ ١٧٣)، والبيهقي في «البعث» (٣٣٨ و ٣٤٧). وسنده حسن.

وأخبر سبحانه وتعالىٰ أنَّها مرفوعة قال عطاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «سرر من ذهب، مكلَّلة بالزبرجد والدُّرِّ والياقوت، والسرير مثل ما بين مكة وأيلة»[١].

وقال الكلبي: «طول السرير في السماء مئة عام، فإذا أراد الرجل أنْ يجلس عليه تواضع له حتىٰ يجلس عليه، فإذا جلس عليه ارتفع إلىٰ مكانه».

ص(٤٦٠)

فصل

وأمَّا الأرائك: فهي أجمع أريكة. قال مجاهد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ [الكهف:٣١]، قال: «لا يكون أريكة حتىٰ يكون السرير في الحَجَلة، فإنْ كان سريرًا بغير حَجَلة لا يكون أريكة، وإن كانت حَجَلة بغير سرير لم تكن أريكة، و لا تكون أريكة إلا والسرير في الحجلة، فماذا اجتمعا كانت أريكة»[٢].

وقال مجاهد: «هي الأسِرَّة في الحِجَال»[٣].

وقال الليث: «الأريكة: سرير حجلة، فالحجلة والسرير أريكة، وجمعها أرائك».

وقال أبو إسحاق: «الأرائك: الفرش في الحجال».

قلتُ: ها هنا ثلاثة أشياء:

أحدها: السرير.

الثانية: الحجلة، وهي البشخانة التي تعلق فوقه.

الثالث: الفراش الَّذي علىٰ السرير، ولا يسمَّىٰ السرير أريكة، حتىٰ يجمع ذلك كله.

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ١٤٧).

(٢) أخرجه البيهقي في «البعث» (٣٣٤). وفي إسناده ضعف.

(٣) أخرجه هناد في «الزهد» (٧٤)، وابن أبي شيبة (٣٤٠٧٧)، والبيهقي في «البعث» (٣٣٥)، وسنده صحيح.

وفي «الصحاح»: «الأريكة: سريرٌ مُنَجَّدٌ مُزَيَّن في قُبَّةٍ أو بيتٍ، فإذا لم يكن فيه سرير، فهو حجلة، والجمع الأرائك».

وفي الحديث: «أنَّ خاتم النَّبي ﷺ كان مثل زرِّ الحَجَلة»[1]. وهو الزِّرُّ الَّذي يُجمع به بين طرفيها من جملة أزرارها، والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٧)، ومسلم (٢٣٤٥) من حديث السائب بن يزيد رضي الله عنه.

ص(٤٦٣)

الباب الثاني والخمسون

في ذكر خدمهم وغلمانهم

قال تعالىٰ: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان:١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ [الواقعة:١٧-١٨].

قال أبو عبيدة والفرَّاء: «مخلَّدون لا يهرمون، ولا يتغيرون، قال: والعربُ تقول للرجل إذا كَبُرَ ولم يشمط: إنَّهُ لمخلَّد، وإذا لم تذهب أسنانه من الكِبَر، قيل: هو مخلَّد».

وقال آخرون: مُخلَّدون: مُقَرَّطُون مُسَوَّرُون، أي في آذانهم القِرَطَة، وفي أيديهم الأساور.

وهذا اختيار ابن الأعرابي، قال: مخلَّدون: مُقَرَّطون بالخَلَدة، وجمعها خَلَدٌ، وهي: القِرَطَة.

وروىٰ عمرو عن أبيه: «خلَّد جاريته، إذا حلَّاها بالخَلَدِ، وهي القِرَطَة، وخَلَدَ إذا أسنَّ ولم يَشِبْ»(١)، وكذلك قال سعيد بن جبير: «مقرَّطون»(٢).

واحتجَّ هؤلاء بحجتين:

إحداهما: أنَّ الخلود عامٌّ لكلِّ من في الجنَّة، فلا بُدَّ أنْ يكون الوِلدان موصوفين بتخليدٍ يختصُّ بهم، وذلك هو القِرَطة.

---

(١) انظر: «معجم تهذيب اللغة» للأزهري (١/ ١٠٨١).

(٢) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٨/ ١٠٨)، والقرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٢٠٢).

الحجة الثانية: قول الشاعر:

ومُخلَّـداتٍ باللُّجين كأنَّما أعجازهنَّ رَواكِـدُ الكُثبانِ

وقال الأوَّلون: الخُلْد هو البقاء. قال ابن عباس: «غلمان لا يموتون»[1].

وقول ترجمان القرآن في هذا كافٍ، وهذا قول مجاهد والكلبي ومقاتل، قالوا: لا يكبرون ولا يهرمون ولا يتغيرون[2].

وجمعتْ طائفة بين القولين، وقالوا: هم ولدان لا يعرض لهم الكِبَر ولا الهرم، وفي آذانهم القِرَطة، فمن قال: مقرَّطون. أراد هذا المعنىٰ، أنَّ كونهم ولدانًا أمرٌ لازمٌ لهم.

وشبَّههم سبحانه باللؤلؤ المنثور، لما فيه من البياض وحسن الخلق، وفي كونه منثورًا فائدتان:

إحداهما: الدلالة علىٰ أنَّهم غير معطَّلين، بل مَبْثوثون في خدمتهم وحوائجهم.

والثاني: أنَّ اللؤلؤ إذا كان منثورًا، ولا سيما علىٰ بساط من ذهبٍ أو حرير؛ كان أحسن لمنظره وأبهىٰ من كونه مجموعًا في مكان واحد.

وقد اختلف في هؤلاء الوِلْدان: هل هم مِنْ وِلْدان الدنيا، أم أنشأهم اللهُ في الجنَّة إنشاء؟ علىٰ قولين:

فقال علي بن أبي طالب والحسن البصري: هم أولاد المسلمين الَّذين يموتون، ولا حسنةَ لهم ولا سيئة، يكونون خدم أهل الجنَّة وولدانهم، إذِ الجنَّة لا وِلادة فيها[3].

---

(١) ذكره الواحدي في تفسيره «الوسيط» (٤/ ٢٣٣).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣١٢)، و«الوسيط» للواحدي (٤/ ٢٣٣)، و«البعث» للبيهقي (٤١١).

(٣) انظر: تفسير القرطبي «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٢٠٣).

قال الحاكم: حدثنا عبد الرحمن بن الحسن حدثنا إبراهيم بن الحسين حدثنا آدم حدثنا المبارك بن فَضَالة عن الحسن في قوله تعالىٰ: ﴿وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الواقعة:١٧] قال: «لم يكن لهم حسنات فَيُجْزَوْن بها، ولا سيئات فيعاقبون عليها، فوضعوا بهذا الموضع»(١).

ومن أصحاب هذا القول من قال: هم أطفال المشركين، يجعلهم الله خَدَمًا لأهل الجنَّة.

واحتجَّ هؤلاء بما رواهُ يعقوب بن عبد الرحمن القاري عن أبي حازمٍ المديني، عن يزيد الرَّقاشي عن أنس عن النَّبي ﷺ قال: «**سألتُ ربي اللَّاهين من ذرية البشر أنْ لا يعذبهم، فأعطانيهم فهم خدم أهل الجنَّة**»(٢). يعني: الأطفال.

قال الدَّارقطني: ورواهُ عبد العزيز بن الماجشون عن ابن المنكدر عن يزيد الرقاشي عن أنس عن النَّبي ﷺ. انتهىٰ.

ورواهُ فضيل بن سليمان عن عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري عن أنس.

وهذه الطرق ضعيفة؛ فيزيد واهٍ، وفضيل بن سليمان مُتكَلَّمٌ فيه، وعبد الرحمن بن إسحاق ضعيف.

قال ابن قتيبة: واللَّاهون، مِن «لهيتَ» عن الشيء إذا غفلت عنه، وليس هو مِن «لهوت»(٣).

وأصحاب القول الأوَّل لا يقولون: إنَّ هؤلاء أولادٌ وُلِدُوا لأهل الجنَّة فيها،

(١) أخرجه البيهقي في «البعث» (٤١٠)، وعبد بن حميد في «تفسيره» (٦/ ٢١٩ الدر المنثور)، وسنده حسن.

(٢) أخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٥٤٤) بإسناد ضعيف.

(٣) ذكره ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٩٢٦ - ٩٢٧).

وإنَّما يقولون: هم غلمان أنشأهم اللهُ في الجنَّة إنشاءً، كما أنشأ الحور العين.

قالوا: وأمَّا وِلْدان أهل الدنيا فيكونون يوم القيامة أبناء ثلاث وثلاثين سنة؛ لما رواهُ ابن وهب حدثنا عمرو بن الحارث أنَّ درَّاجًا أبا السَّمح حدَّثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات من أهل الجنَّة من صغيرٍ أو كبيرٍ يُردُّون بني ثلاثٍ و ثلاثين سنة في الجنَّة، لا يزيدون عليها أبدًا، وكذلك أهل النَّار**»[1]. رواهُ الترمذي.

والأشبه أنَّ هؤلاءِ الولدان مخلوقون من الجنَّة -كالحور العين- خَدَمًا لهم وغِلْمَانًا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الطور:٢٤] وهؤلاء غير أولادهم، فإنَّ من تمام كرامة اللهُ تعالىٰ لهم أنْ يجعل أبناءهم مخدومين معهم، لا يجعلهم غلمانًا لهم.

وقد تقدَّم في حديث أنس عن النَّبي ﷺ: «**أنا أوَّل النَّاسُ خروجًا إذا بُعِثُوا، -وفيه- يطوف عليَّ ألفُ خادمٍ كأنَّهم لؤلؤ مكنون**»[2].

والمكنون: المستور المصون الَّذي لم تبتذله الأيدي.

وإذا تأملتَ لفظة الـ ﴿وِلْدَانٌ﴾، ولفظة ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ واعتبرتها بقوله: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ [الطور:٢٤] وضَممت ذلك إلىٰ حديث أبي سعيد المذكور آنفًا = علمتَ أنَّ الولدان غلمانٌ أنشأهم الرَّبُّ تعالىٰ في الجنَّة خدمًا لأهلها، واللهُ أعلم.

---

(١) تقدم ص(٢٠٨-٢٠٩).

(٢) تقدم في ص(١٥٤).

ص(٤٧٠)

الباب الثالث والخمسون

في ذكر نسائهم وسراريِّهم، وأصنافهنَّ وحسنهنَّ وأوصافهنَّ وجمالهنَّ الظاهر والباطن الَّذي وصفهنَّ اللهُ تعالى به في كتابه

قال الله تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

فتأمَّل جلالة المبشر ومنزلته وصدقه وعظمة من أرسله إليك بهذه البشارة، وقدر ما بشَّرك به، وضمنه لك علىٰ أسهل شيءٍ عليك وأيسره، وجمع سبحانه في هذه البشارة بين نعيم البَدَنِ بالجنان، وما فيها من الأنهارِ والثمارِ، ونعيم النفس بالأزواج المطهرة، ونعيم القلبِ وقُرَّة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد، وعدم انقطاعه.

والأزواج: جمع زوج، والمرأة: زوجُ الرجل، وهو زوجها، هذا هو الأفصحُ، وهو لغة قريش، وبها نزل القرآن كقوله تعالىٰ: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥] ومن العربِ من يقول: زوجة، وهو نادرٌ، لا يكادون يقولونه.

وأمَّا المطهرة: وإنْ جرتْ صفةً علىٰ الواحد، فتجري صفة علىٰ جمع التكسير إجراءً له مجرىٰ جماعة، كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ [الصف: ١٢]، و ﴿قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ [سبأ: ١٨]. ونظائره، والمطهرة: التي طُهِّرت من الحيضِ والبول والنفاس، والغائط والمخاط والبُصاق، وكل قَذَر، وكلِّ أذىٰ يكون من نساء الدنيا، وطُهِّرَ مع

ذلك باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة، وطهر لسانها من الفحش والبذاء، وطهر طرفها من أن تطمح به إلىٰ غير زوجها، وطهرت أثوابها من أنْ يعرض لها دنسٌ أو وسخٌ.

قال عبد الله بن المبارك: حدثنا شعبة عن قتادة عن أبي نَضْرة عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبي ﷺ ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة:٢٥] قال: «من الحيض والغائط والنخامة والبصاق»(١).

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مطهرة: لا يحضن ولا يُحْدِثْنَ ولا يتنخَّمن»(٢).

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أيضًا: «مطهرة من القَذَرِ والأذىٰ»(٣).

وقال مجاهد: «لا يبلنَ ولا يتغوطن، ولا يمذين ولا يمنين، ولا يحضنَ، ولا يبصقن ولا يتنخمن، ولا يلدن»(٤).

وقال قتادة: «مطهرة من الإثم والأذىٰ، طهرهنَّ اللهُ من كلِّ بولٍ وغائطٍ وقذرٍ ومأثم»(٥).

---

(١) أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ١٦٠) معلقًا، وابن مردويه في «تفسيره» كما في «تفسير ابن كثير» (١/ ٦٦ - ٦٧) ورفعه ضعيف، والصحيح أنه من كلام قتادة كما بيَّن ذلك ابن حبان وابن كثير.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١/ ١٧٥).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» -البقرة- (٢٦٥)، والطبري في «تفسيره» (١/ ١٧٥)، وسنده حسن.

(٤) أخرجه هنَّاد في «الزهد» (٢٧، ٢٩)، والطبري (١/ ١٧٥ و ١٧٦). وهو ثابت عن مجاهد.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٦٤)، والطبري في «تفسيره» (١/ ١٧٦). وهو صحيحٌ.

وقال عبد الرحمن بن زيد: «المطهرة: التي لا تحيض، وأزواج الدنيا لسن بمطهراتٍ، ألَا تراهنَّ يدمين، ويتركن الصلاة والصيام؟. قال: وكذلك خُلِقَتْ حوَّاء حتىٰ عَصَت، فلمَّا عصت قال الله: إنِّي خلقتك مطهرةً، وسأُدْميك كما دميت هذه الشجرة»[1].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ۝٥١ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٢ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٥٣ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٥٤ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۝٥٥ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٥١-٥٦].

فجمعَ لهم بين حُسْن المنزل، وحصول الأمن فيه من كلِّ مكروهٍ، واشتماله علىٰ الثمار والأنهار، وحسن اللباس وكمال العِشْرة بمقابلة بعضهم بعضًا، وتمام اللَّذة بالحور العين، ودعائهم بجميع أنواع الفاكهة، مع أمنهم من انقطاعها، ومضرتها وغائلتها، وختامُ ذلك أعلمهم بأنَّهم لا يذوقون هناك موتًا.

والحُوْرُ: جمع حَوْراء، وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء، شديدة سواد العين.

وقال زيد بن أسلم: «الحَوْرَاء: التي يحار فيها الطرف، وعِيْن: حسان الأعين»[2].

وقال مجاهد: «الحوراء التي يحار فيها الطرف من رِقَّة الجلد، وصفاء اللون»[3].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١/ ١٧٦)، وسنده صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٣٠٤).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٣٠٥) واللَّفظ له، وابن أبي شيبة (٣٥٤٤٦).

وقال الحسن: «الحوراء: شديدة بياض العين، شديدة سواد العين»[١].

واختلف في اشتقاق هذه اللفظة:

فقال ابن عباس رضي الله عنهما: «الحور في كلام العرب: البيض»[٢].

وكذلك قال قتادة «الحور: البيض»[٣].

وقال مقاتل: «الحور: البيض الوجوه»[٤].

وقال مجاهد: «الحور العين، التي يحار فيهن الطرف باديًا مخُّ سوقهن من وراء ثيابهن، ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهن، كالمرآة من رقة الجلد، وصفاء اللون»[٥].

وهذا من الاتفاق، وليست اللفظة مشتقة من الحيرة. وأصل الحور: البياض. والتحوير: التبييض.

والصحيح: أن الحور مأخوذ من الحَوَرِ في العين، وهو شدة بياضها مع قوة سوادها، فهو يتضمن الأمرين.

وفي «الصحاح»: «الحَوَرُ: شدة بياض العين في شدة سوادها. امرأة حَوْرَاء: بَيِّنة الحَوَر. وقال أبو عمرو: الحَوَر: أن تسْودَّ العين كلها مثل أعين الظِّبَاء والبقر، وليس في بني آدم حور، وإنما قيل: للنساء: حور العيون؛ لأنهنَّ شُبِّهنَ بالظباء والبقر»[٦].

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٣٠٦)، واللفظ له، والطبري في «التفسير» (٢٧/ ١٧٧).

(٢) أخرجه عبد الملك بن حبيب في «وصف الفردوس» (٢٤١).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨٢٥)، والطبري في «التفسير» (٢٥/ ١٣٦). وسنده صحيح.

(٤) انظر: «تفسيره» (٣/ ٢٠٨).

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٥/ ١٣٦)، والبيهقي في «البعث» (٣٩٦)، وسنده حسن.

(٦) انظر: الصِّحاح (١/ ٥٢٦).

وقال الأصمعي: «ما أدري ما الحَوَرُ في العين؟».

قلت: خالف أبو عمرو أهل اللغة، واشتقاق اللفظة، وردَّ الحَوَر إلىٰ السواد، والناس غيره إنما ردُّوه إلىٰ البياض، أو إلىٰ بياضٍ في سواد.

والحَوَرُ في العين: معنىٰ يلتئم من حسن البياض والسواد وتناسبهما، واكتساب كل واحد منهما الحسن من الآخر.

وعينٌ حوراء: إذا اشتدَّ بياضُ أبيضِها وسواد أسودها، ولا تسمىٰ المرأة حوراء حتىٰ تكون مع حور عينها بيضاء لون الجسد.

والعِيْنُ: جمع عيناء، وهي العظيمة العين من النساء. ورجلٌ أعين: إذا كان ضخم العين. وامرأة عيناء، والجمع عِيْنٌ.

والصحيح: أنَّ العِيْنَ اللاتي جَمَعَتْ أعينهن صفات الحسن والملاحة، قال مقاتل: «العين: حسان الأعين»[1].

ومن محاسن المرأة اتساع عينها في طول، وضيق العين في المرأة من العيوب.

وإنما يستحب الضيق منها في أربعة مواضع: فمها، وخرق أذنها، وأنفها، وما هنالك.

ويستحب السَّعَة منها في أربعة مواضع: وجهها، وصدرها، وكاهلها: وهو ما بين كتفيها، وجبهتها.

ويستحب البياض منها في أربعة مواضع: لونها، وفرقها، وثغرها، وبياض عينها.

ويستحب السواد منها في أربعة مواضع: عينها، وحاجبها، وهدبها، وشعرها.

ويستحب الطول منها في أربعة: قوامها، وعنقها، وشعرها، وبنانها.

ويستحب القِصَر منها في أربعة -وهي معنوية-: لسانها، ويدها، ورجلها،

---

(١) انظر «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٠٨).

وعينها، فتكون قاصرة الطرف، قصيرة الرِّجْلِ واللسان عن الخروج وكثرة الكلام، قصيرة اليد عن تناول ما يكره الزوج، وعن بذله.

ويستحب الدقة منها في أربعة: خصرها، وفرقها، وحاجباها، وأنفها.

فصل

ص(٤٧٧)

وقوله تعالىٰ: ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: ٢٠].

قال أبو عبيدة: «جعلناهم أزواجًا كما يزوج النعل بالنعل، جعلناهم اثنين اثنين». قال يونس: «قرنَّاهم بهن، وليس من عقد التزوج، قال: والعرب لا تقول: تزوجت بها، وإنما تقول تزوجتها».

قال من نصر هذا: التنزيل يدل علىٰ ما قاله يونس، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧]، ولو كان علىٰ تزوجت بها لقال: زوجناك بها. وقال ابن سلَّام: «تميم تقول: تزوجت امرأةً، وتزوجت بها» وحكاه الكسائي أيضًا. وقال الأزهري: «تقول العرب: زوجته امرأةً، وتزوجت امرأةً، وليس من كلامهم: تزوجت بامرأة، قال: وقوله تعالىٰ: ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: ٢٠] أي: قرنَّاهم، وقال الفرَّاءُ: «هي لغة في أزدِ شَنُوْءة»، قال الواحدي: «وقول أبي عبيدة في هذا حسن؛ لأنه جعله من التزوج الذي هو بمعنىٰ جعل الشيء زوجًا لا بمعنىٰ عقد النكاح، ومن هذا يجوز أن يقال: كان فردًا فزوجته بآخر، كما يقال: شفعته بآخر، وإنما تمتنع الباء عند من يمنعها، إذا كان بمعنىٰ عقد التزويج».

قلت: ولا يمتنع أن يراد الأمران معًا، فلفظ التزويج: يدل علىٰ النكاح، كما قال مجاهد: «أنكحناهم الحور»[1]، ولفظ الباء: يدل علىٰ الاقتران والضم، وهذا أبلغ من حذفها، والله أعلم.

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٥/ ١٣٦) وسنده حسن.

وقال تعالىٰ: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾. [الرحمن:٥٦-٥٨].

وصفهنَّ سبحانه بِقِصَرِ الطرف في ثلاثة مواضع:

أحدها: هذا.

والثاني: قوله تعالىٰ في الصافات: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ﴾ [آية:٤٨].

والثالث: قوله تعالىٰ في ص: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ [آية:٥٢].

والمفسرون كلهم علىٰ أنَّ المعنىٰ: قَصَرْنَ طرفهنَّ علىٰ أزواجهنَّ، فلا يطمحن إلىٰ غيرهم. وقيل: قصرن طرف أزواجهنَّ عليهنَّ، فلا يدعهم حسنهنَّ وجمالهنَّ أنْ ينظروا إلىٰ غيرهنَّ.

وهذا صحيح من جهة المعنىٰ، وأمَّا من جهة اللفظِ: فقاصرات: صفة مضافة إلىٰ الفاعل، كحسان الوجوه، وأصله: قاصرٌ طرفهنَّ، أي: ليس بطامحٍ متعدٍّ.

قال آدم: حدثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالىٰ: ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ [الرحمن:٥٦] قال: «يقول: قاصرات الطرف علىٰ أزواجهنَّ، فلا يبغين غير أزواجهنَّ»(١).

قال آدم: وحدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال: «قصرن طرفهنَّ علىٰ أزواجهنَّ، فلا يُرِدْنَ غيرهم، والله ما هنَّ متبرِّجات، ولا متطلعات»(٢).

وقال منصور عن مجاهد: «قصرن أبصارهنَّ وقلوبهنَّ وأنفسهنَّ علىٰ أزواجهنَّ،

(١) أخرجه البيهقي في «البعث» (٣٨٥) وسنده حسن.

(٢) أخرجه البيهقي في «البعث» (٣٨٧). وسنده حسن.

فلا يردن غيرهم»[١].

وفي «تفسير سعيد» عن قتادة قال: «قصرن طرفهنَّ علىٰ أزواجهنَّ، فلا يردن غيرهم»[٢].

وأمَّا الأتراب: فجمع تِرْب[٣]: وهو لِدَة[٤] الإنسان.

قال أبو عبيدة وأبو إسحاق: «أقران، أسنانهنَّ واحدة»[٥].

قال ابن عباس رضي الله عنهما وسائر المفسرين: «مستويات علىٰ سنٍّ واحدةٍ وميلادٍ واحد، بنات ثلاث وثلاثين سنة»[٦].

وقال مجاهد: «أتراب: أمثال»[٧].

قال أبو إسحاق: «أي: هنَّ في غاية الشباب والحُسن، وسَمَّي سنَّ الإنسان وقرنه تِرْبه؛ لأنَّه مسَّ تراب الأرض معه في وقتٍ واحدٍ، والمعنىٰ من الإخبار باستواء أسنانهنَّ، أنَّهنَّ ليس فيهنَّ عجائز قد فات حسنهنَّ، ولا ولائد لا يُطِقْنَ الوطَء بخلاف الذكور، فإنَّ فيهم الولدان: وهم الخدم.

وقد اختلف في تفسير الضمير في قوله: ﴿فِيهِنَّ﴾:

---

(١) أخرجه البيهقي في «البعث» (٣٨٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٧/ ١٥٩) وغيرهما، وسنده صحيح.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٧/ ١٥٠)، والبيهقي في «البعث» (٣٩٢). وسنده صحيح.

(٣) التِّرْبُ: المماثل في السنِّ.

(٤) اللِّدَة: مَنْ ولد معك في وقتٍ واحد.

(٥) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٨٥).

(٦) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٣٨٨).

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٧٥)، والبيهقي في «البعث» (٣٨٤)، وسنده حسن.

فقالت طائفة: تفسيره الجنتان، وما حوتاه من القصور والغرف والخيام.

وقالت طائفة: تفسيره الفرش المذكورة في قوله: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ﴾ [الرحمن:٥٤]، و(في) بمعنىٰ: علىٰ.

وقوله تعالىٰ: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ﴾ [الرحمن:٥٦].

قال أبو عبيدة: لم يمسهنَّ. يقال: ما طمث هذا البعير حَبْلٌ قط، أي ما مسَّه، وقال يونس: تقول العرب: هذا جمل ما طمثه حبل قط: أي ما مسَّه»، وقال الفرَّاء: «الطمث: الافتضاض، وهو النكاح بالتَّدمية. والطَّمث: هو الدم. وفيه لغتان: طَمِثَ يَطْمُثُ ويَطْمَثُ». قال الليث: «طمثت الجارية: إذا افترعتها، والطامث في لغتهم: هي الحائض». قال أبو الهيثم: «يقال للمرأة: طُمِثَت تُطْمَث، إذا أُدْمِيَت بالافتضاض، وطَمِثَت علىٰ فَعِلَتْ تَطْمَث إذا حاضت أوَّل ما تحيض، فهي طامث، وقال في قول الفرزدق:

خرجن إليَّ لم يُطمثْنَ قبلي　　　وهن أَصَــحُّ من بَيْضِ النَّعام

أي: لم يُمْسَسْنَ.

قال المفسرون: لم يطأهنَّ، ولم يغشهنَّ، ولم يجامعهنَّ. هذه ألفاظهم، وهم مختلفون في هؤلاء: فبعضهم يقول: هنَّ اللواتي أُنشِئْن في الجنَّة من حورها، وبعضهم يقول: يعني نساء الدنيا، أُنْشِئنَ خلقًا آخر أبكارًا كما وصفهنَّ.

قال الشعبي: «نساء من نساء الدنيا، لم يُمْسَسْن منذ أنشئن خلقًا»[1].

وقال مقاتل: «لأنهنَّ خلقن في الجنَّة»[2].

---

(١) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٤٥٤)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٢٧). وسنده صحيح.

(٢) انظر «تفسيره» (٣/ ٣٠٩).

قال عطاء عن ابن عباس: «هنَّ الآدميات اللَّاتي مُتْنَ أبكارًا»[١].

وقال الكلبي: «لم يجامعهنَّ في هذا الخلق الذي أُنْشِئْنَ فيه إنسٌ ولا جانٌّ»[٢].

قلتُ: ظاهر القرآن أنَّ هؤلاء النِّسوة لسن من نساء الدنيا، وإنَّما هنَّ من الحُوْر العين، أمَّا نساء الدنيا فقد طَمِثَهنَّ الإنس، ونساء الجن قد طَمِثهنَّ الجن، والآية تدل علىٰ ذلك.

قال أبو إسحاق: «وفي هذه الآية دليلٌ علىٰ أنَّ الجِنِّيَّ يَغْشَىٰ، كما أنَّ الإنْسِيَّ يَغْشَىٰ»[٣].

ويدل علىٰ أنَّهنَّ الحور اللَّاتي خلقنَ في الجنَّة:

- أنَّه سبحانه جعلهنَّ ممَّا أعدَّهُ اللهُ في الجنَّة لأهلها من الفواكه والثمار والأنهار والملابس وغيرها.

- ويدلُّ عليه أيضًا الآية التي بعدها، وهي قوله تعالىٰ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن:٧٢] ثمَّ قال: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن:٥٦].

قال الإمام أحمد: «والحور العين لا يمتْن عند النفخة في الصور؛ لأنَّهنَّ خلقن للبقاء»[٤].

وفي الآية دليل لما ذهب إليه الجمهور، أنَّ مؤمني الجنِّ في الجنَّة، كما أنَّ كافرهم في النَّارِ. وبوَّب عليه البخاري في «صحيحه» فقال: «بابُ ثوابِ الجن وعقابهم»[٥].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٢٧).

(٣) انظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (٨/ ١٢٢).

(٤) ذكره حرب الكرماني في «مسائله» ص(٣٥٨) بنحوه، وسيأتي بتمامه في آخر الكتاب ص(٥٥١).

(٥) في (٦٤) كتاب بدء الخلق، باب: ١٢، (٣/ ١٢٠٠).

ونصَّ عليه غير واحدٍ من السَّلف:

قال ضَمْرة بن حبيب، وقد سئل: هل للجن ثواب؟ فقال: نعم، وقرأ هذه الآية ثمَّ قال: «الإنسيات للإنس، والجنِّيات للجنِّ»(١).

وقال مجاهد في هذه الآية: «إذا جامع الرجل، ولم يسمِّ انطوىٰ الجانُّ علىٰ إحليله فجامع معه»(٢).

والضميرُ في قوله ﴿قَبْلَهُمْ﴾ للمعنِيَّين بقوله: ﴿مُتَّكِئِينَ﴾، وهم: أزواج هؤلاء النسوة.

وقوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن:٥٨].

قال الحسنُ وعامَّة المفسرين: أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان، شبَّههن في صفاء الَّلون وبياضه بالياقوت والمرجان»(٣).

يدلُّ عليه ما قالهُ عبد الله: «إنَّ المرأة من نساء أهل الجنَّة لتلبس عليها سبعين حُلَّة من حرير، فيُرىٰ بياضُ ساقيها من ورائهنَّ، ذلك بأنَّه تعالىٰ يقول: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ ألا وإنَّ الياقوت حجر، لو جعلت فيه سِلْكًا، ثمَّ استصفيته نظرتَ إلىٰ السِّلْك من وراء الحجر»(٤).

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٧/ ١٥١)، وأبو الشيخ في «العظمة» (١١٥١). وسنده صحيح.

(٢) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٥١) والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١٠٤ ق/ ب)، وسنده ضعيف جدًّا.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٣٢٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٧/ ١٥٢) عن الحسنِ قال: «صفاء الياقوت في بياض المرجان». وسنده صحيح.

(٤) تقدم الكلام عليه ص(٢٨٢-٢٨٣).

ص(٤٨٦)

فصل

وقال تعالىٰ في وصفهنَّ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن:٧٢].

المقصورات: المحبوسات. قال أبو عبيدة: «خُدِّرْنَ في الخيام»، وكذلك قال مقاتل: «محبوسات في الخيام»(١).

وفيه معنىٰ آخر: وهو أن يكون المراد: أنهن محبوسات علىٰ أزواجهن، لا يردن غيرهم، وهم في الخيام.

وهذا معنىٰ قول من قال: قُصِرْن علىٰ أزواجهن فلا يردن غيرهم، ولا يطمحن إلىٰ من سواهم، ذكره الفراء.

قلتُ: وهذا معنىٰ ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ [الصافات:٤٨] لكن أولئك قاصرات بأنفسهن، وهؤلاء مقصورات، وقوله تعالىٰ: ﴿فِى ٱلْخِيَامِ﴾ علىٰ هذا القول: صفة لحور، أي: هن في الخيام، وليس معمولًا لـ«مقصورات»، وكأنَّ أرباب هذا القول فرُّوا من أن يكُنَّ محبوسات في الخيام، لا تُفارِقْنها إلىٰ الغرف والبساتين.

وأصحاب القول الأوَّل يجيبون عن هذا: بأنَّ الله سبحانه وصفهنَّ بصفات النساء المخدَّرات المصونات، وذلك أكملُ في الوصف، ولا يلزمُ من ذلك أنَّهنَّ لا يفارقن الخيام إلىٰ الغرف والبساتين، كما أنَّ نساء الملوك وذويهم من النساء المخدَّرات المصونات، لا يمتنع أنْ يخرجن في سَفَرٍ وغيره إلىٰ مُتَنَزَّهٍ وبستانٍ ونحوه، فوَصْفُهنَّ اللَّازم لهنَّ: القصرُ في البيت، ويعرض لهنَّ مع الخدم الخروج إلىٰ البساتين ونحوها. وأمَّا مجاهد فقال: «مقصورات قلوبهنَّ علىٰ أزواجهنَّ

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣١٠).

في خيام اللؤلؤ»[1]. وقد تقدم وصف النسوة الأُوَل، بكونهنَّ قاصرات الطرف، وهؤلاء بكونهنَّ مقصورات، والوصفان لكلا النوعين، فإنَّهما صفتا كمالٍ، فتلك الصفة: قَصْرُ الطرف عن طموحه إلىٰ غير الأزواج، وهذا الصفة قصر الرِّجْل عن التبرج والبروز والظهور للرجال.

ص(٤٨٨)

فصــل

قال تعالىٰ: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن:٧٠].

فالخيرات جمع خَيْرَةٍ، وهي مُخَفَّفة من خيِّرة، كَسَيِّدة ولَيِّنة. وحسان: جمع حسنة، فهن خيرات الصفات والأخلاق والشيم، حسان الوجوه.

قال وكيع: حدثنا سفيان عن جابر، عن القاسم بن أبي بَزَّة، عن أبي عبيدة، عن مسروق، عن عبد الله قال: «لكل مسلم خيرة، ولكل خيرة خيمة، ولكل خيمة أربعة أبوب، يدخل عليها كل يوم من كل باب تحفة وهدية وكرامة لم تكن قبل ذلك، لا مَرِحات ولا ذفرات ولا بَخِرَات ولا طماحات»[2].

ص(٤٨٨)

فصــل

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة:٣٥-٣٨].

أعاد الضمير إلىٰ النساء، ولم يَجْرِ لهنَّ ذكر؛ لأن الفرش دلت عليهن، إذ هي محلهن.

وقيل: الفرش، في قوله: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة:٣٤]: كناية عن النساء، كما يكنىٰ عنهن بالقوارير والأزر وغيرها.

(١) أخرجه هنَّاد في «الزهد» (١٦) وسنده حسن.

(٢) تقدَّم الكلام عليه في باب (٥١).

ولكن قوله: ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾: يأبىٰ هذا إلا أن يقال: المراد رِفْعة القدر. وقد تقدم تفسير النَّبي ﷺ للفرش وارتفاعها[١].

فالصواب أنها الفرش نفسها، ودلت علىٰ النساء: لأنها محلَّهنَّ غالبًا.

قال قتادة وسعيد بن جبير: «خلقناهن خلقًا جديدًا»[٢].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «يريد نساء الآدميات»[٣].

وقال الكلبي ومقاتل: «يعني نساء أهل الدنيا العجز الشمط» يقول تعالىٰ: خلقناهن بعد الكبر والهرم، بعد الخلق الأوَّل في الدنيا»[٤].

ويؤيد هذا التفسير حديث أنس المرفوع: «هن عجائزكم العُمْش الرمص»[٥] رواه الثوري، عن موسىٰ بن عبيدة، عن يزيد الرقاشي عنه.

ويؤيده ما رواه يحيىٰ الحماني، حدثنا ابن إدريس، عن ليث، عن مجاهد، عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ دخل عليها وعندها عجوز، فقال: «**من هذه**»؟ فقالت: إحدىٰ خالاتي، قال: «**أما إنه لا يدخل الجنة العجز**»، فدخل العجوز من ذلك ما شاء الله، فقال النَّبي ﷺ: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ [الواقعة:٣٥] **خلقًا آخر، يحشرون يوم القيامة حُفاةً عُراةً غُرْلًا، وأول من يُكْسَىٰ إبراهيم خليل الرحمن**»، ثم قرأ النَّبي ﷺ: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ [الواقعة:٣٥][٦].

---

(١) في ص (٢٨٧).

(٢) أثر قتادة أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٣٢)، والطبري في «التفسير» (٢٧/ ١٨٥).
وسنده صحيح، ولم أقف علىٰ أثر سعيد ابن جبير.

(٣) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٨/ ٣).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣١٤).

(٥) أخرجه الترمذي (٣٢٩٦) وضعَّفه.

(٦) أخرجه البيهقي في «البعث» (٣٧٩)، والمعروف في هذا الحديث الإرسالُ.

قال آدم بن أبي إياس: حدثنا شيبان، عن جابر الجعفي، عن يزيد بن مرة، عن سلمة بن يزيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في قوله: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ﴾ [الواقعة:٣٥] قال: «يعني الثَّيب والأبكار الَّلاتي كُنَّ في الدنيا»[١].

قال آدم: وحدثنا المبارك بن فضالة، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة العجز». فبكت عجوز، فقال رسول الله ﷺ: «**أخبروها أنها ليست يومئذ بعجوز، إنها يومئذ شابَّة، إنَّ اللهَ ﷻ يقول:** ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ﴾ **[الواقعة:٣٥]**[٢]».

وقال ابن أبي شيبة: حدثنا أحمد بن طارق، حدثنا مسعدة بن اليسع، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن عائشة رضي الله عنها: «أن نبي الله ﷺ أتته عجوز من الأنصار فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال نبي الله ﷺ: «**إن الجنة لا يدخلها عجوز**» فذهب نبي الله ﷺ فصلىٰ ثم رجع إلىٰ عائشة فقالت عائشة: لقد لَقِيَتْ من كلمتك مشقة وشِدَّة، فقال نبي الله ﷺ: «**إن ذاك كذاك، إن الله تعالىٰ إذا أدخلهن الجنة حولهن أبكارًا**»[٣].

وذكر مقاتل قولًا آخر -وهو اختيار الزجاج- أنهن الحور العين التي ذكرهن.

«قيل: أنشأهن الله ﷻ لأوليائه لم يقع عليهن ولادة[٤]».

والظاهر أن المراد به أنشأهن الله تعالىٰ في الجنة إنشاء، ويدل عليه وجوه:

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦٣٢٢)، وابن قانع في معجمه (٥٦٦)؛ وضعفه الهيثمي والبوصيري.

(٢) أخرجه البيهقي في «البعث» (٣٨٢) والحديث مرسل.

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٥٤٥)، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٣٩١). والصواب فيه الإرسال.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣١٤)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٥/ ١١٢).

أحدها: أنه قد قال في حقِّ السَّابقين: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١ وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة:١٧-٢٣].

فذكر سُرُرَهم وآنيتهم وشرابهم وفاكهتهم وطعامهم وأزواجهم من الحور العين، ثمَّ ذكر أصحاب الميمنة وطعامهم وشرابهم وفرشهم ونساءهم، فالظاهر: أنَّهنَّ مثلُ نساءِ مَنْ قبلهم خُلِقنَ في الجنَّة.

الثاني: أنَّه سبحانه قال: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ [الواقعة:٣٥].

وهذا ظاهرٌ أنَّه إنشاء أوَّل لا ثانٍ؛ لأنَّه سبحانه حيث يريد الإنشاء الثاني يُقيِّده بذلك، كقوله: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [النجم:٤٧]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الواقعة:٦٢].

الثالث: أنَّ الخطاب بقوله تعالىٰ: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ [الواقعة:٧]، إلىٰ آخره للذكور والإناث، والنشأة الثانية عامَّة أيضًا للنوعين، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ [الواقعة:٣٥]، ظاهره اختصاصهنَّ بهذا الإنشاء، وتأمَّل تأكيده بالمصدر، والحديث لا يدلُّ علىٰ اختصاص العجائز المذكورات بهذا الوصف، بل يدلُّ علىٰ مشاركتهنَّ للحور العين في هذه الصفات المذكورة، فلا يتوهم انفراد الحور العين عنهنَّ ممَّا ذُكِرَ من الصفات، بل هُنَّ أحقُّ بها منهنَّ، فالإنشاءُ واقعٌ علىٰ الصِّنفين، واللهُ أعلمُ.

وقوله تعالىٰ: ﴿عُرُبًا﴾ جمع عَرُوب: وهنَّ المتحبِّبات إلىٰ أزواجهنَّ.

قال ابن الأعرابي: «العَرُوب من النساء: المطيعة لزوجها المتحبِّبَة إليه».

وقال أبو عبيدة «العروب: الحسنة التبعُّل».

قلتُ: يريد حسن مواقعتها، وملاطفتها لزوجها عند الجماع.

وقال المبرِّد: «هي العاشقة لزوجها» وأنشد لِلَبِيْد:

وفي الحُدوجِ عَرُوب غير فاحشةٍ ... ريّـا الرَّوادِفِ يَعْشىٰ دُونَها البَصَرُ

وذكر المفسرون في تفسير العُرُب: أنَّهن العواشق المتحببات الغَنِجَات الشَّكِلات المتعشقاتِ الغَلِمَاتُ المَغْنُوجاتُ، كلُّ ذلك من ألفاظهم[1].

وقال البخاري في «صحيحه»: «عُربًا: مثقَّلة واحدها عَرُوب، مثل صَبُور وصُبُر، يسمِّيها أهل مكة: العَرِبَة، وأهل المدينة: الغَنِجَة، وأهل العراق: الشَّكِلة، والعُرُب: المتحبِّبات إلىٰ أزواجهنَّ».

هكذا ذكره في كتاب: «بدء الخلق»[2]، وقال في كتاب «التفسير» في سورة الواقعة[3]: «عُرُبًا مثقلة واحدها عَروب مثل صَبور وصُبُر تسميها أهل مكة: العَرِبَة، وأهل المدينة: الغَنِجة، وأهل العراق: الشَّكِلَة».

قلتُ: فجمع سبحانه وتعالىٰ بين حُسْن صورتها وحسن عشرتها، وهذا غاية ما يطلب من النساء، وبه تكمل لذَّة الرَّجلِ بِهِنَّ، وفي قوله تعالىٰ: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن:٥٦] إعلام بكمال اللَّذة بهنَّ، فإنَّ لذَّة الرجلِ بالمرأةِ التي لم يطأها سواهُ، لها فضل علىٰ لذَّته بغيرها، وكذلك هي أيضًا.

فصل

ص(٤٩٥)

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ [النبأ:٣١-٣٣].

فالكواعب: جمع كاعب، وهي: النَّاهد. قاله: قتادة ومجاهد والمفسرون[4].

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٧/ ١٨٦)، و«زاد المسير» (٨/ ١٤٢ - ١٤٣)، والزهدُ لهنَّاد (٣٠ - ٣٤).

(٢) (٣/ ١١٨٤).

(٣) (٤/ ١٨٥٠).

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٨) عن قتادة، وأخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٥٧٨٨) عن مجاهد.

قال الكلبي: «هنَّ المُفلَّكات اللواتي تكعبت ثديهنَّ وتفلَّكت»[١]. وأصل اللفظة من الاستدارة، والمراد أنَّ ثديهنَّ نواهد كالرَّمان ليست متدليَّة إلىٰ أسفل، ويُسَمَّيْن نواهد وكواعب.

فصـــل

ص(٤٩٦)

روىٰ البخاري في «صحيحه»[٢] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«لَغَدْوةٌ في سبيل اللهِ أو رَوحةٌ خيرٌ من الدنيا وما فيها، ولَقَابُ قوسِ أحدكم أو موضع قِيْدِهِ -يعني: سوطِهِ- من الجنَّة خيرٌ من الدنيا وما فيها، ولو اطَّلعت امرأةٌ من نساء أهل الجنَّة إلىٰ الأرضِ لملأت ما بينهما ريحًا، ولأضاءتْ ما بينها، ولنصيفها علىٰ رأسها خيرٌ من الدنيا وما فيها»**.

وفي «الصحيحين»[٣] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إنَّ أوَّل زُمرةٍ تدخل الجنَّة علىٰ صورة القمر ليلة البدرِ، والتي تليها علىٰ أضوإِ كوكبٍ دُرِّيٍّ في السَّماءِ، ولكلِّ امرئٍ منهم زوجتان اثنتان، يُرىٰ مُخُّ سُوقِهِمَا من وراء اللحم، وما في الجنَّة أعزب»**.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة حدثنا يونس عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«للرجل من أهل الجنَّة زوجتان من حور العينِ، علىٰ كلِّ واحدةٍ سبعون حُلَّة يُرىٰ مُخُّ ساقها من وراء الثياب»**[٤].

وقال الطبراني: حدثنا بكر بن سهل الدمياطي، حدثنا عمرو بن هاشم البيروتي،

---

(١) انظر: «بحر العلوم» (٣/ ٤٤٠)، و«لسان العرب» (١/ ٧١٩).

(٢) برقم (٢٦٤٣).

(٣) تقدم ص(١٧٣).

(٤) تقدم ص(١٧٣).

حدثنا سليمان بن أبي كريمة عن هشام بن حسَّان عن الحسن عن أُمِّه عن أمِّ سلمة قالت: قلتُ يا رسول الله أخبرني عن قول الله ﷻ: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ [الواقعة:٢٢] قال: ﴿وَحُورٌ﴾ بيضٌ. ﴿عِينٌ﴾: ضخام العيون، شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر. قلتُ: أخبرني عن قوله ﷻ: ﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الطور:٢٤]. قال: صفاؤهنَّ صفاء الدر الَّذي في الأصداف الَّذي لم تمسه الأيدي. قلتُ: يا رسول الله أخبرني عن قوله ﷻ: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن:٧٠] قال: «خَيرَاتُ الأخلاق، حسان الوجوه». قلتُ: يا رسول الله أخبرني عن قوله ﷻ: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات:٤٩]، قال: رِقَّتهنَّ كرقة الجلدِ الَّذي رأيته في داخلِ البيضة ممَّا يلي القشْر، وهو الغِرْقِئُ قلتُ: يا رسول الله أخبرني عن قوله ﷻ: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة:٣٧]، قال: هنَّ اللَّواتي قُبضْنَ في دار الدنيا عجائز رُمْصًا شُمْطًا خلقهنَّ الله بعد الكِبَر، فجعلهنَّ عذارىٰ، عُرُبًا: متعشِّقاتٍ محبَّباتٍ، أترابًا: علىٰ ميلادٍ واحد. قلتُ: يا رسول الله نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال: بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة علىٰ البطانة. قلتُ: يا رسول الله وبِمَ ذاك؟ قال: بصلاتهنَّ وصيامهنَّ، وعبادتهنَّ الله تعالىٰ، ألبس الله وجوههنَّ النور، وأجسادهنَّ الحرير، بيضُ الألوان، خضر الثياب، صفر الحلي، مجامرهنَّ الدُّر، وأمشاطهنَّ الذهبُ، يقلْن نحن الخالدات فلا نموتُ، ونحن النَّاعمات فلا نبؤس أبدًا، ونحن المقيمات فلا نظعن أبدًا، ونحن الرَّاضيات فلا نسخط أبدًا، طوبىٰ لمن كُنَّا له وكان لنا. قلتُ: يا رسول الله المرأة منَّا تتزوج زوجين والثلاثة والأربعة ثمَّ تموتُ فتدخل الجنَّة، ويدخلون معها، مَنْ يكون زوجها؟ قال: يا أم سلمة إنَّها تُخيَّر فتختار أحسنهم خُلقًا، فتقول: أي ربِّ، إنَّ هذا كان أحسنهم معي خلقًا في دار الدنيا فزوَّجْنِيه، يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير

الدنيا والآخرة»[1].

تفرَّد به سليمان بن أبي كريمة: ضعَّفه أبو حاتم، وقال ابن عدي: «عامَّة أحاديثه مناكير، ولـمَ أرَ للمتقدمين فيه كلامًا ثمَّ ساق هذا الحديث من طريقه، وقال: لا يعرف إلا بهذا السند».

وقال أبو يعلىٰ الموصلي: حدثنا عمرو بن الضحاك بن مخلد حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد حدثنا أبو رافع إسماعيل بن رافع، عن محمد بن زياد عن محمد ابن كعب القُرَظِي عن رجل من الأنصارِ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو في طائفةٍ من أصحابه، فذكر حديث الصور وفيه: «**فأقولُ يا ربِّ وعدتني الشفاعة فشفَّعني في أهل الجنَّة يدخلون الجنَّة، فيقول الله تعالىٰ: قد شفَّعتك وأذِنْت لهم في دخول الجنَّة، فكان رسول الله ﷺ يقول: والَّذي بعثني بالحقِّ، ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهلِ الجنَّة بأزواجهم ومساكنهم، فيدخل رجلٍ منهم علىٰ ثنتين وسبعين زوجةً ممَّا ينشئ اللهُ، وثنتين من ولدِ آدم لهما فضل علىٰ من أنشأ اللهُ، بعبادتهما الله عز وجل في الدنيا، يدخلُ علىٰ الأولىٰ منهما في غرفة من ياقوتةٍ علىٰ سرير من ذهب مكلَّل باللؤلؤ عليه سبعون زوجًا من سُندس وإستبرق، وإنَّه ليضع يده بين كتفيها، ثمَّ ينظر إلىٰ يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها، وإنَّه لينظر إلىٰ مخِّ ساقها، كما ينظر أحدكم إلىٰ السلك في قَصَبَةِ الياقوت، كَبِدُهُ لها مرآة، وكبدها له مرآة، فبينا هو عندها لا يملها ولا تمله، ولا يأتيها من مرَّة إلا وجدها عذراء، ما يفتر ذَكَرُهُ، ولا يشتكي قُبُلُهَا، فبينا هو كذلك إذ نودي إنَّا قد عرفنا أنَّك لا تَمَلُّ ولا تُمَلُّ، إلا أنَّه لا منيَّ ولا منيَّة، إلا أنْ تكون له أزواج غيرها فيخرج فيأتيهنَّ**

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٢٥٧)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢/ ١٣٨)، وهو حديث منكر لا يثبت.

واحدةً واحدةً كلما جاء واحدة قالت: واللهِ ما في الجنَّة شيءٌ أحسن منك، وما في الجنَّة شيءٌ أحبّ إليَّ منكَ»[١].

هذا قطعةٌ من حديث الصور الَّذي تفرَّد به إسماعيل بن رافع، وقد روىٰ له الترمذي وابن ماجه وضعَّفه أحمد ويحيىٰ وجماعة. وقال الدارقطني وغيره: «متروك الحديث». وقال ابن عدي: «عامة أحاديثه فيها نظر». وقال الترمذي: «ضعفه بعض أهل العلم. وسمعت محمدًا، يعني البخاري - يقول: هو ثقة مقارب الحديث».

وقال لي شيخنا أبو الحجاج الحافظ: «هذا الحديث مجموع من عدة أحاديث ساقه إسماعيل أو غيره هذه السياقة، وشرحه الوليد بن مسلم في كتاب مفرد، وما تضمنه معروف في الأحاديث». والله أعلم.

وقال عبد الله بن وهب: حدثنا عمرو أن دراجًا حدثه، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: **«إن أدنىٰ أهل الجنة منزلة، الذي له ثمانون ألف خادم، واثنتان وسبعون زوجة، وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء»**[٢].

رواه الترمذي[٣]؛ ولكنَّ دراجًا أبا السمح بالطريق، قال أحمد: «أحاديثه مناكير»، وقال النسائي: «منكر الحديث»، وقال أبو حاتم: «ضعيف»، وقال النسائي أيضًا: «ليس بالقوي»، وساق له ابن عدي أحاديث وقال: «عامتها لا يتابع عليها»، وقال الدارقطني: «ضعيف»، وقال مرة: «متروك». وأما يحيىٰ بن معين: فقد وثقه، وأخرج عنه أبو حاتم بن حبان في «صحيحه»، وقال عثمان بن سعيد الدارمي، عن علي بن المديني: «هو ثقة».

(١) تقدم الكلام عليه ص(١٧٥-١٧٦، ٢٠٢).

(٢) أخرجه ابن أبي داود في «البعث» (٧٨)، وابن حبان (٧٤٠١).

(٣) برقم (٢٥٦٢).

وقال ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النَّبي ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن:٥٨] قال: «**ينظرُ إلىٰ وجهه في خدِّها أصفىٰ من المرآة، وانَّ أدنىٰ لؤلؤةٍ عليها لتضيءُ ما بين المشرق والمغربِ، وإنَّهُ ليكون عليها سبعون ثوبًا ينفذها بَصَرُهُ حتَّىٰ يُرىٰ مُخُّ ساقِها من وراء ذلك**»[١].

وقال الفِرْيابي: أنبأنا أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن حدثنا خالد بن يزيد ابن أبي مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبي أُمامة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**ما من عبدٍ يدخل الجنَّة إلا ويزوج ثنتين وسبعين زوجة: ثنتان من الحور العين، وسبعون من أهل ميراثه من أهل الدنيا، ليس منهنَّ امرأة إلا ولها قُبُلٌ شهيٌّ، وله ذكَرٌ لا ينْثني**»[٢].

قلتُ: خالد هذا هو ابن يزيد بن عبد الرحمن الدمشقي: وهَّاهُ ابن معين، وقال أحمد: «ليس بشيءٍ»، وقال النسائي: «غير ثقة» وقال الدَّارقطني: «ضعيف»، وذكر ابن عدي له هذا الحديث ممَّا أنكره عليه.

وقال أبو نعيم: حدثنا إبراهيم بن عبد الله حدثنا محمد بن حمويه حدثنا أحمد ابن حفص حدثني أبي حدثني إبراهيم بن طهمان عن الحجاج عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لِلمُؤمن في الجنَّة ثلاثٌ وسبعون زوجة**»، فقلنا: يا رسول الله أو له قُوَّة ذلك؟ قال: «**إنَّه ليُعْطَىٰ قوَّة مئة**»[٣].

---

(١) تقدم الكلام عليه ص(٢٨٢-٢٨٣).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٣٧٠).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٣٧٢). فيه نكارة، والصواب فيه: «ثلاثون زوجة» كما أخرجه إبراهيم بن طهمان في «مشيخته» (٥٨).

قلتُ: أحمد بن حفص هذا هو السَّعدي، له مناكير، والحجَّاجُ هو ابن أرطاة.

وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن علي الأبَّار، حدثنا أبو همَّام الوليد بن شُجاع. وأنبأنا محمد بن أحمد بن هشام السجزي ببغداد، حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان قالا: حدثنا حسين بن علي الجعفي عن زائدة عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله، هل نَصِلُ إلىٰ نسائنا في الجنَّة؟ فقال: «**إنَّ الرَّجل لَيصِلُ في اليومِ إلىٰ مئة عذراء**»[1].

قال الطبراني: «لم يروهِ عن هشام إلا زائدة تفرَّد به الجعفي».

قال محمد بن عبد الواحد المقدسي: «ورجال هذا الحديث عندي علىٰ شرط الصحيح»[2].

وقال أبو الشيخ: حدثنا أبو يحيىٰ بن سلم الرَّازي حدثنا هناد بن السَّري حدثنا أبو أُسامة عن هشامِ بن حسان عن زيد بن أبي الحواري - وهو زيد العمِّي - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قيل يا رسول الله أنفضي إلىٰ نسائنا في الجنَّة، كما نُفضي إليهنَّ في الدنيا؟ قال: والَّذي نفس محمد بيده إنَّ الرجل ليفضي في الغداة الواحدة إلىٰ مئة عذراء».

وزيد هذا قال فيه ابن معين: «صالح»، وقال مرَّة: «لا شيء»، وقال: «ضعيف، يكتب حديثه»، وكذلك قال أبو حاتم، وقال الدَّارقطني: «صالح»، وضعفه النسائي، وقال السعدي: «متماسك».

قلتُ: وحسبه رواية شعبة عنه.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧١٨)، والبزار (٣٥٢٥)، وقد ضعَّفه الخطيبُ والهيثميُّ والبوصيريُّ.

(٢) «صفة الجنَّة» ص (١٢٩).

فصل

ص(٥٠٤)

والأحاديث الصحيحة إنَّما فيها «**أنَّ لكلِّ منهم زوجتين**»[١]، وليس في «الصحيح» زيادة علىٰ ذلك، فإنْ كانت هذه الأحاديث محفوظة:

فإمَّا أنْ يُراد بها ما لكلِّ واحدٍ من السراري زيادة علىٰ الزوجتين، ويكونون في ذلك علىٰ حسب منازلهم في القِلَّة والكثرة كالخدمِ والولدان.

وإمَّا أنْ يُرادَ أنَّه يعطىٰ قوَّة من يُجامع هذا العدد، ويكون هذا هو المحفوظ، فرواهُ بعض هؤلاء بالمعنىٰ فقال: له كذا وكذا زوجة.

وقد روىٰ الترمذي في «جامعه» من حديث قتادة عن أنس رضي الله عنه عن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: «**يُعطىٰ المؤمنُ في الجنَّة قوَّة كذا وكذا من الجماع، قيل: يا رسول الله أو يطيقُ ذلك؟ قال: يعطىٰ قوَّة مئة**»[٢] هذا حديث صحيح، فلعلَّ من رواهُ «يفضي إلىٰ مئة عذراء»[٣] رواهُ بالمعنىٰ أو يكون تفاوتهم في عدد النساء بحسب تفاوتهم في الدرجات، والله أعلم.

ولا ريبَ أنَّ للمؤمن في الجنَّة أكثر من اثنتين، لِمَا في «الصحيحين»[٤]، من حديث أبي عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ للعبدِ المؤمنِ في الجنَّة لخيمةً من لؤلؤةٍ مجوَّفةٍ طولها ستون ميلًا للعبد المؤمن فيها أهلون فيطوف عليهم لا يرىٰ بعضهم بعضًا**».

---

(١) كما تقدَّم ص(١٧٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٣٦).

(٣) تقدم قريبًا.

(٤) تقدم في الباب (٥١).

ص(٥٠٧)

الباب الرَّابع والخمسون

فِي ذكر المادَّة التي خلق منها الحور العين وما ذكِر فيها من الآثار وذكر صفاتهنَّ ومعرفتهنَّ اليوم بأزواجهنَّ

فأمَّا المادَّة التي خلق منها الحور العين:

فقد رویٰ البيهقي من حديث الحارث بن خليفة، قال حدثنا شعبة، حدثنا إسماعيل ابن عُلَيَّة عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبي ﷺ قال: «**الحورُ العينِ خُلِقْنَ من الزعفران**»[1].

قال البيهقي: «وهذا منكرٌ بهذا الإسناد، لا يصح عن ابن علية». قلتُ: ولكنَّه حديث فيه شعبة.

وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن رشدين حدثنا علي بن الحسن بن هارون الأنصاري حدثني الليث بن ابنة الليث بن أبي سليم قال: حدثتني عائشة بنت يونس امرأة الليث بن أبي سُليم عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن أبي أُمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبي ﷺ قال: «**خُلِقَ الحورُ العين من الزعفران**»[2].

قال الطبراني: «لا يرویٰ إلا بهذا الإسناد، تفرَّد به علي بن الحسن بن هارون».

---

(١) أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» (٣٩١)، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٣٨٤)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٧/ ١٠١ - ١٠٢) بإسنادٍ ضعيفٍ.

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢٨٨)، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٣٨٥)، وهو منكر مرفوعًا، والصواب أنَّهُ من قول مجاهد.

قلتُ: وقد رواهُ إسحاق بن راهويه، عن عائشة بنت يونس قالت: سمعتُ زوجي ليث بن أبي سُليم يحدِّث عن مجاهد فذكره موقوفًا عليه، وهو أشبه بالصواب.

ورواهُ عُقبة بن مُكْرَم عن عبد الله بن زياد عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس قوله.

ولا يصح رفع الحديث، وحسبه أن يصل إلىٰ ابن عباس.

وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: «إنَّ لوليِّ الله في الجنَّة عروسًا لم يَلِدْها آدم ولا حواء، ولكن خُلقت من زعفران»[1].

وهذا مروي عن صحابيين وهما: ابن عباس وأنس، وعن تابعيين: وهما أبو سلمة ومجاهد، وبكلِّ حالٍ فهنَّ من المنشآت في الجنَّة لسْنَ مولودات بين الآباء والأمهات، واللهُ أعلم.

وقد رواهُ الطبراني من حديث عبيد الله بن زحر عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أُمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبي ﷺ[2]، وهذا الإسنادُ لا يُحْتَجُّ به.

ورواهُ أبو نعيم: حدثنا علي بن محمد الطوسي، حدثنا علي بن سعيد حدثنا محمد بن إسماعيل الحساني حدثنا منصور بن المهاجر حدثنا أبو النضر الأبار، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرفعه: «لو أنَّ حوراء بصقت في سبعة أبحر لعذب البحار من عذوبة فمها، وخلق الحور العين من الزعفران»[3].

وإذا كانت هذه الخِلْقة الآدمية التي هي من أحسن الصور وأجملها، مادَّتها من تراب وجاءت الصورة من أحسن الصور، فما الظنُّ بصورةٍ مخلوقةٍ من مادة الزعفران الَّذي هناك! فالله المستعان.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٣٠٣)، وسنده ضعيف جدًّا.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٨١٣)، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٣٨٣)، وضعَّفه الهيثمي.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٣٨٦). وسنده ضعيف.

وقد روىٰ أبو نعيم: من حديث عيسىٰ بن يوسف بن الطباع حدثنا حلبس بن محمد الكلابي، حدثنا سفيان الثوري، حدثنا المغيرة، حدثنا إبراهيم النخعي عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «سطع نورٌ في الجنَّة، فرفعوا رؤوسهم، فإذا هوَ من ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها»(١).

وروىٰ بقية بن الوليد حدثنا بَحِيْر بن سعد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرَّة قال: «إنَّ منَ المزيد أن تمرَّ السحابةُ بأهل الجنَّة فتقول: فما تريدون أن أمطركم؟ فلا يتمنون شيئًا إلا مطروا: قال: يقول كثير: لئن أشهدني الله ذلك لأقولنَّ: أمطرينا جواري مُزَيَّنات»(٢).

وقد رُويَ في مادة خلقهن صفة أخرىٰ:

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا خالد بن خداش، حدثنا عبد الله بن وهب، حدثنا سعيد بن أيوب، عن عُقَيل بن خالد، عن الزهري أنَّ ابن عباس قال: «إنَّ في الجنَّة نهرًا يقال له البيذخ، عليه قباب من ياقوت، تحته جوارٍ ناشئاتٍ يقول أهل الجنَّة: انطلقوا بنا إلىٰ البيذخ، فيجيئون فيتصفَّحون تلك الجواري فإذا أعجب رجلًا منهم جارية مسَّ مِعْصَمَهَا فتتبعه»(٣).

وقال الليث بن سعد: عن يزيد بن أبي حبيب عن الوليد بن عبدة قال: قال

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٣٨١)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٤٥٧)، والخطيب في «تاريخه» (٨/ ٢٤٧)، و (١١/ ١٦٣). والحديث لا يصح، والأقربُ أنَّه من قول سفيان الثوري كما سيأتي عند المؤلِّف في ص (٥١٥ - ٥١٦).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٣٠٩)، وأبو نعيم فيها (٣٨٢). وسنده صحيح إلىٰ كثير بن مُرَّة.

(٣) تقدم ص(٣٣٤).

رسول الله ﷺ لجبريل: «يا جبريل قفْ بي على الحور العين، فأوقفه عليهنَّ، فقال: من أنتنَّ؟ فقلن: نحن جواري قومٍ كرامٍ حَلُّوا فلم يظعنوا، وشبُّوا فلم يهرموا، ونَقُوا فلم يَدْرَنُوا»[1].

وقال ابن المبارك: أنبأنا يحيىٰ بن أيوب عن عبيد الله بن زَحْر عن خالد بن أبي عمران عن أبي عياش قال: كُنَّا جلوسًا مع كعب يومًا فقال: «لو أنَّ يدًا من الحور دُلِّيت من السماء لأضاءتْ لها الأرض؛ كما تضيء الشمس لأهل الدنيا، ثمَّ قال: إنَّما قلتُ: يدها، فكيف بالوجه في بياضه وحسنه وجماله!»[2].

وفي «مسند الإمام أحمد» من حديث كثير بن مرَّة عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: «**لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلكِ اللهُ، فإنَّما هو عندك دخيل يوشك أنْ يفارقك إلينا**»[3].

وفي مراسيل عكرمة عن النَّبي ﷺ قال: «**إنَّ الحور العين لأكثر عددًا منكُنَّ، يدعون لأزواجهنَّ يَقُلْنَ: اللَّهم أَعِنْهُ علىٰ دينك، وأَقْبِل بقلبه علىٰ طاعتك، وبلِّغه بعزتك يا أرحم الرَّاحمين**»[4]؛ ذكرهُ ابن أبي الدنيا من حديث أُسامة بن زيد عن عطاء عنه.

وذكر الأوزاعي عن حسَّان بن عطية عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إنَّ في الجنَّة

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٣٠١). وهو مرسل.

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٥٦)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٣٠٨). وسنده ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٤٢)، والترمذي (١١٧٤)، وابن ماجه (٢٠١٤) وغيرهم، وصححه الذهبي.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٣١١). وهو مرسل ضعيف جدًّا.

حوراء يُقال لها: اللُّعبة، كل حور الجنان يعجبن بها، يضربن بأيديهنَّ علىٰ كتفها ويقلنَ: طوبىٰ لك يا لعبةُ، لو يعلم الطالبون لك لَجَدُّوا، مكتوبٌ بين عينيها: من كان يبتغي أنْ يكون له مثلي فليعمل برضىٰ ربي»[1].

وقال عطاء السليمي لمالك بن دينار: يا أبا يحيىٰ شوَّقنا، قال: «يا عطاء إنَّ في الجنَّة حوراء يتباهىٰ أهل الجنَّة بحسنها، لولا أنَّ الله تعالىٰ كتب علىٰ أهل الجنَّة ألا يموتوا لماتوا من حُسْنها، فلم يزل عطاء جَهِدًا من قول مالك أربعين عامًا»[2].

وقال أحمد بن أبي الحواري: حدثني جعفر بن محمد قال: لقي حكيم حكيمًا، فقال: «أتشتاق إلىٰ الحور العين؟ فقال: لا، فقال: فاشتق إليهنَّ، فإنَّ نور وجوهِهِنَّ من نور اللهِ ﷻ، فغشيَ عليه، فحمل إلىٰ منزله فجعلنا نعوده شهرًا»[3].

وقال ربيعة بن كلثوم: «نظر إلينا الحسن ونحن حوله شباب فقال: يا معشر الشباب، أما تشتاقون إلىٰ الحور العين»[4]؟

وقال ابن أبي الحواري حدثني الحضرمي قال: «نمتُ أنا وأبو حمزة علىٰ سطحٍ، فجعلتُ أنظرُ إليهِ يتقلَّبُ علىٰ فراشه إلىٰ الصباح، فقلت: يا أبا حمزة ما رقدتَ الليلة؟ فقال: إنِّي لمَّا اضطجعتُ تمثَّلت لي حوراء حتَّىٰ كأنِّي أحسَسْت بجلدها قد مسَّ جلدي، فحدَّثتُ به أبا سليمان فقال: هذا رجلٌ كان مشتاقًا»[5].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٣١٢). وسنده منقطع؛ فإن حسان بن عطية لم يُدرك ابن مسعود.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٣١٣).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٣١٤).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٣١٥) وسنده صحيح.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٣١٧).

وقال ابن أبي الحواري: سمعتُ أبا سليمان يقول: «يُنشأ خلق الحور العين إنشاءً، فإذا تكاملَ خلقهنَّ ضربت عليهنَّ الملائكة الخيام»(١).

وذكر ابن أبي الدنيا عن صالح المرِّي عن يزيد الرقاشي قال: «بلغني أنَّ نورًا سَطَعَ في الجنَّة لم يبقَ موضع من الجنَّة إلا دخلَ من ذلك النور فيه، فقيل: ما هذا؟ قيل: حوراء ضحكت في وجه زوجها، قال صالح: فشهق رجلٌ من ناحية المجلس، فلم يزل يشهق حتَّىٰ مات»(٢).

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا بشر بن الوليد حدثنا سعيد بن زَرْبي عن عبد الملك الجُوْنِي عن سعيد بن جبير قال: سمعتُ ابن عباس يقول: «لو أنَّ حوراء أخرجتْ كفَّها بين السَّماءِ والأرضِ لافتتنَ الخلائقُ بحسنها، ولو أخرجت نَصِيْفَها لكانت الشمس عند حسنه مثل الفتيلة في الشمس لا ضوء لها، ولو أخرجت وجهها لأضاء حسنها ما بين السماء والأرضِ»(٣).

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني الحسن بن يحيىٰ وكثير العنبري، حدثنا خزيمة أبو محمد عن سفيان الثوري قال: «سطع نورٌ في الجنَّة لم يبقَ موضعٌ في الجنَّة إلا دخل فيه من ذلك النور، فنظروا فوجدوا ذلك من حوراء ضحكت في وجه زوجها»(٤).

ورواه الخطيبُ في «تاريخه» من حديث عبيد الله بن محمد الكرخي، قال:

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٣١٨).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٣٦٣).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا كما في «الترغيب والترهيب» (٤/ ٥٣٥). وفيه سعيد بن زربي وهو منكر الحديث.

(٤) لم أقف عليه، وقد تقدم ذكر المرفوع.

حدثني عيسىٰ بن يوسف بن الطباع، حدثنا حلبس بن محمد حدثنا سفيان الثوري عن مغيرة عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله عن النَّبي ﷺ قال: «**سَطَعَ نورٌ في الجنَّة فرفعوا رؤوسهم فإذا هو من ثَغْرِ حوراء ضحكت في وجه زوجها**»[١].

وقال الأوزاعي عن يحيىٰ بن أبي كثير: «إذا سَبَّحت المرأة من الحورِ العينِ لم يبقَ شجرةٌ في الجنَّة إلا وردَّت عليها »[٢].

وقال ابن المبارك: حدثنا الأوزاعي عن يحيىٰ بن أبي كثير: «أنَّ الحورَ العين يتلقين أزواجهنَّ عند أبواب الجنَّة فيقلن: طالما انتظرناكم فنحن الراضيات فلا نسخط، والمقيمات فلا نظعن، والخالداتُ فلا نموتُ، بأحسن أصوات سُمِعت وتقول: أنت حِبِّي وأنا حِبك، ليس دونك تقصير ولا وراءك معدل»[٣].

---

(١) «تاريخ بغداد» (١١/ ١٦٣)، وتقدم الكلام عليه قريبًا.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٤٣٥)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٢٦٨). وسنده صحيح.

الباب الخامس والخمسون

ص(٥١٧)

في ذكر نكاح أهل الجنة ووطئهم والتذاذهم بذلك أكمل لذةٍ، ونزاهة ذلك عن المذي والمني والضعف، وأنَّه لا يُوجبُ غُسلًا

قد تقدم حديث أبي هريرة: قيل يا رسول الله، أنفضي إلىٰ نسائنا في الجنة؟ فقال: «إن الرجل ليَصِلُ في اليوم إلىٰ مئة عذراء»(١)، وأنَّ إسناده صحيح.

وتقدم حديث أبي موسىٰ المتفق علىٰ صحته: «إن للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلًا، لهُ فيها أهلون يطوف عليهم»(٢).

وحديث أنس: «يعطىٰ المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع»(٣) وصححه الترمذي.

وروىٰ الطبراني، وعبد الله بن أحمد، وغيرهم من حديث لقيط بن عامر أنه قال: يا رسول الله علىٰ ما نطلع من الجنة؟ قال: «علىٰ أنهار من عسل مُصفًّىٰ، وأنهار من كأس ما بها صداع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وماء غير آسن، وفاكهة، لَعَمْرُ إلهك ممَّا تعلمون، وخير من مثله، وأزواج مطهَّرة». قلتُ: يا رسول الله أو لَنَا فيها أزواج مصلحاتٌ؟ قال: «الصالحات للصالحين، تلذذوا بهنَّ مثل لذَّاتكم في الدنيا ويَلْذَذْنَ بكم، غير أن لا توالد»(٤).

(١) تقدم ص (٣٢٦).

(٢) تقدم في الباب (١٧) ص (١٠٩، ١١٠).

(٣) تقدم ص (٣٢٦).

(٤) تقدم ص (٢٣٤).

وقال ابن وهبٍ: أخبرني عمرو بن الحارث عن درَّاجٍ عن ابن حُجيرة عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: يا رسول الله أنطأ في الجنَّة؟ قال: «**نعم والَّذي نفسي بيده دَحْمًا دَحْمًا**[1]**، فإذا قام عنها رجعت مطهَّرةً بكرًا**»[2].

وقال الطبراني: حدثنا إبراهيمُ بن جابر الفقيه، حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيقي الواسطي، حدثنا معلَّىٰ بن عبد الرحمن الواسطي حدثنا شريك عن عاصم الأحول عن أبي المتوكل عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أهل الجنَّة إذا جامعوا نساءهم عُدْنَ أبكارًا**»[3].

قال الطبراني: «لم يروه عن عاصمٍ إلا شريك تفرَّد به معلَّىٰ».

قال الطبراني: وحدثنا عبدانُ بن أحمد حدثنا محمد بن عبد الرحيم البرقي، حدثنا عمرو بن أبي سلمة حدثنا صدقة عن هاشم بن زيد عن سليم أبي يحيىٰ أنَّه سمع أبا أُمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحدث أنَّه سمع رسول الله ﷺ وسئل: هل يتناكح أهلُ الجنَّة؟ قال: بِذَكَرٍ لا يَمَلُّ، وشهوةٍ لا تنقطع، دَحْمًا دَحْمًا»[4].

قال الطبراني: وحدثنا أحمد بن يحيىٰ الحلواني حدثنا سويد بن سعيد حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبي أُمامة أنَّ رسول الله ﷺ

---

(١) دَحْمًا: هو النكاح والوطء بدفع وإزعاج، والتكرار للتأكيد.

(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٧٤٠٢)، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٣٩٣)، وابن حبيب في «وصف الفردوس» (١٩٦).

(٣) أخرجه الطبراني في «الصغير» (٢٤٩)، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٣٦٥ و ٣٩٢)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٥٥١). والحديث موضوع.

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٧٢١)، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٣٦٨). وسنده ضعيف.

سُئِلَ: أيجامعُ أهلُ الجنَّة؟ قال: دَحْمًا دَحْمًا، ولكن لا مَنِيَّ ولا مَنِيَّة»[1].

وهاشم وخالد، وإنْ تُكلِّمَ فيهما فليس الاعتماد عليهما، وقوله: «**لا مَنِيَّ ولا مَنِيَّة**» أي: لا إنزال ولا موت.

وقال أبو نعيم: حدثنا أبو علي محمد بن أحمد حدثنا بشر بن موسىٰ، حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ حدثنا عبد الرحمن بن زياد حدثنا عمارة بن راشد عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنَّه سُئِلَ: هل يَمَسُّ أهل الجنَّة أزواجهم؟ قال: نعم، بذَكَرٍ لا يَمَلُّ، وفرْجٍ لا يحْفَىٰ، وشهوةٍ لا تنقطع»[2].

وقال الحسنُ بن سفيان في «مسنده»: حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا عثمان بن أبي العاتكة عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أُمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سُئِلَ رسول الله ﷺ: هل ينكح أهل الجنَّة؟ قال: «**إي والَّذي بعثني بالحقِّ دَحْمًا دحْمًا - وأشار بيده - ولكن لا مَنِيَّ ولا مَنِيَّة**»[3].

وقال سعيد بن منصور: حدثنا سفيانُ عن أبي عمرو عن عكرمة في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ [يس:٥٥] قال: «في افتضاض الأبكار»[4].

وقال عبد الله بن أحمد: حدثنا أبو الربيع الزهراني ومحمد بن حميد: قالا: حدثنا يعقوبُ بن عبد الله حدثنا حفصُ بن حُميد عن شِمْر بن عطية عن شقيق بن

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٤٧٩)، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٣٦٧)، والبيهقي في «البعث» (٤٠٧). والحديث ضعيف جدًّا.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٣٦٦)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٢٧٠)، والبزار كما في «كشف الأستار» (٣٥٢٤)، وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٣٦٩) وسنده ضعيف جدًّا.

(٤) أخرجه البيهقي في «البعث» (٤٠١) والخطيب في «الموضح» (٢/ ٣٤٢).

سلمة عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ قال: «شُغْلُهم افتضاض العَذَارَىٰ»[1].

وقال الحاكم: أنبأنا الأصمُّ أنبأنا العباس بن الوليد، أخبرني شعيب، عن الأوزاعي في قول اللهِ تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ قال: «شغلهم افتضاض الأبكار»[2].

وقال مقاتل: «شُغِلُوا بافتضاض العذارىٰ عن أهل النَّارِ فلا يذكرونهم ولا يهْتمُّون لهم»[3].

وقال أبو الأحوص: «شُغِلوا بافتضاض الأبكارِ علىٰ السُّرر في الحِجَالِ»[4].

وقال سليمان التيمي عن أبي مِجْلَزٍ: قلتُ لابن عباس: قولُ اللهِ تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ ما شغلهم؟ قال: «افتضاض الأبكارِ»[5].

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا فُضيل بن عبد الوهاب حدثنا يزيد بن زُريع عن سليمان التيمي عن أبي عمرو عن عكرمة عن ابن عباس ﴿فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ قال: «في افتضاض العذارىٰ».

حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا يحيىٰ بن يمان، عن أشعث عن جعفر عن

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٣٧٥)، وابن أبي الدنيا (٢٧٦)، وسنده حسن.

(٢) أخرجه البيهقي في «البعث» (٤٠٠) وسنده صحيح.

(٣) انظر «تفسير مقاتل» (٣/ ٨٩).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٣٧٦). وإسناده منكر، والصحيح أن سليمان التيمي يرويه عن أبي عمرو عن عكرمة عن ابن عباس كما أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٢٧٧) والطبري في «التفسير» (٢٣/ ١٨).

سعيد بن جُبير قال: «**إنَّ شهوته لتجري في جسدها سبعين عامًا تجدُ اللَّذة**»[١].

ولا يلحقهم بذلك جَنَابة، فيحتاجون إلىٰ التَّطهير، ولا ضعف ولا انحِلال قوَّةٍ، بل وطؤهم وطءُ التذاذٍ ونعيم، لا آفة فيه بوجهٍ من الوجوه». وأكملُ النَّاسِ فيه أصونهم لنفسه في هذه الدَّارِ عن الحرامِ، فكما أنَّ من شربَ الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة، ومن لبسَ الحرير في الدنيا لم يَلْبسْهُ في الآخرة، ومَنْ أكل في صحاف الذهب والفضة في الدنيا لم يأكل فيها في الآخرة، كما قال النَّبي ﷺ: «**إنَّها لهم في الدنيا، ولكم في الآخرة**»[٢].

فمن استوفىٰ طيباته ولذاته وأذهبها في هذه الدار حُرِمَها هناك، كما نعىٰ سبحانه وتعالىٰ علىٰ من أذْهَبَ طيباته في الدنيا واستمتع بها، ولهذا كان الصحابة - ومن تبعهم - يخافون من ذلك أشد الخوف.

وذكر الإمام أحمد، عن جابر بن عبد الله: «أنه رآه عمر ومعه لحم قد اشتراه لأهله بدرهم، فقال: ما هذا؟ قال: لحم اشتريته لأهلي بدرهم، فقال: أوكلما اشتهىٰ أحدكم شيئًا اشتراه! أما سمعت الله تعالىٰ يقول: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف:٢٠]»[٣].

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا جرير بن حازم، قال: حدثنا الحسن قال: قدم وفد أهل البصرة مع أبي موسىٰ علىٰ عمر، فكنا ندخل عليه كل يوم وله خبز يُلَتُّ[٤]، ربما وافقناها مأدومة بالسمن، وربما وافقناها مأدومة بالزيت، وربما

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٢٧٨) مختصرًا.

(٢) تقدم ص(٢٧٣).

(٣) أخرجه أحمد في «الزهد» (٦٥١). وإسناده ضعيف.

(٤) اللَّتُّ: الخلطُ.

وافقناها مأدومة باللبن، وربما وافقنا القدائد اليابسة، قد دقت ثم أغلي بها، وربما وافقنا اللحم الغريض وهو قليل، فقال ذات يوم: إني والله قد أرىٰ تعذيركم[1] وكراهيتكم لطعامي، إني والله لو شئت لكنت من ألينكم طعامًا، وأرقّكم عيشًا، ولكني سمعت الله تعالىٰ عيَّر قومًا بأمر فعلوه، فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف:٢٠][2].

فمن ترك اللذة المحرمة لله استوفاها يوم القيامة أكمل ما تكون، ومن استوفاها ها هنا حُرِمَها هناك، أو نقص كمالها، فلا يجعل الله لذة من أوضع في معاصيه ومحارمه، كلذة من ترك شهوته لله أبدًا، والله أعلم.

---

(١) التعذير: التقصير في الأكلِ.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٤٩)، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٢٧٩)، والبلاذري في «الأنساب في ترجمة الشيخين» ص (١٨٤). وسندهُ صحيح.

ص(٥٢٧)

الباب السادس والخمسون
في اختلاف الناس هل في الجنة حَمْلٌ وَوِلادة أم لا؟

قال الترمذي في «جامعه»: حدثنا بندار، حدثنا معاذ بن هشام، قال: حدثني أبي، عن عامر الأحول، عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: **«المؤمن إذا اشتهىٰ الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنُّه في ساعةٍ، كما يشتهي»**[1].

قال: «هذا حديثٌ حسنٌ غريب».

وقد اختلفَ أهل العلم في هذا: فقال بعضهم: في الجنَّة جماع، ولا يكون ولد، هكذا روي عن طاووس ومجاهد وإبراهيم النخعي.

وقال محمد -يعني البخاري-: قال إسحاق بن إبراهيم في حديث النَّبي ﷺ: **«إذا اشتهىٰ المؤمن الولدَ في الجنَّة كان في ساعة كما يَشتهي»** ولكن لا يشتهي. قال محمد: وقد روي عن أبي رَزِين العُقَيلي عن النَّبي ﷺ قال: **«إنَّ أهل الجنَّة لا يكون لهم فيها ولد»**. وأبو الصديق الناجي: اسمه بكر بن عمرو، ويقال: بكر بن قيس انتهىٰ كلام الترمذي.

قلتُ: إسناد حديث أبي سعيد علىٰ شرط الصحيح، فرجاله محتج بهم فيه؛ ولكنَّه غريب جدًّا، وتأويل إسحاق فيه نظر، فإنَّه قال: «إذا اشتهىٰ المؤمنُ الولد. فـ «إذا» للمُتَحَقَّقِ الوقوع، ولو أُرِيد ما ذكره من المعنىٰ لقال: لو اشتهىٰ المؤمن الولد

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٦٣)، وابن ماجه (٤٣٣٨)، وأحمد (٣/ ٩ و ٨٠). وحسنه الترمذي.

لكان حمله في ساعة، فإنَّ ما لا يكون أحقَّ بأداة «لو» كما أنَّ المحقَّقَ الوقوع أحقُّ بأداةِ «إذا».

وقد قال أبو نعيم: حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا أحمد بن إسحاق حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا سفيان الثوري، عن أبان، عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قيل يا رسول الله، أيولَدُ لأهلِ الجنَّة، فإنَّ الولدَ من تمام السرور؟ فقال: «نعم والَّذي نفسي بيده، وما هو إلا كقدر ما يتمنَّىٰ أحدكم فيكون حمله ورضاعه وشبابُه»[١].

حدثنا أبو الحسن علي بن إبراهيم بن أحمد الرَّازي بمكة حدثنا عبد الرحمن ابن محمد بن إدريس حدثنا سليمان بن داود القزَّاز، حدثنا يحيىٰ بن حفص الأسدي، قال: سمعتُ أبا عمرو بن العلاء، يُحَدِّثُ عن جعفر بن زيد العبدي عن أبي الصديق النَّاجي عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الرجلَ من أهل الجنَّة ليولد له كما يشتهي، فيكون حمله وفصاله وشبابه في ساعةٍ واحدةٍ**»[٢].

وحديث معاذُ بن هشام، قال فيه بُنْدَار: عامر الأحول، وقال عمرو بن علي: عاصم الأحول.

وقال الحاكمُ: أنبأنا الأصم، حدثنا محمد بن عيسىٰ حدثنا سلَّام بن سليمان، حدثنا سلَّام الطويل عن زيد العمِّي عن أبي الصديق النَّاجي عن أبي سعيد الخدري يرفعه: «**إنَّ الرجل من أهل الجنَّة ليشتهي الولدَ في الجنَّة، فيكون حمله وفصاله**

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٢٧٥)، وهناد في «الزهد» (٩٣)، وعبد بن حميد في «مسنده» «المنتخب رقم ٩٣٧». وسنده ضعيف جدًّا.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٢٧٥)، و«أخبار أصبهان» (٢/ ٢٩٦)، والبيهقي في «البعث» (٤٤٢) بإسناد ضعيف.

وشبابه في ساعةٍ واحدةٍ»[1].

قال البيهقي: «هذا إسناد ضعيف بمرَّة».

وأمَّا حديث أبي رَزِين الَّذي أشارَ إليه البخاري فهو حديثه الطويل، ونحن نسوقه بطوله نجمِّل به الكتاب فعليه من الجلالة والمهابة ونورِ النبوة ما ينادي علىٰ صِحَّته.

قال عبد الله ابن الإمام أحمد في «مسند أبيه»: كتب إليَّ إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن الزبير الزبيري: كتبت إليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعتهُ علىٰ ما كتبتُ به إليك، فحدِّث بذلك عنِّي، قال: حدثني عبد الرحمن بن المغيرة الخزامي قال: حدثني عبد الرحمن بن عيَّاش السَّمَعِي الأنصاري - من بني عمرو بن عوف - عن دَلْهم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب بن عامر بن المُنْتَفِق العُقَيلي عن أبيه عن عمِّه لقيط بن عامر قال دَلْهم: وحدَّثنيه أيضًا أبي الأسودُ عن عاصم بن لَقِيْط: أنَّ لقيطًا خرج وافدًا إلىٰ رسول الله ﷺ ومعه صاحبٌ له يُقال له نَهِيْك بن عاصم بن مالك بن المنتفق. قال لقيط: فخرجتُ أنا وصاحبي حتىٰ قدمنا علىٰ رسول الله ﷺ حين انصرف من صلاة الغداة، فقام في النَّاسِ خطيبًا فقال: «**أيها النَّاسُ ألا إنِّي قد خبأتُ لكم صوتي منذ أربعة أيَّامٍ ألا لأُسْمِعنَّكُم، ألا فَهَلْ من امرئٍ بعثه قومه**»؟ فقالوا: اعلم لنا ما يقول رسول الله ﷺ؟ ألا ثُمَّ لعله أنْ يلهيه حديثُ نفسه، أو حديث صاحبه أو يلهيه الضَّلال، ألَا وإنِّي مسؤول هل بلَّغْتُ، ألا اسمعوا تعيشوا، ألا اجلسوا، ألا اجلسوا، قال: فجلس النَّاسُ، وقمتُ أنا وصاحبي، حتَّىٰ إذا فرَّغ لنا فؤاده وبصره، قلتُ: يا رسول الله ما عندك من علم الغيب؟ فضحك لعَمْرُ اللهِ وهزَّ رأسهُ، وعلم أنِّي أبتغي سَقْطَةً، فقال: ضَنَّ ربُّكَ ﷻ بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمها إلا اللهُ، وأشار بيده، قلتُ: وما هي؟ قال: علم المَنِيَّة، قد عَلِمَ متىٰ

(١) أخرجه البيهقي في «البعث» (٤٤٠)، وهو ضعيف جدًّا.

منية أحدكم ولا تعلمونه، وعِلْم المنيِّ حين يكون في الرَّحم قد علمه ولا تعلمون، وعلم ما في غدٍ ما أنت طاعمٌ غدًا، ولا تعلمه، وعلم يوم الغيث يشرف عليكم أزلين مشفقين، فيظل يضحك، قد علم أنَّ غِيَرَكُم إلىٰ قرب، قال لقيط: قلتُ: لن نعدم من ربٍّ يضحك خيرًا، وعلمَ يوم السَّاعة، قلتُ: يا رسول الله، علمنا مما تُعَلِّمُ النَّاسَ، وما تَعْلَمُ، فإنَّا من قَبيلٍ لا يصدقون تصديقنا أحد: من مَذْحِج التي تَرْبُوا علينا، وخثعم التي توالينا، وعشيرتنا التي نحن منها. قال: تلبثون ما لبثتم، ثمَّ يُتَوَفَّىٰ نبيكم، ثمَّ تلبثون ما لبثتم، ثمَّ تُبْعَثُ الصائحة، لعَمْرُ إلهكَ ما تدَعُ علىٰ ظهرها شيئًا إلا ماتَ، والملائكة الَّذين مع ربِّك ﷻ، فأصبحَ ربُّكَ ﷻ يطوفُ في الأرضِ وخلَتْ عليه البلاد، فأرسل ربُّك ﷻ السماء بهَضْبٍ من عند العرشِ، فلعمرُ إلهك ما تدعُ علىٰ ظهرها من مصرع قتيل، ولا مدفن ميت إلا شقَّت القبر عنه، حتَّىٰ تخلقه من عند رأسهِ، فيستوي جالسًا، فيقول ربك: مَهْيَمْ[١]، لما كان فيه. يقول: يا رب أمِتْني اليوم، ولعهده بالحياةِ يحسبه حديثًا بأهله، فقلتُ: يا رسول الله، كيف يجمعنا بعدما تُمزقنا الرِّياح والبِلَىٰ والسِّباع؟ قال: أُنْبِئُك بمثل ذلك في آلاءِ الله: الأرض، أشرفت عليهَا وهي مدرة بالية، فقَلت: لا تحيا أبدًا، ثمَّ أرسل ربك ﷻ عليها السماء فلم تلبث عليك إلا أيَّامًا حتىٰ أشْرفْتَ عليها، وهي شَرَبَّة واحدة، ولَعَمْرُ إلهك لهو أقدرُ علىٰ أنْ يجمعهم من الماءِ علىٰ أنْ يجمع نبات الأرضِ، فيخرجون من الأصواء[٢]، ومن مصارعهم، فتنظرون إليه وينظر إليكم، قال: قلتُ: يا رسول الله، فكيف ونحن ملء الأرض، وهو شخص واحد ينظر إلينا وننظرُ إليه، قال: أُنْبِئُك بمثل ذلك في آلاءِ الله ﷻ: الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونهما ويريانكم ساعةً واحدةً، لا تضارون

(١) كلمة استفهام، أي: ما حالك؟ وما شأنك؟ أو: ما وراءك؟

(٢) الأصواء: القبور.

في رؤيتهما، ولعمرُ إلهك، لهو أقدرُ علىٰ أنْ يراكم وترونه منهما، قلتُ: يا رسول الله، فما يفعل ربنا ﷻ، إذا لقيناه؟ قال: تعرضون عليه باديةً له صَفَحاتكم لا يخفىٰ عليه منكم خافية، فيأخذ ربك ﷻ بيده غُرْفَةً من الماءِ فينضح قِبَلكم بها، فلعمرُ إلهك ما تخطئ وجه أحدكم منها قطرة، فأمَّا المسلم فتدع وجهه مثل الرَّيطة[1] البيضاء، وأمَّا الكافرُ فتخطمه بمثل الحُمم الأسود، ألا ثُمَّ ينصرف نبيكم ﷺ، ويفترقُ علىٰ أثرِهِ الصَّالحون، فيسلكون جسْرًا من النَّارِ، فيطأ أحدكم الجمرة فيقول: حَسِّ[2]، فيقول ربك: أَوَانُهُ، فتطَّلِعُون علىٰ حوضِ الرسول ﷺ علىٰ ظمإ -والله- ناهلة قط رأيتها، فلعمرُ إلهك ما يبسط واحد منكم يدهُ إلا وقعَ عليها قدح مطهرة من الطَّوْف[3] والبول والأذىٰ، وتُحْبس الشمس والقمرِ، فلا ترون منهما واحدًا، قال: قلتُ: يا رسول الله فَبِمَا نُبْصِرُ؟ قال: بمثل بصرك ساعتك هذه، وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرقته الأرض، ثمَّ واجهته الجبال. قال: قلتُ: يا رسول الله فَبِمَا نُجْزَىٰ من حسناتنا وسيئاتنا؟ قال: الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها إلا أنْ يعفو، قال: قلتُ: يا رسول الله ما الجنَّة، ما النَّار؟ قال: لعمرُ إلهك إنَّ للنَّارِ سبعة أبوابٍ ما منهنَّ بابان إلا يسير الرَّاكبُ بينهما سبعين عامًا، قال: قلتُ: يا رسول الله فعلىٰ ما نطَّلِعُ من الجنَّة؟ قال: علىٰ أنهار من عَسَلٍ مصفًّىٰ، وأَنْهارٍ من كأس ما بها من صداع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وماءٍ غير آسنٍ، وبفاكهةٍ لَعَمْرُ إلهك ما تعلمون وخير من مثله معه، وأزواج مطهرة، قلتُ: يا رسول الله، ولنا فيها أزواج أو منهنَّ مُصْلحات؟ قال: الصالحات للصالحين، تلذوا بهنَّ مثل لذَّاتكم في الدنيا،

(١) الرَّيطة: كل ملاءة ليست بِلِفْقَين، وقيل: كل ثوب رقيق ليِّن.

(٢) كلمة تُقال عند الألم المفاجئ.

(٣) الطوف: الغائط.

ويلذذن بكم غير أنْ لا توالد، قال لقيط: فقلتُ: أقصىٰ ما نحن بالغون ومنتهون إليه، فلم يجبه النَّبي ﷺ. فقلتُ: يا رسول الله علىٰ ما أبايعك؟ قال فبسط النَّبي ﷺ يده، وقال: علىٰ إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وَزِيَال الشرك، وأنْ لا تشرك بالله إلهًا غيره. قال: قلتُ: وإنَّ لنا ما بين المشرق والمغرب؟ فقبض النَّبي ﷺ يده وظن أنِّي مشترطٌ شيئًا لا يعطينيه. قال: قلتُ: نَحُلُّ منها حيث شئنا، ولا يجني علىٰ امرؤٍ إلا نفسه، فبسط يده، وقال: ذلك لك تَحُلُّ حيث شئت، ولا يجني عليك إلا نفسك، قال: فانصرفنا عنه، ثمَّ قال: إنَّ هذين لعمر إلهك من أتقىٰ النَّاسِ في الأولىٰ والآخرة، فقال له كعب بن الخُداريَّة أخو بني بكر بن كلاب: مَنْ هم يا رسول الله؟ قال: بنو المنتفق أهلُ ذلك، قال: فانصرفنا وأقبلْتُ عليه فقلتُ: يا رسول الله، هل لأحدٍ ممن مضىٰ من خيرٍ في جاهليتهم؟ قال: قال رجل من عُرْضِ قُريش: والله إنَّ أباك المنتفق لفي النَّارِ، قال فَلَكأنَّه وقع حَرٌّ بين جِلْدي ووجهي ولحمي مما قال لأبي علىٰ رؤوس الناس: فهممت أن أقول: وأبوك يا رسول الله، ثم إذا الأخرىٰ أجمل، فقلت: يا رسول الله وأهلك؟ فقال: «وأهلي لعمر الله ما أتيت عليه من قبرِ عامريّ أو قرشيّ من مشرك فقل: أرسلني إليك محمد ﷺ، فأبشرك بما يسوءك، تُجَرُّ علىٰ وجهك وبطنك في النار»، قال: قلت: يا رسول الله ما فعل بهم ذلك، وقد كانوا علىٰ عمل لا يُحسنون إلا إيَّاهُ، وكانوا يحسبونهم مصلحين؟ قال: ذلك لأنَّ الله ﷻ بعث في آخر كلِّ سبع أُمم -يعني نبيًّا- فمن عصىٰ نبيَّه كان من الضَّالين، ومن أطاعَ نبيه كان من المهتدين»[١].

هذا حديثٌ كبيرٌ مشهورٌ لا يعرف إلا من حديث أبي القاسم عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن المدني، ثمَّ من رواية إبراهيم بن حمزة الزبيري المدني عنه،

---

(١) تقدم الكلام عليه ص(٩٢).

وهما من كبار علماء المدينة المحتج بهما في الصحيح، احتج بهما إمام المحدثين محمد بن إسماعيل البخاري، وروىٰ عنهما في مواضع من كتابه. رواهُ أئمة الحديث في كتبهم، منهم: أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد، وأبو بكر أحمد ابن عمرو ابن أبي عاصم، وأبو القاسم الطبراني، وأبو الشيخ الحافظ، وأبو عبد الله بن منده، والحافظ أبو بكر أحمد بن موسىٰ بن مردويه، والحافظ أبو نعيم الأصبهاني وغيرهم علىٰ سبيل القبول والتسليم.

قال الحافظُ أبو عبد الله بن منده: روىٰ هذا الحديث محمد بن إسحاق الصَّغاني، وعبد الله بن أحمد بن حنبل وغيرهما، وقرؤوه بالعراق بمجمع العلماء وأهل الدِّين، فلم ينكره أحدٌ منهم، ولم يُتكلم في إسناده، وكذلك أبو زرعة وأبو حاتم علىٰ سبيل القبول.

وقال أبو الخير بن حمدان: «هذا حديث كبير ثابتٌ حسن مشهور».

وسألتُ شيخنا أبا الحجاج المِزِّي عنه فقال: «عليه جلالة النبوة».

قال نُفَاةُ الإيلاد: فهذا حديث صريحٌ في انتفاء الولد، وقوله: «إذا اشتهىٰ» معلق بالشرط، ولا يلزم من التعليق وقوع المُعَلَّق ولا المعلق به، و«إذا» وإنْ كانت ظاهرةً في المحقَّق، فقد استعمل لمجرد التعليق الأعم من المحقَّق وغيره.

قالوا: وفي هذا الموضع يتعيَّن ذلك لوجوهٍ:

أحدها: حديث أبي رَزِين هذا.

الثاني: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة:٢٥]، وهُنَّ اللَّاتي طُهِّرنَ من الحيض والنفاس والأذىٰ.

قال سفيان: أنبأنا ابن أبي نجيح عن مجاهد: «مطهرة من الحيض والغائط

والبول والنخام والبصاق والمني والولد»[١].

وقال أبو معاوية: حدثنا ابن جريج عن عطاء: «أزواج مطهرة» قال: «من الولد والحيض، والغائط والبولِ»[٢].

الثالث: قوله: «**غيرَ أَنَّهُ لا مَنِي ولا مَنِيَّة**» وقد تقدم[٣]، والولد إنَّما يخلق من ماء الرجل، فإذا لم يكن هناك مني ولا مذي ولا نفخ في الفرج لم يكن هناك إيلاد.

الرَّابع: أنَّه قد ثبتَ في «الصحيح»[٤] عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «يبقىٰ في الجنَّة فضلٌ فينشئُ الله لها خلقًا فيسكنهم إيَّاها»، ولو كان في الجنَّة إيلاد لكان الفضل لأولادهم، وكانوا أحقَّ به من غيرهم.

الخامس: أنَّ اللهَ سبحانه وتعالىٰ جعل الحمل والولادة مع الحيض والمني، فلو كُنَّ النساء يحْبَلْنَ في الجنَّة لم يقطع عنهنَّ الحيض والإنزال.

السادس: أنَّ اللهَ سبحانه قدر التناسل في الدنيا؛ لأنَّه قدر الموت، وأخرجهم إلىٰ هذه الدَّارِ قرنًا بعد قرنٍ، وجعل لهم أمَدًا ينتهون إليه، فلولا التناسل لبطل النوع الإنساني، ولهذا الملائكة لا تتناسل، فإنَّهم لا يموتون كما تموت الإنس والجنَّ، فإذا كان يوم القيامة أخرج اللهُ سبحانه النَّاسَ كلهم من الأرضِ، وأنشأهم للبقاءِ لا للموتِ فلا يحتاجون إلىٰ تناسل يحفظ النوع الإنساني، إذ هو منشأ للبقاء والدوام، فلا أهل الجنَّة يتناسلون، ولا أهل النَّار.

السابع: أنَّه سبحانه وتعالىٰ قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٦)، والطبري في «تفسيره» (١/ ١٧٦)، وسنده حسن.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١/ ١٧٦) وسنده صحيح.

(٣) ص (٣٣٧).

(٤) أخرجه مسلم (٢٨٤٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور:٢١]. فأخبر سبحانه أنَّه يكرمهم بإلحاق ذُرِّياتهم الَّذين كانوا لهم في الدنيا، ولو كان ينشئ لهم في الجنَّة ذُرِّية أخرىٰ، لذكرهم كما ذكر ذريتهم الَّذين كانوا في الدنيا؛ لأنَّ قُرَّة عيونهم كانت تكون بهم، كما كانت بذرياتهم من أهل الدنيا.

الثامن: أنَّه إمَّا أنْ يقال باستمرار التناسل فيها لا إلىٰ غاية، أو إلىٰ غاية ثمَّ ينقطع، وكلاهما ممَّا لا سبيل إلىٰ القول به، لاستلزام الأوَّل: اجتماع أشخاص لا تتناهىٰ. واستلزام الثاني: انقطاع نوع من لذَّة أهل الجنَّة وسرورهم، وهو محالٌ، ولا يمكن أنْ يُقال: بتناسل يموت معه نسل ويخلفه نسل، إذ لا موت هناك.

التاسع: أنَّ الجنَّة لا ينمو فيها الإنسان كما ينمو في الدنيا، فلا ولدان أهلها ينمون ويكبرون ولا الرجال ينمون كما تقدم، بل هؤلاء ولدان صغار لا يتغيرون، وهؤلاء أبناء ثلاث وثلاثين لا يتغيرون، ولو كان في الجنَّة ولادة لكان المولود ينمو ضرورة حتىٰ يصير رجلًا، ومعلوم أنَّ من ماتَ من الأطفال يردون أبناء ثلاث وثلاثين من غير نموٍّ. يوضحه:

الوجه العاشر: أنَّ اللهَ سبحانه وتعالىٰ ينشئ أهل الجنَّة نشأَة الملائكة، أو أكمل من نشأتهم، بحيث لا يبولون ولا يتغوطون ولا ينامون، ويلهمون التسبيح ولا يهرمون علىٰ تطاول الأحقاب، ولا تنمو أبدانهم، بل القدر الَّذي جعلوا عليه لازمٌ لهم أبدًا، والله تعالىٰ أعلمُ.

فهذا ما في هذه المسألة.

فأمَّا قولُ بعضهم: إنَّ القُدْرة صالحة، والكلَّ ممكن. وقول آخرين: إنَّ الجنَّة دار المكلفين التي يستحقونها بالعملِ. وأمثال هذه المباحث فرخيصة، وهي في كتب النَّاسِ، وباللهِ التوفيقِ.

وقال الحاكمُ: «قال الأستاذُ أبو سهل: أهل الزيغ ينكرون هذا الحديث -يعني:

حديث الولادة في الجنَّة - وقد رُوِيَ فيه غير إسناد، وسُئِلَ النَّبي ﷺ عن ذلك فقال: يكون ذلك علىٰ نحوٍ ممَّا روينا، والله سبحانه وتعالىٰ يقول: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف:٧١]، وليس بالمستحيل أنْ يشتهي المؤمنُ - الممكن من شهواته، المصفَّىٰ المقرَّب المسلَّط علىٰ لذَّاته - قُرَّة عين، وثمرة فؤاد من الَّذين أنعم اللهُ عليهم بأزواجٍ مطهرة.

فإنْ قيل: ففي الحديث أنَّهنَّ لا يحضن ولا يَنْفَسْنَ فأنَّىٰ يكون الولد؟

قلتُ: الحيضُ سببُ الولادة المُمْتدّ أَمَدُهُ بالحملِ علىٰ الكره والوضع عليه، كما أنَّ جميع ملاذَّ الدنيا من المشارب والمطاعم والملابس علىٰ ما عُرِفَ من التعب والنصبِ، وما يَعْقبهُ كلُّ منها، ممَّا يُحْذرُ منه ويُخاف من عواقبه، وهذه خمرةُ الدنيا المحرمة المستولية علىٰ كلِّ بَلِيَّةٍ قد أعدَّها اللهُ تعالىٰ لأهل الجنَّة منزوعة البلية، مُوَفَّرة الَّلذة، فلمَ لا يجوزُ أنْ يكون علىٰ مثله الولدُ؟ انتهىٰ كلامه»[1].

قلتُ: النَّافون للولادة في الجنَّة لم ينفوها لزيغ في قلوبهم، ولكن لحديث أبي رزين «غيرَ أنْ لا توالد» وقد حكينا قول عطاء وغيره «أنَّهنَّ مطهرات من الحيض والولد»[2].

وقد حكىٰ الترمذي عن أهل العلم من السلف والخلف في ذلك قولين، وحكينا قول إسحاق بإنكاره، وقال أبو أُمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حديثه: «غيرَ أنْ لا مَنِيَّ ولا منيَّة»، والجنَّة ليست دار تناسل، بل دار بقاء وخلد، لا يموت من فيها فيقوم نسله مقامه.

وحديث أبي سعيد الخدري هذا أجودُ أسانيده إسنادُ الترمذي، وقد حكم بغرابته، وأنَّه لا يُعْرف إلا من حديث أبي الصِّديق النَّاجي، وقد اضطرب لفظه:

(١) ذكره البيهقي في «البعث والنشور» (٤٤٢).

(٢) تقدم قريبًا.

فتارةً يروىٰ عنه: «إذا اشتهىٰ الولد»، وتارة: «إنَّه ليشتهي الولد»، وتارةً: «إنَّ الرجل من أهل الجنَّة ليولد له» فالله أعلمُ، فإنْ كان رسول الله ﷺ قد قاله، فهو الحقُّ الَّذي لا شكَّ فيه، وهذه الألفاظ لا تنافي بينها، ولا تُناقِضُ حديث أبي رزين «غيرَ أنْ لا توالد»؛ إذ ذلك نفيٌ للتوالد المعهود في الدنيا، ولا ينفي ولادةً، حمل الولد فيها ووضعه وسنه وشبابه في ساعةٍ واحدة.

فهذا ما انتهىٰ إليه عِلْمنا القاصر في هذه المسألة، ولقد أتينا فيها بما لعلَّك لا تجده في غير هذا الكتاب، واللهُ أعلمُ بالصواب.

ص(٥٤٣)

الباب السابع والخمسون

في ذكر سماع الجنة وغناء الحور العين وما فيه من الطَّرَبِ واللَّذة

قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ۝١٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم:١٤-١٥].

قال محمد بن جرير: حدثني محمد بن موسىٰ الحَرَشي، حدثنا عامر بن يساف قال: سألتُ يحيىٰ بن أبي كثير عن قوله ﷻ: ﴿فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم:١٥] قال: «الحَبْرةُ: اللَّذة والسماع»[1].

حدثنا عبد الله بن محمد الفريابي، حدثنا ضمرة بن ربيعة، عن الأوزاعي، عن يحيىٰ بن أبي كثير في قوله: ﴿يُحْبَرُونَ﴾ قال: «السماع في الجنة»[2].

ولا يخالف هذا قول ابن عباس: «يُكْرَمُون»[3]. وقول مجاهد، وقتادة: «ينعمون»[4] فلذة الأذن بالسماع من الحبرة والنعيم.

وقال الترمذي: حدثنا هنَّاد وأحمد بن منيع قالا: حدثنا أبو معاوية عن عبدالرحمن بن إسحاق، عن النعمان بن سعد، عن عليٍّ قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٨)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٢٦٣). وسنده لا بأس به.

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٢٨)، وابن أبي شيبة (٣٤٠١٠)، وهناد في «الزهد» (٤)، وسنده صحيح.

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ٢٨) وسنده حسن.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٨) عن مجاهد بسند حسن. وعن قتادة بسندٍ صحيح.

«إن في الجنة لمجتمعًا للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها، يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبىٰ لمن كان لنا وكنا له»(١).

«وفي الباب عن أبي هريرة، وأبي سعيد، وأنس، وحديث علي: حديث غريب».

قلت: وفي الباب عن ابن أبي أوفىٰ، وأبي أمامة، وعبد الله بن عمر أيضًا.

فأما حديث أبي هريرة: فقال جعفر الفريابي: حدثنا سعيد بن حفص، حدثنا محمد بن سلمة، عن أبي عبد الرحيم، عن زيد بن أبي أُنَيْسَة، عن المنهال بن عمرو، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إن في الجنة نهرًا طول الجنة، حافتاه العذارىٰ قيام متقابلات، ويغنين بأصوات حتىٰ يسمعها الخلائق، ما يرون في الجنة لذة مثلها، قلنا: يا أبا هريرة وما ذاك الغناء؟ قال: إن شاء الله التسبيح والتحميد والتقديس وثناء علىٰ الرب عز وجل»(٢)، هكذا رواه موقوفًا.

وروىٰ أبو نعيم في «صفة الجنة» من حديث مسلمة بن علي، عن زيد بن واقد، عن رجل، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن في الجنة شجرة جذوعها من ذهب، وفروعها من زبرجد ولؤلؤ، فتهبُّ لها ريح فيَصْطَفِقْن، فما سمع السامعون بصوت شيء قط ألذ منه»**(٣).

وأما حديث أنس: فقال أبو نعيم: أنبأنا عبد الله بن جعفر، حدثنا إسماعيل بن عبد الله، حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم، حدثنا ابن أبي فديك، عن ابن أبي ذئب، عن عون ابن الخطاب بن عبد الله بن رافع، عن ابنٍ لأنس؛ عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٦٤) و (٢٥٥٠). وسنده ضعيف.

(٢) أخرجه البيهقي في «البعث» (٤٢٥). وسنده ضعيف.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٤٣٣). وسنده ضعيف جدًّا.

ﷺ: «**إن الحور يغنين في الجنة: نحن الحور الحسان، خلقنا لأزواج كرام**»[١].

ورواه ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو خيثمة، حدثنا إسماعيل بن عمر، حدثنا ابن أبي ذئب، عن أبي عبد الله بن رافع، عن بعض ولد أنس فذكره.

وأما حديث ابن أبي أوفىٰ: فقال أبو نعيم: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر من أصله، حدثنا موسىٰ بن هارون، حدثنا حامد بن يحيىٰ البلخي، حدثنا يونس بن محمد المؤدب، حدثنا الوليد بن أبي ثور، حدثني سعد الطائي، عن عبد الرحمن ابن سابط، عن ابن أبي أوفىٰ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يزوج إلىٰ كل واحد من أهل الجنة أربعة آلاف بكر، وثمانية آلاف أيِّم، ومئة حوراء، فيجتمعن في كل سبعة أيام، فيقلن بأصوات حسان، لم تسمع الخلائق بمثلهنَّ: نحن الخالداتُ فلا نبيد، ونحن النَّاعمات فلا نبأس، ونحن الرَّاضياتُ فلا نسخط، ونحن المقيمات فلا نظعن، طوبىٰ لمن كان لنا وكُنَّا له**»[٢].

وأمَّا حديث أبي أُمامة: فقال جعفر الفريابي: حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبي أُمامة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**ما مِنْ عَبْدٍ يدخلُ الجنَّة، إلا ويجلسُ عندَ رأسِهِ وعند رجليهِ ثنتان من الحُورِ العينِ، تُغنِّيانه بأحسن صوتٍ سَمعهُ الإنس والجنُّ، وليس بمزامير الشَّيطانِ**»[٣].

وأمَّا حديث ابن عمر: فقال الطبراني: حدثنا أبو رفاعة عمارة بن وَثِيمَة بن

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنَّة» (٤٣٢). وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٧٨، ٤٣١)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «العظمة» (٦٠٣). وفيه نكارة.

(٣) أخرجه البيهقي في «البعث» (٤٢١)، والطبراني في «الكبير» (٧٤٧٨)، والحديث ضعيف جدًّا.

موسىٰ بن الفُرَات المصري، حدثنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير عن زيد بن أسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ أزواج أهل الجنَّة ليُغنِّين أزواجهنَّ بأحسنِ أصواتٍ سمعها أحدٌ قطُّ، وإنَّ ممَّا يغنين به: نحنُ الخيراتُ الحِسَانُ، أزواجُ قومٍ كرامٍ، ينظرن بقُرَّةِ أعيان، إنَّ مما يغنين به: نحن الخالدات فلا نُمتْنَه، نحنُ الآمناتُ فلا نخفنه، نحن المقيمات فلا نظعنَّه»**[١].

قال الطبراني: «لم يروه عن زيد بن أسلم إلا محمد، تفرَّد به ابن أبي مريم».

وقال ابن وهب: حدثني سعيد بن أبي أيوب قال: قال رجلٌ من قريش لابن شهاب: هل في الجنَّة سماعٌ؛ فإنَّه حُبِّبَ إليَّ السماعُ؟ فقال: «إي والَّذي نفس ابن شهاب بيده، إنَّ في الجنَّة لشجرًا حمله اللؤلؤ والزبرجد، تحته جوارٍ ناهداتٍ يتغنين بالقرآن يقُلْنَ: نحنُ النَّاعمات فلا نبأس، ونحن الخالداتُ فلا نموت، فإذا سمع ذلك الشجر صَفَقَ بعضه بعضًا، فأَجَبْنَ الجواري، فلا يُدرىٰ أصواتُ الجواري أحسنُ، أم أصواتُ الشجر»[٢].

قال ابن وهب: وحدثنا الليث بن سعد عن خالد بن يزيد: «أنَّ الحورَ العين يغنين أزواجهنَّ فيقلن: نحنُ الخيراتُ الحِسَان، أزواجُ شباب كرام، ونحن الخالدات فلا نموت، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الرَّاضيات فلا نسخط، ونحن المقيمات فلا نظعن، في صدر إحداهنَّ مكتوبٌ: أنت حِبِّي، وأنا حِبُّك، انتهت نفسي عندك، لم تَرَ عيناي مثلك»[٣].

---

(١) أخرجه الطبراني في «الصغير» (٧٣٤)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٢٢، ٤٣٠)؛ بإسناد منقطع.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٦١). بإسناد منقطع.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٦٢) وسنده لا بأس به.

وقال ابن المبارك: حدثنا الأوزاعي، حدثنا يحيىٰ بن أبي كثير: «إنَّ الحورَ العينِ يتلقين أزواجهنَّ عندَ أبواب الجنَّة فيقلن: طالما انتظرناكم، فنحنُ الرَّاضيات فلا نسخط، والمقيمات فلا نظعن، والخالداتُ فلا نموت، بأحسن أصوات سُمِعَتْ تقول: أنتَ حِبِّي وأنا حبُّك ليس دونك مقصد، ولا وراءك مَعْدل»[1].

فصل

ص(٥٥١)

ولهم سماع أعلى من هذا:

قال ابن أبي الدنيا: حدثني دَهْثَم بن الفضل القرشي، حدثنا روَّاد ابن الجرَّاح، عن الأوزاعي قال: «بلغني أنَّه ليس من خلق الله أحسن صوتًا من إسرافيل، فيأمرهُ اللهُ تبارك وتعالىٰ فيأخذ في السماع، فما يبقىٰ ملكٌ في السماوات إلا قطع عليه صلاته، فيمكث بذلك ما شاء اللهُ أنْ يمكث، فيقول الله ﷻ: وعزَّتي وجلالي لو يعلمُ العبادُ قدرَ عظمتي ما عبدوا غيري»[2].

وحدثني داود بن عمرو الضبي، حدثنا عبد الله بن المبارك عن مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر قال: «إذا كان يوم القيامة نادىٰ منادٍ: أينَ الَّذين كانوا ينزَّهون أسماعهم وأنفسهم عن مجالس اللَّهو ومزامير الشيطان، أسكنوهم رياضَ المسكِ، ثمَّ يقول للملائكة: أسمعوهم تمجيدي وتحميدي»[3].

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن الحسين حدثني عبد الله بن أبي بكر، حدثنا جعفر بن سليمان، عن مالك بن دينار في قوله ﷻ: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٤٣٥)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٦٨)، وسنده صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٦٤).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٦٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٥١).

مَـَٔابٍ﴾ [ص:٢٥] قال: «إذا كان يوم القيامة أمرَ بمنبر رفيعٍ فوضِع في الجنَّة، ثم نودي: يا داود مجِّدْني بذلك الصوت الحَسَنِ الرخيم الَّذي كنتَ تمجدني به في دار الدنيا، قال: فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنان، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ »[١].

وذكر حماد بن سلمة عن ثابت البُناني، وحجاج الأسود عن شهر ابن حوشب قال: «إنَّ اللهَ جلَّ ثناؤه يقول للملائكة: إنَّ عبادي كانوا يحبون الصَّوت الحسن في الدنيا، فيدعونه من أجلي فاسْمِعُوا عبادي، فيأخذوا بأصواتٍ من تهليلٍ وتسبيحٍ وتكبيرٍ لم يسمعوا بمثله قَطُّ»[٢].

قال عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب «الزهد» لأبيه: «حدثني علي بن مُسْلم الطُّوسي حدثنا سيار حدثنا جعفر حدثنا مالك بن دينار في قوله ﷻ: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ قال: «يقيم اللهُ سبحانه داود عند ساق العرش، فيقول: يا داود مجِّدني اليومَ بذلك الصوت الحسنِ الرَّخيم، فيقول: إلهي كيف أمجدك وقد سَلبْتنيه في دار الدنيا؟ قال: فيقول الله ﷻ: فإنِّي أرده عليك، قال: فيرده عليه، فيزداد صوته، قال: فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنَّة»[٣].

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا مسلم بن إبراهيم الحراني، حدثنا مسكين بن بكير عن الأوزاعي، عن عبدة بن أبي لُبَابة قال: «إنَّ في الجنَّة شجرة ثمرها زبرجد وياقوت ولؤلؤ، فيبعث الله ريحًا فتصفق، فيُسمع لها أصواتٌ لم يسمع ألذُّ منها»[٤].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٣٤٣)، والبيهقي في «البعث» (٤٢٤).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٣٤٤).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٨٣٤٨)، والبيهقي في «البعث» (٤٢٤).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٦٥)، وابن حبيب في «وصف الفردوس» (١٨٧).

حدثنا أبو بكر بن يزيد وإبراهيم بن سعيد قالا: حدثنا أبو عامر العَقَدِي، حدثنا زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال: «في الجنَّة شجرة علىٰ ساق قدر ما يسير الرَّاكبُ في «ظلِّها مئة عام، فيتحدثون في ظلها فيشتهي بعضهم، فيذكر لهو الدنيا، فيرسل الله ريحًا من الجنَّة، فتحرك تلك الشجرة بكل لهوٍ كان في الدنيا»[1].

حدثني إبراهيم بن سعيد حدثنا علي بن عاصم حدثنا سعيد بنِ أبي سعيد الحارثي قال: «حُدِّثْتُ أنَّ في الجنَّة آجامًا من قَصَبٍ من ذَهَبٍ حملها اللؤلؤ، فإذا اشتهىٰ أهل الجنَّة أنْ يسمعوا صوتًا حسنًا؛ بعث الله علىٰ تلك الآجام ريحًا فتأتيهم بكل صوت يشتهونه»[2].

ص(٥٥٤)

فصل

ولهم سماع أعلىٰ من هذا يضمحل دونه كلُّ سماع، وذلك حين يسمعون كلام الرب جلَّ جلاله، وخِطَابه وسلامه عليهم، ومحاضرته لهم، ويقرأ عليهم كلامه، فإذا سمعوه منه، فكأنَّهم لم يسمعوه قبل ذلك، وسيمرُّ بك - أيها السُّنِّيُّ - من الأحاديث الصِّحاح والحسان في ذلك ما هو من أحب سماع لك في الدنيا وألذه لأذنك، وأقرِّهِ لعينك، إذ ليس في الجنَّة لذَّةٌ أعظمُ من النظر إلىٰ وجه الرَّبِّ تعالىٰ، وسماعِ كلامه منه، ولا يُعْطَىٰ أهل الجنَّة شيئًا أحبَّ إليهم من ذلك.

وقد ذكر أبو الشيخ عن صالح بن حيَّان عن عبد الله بن بُرَيْدة قال: «إنَّ أهلَ الجنَّة يدخلون كلَّ يومٍ مرَّتين علىٰ الجبَّارِ جلَّ جلاله فيقرأ عليهم القرآن، وقد جلسَ كلُّ امرئٍ منهم مجلسه الَّذي هو مجلسه علىٰ منابر الدرِّ والياقوت، والزبرجد والذهب

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٦٦)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٤٠٤) وغيرهم.
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٦٧).

والزمُرُّد، فلم تَقَرَّ أعينهم بشيءٍ، ولم يسمعوا شيئًا قطُّ أعظم ولا أحسنَ منه، ثمَّ ينصرفون إلىٰ رحالهم ناعمين قرِيرة أعينهم، إلىٰ مثلها من الغَدِ»[1].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٢٧٠)، وغيره، وسنده ضعيف جدًّا.

ص(٥٥٦)

الباب الثامن والخمسون

في ذكر مطايا أهل الجنة وخيولهم ومراكبهم

قال الترمذي: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن حدثنا عاصم بن علي حدثنا المسعودي عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بُريدة عن أبيه: أنَّ رجلًا سأل النَّبي ﷺ فقال: يا رسول الله: هل في الجنَّة من خيل؟ قال: إن اللهُ أدخلك الجنَّة فلا تشاءُ أن تُحمل فيها علىٰ فرس من ياقوتة حمراء يطير بك في الجنَّة حيث شئت إلا فعلت، قال: وسأله رجل، فقال: يا رسول الله! هل في الجنَّة من إبل؟ قال: فلم يقل ما قال لصاحبه، قال: إن يدخلك اللهُ الجنَّة يكن لك فيها ما اشتهت نفسُك ولذَّت عينُك»[١].

حدثنا سويد بن نصر، أنبأنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن علقمة بن مرثد عن عبد الرحمن بن سابط عن النَّبي ﷺ نحوه بمعناه وهذا أصحُّ من حديث المسعودي.

حدثنا محمد بن إسماعيل بن سَمُرة الأحْمسِي حدثنا أبو معاوية عن واصل بن السائب عن أبي سَوْرة عن أبي أيوب قال: أتىٰ النَّبي ﷺ أعرابيٌّ فقال: يا رسول الله إنِّي أحبُّ الخيل أفي الجنة خَيْلٌ؟ قال رسول الله ﷺ: «**إن أدخلت الجنَّة أُتيتَ بفرسٍ من ياقوتةٍ له جناحان فحملت عليه، ثمَّ طار بك حيث شئت**»[٢].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٤٣)، وأحمد (٥/ ٣٥٢)، وابن أبي شيبة (٣٣٩٨٠) وغيرهم.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٤٤)، والطبراني في «الكبير» (٤٠٧٥)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٤٢٣)، وهو ضعيف جدًا.

قال الترمذي: «هذا حديث ليس إسناده بالقوي، ولا نعرفه من حديث أبي أيوب إلا من هذا الوجه، وأبو سورة: هو ابن أخي أبي أيوب، يضعَّف في الحديث، ضعَّفه ابنُ معين جدًّا، قال: وسمعتُ محمد بن إسماعيل يقول: أبو سورة هذا منكر الحديث، يروي مناكير عن أبي أيوب لا يتابع عليه».

قلتُ: أمَّا حديث علقمة بن مرثد فقد اضطرب فيه علقمة، فمرَّة يقول: عن سليمان بن بريدة عن أبيه.

ومرَّة يقول: عن عبد الرحمن بن سابط عن عبد الرحمن بن ساعدة قال: كنتُ أحبُّ الخيل، فقلتُ: هل في الجنَّة خيلٌ يا رسول الله؟

ومرَّة يقول: قال رجلٌ من الأنصارِ يُقال له عمير بن ساعدة: يا رسول الله.

ومرَّة يقول: عن عبد الرحمن بن سابط عن النَّبي ﷺ.

والترمذي جعل هذا أصحَّ من حديث المسعودي؛ لأنَّ سفيان أحفظ منه، وأثبت.

وقد رواهُ أبو نعيم من حديث علقمة هذا، فقال: عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ أعرابيًّا قال: يا رسول الله! أفي الجنَّة إبلٌ؟ قال: يا أعرابي إنْ يُدخلك الله الجنَّة رأيتَ فيها ما تشتهي نفسك وتلذُّ عينُك».

ورواه أيضًا من حديث علقمة عن يحيىٰ بن إسحاق عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ في ذكر الجنَّة فقال: «والفردوس أعلاها سُمُوًّا، وأوسعها مَحَلَّةً، ومنها تفجر أنهار الجنَّة، وعليها يوضعُ العرش يومَ القيامة، فقام إليه رجلٌ، فقال: يا رسول الله إنِّي رجلٌ حُبِّبَ إليَّ الخيل، فهل في الجنَّة خيل؟ قال: إي والَّذي نفسي بيده، إنَّ في الجنَّة لخيلًا وإبلًا هَفَّافةً ترفّ بين خلال ورق الجنَّة، يتزاورون عليها حيث شاؤوا، فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله! إنِّي حُبِّبَ إليَّ الإبل... وذكر الحديث.

وأمَّا حديث أبي سَوْرَة فلا يعرف إلا من حديث واصل بن السائب عنه، ولم يروه عنه غيره، وغير يحيىٰ بن جابر الطائي.

وقد أخرج له أبو داود حديث: «ستُفتح عليكم الأمصارُ، وتجندون أجنادًا»[1].

وأخرج له ابن ماجه عن أبي أيوب: «رأيتُ النَّبي ﷺ توضأ فخلَّل لحيته»[2].

وحديثًا آخر في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا﴾ [النور:٢٧] »[3].

وأخرج له الترمذي حديث: «خيل الجنَّة»[4] فقط.

ورواهُ أبو نعيم: من حديث جابر بن نوح عن واصل به وقال: «**إنَّ أهل الجنَّة ليتزاورون علىٰ نجائب بيضٍ، كأنَّها الياقوت، وليس في الجنَّة من البهائم إلا الخيلُ والإبل**»[5].

وقال أبو الشيخ: حدثنا القاسمُ بن زكريا حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مروان ابن معاوية عن الحكم بن أبي خالد عن الحسن البصري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، عن النَّبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنَّة الجنَّة جاءتهم خيولٌ من ياقوت أحمر، لها أجنحةٌ، لا تروث ولا تبول فقعدوا عليها، ثمَّ طارت بهم في الجنَّة، فيتجلىٰ لهم الجبار، فإذا رأوه خرُّوا سجدًا فيقول لهم الجبار تبارك وتعالىٰ: ارفعوا رؤوسكم فإنَّ هذا ليس بيوم عمل، إنَّما هو يوم نعيم وكرامة، قال: فيرفعون رؤوسهم، فيُمطر**

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٢٥)، وأحمد (٥/ ٤١٣)، وهو حديث منكر.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٣٣). وسنده ضعيف جدًّا.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٥٦٦٥)، والطبراني في «الكبير» (٤٠٦٥)، وهو حديث منكر.

(٤) كما تقدم قريبًا.

(٥) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٤٢٨)، والطبراني في «الكبير» (٤٠٦٩). وهو ضعيف جدًّا.

الله تعالىٰ عليهم طيبًا، فيمرُّون بكثبان المسك، فيبعث الله علىٰ تلك الكثبان ريحًا، فتهيِّجها عليهم حتىٰ إنَّهم ليرجعون إلىٰ أهليهم وإنَّهم لشعث غُبْر»[١].

وقال عبد الله بن المبارك: حدثنا همام عن قتادة عن عبد الله بن عمرو قال: «في الجنَّة عِتَاق الخيل، وكرائم النجائب يركبها أهلها»[٢].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٤٢٩)، والآجري في «الشريعة» (٦١٦) بإسناد لا يصح، وسيأتي موقوفًا.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٥٢). بإسناد منقطع.

ص(٥٦٢)

الباب التاسع والخمسون
في زيارة أهل الجنَّة بعضهم بعضًا، وتذاكرهم ما كان بينهم في الدنيا

قال تعالىٰ: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٥٠ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ۝٥١ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ۝٥٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ۝٥٣ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۝٥٤ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝٥٥ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝٥٦ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [الصافات: ٥٠-٥٧].

أخبر سبحانه وتعالىٰ أنَّ أهل الجنَّة أقبل بعضهم علىٰ بعض يتحدثون، ويسأل بعضهم بعضًا عن أحوال كانت في الدنيا، فأفضت بهم المحادثة والمذاكرة إلىٰ أنْ قال قائلٌ منهم: كان لي قرينٌ في الدنيا ينكر البعث والدَّار الآخرة، ويقول ما حكاهُ اللهُ عنه، يقول: ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ بأنَّا نُبعث ونُجازىٰ بأعمالنا، ونُحاسبُ بها بعد أنْ مَزَّقَنا البِلَىٰ، وكُنَّا تُرابًا وعظامًا، ثمَّ يقول المؤمنُ لإخوانه في الجنَّة: هل أنتم مطلعون في النَّارِ لننظر منزلة قريني هذا وما صار إليه.

هذا أظهرُ الأقوالِ، وفيها قولان آخران:

أحدهما: أنَّ الملائكة تقول لهؤلاء المتذاكرين الَّذين يحدث بعضهم بعضًا: ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ [الصافات: ٥٤]، رواهُ عطاء عن ابن عباس[1].

والثاني: أنَّه من قول الله ﷻ لأهل الجنَّة يقول لهم: ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾.

(١) ذكره القرطبي في «الجامع» (١٥/ ٨٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٧/ ٥٠).

والصحيح القول الأوَّل، وأنَّ هذا قول المؤمن لأصحابه ومحادثيه، والسياق كله والإخبار عنه وعن حال قرينه.

قال كعب: «بين الجنَّة والنَّارِ كُوًى، فإذا أراد المؤمنُ أنْ ينظر إلىٰ عدوٍّ كان له في الدنيا اطَّلعَ من بعض تلك الكُوىٰ»[١].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَٱطَّلَعَ﴾ أي: أشرف. قال مقاتل: «لما قال لأهل الجنَّة: ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾؟ قالوا له: إنَّك أعرف به منَّا، فاطَّلِعْ أنت، فَأَشْرَفَ فرأىٰ قرينه في وسط الجحيم، ولولا أنَّ الله عرَّفه إيَّاهُ لما عرَفه، لقد تغيَّر وجهُهُ ولونُهُ وغيَّرهُ العذاب أشدَّ تغيير، فعندها قال: ﴿تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [الصافات:٥٦-٥٧] أي: إنْ كدتَ لتهلكني، ولو لا أنْ أنعمَ اللهُ عليَّ بنعمه لكنتُ من المحضرين معَك في العذاب»[٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور:٢٥-٢٨].

وقال الطبراني: حدثنا الحسين بن إسحاق حدثنا سهل بن عثمان حدثنا المسيب بن شَرِيك عن بشر بن نُمير عن القاسم عن أبي أُمامة قال: سُئِلَ رسول الله ﷺ: أيتزاورُ أهل الجنَّة؟ قال: يزور الأعلىٰ الأسفل، ولا يزور الأسفل الأعلىٰ، إلا الَّذين يتحابون في الله يأتون منها حيث شاؤوا علىٰ النُّوق محتقبين الحشايا»[٣].

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٥٢) بنحوه، وذكره ابن المبارك كما عند القرطبي (١٥/ ٨٣) بإسناد منقطع.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٩٩) بمعناه.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٩٣٦)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٤٢١)، بإسناد ضعيف جدًّا.

وقال الدورقي: حدثنا أبو سلمة التبوذكي، حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال: بلغنا أنَّ أهل الجنَّة يزورُ الأعلىٰ الأسفل، ولا يزور الأسفل الأعلىٰ»[1].

وقد تقدم حديث علقمة بن مرثد عن يحيىٰ بن إسحاق عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2].

وقال الطبراني: حدثنا محمد بن عبدوس حدثنا الحسن بن حماد حدثنا جابر ابن نوح عن واصل بن السائب عن أبي سورة عن أبي أيوب يرفعه: «**إنَّ أهل الجنَّة يتزاورون علىٰ النجائب**» وقد تقدم[3].

فأهلُ الجنَّة يتزاورون فيها، ويستزيرُ بعضهم بعضًا، وبذلك تَتِمُّ لذَّتُهم وسرورهم، ولهذا قال حارثة للنَّبي ﷺ وقد سألهُ: «**كيف أصبحتَ يا حارثة؟**» قال: أصبحتُ مؤمنًا حقًّا، قال: «إنَّ لكلِّ حقٍّ حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟» قال: عزَفتْ نفسي عن الدنيا، فأسهرتُ ليلي، وأظمأتُ نهاري، وكأنِّي أنظرُ إلىٰ عرش ربي بارزًا، وإلىٰ أهل الجنَّة يتزاورون فيها، وإلىٰ أهل النَّارِ يُعَذَّبون فيها، فقال: «عبدٌ نوَّر اللهُ قلبَه»[4].

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا عبد الله حدثني سلمة بن شبيب حدثنا سعيد بن

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٤٢٢)، وابن حبيب في «وصف الفردوس» (١٧٩)، وسنده صحيح.

(٢) ص (٣٦١).

(٣) ص (٣٦٢).

(٤) أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (٣٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٩٠)، والحديث لا يصح مرفوعًا، وإنَّما هو من قول بعض أتباع التَّابعين ومن دونهم.

دينار عن الربيع بن صبيح عن الحسن عن أنس ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنَّةِ الجنَّةَ، قال: فيشتاقُ الإخوان بعضهم إلىٰ بعض، فيسير سريرُ هذا إلىٰ سرير هذا، وسرير هذا إلىٰ سرير هذا، حتَّىٰ يجتمعا جميعًا، فيقول أحدهما لصاحبه: تعلمُ متىٰ غفر اللهُ لنا؟ فيقول صاحبه: يوم كُنَّا في موضع كذا وكذا، فدعونا الله فغفر لنا**»(١).

قال: وحدثنا حمزة بن العباس، أنبأنا عبد الله بن عثمان أنبأنا ابن المبارك، أنبأنا إسماعيل بن عياش قال: حدثني ثعلبة بن مسلم، عن أيوب بن بشير العجلي، عن شُفَيِّ بن ماتِعٍ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ من نعيم أهل الجنَّة أنَّهم يتزاورون علىٰ المطايا والنجب، وأنَّهم يؤتون في الجنَّة بخيلٍ مُسرجةٍ مُلْجمةٍ، لا تروث ولا تبول، فيركبونها حتَّىٰ ينتهوا حيث شاء اللهُ ﷻ، فيأتيهم مثل السحابة، فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، فيقولون: أمطري علينا، فما يزال المطرُ عليهم حتَّىٰ ينتهي ذلك فوق أمانيهم، ثمَّ يبعث الله ريحًا غير مؤذية، فتنسف كثبانًا من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم، فيأخذ ذلك المسك في نواصي خيولهم، وفي مفارقهم وفي رؤوسهم، ولكلِّ رجلٍ منهم جُمَّة علىٰ ما اشتهت نفسه، فيتعلَّق ذلك المسك في تلك الجمام وفي الخيل، وفيما سوىٰ ذلك من الثياب، ثمَّ يقبلون حتىٰ ينتهوا إلىٰ ما شاء اللهُ تعالىٰ، فإذا المرأة تنادي بعض أولئك: يا عبد الله أمالك فينا حاجة؟ فيقول: ما أنتِ ومن أنتِ؟ فتقول: أنا زوجك وحِبُّكَ، فيقول: ما كنتُ علمتُ بمكانِك، فتقول المرأة: أوما تعلم انَّ الله قال: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾** [السجدة:١٧] **فيقول: بلىٰ وربِّي، فلعلَّه يُشْغَلُ عنها بعد**

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٤٥)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ١٠٣)، قال أبو حاتم: حديث منكر.

ذلك الموقف أربعين خريفًا، لا يلتفتُ ولا يعودُ؛ ما يشغلهُ عنها إلا ما هو فيه من النعيم والكرامة»[١]

حدثني حمزة أنبأنا عبد الله بن عثمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا رشدين بن سعد قال: حدثني ابنُ أنعم أنَّ أبا هريرة رضي الله عنه قال: «إنَّ أهل الجنَّة ليتزاورون علىٰ العِيْس الجُوْنِ، عليها رحال المَيْس، تثير مناسمها غبار المسك، خِطام أو زمام أحدها خيرٌ من الدنيا وما فيها»[٢].

وذكر ابن أبي الدنيا: من حديث أبي اليمان، حدثنا إسماعيل بن عيَّاش عن عمر بن محمد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ أنَّه سأل جبريل عن هذه الآية: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ [الزمر:٦٨] قال: «هم الشهداء يبعثهم الله متقلدين أسيافهم حول عرشه، فأتاهم ملائكة من المحشر بنجائب من ياقوت، أزِمَّتها الدُّرُّ الأبيض، برحال الذهب، أعِنَّتها السندس والإستبرق، ونمارقها أَلْيَنُ من الحرير، مدُّ خُطَاها مدُّ أبصار الرجال، يسيرون في الجنَّة علىٰ خيول، يقولون عند طول النزهة: انطلقوا بنا ننظر كيف يقضي الله بين خلقه، يضحك اللهُ إليهم، وإذا ضحك الله إلىٰ عبدٍ في موطن فلا حساب عليه»[٣].

قال ابن أبي الدنيا: وحدثنا الفضل بن جعفر ثنا جعفر بن حسن[٤]، حدثنا أبي، عن الحسن بن علي عن علي رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ في الجنَّة**

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٤٦)، وابن المبارك في «الزهد» (٢٣٩)، وهو مرسل.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٤٧). بإسناد ضعيف.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٤٨). والحاكم (٣٠٠٠)، بإسناد ضعيف.

(٤) كذا في جميع النسخ، وفي مصدر التخريج، ولعلَّ صوابه «جسر»، وهو: ابن فرْقَد أبو جعفر القصَّاب.

لشجرةً يخرجُ من أعلاها حللٌ، ومن أسفلها خيلٌ من ذهب مسرجةٍ ملجمةٍ من درٍّ وياقوت، لا تروث ولا تبول، لها أجنحة خطوها مدُّ بصرها، فيركبها أهل الجنَّة فتطيرُ بهم حيث شاؤوا، فيقول الَّذين أسفلَ منهم درجة: يا رب بِمَ بلغ عبادُك هذه الكرامة كلها؟ قال: فيقال لهم: كانوا يصلون بالليل وكنتم تنامون، وكانوا يصومون وكنتم تأكلون، وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون، وكانوا يقاتلون وكنتم تجبنون»[1].

فصل

ص(٥٧٠)

ولهم زيارةٌ أخرىٰ أعلىٰ من هذه وأجلُّ، وذلك حين يزورون ربهم تبارك وتعالىٰ، فيريهم وجهَه، ويُسْمعهم كلامَه، ويحلُّ عليهم رضوانه.

وسيمرُّ بك ذكر هذه الزيارة عن قريبٍ، إنْ شاء اللهُ تعالىٰ[2].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٤٩). وهو حديثٌ منكر.

(٢) في الباب (٦١).

ص(٥٧١)

الباب الستون

في ذكر سوق الجنة وما أعدَّ اللَّهُ تعالى فيه لأهلها

قال مسلم في «صحيحه»[(١)]: حدثنا سعيد بن عبد الجبار الصَّيرفي، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**إنَّ في الجنَّة لسُوقًا يأتونها كلَّ جمعة، فتهبُّ ريحُ الشمال، فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حُسنًا وجمالًا، فيرجعون إلىٰ أهليهم، وقد ازدادوا حُسنًا وجمالًا، فيقول لهم أهلوهم: واللهُ لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالًا، فيقولون: وأنتم واللهِ لقد ازددتم بعدنا حُسنًا وجمالًا**».

ورواهُ الإمام أحمد في «مسنده» عن عفَّان، عن حماد بن سلمة به. وقال: «فيها كثبان المسكِ فإذا خرجوا إليها هبَّت الرِّيح»[(٢)].

وقال ابن أبي عاصم في كتاب «السنة»: حدثنا هشام بن عمَّار حدثنا عبدالحميد ابن حبيب بن أبي العشرين عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن سعيد بن المسيب أنَّه لقيَ أبا هريرة، فقال أبو هريرة: أسأل الله أنْ يجمع بيني وبينك في سوقِ الجنَّة، فقال سعيد: أو فيها سوق؟ قال: نعم، أخبرني رسول الله ﷺ: «**أنَّ أهلَ الجنَّة إذا دخلوها نزلوها بفضل أعمالهم، فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيزورون الله تبارك وتعالىٰ، فيبرز لهم عرشه، ويتبدَّىٰ لهم في روضة من رياض**

(١) برقم (٢٨٣٣).

(٢) «المسند» (٣/ ٢٨٤ - ٢٨٥).

الجنَّة، فيوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ياقوت، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم - وما فيها دنيٌّ - علىٰ كثبان المسك والكافور، وما يرون أنَّ أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسًا، قال أبو هريرة: فقلتُ: هل نرىٰ ربنا ﷻ؟ قال: نعم، قال: هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدرِ؟ قلنا: لا، قال: فكذلك لا تمارون في رؤية ربكم تبارك وتعالىٰ، ولا يبقىٰ في ذلك المجلس أحدٌ إلا حاضره الله محاضرة، حتَّىٰ يقول: يا فلان بن فلان، أتذكر يوم فعلت كذا وكذا؟ فيُذَكِّره ببعض غدراته في الدنيا، فيقول: بلىٰ، فيقول: يا رب أفلم تغفر لي؟ فيقول: بلىٰ، فبمغفرتي بلغتَ منزلتك هذه، قال: فبينما هم علىٰ ذلك، غشيتهم سحابة من فوقهم، فأمطرت عليهم طيبًا لم يجدوا مثل ريحه شيئًا قطُّ، ثمَّ يقول ربنا تبارك وتعالىٰ: قُوموا إلىٰ ما أعددتُ لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم، قال: فيأتون سوقًا قد حفَّتْ به بها الملائكة، فيه ما لم تنظرِ العيون إلىٰ مثله، ولم تسمع الآذانُ، ولم يخطر علىٰ القلوب، قال: فيُحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيه شيءٌ ولا يُشْتَرىٰ، وفي ذلك السُّوق يلقىٰ أهل الجنَّة بعضهم بعضًا، قال: فيقبل ذو البِزَّة المرتفعة فيلقىٰ من هو دونه - وما فيهم دنيٌّ - فيروعه ما يرىٰ عليه من اللباس والهيئة، فما ينقضي آخر حديثه حتَّىٰ يتمثل عليه أحسنَ منه، وذلك أنَّه لا ينبغي لأحد أنْ يحزن فيها، قال: ثمَّ ننصرف إلىٰ منازلنا فيلقانا أزواجنا، فيقلن: مرحبًا وأهلًا بمُحِبِّنَا، لقد جئتَ وإنَّ بك من الجمالِ والطِّيب أفضل ممَّا فارقتنا عليه، فيقول: إنَّا جالسنا اليومَ ربنا الجبَّار تبارك وتعالىٰ، وبحقنا أنْ ننقلبَ بمثل ما انقلبنا»[1].

ورواه الترمذي في «صفة الجنَّة»: عن محمد بن إسماعيل عن هشام بن عمار.

---

(١) تقدم الكلامُ عليه في ص (١٢٣-١٢٤).

وليس في هذا الإسناد من ينظر فيه إلا عبد الحميد بن حبيب وهو كاتب الأوزاعي، فلا نُنْكِرُ عليه تفرده عن الأوزاعي بما لم يروهِ غيره، وقد قال الإمام أحمد وأبو حاتم الرَّازي: هو ثقة، وأمَّا دُحَيم والنسائي: فضعَّفاه، ولا يعرف أنَّه حدث عن غير الأوزاعي. والترمذي قال: «هذا الحديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه».

قلتُ: وقد رواهُ ابن أبي الدنيا، عن الحكم بن موسىٰ حدثنا هقل بن زياد عن الأوزاعي قال: نُبِّئتُ أنَّ سعيد بن المسيب لقيَ أبا هريرة فذكره.

وقال الترمذي: حدثنا أحمدُ بن منيع وهنَّاد قالا: حدثنا أبو معاوية أنبأنا عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ في الجنَّة لسوقًا ما فيها شراء ولا بيع إلا الصُّور من الرِّجال والنساء، فإذا اشتهىٰ الرجل صورةً دخلَ فيها**»[1]. قال: «هذا حديثٌ غريب».

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا سليمان التيمي عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «يقول أهلُ الجنَّة: انطلقوا إلىٰ السوق، فينطلقون إلىٰ كثبان المسك، فإذا رجعوا إلىٰ أزواجهم، قالوا: إنَّا لنجدُ لكُنَّ ريحًا ما كانت لكُنَّ إذ خرجنا من عندكنَّ قال: فيقُلنْ لقد رجعتم بريحٍ ما كانت لَكُمْ إذ خرجتم من عندنا»[2].

قال ابن المبارك: وأنبأنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: «إنَّ في الجنَّة لسوقًا علىٰ كثبان مسك يخرجون إليها، ويجتمعون إليها، فيبعث اللهُ تعالىٰ ريحًا فتدخلها بيوتهم فيقول لهم أهلوهم إذا رجعوا إليهم: قد ازددتم بعدنا حُسنًا،

(١) (٢٥٥٠) وهو لا يثبت.

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٤١)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٥٧). وسنده صحيح.

ويقولون لأهليهم: قد ازددتم أيضًا عندنا حسنًا»[١].

وقال الحافظ محمد بن عبد الله الحضرمي المعروف بمطيَّن: حدثنا أحمدُ بن محمد بن طريف البجلي حدثنا أبي حدثنا محمد بن كثير حدثني جابر الجُعفي عن أبي جعفر عن علي بن الحسين عن جابر بن عبد الله قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن مجتمعون، فقال: يا معشر المسلمين إنَّ في الجنَّة لسوقًا ما يُباع فيها ولا يُشترىٰ إلا الصُّور، من أحبَ صورةً من رجل أو امرأةٍ دخل فيها»[٢].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٥٨)، والمروزي في «زياداته علىٰ الزهد لابن المبارك» (٤١٩١) وسنده صحيح.

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٦٦٤)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٤١٩). بإسناد ضعيف جدًّا.

ص(٥٧٦)

الباب الحادي والستون

في ذكر زيارة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى

قال الشافعي في «مسنده»: حدثنا إبراهيم بن محمد قال: حدثني موسىٰ بن عبيدة قال: حدثني أبو الأزهر معاوية بن إسحاق بن طلحة عن عبد الله بن عُبيد بن عُمَير أَنَّهُ سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: أتىٰ جبريل بمرآة بيضاء فيها وَكْتَةٌ[1] إلىٰ النَّبي ﷺ فقال النَّبي ﷺ: ما هذه؟ قال: الجمعة، فُضِّلتَ بها أنتَ وأمتك، فالنَّاس لكم فيها تبعٌ: اليهودُ والنصارىٰ، ولكم فيها خير، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخيرٍ إلا استجيبَ له، وهو عندنا يوم المزيد، قال النَّبي ﷺ: يا جبريل وما يومُ المزيد؟ قال: إنَّ ربك اتخذَ في الفردوس واديًا أفيحَ فيه كثبُ مسكٍ، فإذا كان يوم الجمعة أنزل اللهُ تبارك وتعالىٰ ما شاء من ملائكته، وحوله منابر من نور عليها مقاعد النَّبيين، وحَفَّ تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللةٍ بالياقوتِ والزبرجد، عليها الشهداء والصِّدِّيقون، فجلسوا من ورائهم علىٰ تلك الكُثُب فيقول الله تعالىٰ: أنا ربُّكم قد صَدَقْتكم وعْدِي، فسلوني أعطكم، فيقولون: ربنا نسألك رضوانك، فيقول: قد رضيت عنكم، ولكم عليَّ ما تمنيتم، ولديَّ مزيد، فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير، وهو اليوم الَّذي استوىٰ فيه ربكم علىٰ العرشِ، وفيه خلق آدم، وفيه تقوم الساعة»[2].

ولهذا الحديث طرق سنشير إليها في باب المزيد إنْ شاء اللهُ تعالىٰ[3].

---

(١) والوكتة: الأثر في الشيء كالنقطة من غير لونه. والجمع: وَكْت.

(٢) «مسند الشافعي» (٣٧٤)، وسنده ضعيف جدًّا.

(٣) في الباب (٦٥).

وروىٰ أبو نعيم من حديث شيبان بن جُبير عن فَرْقَد عن الحسن عن أبي بَرْزَة الأسلمي عن النَّبي ﷺ قال: «**إنَّ أهل الجنَّة ليغدون في حُلَّةٍ ويروحون في أخرىٰ؛ كغدوِّ أحدكم ورواحه إلىٰ ملك من ملوك الدنيا، كذلك يغدون ويروحون إلىٰ زيارة ربِّهم ﷻ، وذلك لهم بمقادير ومعالم يعلمون تلك السَّاعة التي يأتون فيها ربهم ﷻ**»(١).

وقد رواهُ جعفر بن جَسْر بن فرقد، عن أبيه مثله.

وذكر أبو نعيم أيضًا: من حديث أبي إسحاق عن الحارث عن علي قال: إذا سكن أهل الجنَّة الجنَّة، أتاهم مَلَكٌ يقول: إنَّ الله تبارك وتعالىٰ يأمركم أنْ تزوروه، فيجتمعون فيأمر اللهُ تبارك وتعالىٰ داود عليه الصلاة والسلام، فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل، ثمَّ توضع مائدة الخُلْد، قالوا: يا رسول الله وما مائدة الخلد؟ قال زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب، فيطعمون، ثمَّ يسقون، ثمَّ يكسون فيقولون: لم يبقَ إلا النظر في وجه ربنا ﷻ، فيتجلَّىٰ لهم فيخرون سُجَّدًا، فيقال لهم: لستم في دار عملٍ، إنَّما أنتم في دار جزاء»(٢).

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو موسىٰ إسحاق بن إبراهيم الهَرَوِي حدثنا القاسم بن يزيد المَوصِلي حدثنا أبو إلياس قال: حدثني محمد بن علي بن الحسين قال: قال رسول الله ﷺ(٣).

وقال أبو نعيم: حدثني محمد بن علي بن حبيش حدثنا إبراهيم بن شريك حدثنا أحمد بن يونس حدثنا المُعَافَىٰ بن عمران - وكان من خيار النَّاس - قال: حدثني

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٩٤)، وسنده ضعيف جدًّا.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٩٧)، بإسناد ضعيف جدًّا.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٥٤)، والآجري في «الشريعة» (٦٢٦)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٤١١)، وهو حديث معضل ضعيف غريب، ورفعه منكر، كما ذكر المنذري، وابن كثير.

إدريس بن سِنَان، عن وهب بن مُنَبه، عن محمد بن علي، قال إدريس: ثمَّ لقيت محمد بن علي بن الحسين بن فاطمة فحدثني قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ في الجنَّة شجرةً يُقال لها طُوبَىٰ، لو سُخِّرَ الجواد الرَّاكب أنْ يسير في ظلِّها لسار فيها مئة عام، ورقها برودٌ خضرٌ، وزهرها رياط صفْر، وأقناؤها سندس وإستبرق، وثمرها حُللٌ، وصمغها زنجبيل وعسل، وبطحاؤها ياقوت أحمر، وزمرد أخضر، وأترابها مسكٌ، وحشيشها زعفران، منبع الألنجوج[1] يؤجَّجان من غير وقود، يتفجَّر من أصلها أنهار السلسبيل والمعين والرَّحيق، وظلها مجلس من مجالس أهل الجنَّة يألفونه، ومتحدث يجمعهم، فبينا هم يتحدثون في ظلها إذ جاءتهم الملائكة يقودون نُجُبًا جُبِلت من الياقوت، ثمَّ نُفِخَ فيها الروح مزمومة بسلاسل من ذهبٍ، كأنَّ وجوهها المصابيح نضارةً وحسنًا، وَبَرُهَا حرير أحمر، ومِرْعِزِّي أبيض مختلطان، لم ينظر الناظرون إلىٰ مثلها، عليها رحائل ألواحها من الدرِّ والياقوت، مُفضَّضة باللؤلؤ والمرجان، صفافها من الذهب الأحمر، ملبسة بالعبقري والأرجوان، فأناخُوا إليهم تلك النجائب، ثم قالوا لهم: إن ربكم تبارك وتعالىٰ يقرئكم السلام، ويستزيركم لتنظروا إليه، وينظر اليكم، وتحيونه ويحييكم، ويكلمكم وتكلمونه، ويزيدكم من سعته وفضله، إنه ذو رحمة واسعة، وفضل عظيم. فيتحول كل رجل منهم علىٰ راحلته، ثم انطلقوا صفًّا واحدًا معتدلًا، لا يفوت منه شيء شيئًا، ولا يفوت أذن الناقة أذن صاحبتها، ولا بِرْكَةَ[2] ناقة بركة صاحبتها، ولا يمرون بشجرة من أشجار الجنة إلا أتحفتهم بثمرتها، وَرَحَلَتْ لهم عن طريقهم كراهية أن ينثلم صفهم، أو يفرق بين الرجل ورفيقه، فلما رفعوا إلىٰ الجبار تبارك وتعالىٰ أسفر لهم عن وجهه الكريم، وتجلىٰ لهم في عظمته العظيمة، فقالوا: ربنا أنت السلام ومنك السلام، ولك حق**

(١) الألنجوج: العود الذي يُتبخَّر به.

(٢) بركة: ما ولي الأرض من جلد بطن البعير وما يليه من الصدر، واشتقاقه من مبرك البعير.

الجلال والإكرام، فقال لهم ربُّهم تبارك وتعالىٰ: إنِّي السلام، ومنِّي السلام، ولي حق الجلال والإكرام، مرحبًا بعبادي الذين حفظوا وصيتي، ورعوا عهدي، وخافوني بالغيب، وكانوا مني علىٰ كل حال مشفقين. قالوا: وعزتك وجلالك وعلو مكانك، ما قدرناك حق قدرك، وما أدينا إليك كل حقك، فائذن لنا بالسجود، فقال لهم ربهم تبارك وتعالىٰ: إني قد وضعت عنكم مؤنة العبادة، وأرحتُ لكم أبدانكم، فطالما أنصبتم لي الأبدان، وأعنيتم لي الوجوه، فالآن أفضيتم إلىٰ رَوحي ورحمتي وكرامتي، فسلوني ما شئتم، وتمنُّوا عليَّ أُعطِكُم أمانيكم، فإنِّي لن أجزِيَكُم اليوم بقدر أعمالكم، ولكن بقدر رحمتي وكرامتي، وَطَوْلي وجلالي، وعلو مكاني وعظمة شأني. فما يزالون في الأماني والعطايا والمواهب، حتَّىٰ إنَّ المقتصر من أُمْنِيَّتِهِ ليتمنَّىٰ مثلَ جميع الدنيا، منذ خلقها الله ﷻ إلىٰ يومِ أفناها، فقال لهم ربُّهم تبارك وتعالىٰ: لقد قصَّرتم في أمانِيِّكم، ورضيتم بدون ما يحقُّ لكم، فقد أوجبتُ لكم ما سألتم وتمنيتم، وألحقت بكم ذريتكم وزدتكم ما قصرت عنه أَمَانِيُّكم».

ولا يصحُّ رفعه إلىٰ النَّبي ﷺ، وحسبه أنْ يكون من كلام محمد بن علي، فغلط فيه بعض هؤلاء الضعفاء، فجعله من كلام النَّبي ﷺ.

وإدريس بن سنان: هذا هو سِبْط وهب بن منبه ضَعَّفه ابن عدي، وقال الدَّارقطني: متروك، وأمَّا أبو إلياس المُتابعُ له، فلا يُدرىٰ من هو[1]، وأمَّا القاسم بن يزيد الموصلي الرَّاوي عنه فمجهول أيضًا، ومثل هذا لا يصح رفعه، واللهُ أعلم.

وقال الضحاك في قوله ﷻ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم:٨٥] قال: «علىٰ النجائب عليها الرِّحال»[2].

---

(١) تقدَّم أنَّه: إدريس بن سنان، فهو إذن ليس بمتابع.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٥٣).

ص(٥٨٢)

الباب الثاني والستون
في ذكر السحاب والمطر الَّذي يصيبهم في الجنَّة

قد تقدَّم في حديث سوق الجنَّة أنَّه يغشاهم يوم الزيارة سحابةٌ من فوقهم، فتمطر عليهم طيبًا لم يجدوا مثلَ ريحه قطُّ[١].

وقال بقية بن الوليد: حدثنا بَحِيْر بن سعد عن خالد بن مَعْدَان عن كثير بن مُرَّة قال: «إنَّ من المزيد أنْ تمرَّ السحابة بأهل الجنَّة، فتقول: ماذا تريدون أنْ أمطركم؟ فلا يتمنون شيئًا إلا مُطِرُوا»[٢].

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني أزهر بن مروان، حدثنا عبد الله بن عبد الله الشيباني عن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه عن صَيْفِي اليماني، قال: سأله عبد العزيز بن مروان عن وفد أهل الجنَّة قال: إنَّهم يفدون إلىٰ اللهِ سبحانه كلَّ خميس فيوضع لهم أسرَّة، كلُّ إنسانٍ منهم أعرف بسريره منك بسريرك هذا الَّذي أنت عليه، فإذا قعدوا عليه وأخذ القومُ مجالسهم قال تبارك وتعالىٰ: أطعموا عبادي وخلقي وجيراني ووفدي، فيطعموا، ثمَّ يقول: أسقوهم، قال: فيأتون بآنية من ألوانٍ شتَّىٰ مختمة فيشربون منها، ثمَّ يقول: عبادي وخلقي وجيراني ووفدي قد طعموا وشربوا، فكِّهُوْهُم، فتجيء ثمرات شجر مدلاة، فيأكلون منها ما شاؤوا، ثمَّ يقول: عبادي وخلقي وجيراني ووفدي قد طعموا وشربوا وفكهوا، أكسوهم، فتجيء ثمرات شجر أخضر وأصفر

(١) انظر: ص (٣٧٠-٣٧١).

(٢) تقدم ص (٣٣٠).

وأحمر، وكل لونٍ لم تنبت إلا الحلل، فينشر عليهم حللًا وقُمصًا، ثمَّ يقول: عبادي وخلقي وجيراني ووفدي قد طعموا وشربوا وفكهوا وكُسوا، طيِّبوهم، فيتناثر عليهم المسلك مثل رُذاذِ المطرِ، ثمَّ يقول: عبادي وجيراني وخلقي ووفدي قد طعموا وشربوا وفَكهوا وكسوا وطيِّبوا لأتجلينَّ لهم حتَّىٰ ينظروا إليَّ، فإذا تجلَّىٰ لهم فنظروا إليه؛ نضرت وجوههم، ثمَّ يقال لهم: ارجعوا إلىٰ منازلكم، فتقول لهم أزواجهم: خرجتم من عندنا علىٰ صورة، ورجعتم علىٰ غيرها؟ فيقولون: ذلك أنَّ الله جلَّ ثناؤه تجلَّىٰ لنا فنظرنا إليه، فنضرتْ وجوهنا»[1].

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا إسماعيل بن عيَّاش، قال: حدثني ثعلبة بن مسلم عن أيوب بن بشير العجلي عن شُفي بن ماتع أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ من نعيم أهل الجنَّة أنَّهم يتزاورون علىٰ المطايا والنجب، وأنَّهم يُؤْتَون في الجنَّة بخيلٍ مُلجمة مسرجة لا تروث ولا تبول، يركبونها حتَّىٰ ينتهوا حيث شاء الله، فيأتيهم مثلُ السحابة فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، فيقولون: أمطري علينا فما يزال المطر عليهم حتَّىٰ ينتهيَ ذلك فوق أمانيهم، ثمَّ يبعث الله تعالىٰ ريحًا غير مؤذية فتنسفُ كثبانًا من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم، فيأخذون ذلك المسك في نواصي خيولهم وفي مفارقها وفي رؤوسهم، ولكلِّ رجلٍ منهم جُمَّة علىٰ ما اشتهتْ نفسه، فيتعلق ذلك المسك في تلك الجمام، وفي الخيلِ وفيما سوىٰ ذلك من الثياب، ثمَّ يقبلون حتَّىٰ ينتهوا إلىٰ ما شاء الله، فإذا المرأة تنادي بعض أولئك: يا عبد الله أَمَا لَك فينا حاجة؟ فيقول: ما أنت، ومن أنت؟ فتقول: أنا زوجتك وحِبك، فيقول: ما كنت علمت بمكانك، فتقول المرأة: وما تعلم أنَّ الله تعالىٰ قال: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [السجدة:١٧]، فيقول: بلىٰ وربِّي.**

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٣٣٩).

فلعلَّه يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعينَ خريفًا، ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم»[(١)].

ص(٥٨٤)

فصــل

وقد جعل اللهُ سبحانه السحاب وما يمطره سببًا للرحمة والحياة، في هذه الدَّار، ويجعله سببًا لحياةِ الخلقِ في قبورهم، حيث يمطر علىٰ الأرضِ أربعين صباحًا[(٢)] مطرًا متداركًا من تحت العرشِ، فينبتون تحت الأرض كنبات الزرع[(٣)]، ويبعثون يوم القيامة والسماء تَطِشُّ عليهم[(٤)]، وكأنَّه -واللهُ أعلمُ- أثر ذلك المطر العظيم كما يكون في الدنيا، ويثير لهم سحابًا في الجنَّة يمطرهم ما شاؤوا من طيبٍ وغيره، وكذلك أهل النَّارِ ينشئُ لهم سحابًا يمطرُ عليهم عذابًا إلىٰ عذابهم؛ كما أنشأ لقومِ هودٍ وقوم شعيبٍ سحابًا أمطرهم عذابًا أهلكهم، فهو سبحانه ينشئه للرحمة والعذابِ.

---

(١) تقدمَّ الكلامُ عليه في ص (٣٦٧-٣٦٨).

(٢) أخرجه المروزي في «زياداته علىٰ الزهد لابن المبارك» (١٦٠٧) عن سلمان الفارسي موقوفًا، بإسناد صحيح.

(٣) ورد معناهُ في البخاري (٤٦٥١)، ومسلم (٢٩٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) ورد من حديث أنس موقوفًا عند أبي يعلىٰ (٤٠٤١) وغيره، وسنده لا بأس به، وروي مرفوعًا عند أحمد (٢/ ٢٦٧)، والموقوف أشبه. والطَّشُّ: المطر الضعيف.

الباب الثالث والستون

ص(٥٨٦)

في ذكر مُلكِ الجنَّة وأنَّ أهلها كلهم ملوك فيها

قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان:٢٠].

قال ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ قال: «عظيمًا».

وقال: «استئذان الملائكة عليهم لا تدخل عليهم الملائكة إلا بإذن»(١).

وقال كعب في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ قال: «يُرسِلُ إليهم ربُّهم الملائكة، فتأتي الملائكة فتستأذن عليهم»(٢).

وقال بعضهم: الخدم، ولا تدخل الملائكة عليهم إلا بإذن.

وقال الحكم بن أبان: عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما «أنَّه ذكر مراكب أهل الجنَّة ثمَّ تلا: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾»(٣).

وقال ابن أبي الحواري: سمعتُ أبا سليمان يقول في قول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ قال: «الملك الكبير: أنَّ رسول ربِّ العِزَّة يأتيه بالتحفة واللطف، فلا يصل إليه حتَّىٰ يستأذن عليه فيقول للحاجب: استأذن علىٰ وليِّ اللهِ، فإنِّي لستُ أصلُ إليه، فيُعْلِمُ ذلك الحاجب حاجبًا آخر، وحاجبًا بعد حاجب، ومن داره إلىٰ دار السلام باب يدخل منه علىٰ ربِّه إذا شاءَ بلا إذنٍ، فالملك الكبير: أنَّ رسول ربِّ

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٠٢)، والبيهقي في «البعث» (٤٤٦) وغيرهما.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٠٦). وفيه الواقدي: متروك الحديث.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٠٥)، والحاكم (٣٨٨٥) وصححه.

العزَّة لا يدخل عليه إلا بإذن، وهو يدخل علىٰ ربِّه بلا إذنٍ»[١].

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا صالح بن مالك، حدثنا صالح المري، حدثنا يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك رضي الله عنه يرفعه: «إنَّ أسفَلَ أهلِ الجنَّة أجمعين درجةً مَنْ يقوم علىٰ رأسه عشرة آلاف خادم»[٢].

حدثني محمد بن عباد بن موسىٰ، أنبأنا زيد بن الحُبَاب، عن أبي هلال الراسبي، أخبرنا الحجاج بن عتاب العبدي، عن عبد الله بن معبد الزمَّاني، عن أبي هريرة قال: «إن أدنىٰ أهل الجنة منزلة وليس فيهم دني، من يغدو عليه كل يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم، ليس منهم خادم إلا ومعه طرفة ليست مع صاحبه»[٣].

حدثني محمد بن عباد، حدثنا زيد بن الحباب، عن أبي هلال، حدثنا حميد ابن هلال قال: «ما من رجل من أهل الجنة إلا وله ألف خازن، ليس منهم خازن إلا علىٰ عمل ليس عليه صاحبه»[٤].

حدثني هارون بن سفيان، أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا المُفَضَّل ابن فضالة، عن زهرة بن معبد، عن أبي عبد الرحمن الحبلي قال: «إن العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ»[٥].

---

(١) أخرجه البيهقي في «البعث» (٤٤٧).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢١٠)، والمروزي في «زياداته علىٰ الزهد لابن المبارك» (١٥٣٠) بإسناد ضعيف.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢١١)، والبخاري في «تاريخه الكبير» (٢/ ٣٧٧)، وفيه ضعف.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢١٢).

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢١٣).

حدثني هارون بن سفيان، حدثنا محمد بن عمر، أخبرنا محمد بن هلال عن أبيه، عن أبي هريرة قال: «إن أدنىٰ أهل الجنة منزلة - وما فيهم دني - لَمَن يغدو عليه عشرة آلاف خادم، مع كل خادم طرفة ليست مع صاحبه»(١).

وقال عبد الله بن المبارك: حدثنا يحيىٰ بن أيوب، حدثني عبيد الله ابن زَحَر، عن محمد بن أبي أيوب المخزومي، عن أبي عبد الرحمن المعافري قال: «إنه لَيُصَفُّ للرجل من أهل الجنة سِمَاطان لا يرىٰ طرفاهما من غلمانه، حتىٰ إذا مرَّ مَشَوْا وراءه»(٢).

وقال أبو خيثمة: حدثنا الحسن بن موسىٰ، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أدنىٰ أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم، واثنتان وسبعون زوجة، وينصب له قبة من لؤلؤ وياقوت وزبرجد، كما بين الجابية وصنعاء**»(٣).

وقال عبد الله بن المبارك: أخبرنا بقية بن الوليد، حدثني أرطاة بن المنذر قال: سمعت رجلًا -من مشيخة الجَنَد- يقال له: أبو الحجاج قال: جلست إلىٰ أبي أمامة فقال: إن المؤمن يكون متكئًا علىٰ أريكته إذا دخل الجنة، وعنده سماطان من الخدم، وعند طرف السماطين باب مُبَوَّب فيقبل الملك من ملائكة الله ﷻ ليستأذن، فيقوم أدنىٰ الخدم إلىٰ الباب، فإذا هو بالملك يستأذن، فيقول للذي يليه هذا ملك

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢١٤).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٦، ٢١٥)، وابن المبارك في «الزهد» (٤١٥). وسنده ضعيف.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٢٢). وأخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٧٦)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (٢/ ٥٣٢) (١٤٠٤)، وغيرهم. وتقدم كلام المؤلف عليه ص (٥٠٠).

يستأذن، ويقول للذي يليه: ملك يستأذن، حتىٰ يبلغ المؤمن فيقول: ائذنوا له، فيقول أقربهم إلىٰ المؤمن: ائذنوا له، ويقول الذي يليه للذي يليه: ائذنوا له كذلك، حتىٰ يبلغ أقصاهم الذي عند الباب، فيفتح له، فيدخل فيسلم ثم ينصرف»[(١)].

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن الحسن، حدثنا قَبِيصة حدثنا سليمان العنبري، عن الضحاك بن مزاحم قال: بينا ولي الله في منزله إذ أتاه رسول من الله ﷻ فقال للآذن: استاذن لرسول الله علىٰ ولي الله، فيدخل الآذن فيقول: يا ولي الله، هذا رسول الله يستأذن عليك، قال: ائذن له فيأذن له فيدخل علىٰ ولي الله، فيضع ما بين يديه تحفة، فيقول: يا ولي الله: إن ربك يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تأكل من هذه، قال: فُيشبِّهُهُ بطعام أكله أيضًا، فيقول: إنما أكلت هذا الآن، فيقول: إن ربك يأمرك أن تأكل منها، فيأكل منها فيجد منها طعم كل ثمرة في الجنة، قال: فذلك قوله ﷻ: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [البقرة:٢٥] »[(٢)].

وفي «صحيح مسلم»[(٣)] من حديث المغيرة بن شعبة، عن النَّبي ﷺ قال: «**سأل موسىٰ ربه ما أدنىٰ أهل الجنة منزلة؟ قال: هو الرجل يجيء بعدما أُدخِل أهل الجنةِ الجنةَ، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أي ربِّ، كيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم؟! فيقال له: أترضىٰ أن يكون لك مثل مَلِك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت ربي، فيقول له: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك، ولذَّت عينك،**

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٠٣)، وفيه مجهول.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٠٤). وسنده لا بأس به.

(٣) برقم (١٨٩).

فيقول: «**رضيت رب**» وذكر الحديث، وقد تقدم ذكره بتمامه[١].

وقال البزار في «مسنده»: حدثنا محمد بن المثنىٰ، حدثنا المغيرة بن سلمة، حدثنا وهيب عن الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد قال: «خلق الله تبارك وتعالىٰ الجنة: لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وغرسها بيده، وقال لها: تكلمي، فقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون:١] فدخلها الملائكة، فقال: طوبىٰ لك منزل الملوك»[٢].

هكذا رواه وهيب عن الجريري موقوفًا، ورواه عدي بن الفضل، عن الجريري فرفعه، قال البزار: «ولا نعلم أحدًا رفعه إلا عدي بن الفضل بهذا الإسناد، وعدي ابن الفضل ليس بالحافظ، وهو شيخ بصري».

قلت: عدي بن الفضل هذا تفرد به ابن ماجه، وقد ضعَّفه يحيىٰ بن معين، وأبو حاتم. والحديث: صحيح موقوف. والله أعلم.

وقد تقدم ذكر التيجان علىٰ رؤوسهم[٣]، وإنما يلبسها الملوك.

---

(١) ص (١٤٩-١٥٠).

(٢) تقدم في ص (١٩١).

(٣) ص (٢٨٥).

ص(٥٩٣)

الباب الرَّابع والستون
في أنَّ الجنَّة فوق ما يخطر بالبال أو يدورُ

في الخلد، وأنَّ موضع سوطٍ منها خيرٌ من الدنيا وما فيها

قال تعالىٰ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة:١٦، ١٧].

وتأمَّل كيفَ قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الَّذي أخفاهُ لهم ممَّا لا تعلمه نفس، وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم علىٰ مضاجعهم حتىٰ يقوموا إلىٰ صلاة الليل = بقُرَّة الأعين في الجنَّة.

وفي «الصحيحين»[(١)] من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله ﷻ: أعددتُ لعبادي الصالحين، ما لا عينٌ رأت، ولا أُذُنٌ سمعتْ، ولا خطرَ علىٰ قلبَ بشرٍ، مِصْداقُ ذلك في كتاب الله تعالىٰ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾».

وفي لفظٍ آخر فيهما: «يقول الله ﷻ: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أُذنٌ سمعتْ، ولا خطرَ علىٰ قلب بشر، ذُخْرًا بَلْهَ ما أطلعكم عليه، ثمَّ قرأ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ الآية»[(٢)].

(١) البخاري (٤٥٠١)، ومسلم (٢٨٢٤) واللفظ له.

(٢) البخاري (٤٥٠٢)، ومسلم (٢٨٢٤).

وفي بعض طُرُق البخاري: قال أبو هريرة: اقرؤوا إنْ شِئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾»[1].

وفي «صحيح مسلم»[2] من حديث سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: شهدت من رسول الله ﷺ مجلسًا وصف فيه الجنَّة حتَّىٰ انتهىٰ، ثمَّ قال في آخر حديثه: «**فيها ما لا عينٌ رأتْ، ولا أُذنٌ سمعتْ، ولا خطرَ علىٰ قلب بشر، ثمَّ اقترأ هذه الآية:** ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٦-١٧]».

وفي «الصحيحين»[3] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقابُ قوس أحدكم في الجنَّة خيرٌ ممَّا طلعتْ عليه الشمس أو تغرب**».

وقد تقدَّم حديث أبي أُمامة[4] عن النَّبي ﷺ: «**أَلَا مُشَمِّرٌ للجنَّة، فإنَّ الجنَّة لا خَطَرَ لها، هي وربِّ الكعبة نورٌ يتلألأ، وريحانةٌ تهتزُّ، وقصرٌ مشيدٌ، ونهرٌ مُطَّرِدٌ، وثمرةٌ نضيجةٌ، وزوجةٌ حسناءُ جميلةٌ، وحُللٌ كثيرة، ومقام في أبدٍ في دارٍ سليمة، وفاكهةٍ وخضرةٍ وحبرةٍ ونعمةٍ، في محلةٍ عاليةٍ بهيةٍ**»[5].

ولو لم يكن من خطر الجنَّة وشرفها إلا أنَّه لا يُسأل بوجه الله غيرها = لكفاها شرفًا وفضلًا، كما في «سنن أبي داود» من حديث سليمان بن معاذٍ عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يسأل**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٧٢) و (٤٥٠١).

(٢) برقم (٢٨٢٥).

(٣) البخاري (٢٦٤٠)، ومسلم (١٨٨٢).

(٤) قوله (أبي أمامة) كذا في الأصول، وصوابه (أُسامة).

(٥) تقدم في الباب (٤٥).

بوجه اللهِ إلا الجنَّة»[١].

وفي «معجم الطبراني» من حديث بَقِيَّة، عن ابن جُرَيْج عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما خلقَ اللهُ جنَّةَ عَدْنٍ، خَلَقَ فيها ما لا عينٌ رأتْ، ولا أُذُنٌ سمعتْ، ولا خَطَرَ علىٰ قلب بشرٍ، ثمَّ قال لها: تكلَّمي. فقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾**»[٢].

وفي «صحيح البخاري»[٣] من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**موضع سوط في الجنَّة خيرٌ من الدنيا وما فيها**».

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَقِيْدُ سوطِ أحدكم من الْجنَّة خيرٌ ممَّا بين السماء والأرضِ**»[٤]. وهذا الإسناد علىٰ شرط الصحيحين.

وقال الترمذي: حدثنا سُوَيد بن نصر حدثنا ابن المبارك أنبأنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقَّاص عن أبيه عن جده عن النَّبي ﷺ قال: «**لو أنَّ ما يقِلُّ ظُفُر ممَّا في الجنَّة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السماوات والأرضِ، ولو أنَّ رجلًا من أهل الجنَّة اطَّلعَ فبدا أساوره لطمسَ ضوء**

(١) أخرجه أبو داود (١٦٧١)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٢٥٧)، والخطيب في «الموضح» (١/ ٢٥٣)، بإسناد ضعيف.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١٤٣٩)، وفي «الأوسط» (٧٣٨)، وجوَّد إسناده الهيثمي والسيوطي.

(٣) برقم (٢٧٣٥) واللفظ له، ومسلم (١٨٨١).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٣١٥)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٨٨٥)، وابن حبان (٦١٥٨)، وغيرهم.

الشمس كما تطمس الشمس ضوءَ الكواكب»[١].

قال الترمذي: «هذا حديث غريب، لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من حديث ابن لهيعة، وقد روىٰ يحيىٰ بن أيوب هذا الحديث عن يزيد بن أبي حبيب، وقال: عن عمر بن سعد بن أبي وقاص عن النَّبي ﷺ».

قلتُ: وقد رواهُ ابن وهب أنبأنا عمرو يعني: ابن الحارث أنَّ سليمان بن حميد حدَّثه أنَّ عامر بن سعد بن أبي وقاص، قال سليمان: لا أعلمُ إلا أنَّه حدثني عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**لو أنَّ ما أقلَّ ظفر من الجنَّة برزَ للدنيا لتزخرف له ما بين السماء والأرضِ**».

وفي الباب: عن أَنس بن مالك وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم.

وكيفَ يُقدَّر قدْر دارٍ غرسها الله بيده، وجعلها مقرًّا لأحبابه، وملأها من كرامته ورحمته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص.

فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران.

وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن.

وإن سألت عن مِلاطها فهو المسك الأذفر.

وإن سألت عن حصبائها فهي اللؤلؤ والجوهر.

وإن سألت عن بنائها فَلَبِنَة من فضة ولبنة من ذهب.

وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا ساقها من ذهب أو فضة، لا من الحطب والخشب.

---

(١) تقدم الكلام عليه ص (٢٧٩).

وإن سألت عن ثمرها فأمثال القِلال، ألْين من الزبد، وأحلىٰ من العسل.

وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحلل.

وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفىٰ.

وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون.

وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور.

وإنْ سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة في صفاء القوارير.

وإنْ سألتْ عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام، وليأتينَّ عليه يومٌ وهو كظيظ من الزحام.

وإنْ سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها فإنَّها تستفز بالطرب لمن يسمعها.

وإنْ سألت عن ظِلِّها ففيها شجرة واحدة يسير الرَّاكبُ المجدُّ السريع في ظلها مئة عام لا يقطعها.

وإنْ سألت عن سعتها فأدنىٰ أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفي عام.

وإنْ سألت عن خيامها وقبابها فالخيمة الواحدة من دُرَّةٍ مجوَّفة طولها ستون ميلًا من جملة الخيام.

وإنْ سألت عن علاليها وجواسقها[1] فهي غرف من فوقها غرف مَبْنِية، تجري من تحتها الأنهار.

وإنْ سألت عن ارتفاعها فانظر إلىٰ الكوكب الطالع، أو الغارب في الأفق الَّذي لا تكاد تناله الأبصار.

---

(١) الجواسق: جمع جَوْسَق: فارسي معرَّب، وهو تصغير قصر «كوشك» أي: صغير.

وإنْ سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب.

وإنْ سألت عن فرشهم فبطائنها من إستبرق مفروشة في أعلىٰ الرُّتَب.

وإنْ سألت عن أرائكها فهي الأسرة عليها البشخانات، وهي: الحِجَال مُزَرَّرَة بإزرار الذهب، فما لها من فُروج ولا خلال.

وإنْ سألت عن وجوه أهلها وحسنهم، فعلىٰ صورة القمر.

وإنْ سألت عن أسنانهم فأبناءُ ثلاثة وثلاثين علىٰ صورة آدم أبي البشر.

وإنْ سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين، وأعلىٰ منه سماع أصوات الملائكة والنَّبيين، وأعلىٰ منهما سماع خطاب ربِّ العالمين.

وإنْ سألت عن مطاياهم التي يتزاورون عليها، فنجائب أنشأها الله تعالىٰ ممَّا شاءَ تسير بهم حيث شاؤوا من الجنان.

وإنْ سألت عن حُليهم وشارتهم، فأسَاوِر الذهب واللؤلؤ، علىٰ الرؤوس ملابس التِّيجان.

وإنْ سألت عن غلمانهم فولدانٌ مخلدون كأنَّهم لؤلؤٌ مكنون.

وإنْ سألتَ عن عرائسهم وأزواجهم فهُنَّ الكواعب الأترابُ، الَّلاتي جرىٰ في أغصانِهنَّ ماءُ الشباب، فللوردِ والتفاح: ما لبسته الخدود، وللرُّمان: ما تضمنته النهود، ولِلُّؤلؤ المنظوم: ما حوته الثغور، وللدقة والَّلطافة: ما دارتْ عليه الخصور، تجري الشمسُ في محاسن وجهها إذا برزت، ويضيء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت، إذا قابلت حِبَّها فَقُلْ ما شئت في تقابل النَّيِّرين، وإذا حادثته فما ظنُّك بمحادثة الحبيبين، وإنْ ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين، يرىٰ وجهه في صحن خدِّها، كما يرىٰ في المرآة التي جلَّاها صيقلها، ويرىٰ مخَّ ساقها من وراء اللحم، ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حُلَلُها، لو اطلعت علىٰ الدنيا لملأت ما بين السماء والأرض ريحًا، ولا استنطقت أفواهَ الخلائقِ تهليلًا وتكبيرًا وتسبيحًا،

ولتزخرف لها ما بين الخافقين، ولأغمضت عن غيرها كلَّ عينٍ، ولطمستْ ضوءَ الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم، ولآمن من علىٰ ظهرها بالله الحيَّ القيوم، نصيفها علىٰ رأسها خيرٌ من الدنيا وما فيها، ووصالها أشهىٰ إليه من جميع أمانيها، لا تزداد علىٰ تطاول الأحقاب إلا حسنًا وجمالًا، ولا يزدادُ لها علىٰ طول المدىٰ إلا محبة وَوِصالًا، مُبَرَّأة من الحبلِ والولادة والحيضِ والنفاس، مطهَّرة من المخاطِ والبصاق والبولِ والغائط وسائرِ الأَدناس، لا يفنىٰ شبابُهَا، ولا تبلىٰ ثيابها، ولا يخلقُ ثوب جمالها، ولا يملُّ طيبُ وصالها، قد قصرتْ طرفها علىٰ زوجها، فلا تطمحُ لأحدٍ سواهُ، وقَصَرَ طرفه عليها فهي غايه أُمنيته وهواه، إنْ نظرَ إليها سرَّته، وإنْ أمرها أطاعته، وإنْ غابَ عنها حفظته، فهو معها في غاية الأماني والأمان، هذا، ولم يطمثها قبله إنسٌ ولا جانٌّ، كلما نظر إليها ملأت قلبه سرورًا، وكلَّما حدثته ملأت أُذُنه لؤلؤًا منظومًا ومنثورًا، وإذا برزت ملأت القصرَ والغرفة نورًا.

وإنْ سألت عن السِنِّ فأترابٌ في أعدلِ سنِّ الشباب.

وإنْ سألت عن الحُسن فهل رأيتَ الشمسَ والقمرَ؟!

وإنْ سألتَ عن الحدَق فأحسن سواد في أصفىٰ بياض، في أحسن حَوَر.

وإنْ سألتَ عن القدود فهل رأيتَ أحسن الأغصان؟

وإنْ سألت عن النهود فهنَّ الكواعب، نهودهن كألطف الرمان.

وإنْ سألت عن اللون فكأنَّهن الياقوت والمرجان.

وإنْ سألت عن حسن الخلق فهنَّ الخَيْرات الحسان، اللَّاتي جُمِعَ لهنَّ بين الحسن والإحسان، فأعطين جمالَ الباطن والظاهر، فهنَّ أفراح النفوس، وقُرَّة النواظر.

وإنْ سألت عن حُسْن العِشْرة، ولذة ما هنالك فهنَّ العُرُب المتحببات إلىٰ الأزواج بلطافة التبعل التي تمتزج بالروح أيَّ امتزاج.

فما ظنك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت الجنَّة من ضحكها، وإذا

انتقلت من قصر إلىٰ قصر، قلتَ: هذه الشمس مُنْتقلة في بروج فَلَكِهَا، وإذا حاضرت زوجها فيا حسن تلك المحاضرة، وإنْ خاصرته فيا لذَّة تلك المعانقة والمخاصرة:

وحديثُها السحر الحلالُ لو انَّه ... لم يَجْنِ قتلَ المسلم المتحرِّز

إنْ طال لم يُمْلَلْ وإنْ هي حدَّثت ... ودَّ المحدَّثُ أنَّها لم توجِزِ

إنْ غنَّت فيا لذَّة الأبصارِ والأسماع، وإنْ آنست وأمتعت فيا حبَّذا تلك المؤانسة والإمتاع، وإنْ قَبَّلت فلا شيء أشهىٰ إليه من ذلك التقبيل، وإنْ نوَّلتْ فلا ألذَّ ولا أطيبَ من ذلك التَّنويل.

هذا، وإنْ سألت عن يوم المزيد، وزيارة العزيز الحميد، ورؤية وجهه المنزَّه عن التمثيل والتشبيه، كما تُرَىٰ الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدرِ، كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه، وذلك موجود في الصِّحاح، والسنن، والمسانيد، من رواية: جرير، وصهيب، وأنس، وأبي هريرة، وأبي موسىٰ، وأبي سعيد = فاستمع يوم ينادي المنادي: يا أهل الجنَّة، إنَّ ربَّكم تبارك وتعالىٰ يستزيركم فحيَّ علىٰ زيارته، فيقولون: سمعًا وطاعة، وينهضون إلىٰ الزيارة مبادرين، فإذا بالنَّجائب قد أُعدتْ لهم، فيستوون علىٰ ظهورها مسرعين، حتَّىٰ إذا انتهوا إلىٰ الوادي الأفيح الَّذي جُعل لهم موعدًا، وجُمِعُوا هناك، فلم يغادر الدَّاعي منهم أحدًا = أمرَ تبارك وتعالىٰ بكرسيِّه فنصبَ هناك، ثمَّ نصبت لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجد، ومنابرُ من ذهب، ومنابر من فضة، وجلس أدناهم -وحاشاهم من الدنايا- علىٰ كثبان المسك، ما يرون أنَّ أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا، حتَّىٰ إذا استقرت بهم مجالسهم، واطمأنت بهم أماكنهم نادىٰ المنادي: يا أهل الجنَّة إنَّ لكم عندَ اللهِ موعدًا يريدُ أنْ ينجزَكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يُبيض وجوهنا ويثقِّل موازيننا، ويدخلنا الجنَّة، ويزحزحنا عن النَّارِ، فبينا هم كذلك إذ سطع لهم نورٌ أشرقت له الجنَّة، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الجبَّار جلَّ جلاله، وتقدَّستْ أسماؤه،

قد أشرف عليهم من فوقهم وقال: يا أهل الجنَّة: سلامٌ عليكم، فلا تردُّ هذه التحية بأحسنَ من قولهم: اللهم أنت السلام، ومنكَ السلام، تباركتَ ياذا الجلال والإكرام، فيتجلىٰ لهم الرب تبارك وتعالىٰ يضحك إليهم، ويقول: يا أهل الجنة، فيكون أول ما يسمعون منه تعالىٰ: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني، فهذا يوم المزيد، فيجتمعون علىٰ كلمة واحدة أن قد رضينا فارض عنا، فيقول: يا أهل الجنة، إني لو لم أرض عنكم لم أُسْكِنْكم جنتي، هذا يوم المزيد فسلوني. فيجتمعون علىٰ كلمةٍ واحدة: أرنا وجهك ننظر إليه، فيكشف الرب جل جلاله الحُجُب، ويتجلىٰ لهم، فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله سبحانه وقضىٰ أن لا يحترقوا لاحترقوا، ولا يبقىٰ في ذلك المجلس أحد إلا حاضره الربُّ تعالىٰ محاضرة، حتىٰ إنه ليقول: يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا، يذكره ببعض غدراته في الدنيا، فيقول: يا رب ألم تغفر لي؟ فيقول: بلىٰ بمغفرتي بلغت منزلتك هذه.

فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة، ويا قُرَّة عيون الأبرار بالنظر إلىٰ وجهه الكريم في الدار الآخرة، ويا ذِلَّة الراجعين بالصفقة الخاسرة. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٥].

فحـيَّ علىٰ جنَّاتِ عـدْنٍ فإنَّها ... منازلُكَ الأُولىٰ وفيها المُخَيَّمُ

ولكنَّنا سـبْي العـدوِّ فهل ترىٰ ... نعُـودُ إِلـىٰ أوطاننـا ونسـلِّمُ

ص(٦٠٥)

الباب الخامس والستون

في رؤيتهم ربَّهم تبارك وتعالى وتجلِّيه لهم ضاحكًا إليهم

هذا البابُ أشرفُ أبواب الكتاب، وأجلُّها قدرًا، وأعلاها خطرًا، وأقرُّها لعيون أهل السنَّة والجماعة، وأشدُّها علىٰ أهل البدعة والفُرقة، وهي الغاية التي شمَّر إليها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون، وتسابقَ إليها المتسابقون، ولمثلها فليعمل العاملون. إذا ناله أهل الجنَّة نَسُوا ما هم فيه من النعيم، وحِرْمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشدَّ عليهم من عذاب الجحيم، اتفق عليها الأنبياء والمرسلونَ، وجميعُ الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام علىٰ تتابع القرون، وأنكرها أهل البدع المارقون، والجهمية المتهوِّكون، والفرعونية المبطلون، والباطنية الَّذين هم من جميع الأديان منسلخون، والرَّافضة الَّذين هم بحبائل الشيطان مُتمسِّكون، ومن حبل الله منقطعون، وعلىٰ مسبَّة أصحاب رسول الله ﷺ عاكفون، وللسُّنَّة وأهلها محاربون، ولكلِّ عدوٍّ لله ورسوله ودينه مسالمونَ، وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون، وعن بابه مطرودون، أولئك أحزاب الضلال، وشيعة اللَّعين، وأعداء الرسول وحزبه.

وقد أخبر سبحانه عن أعلم الخلق به في زمانه، وهو كليمه ونجيُّهُ وصفيُّهُ من أهل الأرضِ، أنَّه سأل ربه تعالىٰ النظر إليه، فقال له ربُّه تبارك وتعالىٰ: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ [الأعراف:١٤٣].

وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوهٍ عديدةٍ:

أحدها: أنْ لا يُظَنَّ بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أنَّه يسأل ربَّهُ ما لا يجوز

عليه، بل هو من أبطلِ الباطل، وأعظم المحال، وعند فروخ اليونان، والصائبة، والفِرعونية بمنزلة أنْ يسأله أنْ يأكل ويشرب وينام، ونحو ذلك ممَّا يتعالىٰ الله عنه، فيالله العجب! كيف صارَ أتباعُ الصابئة والمجوس والمشركين عُبَّادِ الأصنام وفروخ الجهمية والفِرْعونية أعلمَ بالله تعالىٰ من موسىٰ بن عِمْران، وبما يستحيل عليه، ويجب له، وأشدَّ تنزيهًا له منه؟!

الوجه الثاني: أنَّ الله سبحانه لم ينكر عليه سؤاله، ولو كان محالًا لأنكره عليه، ولهذا لمَّا سأل إبراهيم الخليل ربه تعالىٰ أنْ يريه كيف يحييٰ الموتىٰ، لم ينكر عليه، ولمَّا سألَ عيسىٰ ابن مريم ربَّه إنزالَ المائدة من السماء لم ينكر سؤاله، ولمَّا سأل نوحٌ ربَّهُ نجاةَ ابنهِ أنكر عليه سؤاله وقال: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ﴾ [هود:٤٦-٤٧].

الوجه الثالث: أنَّه أجابه بقوله تعالىٰ: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف:١٤٣] ولم يقل: إنِّي لا أُرَىٰ، ولا إنِّي لستُ بمرئيّ؛ ولا تجوز رؤيتي. والفرقُ بين الجوابين ظاهرٌ لمن تأمَّلَهُ.

وهذا يدلُّ علىٰ أنَّه سبحانه مرئيٌّ، ولكنَّ موسىٰ لا تحتمل قواهُ رؤيته في هذه الدار لِضَعْفِ قوىٰ البشرِ فيها عن رؤيته تعالىٰ، يوضِّحه:

الوجه الرَّابع: وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ [الأعراف:١٤٣] فأعْلَمَه أنَ الجبل مع قوَّته وصلابته لا يثبتُ لتجليه له في هذه الدَّار، فكيف بالبشر الضعيف الَّذي خُلِق من ضعْفٍ؟.

الوجه الخامس: أنَّ اللهَ سبحانه قادرٌ علىٰ أنْ يجعل الجبل مستقرًّا مكانَه، وليس هذا بممتنع في مقدوره، بل هو ممكن، وقد علق به الرؤية، ولو كانت محالًا في ذاتها لم يعلقها بالممكن في ذاته، ولو كانت الرؤية محالًا، لكان ذلك نظير أنْ

يقول: إن استقرَّ الجبل فسوفَ آكلُ وأشربُ وأنامُ، فالأمرانِ عندكم سواء.

الوجه السادس: قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ وهذا من أبين الأدلة علىٰ جوازِ رؤيته تبارك وتعالىٰ، فإنَّه إذا جازَ أن يتجلَّىٰ للجبلِ الَّذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلَّىٰ لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامته ويريهم نفسه؟ وأعلم سبحانه موسىٰ أنَّ الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدَّارِ، فالبَشَر أضعف.

الوجه السابع: أنَّ ربه سبحانه قد كلَّمه منه إليه، وخاطبه وناداهُ وناجاهُ، ومن جازَ عليه التَّكلمُ والتكليم، وأنْ يسمع مخاطبه كلامه معه بغير واسطة، فرؤيته أولىٰ بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار الرؤية إلا بإنكار التكليم، وقد جمعت هذه الطوائف بين إنكار الأمرين، فأنكروا أنْ يكلِّم أحدًا، أو يراهُ أحدٌ، ولهذا سأله موسىٰ النظر إليه لمَّا أسمعه كلامه، وعلم من اللهِ جوازَ رؤيته من وقوع خطابه وتكليمه، فلم يخبره باستحالة ذلك عليه، ولكنْ أراهُ أن ما سأله لا يقدر علىٰ احتماله، كما لم يثبت الجبل لتجليه.

وأمَّا قوله تعالىٰ: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف:١٤٣] فإنَّما يدلُّ علىٰ النَّفي في المستقبل، ولا يدلُّ علىٰ دوام النَّفي؛ ولو قُيِّدت بالتأبيد، فكيف إذا أُطلقت، قال تعالىٰ: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة:٩٥] مع قوله: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف:٧٧].

فصل

ص(٦٠٨)

الدليلُ الثاني: قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾ [البقرة:٢٢٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب:٤٤] وقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ [الكهف:١١٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٤٩].

وأجمع أهل اللسان علىٰ أنَّ اللقاء متىٰ نُسِبَ إلىٰ الحي السليم من العَمَىٰ والمانع؛ اقتضىٰ المعاينة والرؤية، ولا ينتقض هذا بقوله تعالىٰ: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ ﴾ [التوبة:٧٧]: فقد دلَّت الأحاديث الصحيحة الصريحة علىٰ أنَّ المنافقين يرونه تعالىٰ في عَرَصَات القيامة، بل والكفار أيضًا كما في «الصحيحين» في حديث التجلي يوم القيامة، وسيمرُّ بِكَ عن قريبٍ إن شاء الله.

وفي هذه المسألة ثلاثة أقوالٍ لأهل السنة:

أحدها: أنَّه لا يراهُ إلا المؤمنون.

الثاني: يراهُ جميع أهل الموقف: مؤمنهم وكافرهم، ثمَّ يحتجب عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك.

والثالث: يراهُ المنافقون دون الكفار.

والأقوال الثلاثة في مذهب أحمد، وهي لأصحابه، وكذلك الأقوال الثلاثة بعينها في تكليمه لهم، ولشيخنا[١] في ذلك مُصنَّف مُفْرد، حكىٰ فيه الأقوال الثلاثة وحُجج أصحابها.

وكذا قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق:٦] إنْ عادَ الضميرُ علىٰ العمل: فهو رؤيته في الكتاب المسطور مُبينًا، وإنْ عادَ علىٰ الرَّبِّ تبارك وتعالىٰ؛ فهو لقاؤه الَّذي وَعَدَ به.

---

(١) هو شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد كتب رسالة إلىٰ أهل البحرين، ذكر فيها هذه المسألة والأقوال الثلاثة وأدلتها. «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٤٨٥). وله: قاعدة في إثبات الرؤية، والردِّ علىٰ نُفاتها.

ص(٦٠٩)

فصل

الدليل الثالث: قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ۝٢٥ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس:٢٥-٢٦].

فالحسنىٰ: الجنَّة، والزيادة: النظر إلىٰ وجْهِهِ الكريم، كذلك فسَّرها رسول الله ﷺ الَّذي أُنزِلَ عليه القرآن، والصحابة من بعده، كما روىٰ مسلم في «صحيحه»[1] من حديث حمَّاد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ عن صهيب رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ قال: إذا دخل أهلُ الجنَّة الجنَّةَ، وأهل النَّارِ النَّارَ، نادىٰ منادٍ: يا أهل الجنَّة إنَّ لكم عندَ اللهِ موعدًا يريدُ أنْ ينجزكموهُ، فيقولون: ما هو؟ ألم يثقِّل موازيننا، وَيُبَيِّضْ وجوهنا، ويدخلنا الجنَّة ويجرنا من النَّارِ؟! فيكشف الحجابَ فينظرون إليه فما أعطاهم شيئًا أحبَّ إليهم من النظر إليه، وهي الزيادة».

وقال الحسن بن عرفة: حدثنا سلم بن سالم البلخي عن نوح بن أبي مريم عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: «سُئِلَ رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ قال للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنىٰ: وهي الجنَّة، والزيادة: النظر إلىٰ وجه الله تعالىٰ»[2].

وقال محمد بن جرير: حدثنا ابن حُمَيد حدثنا إبراهيم بن المختار عن ابن جُرَيج عن عطاء عن كعب بن عُجْرَة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ

(١) (١٨١) من طريق حماد بن سلمة عن ثابت به فذكره.

(٢) أخرجه الحسن بن عرفة في «جزئه» (٨٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠٣٤٠)، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (٧٧٩) وغيرهم. وهو حديث باطل.

أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: «الزيادة: النظرُ إلىٰ وجه الرحمن جَلَّ جلالُهُ»(١).

قلتُ: عطاء هذا هو الخراساني، وليس بعطاء بن أبي رباح.

قال ابن جرير: وحدثنا ابن عبد الرحيم حدثنا عمرو بن أبي سلمة قال: سمعتُ زهيرًا.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليدُ بن مسلم حدثنا زهير بن محمد قال: حدثني من سمعَ أبا العالية الرياحي يُحدِّث عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن الزيادة في كتاب اللهِ عز وجل قوله تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٥] قال الحسنىٰ: الجنَّة، والزيادة: النظر إلىٰ وجه الله عز وجل»(٢).

وقال أَسَدُ السُّنَّة: حدثنا قيس بن الربيع عن أبان عن أبي تميمة الهُجَيْمي أنَّه سمع أبا موسىٰ رضي الله عنه يحدِّث أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**يبعثُ اللهُ عز وجل يومَ القيامة مناديًا ينادي أهلَ الْجنَّة، بصوتٍ يُسْمعُ أَوَّلهم وآخرهم، إنَّ الله وعدَكم الحسنىٰ، والحسنىٰ: الجنَّة، والزيادة: النظر إلىٰ وجه الله عز وجل**»(٣).

وقال ابن وهب، أخبرني شَبِيْب، عن أبان، عن أبي تميمة الهجيمي، أنَّه سمع أبا موسىٰ الأشعري رضي الله عنه يحدث عن رسول الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ عز وجل يبعث يوم القيامة مناديًا ينادي: يا أهل الجنَّة، بصوتٍ يُسْمِعُ أوَّلهم وآخرهم: إنَّ اللهَ وعدكم الحسنىٰ وزيادة. الحُسنىٰ: الجنَّة، والزِّيادة: النَّظرُ إلىٰ وجه الرَّحمن**».

وأمَّا الصَّحابة: فقال ابن جرير: حدثنا بشَّارٌ، حدثنا عبد الرحمن هو ابن مَهْدِي،

(١) أخرجه الطبري (١١/ ١٠٧)، واللالكائي (٧٨١)، وسنده ضعيف جدًّا.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠٣٣٦)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ١٠٧)، وسنده ضعيف.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ١٠٥)، والدارقطني في «الرؤية» (٤٣). وهو ضعيف جدًّا.

حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عامر بن سعد عن أبي بكر الصديق -رضي الله تعالىٰ عنه- ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: النَّظَرُ إلىٰ وجه الله»[١].

وبهذا الإسناد: عن أبي إسحاق عن مسلم بن يزيد عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: النَّظَرُ إلىٰ وجه ربهم تبارك وتعالىٰ[٢].

وحدثنا علي بن عيسىٰ، حدثني شَبَابَة، حدثنا أبو بكر الهذلي قال: سمعتُ أبا تميمة الهُجَيمي يحدث عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إذا كان يوم القيامة يبعث اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إلىٰ أهل الجنَّة مناديًا ينادي: هل أنجز اللهُ لكم ما وعدكم؟ فينظرون إلىٰ ما أعد لهم من الكرامة فيقولون: نعم، فيقول: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ النظرُ إلىٰ وجه الرحمن عَزَّ وَجَلَّ»[٣].

وقال عبد الله بن المبارك: عن أبي بكر الهذلي أنبأنا أبو تميمة قال: سمعتُ أبا موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يخطب النَّاسُ في جامع البصرة ويقول: «إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يبعث يوم القيامة ملكًا إلىٰ أهل الجنَّة، فيقول: يا أهل الجنَّة، هل أنجز الله لكم ما وعدكم؟ فينظرون فيرون الحليَّ والحلل والأنهار والأزواج المطهرة، فيقولون: نعم، قد أنجز الله ما وعدنا، ثمَّ يقول الملك: هل أنجزكم الله ما وعدكم ثلاث مرَّات، فلا يفقدون شيئًا ممَّا وُعِدُوا فيقولون: نعم، فيقول: قد بقيَ لكم شيء، إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ ألا إنَّ الحسنىٰ: الجنَّة، والزيادة: النظر إلىٰ وجه الله عَزَّ وَجَلَّ».

وفي «تفسير أسباط بن نصر» عن إسماعيل السُّدي عن أبي مالك وأبي صالح

(١) أخرجه الطبري (١١/ ١٠٤ - ١٠٥) وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٧١).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ١٠٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٧٩٥)، وهناد في «الزهد» (١٧٠) وغيرهم. وسنده لا بأس به.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ١٠٥) والدارقطني في «الرؤية» (٤٤)، والهذلي متروك.

عن ابن عباس، وعن مُرَّة الهمداني عن ابن مسعود ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ فقال: «أمَّا الحسنىٰ: فالجنَّة، وأمَّا الزيادة: فالنظر إلىٰ وجه الله، وأمَّا القترُ: فالسَّواد»[1].

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ وعامر بن سعد وإسماعيل بن عبد الرحمن السُّدي، والضحاك بن مُزاحم وعبد الرحمن بن سابط وأبو إسحاق السَّبيعي وقتادة وسعيد بن المسيب والحسن البصري وعكرمة مولىٰ ابن عباس ومجاهد بن جبر: الحُسْنَىٰ: الجنَّة، والزيادة: النظر إلىٰ وجه الله[2].

وقال غير واحدٍ من السَّلفِ في الآية: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس:٢٦]: بعد النظر إليه، والأسانيد بذلك صحيحة.

ولمَّا عطفَ سبحانه الزيادة علىٰ الحسنىٰ التي هي الجنَّة؛ دلَّ علىٰ أنَّها أمرٌ آخر وراء الجنَّة، وقدرٌ زائدٌ عليها، ومن فسَّرَ الزيادة بالمغفرة والرضوان[3]، فهو من لوازم رؤية الرَّبَّ تبارك وتعالىٰ.

فصل

ص(٦١٦)

الدليل الرَّابع: قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝١٤ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٤-١٥].

ووجه الاستدلال بها: أنَّه سبحانه جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم

---

(١) ذكره اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٧٨٧) عن ابن أبي حاتم.

(٢) انظر: «الرؤية» للدارقطني (٢٠٨، ٢١٤، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٤)، والطبري (١١/ ١٠٥ - ١٠٧) و«المصنف» لابن أبي شيبة (٧/ ١٦٩)، و«شرح أصول الاعتقاد» (٧٨٩ - ٧٩٨).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠٣٤٣)، والطبري (١١/ ١٠٨) عن مجاهد. وسنده حسن.

محجوبين عن رؤيته، وسماع كلامه، فلو لم يرهُ المؤمنون، ولم يسمعوا كلامَهُ كانوا أيضًا محجوبين عنه، وقد احتج بهذه الحُجَّة الشافعي نفسه وغيره من الأئمة، فذكره الطبري وغيره عن المزني قال: سمعتُ الشافعي يقول في قوله ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ قال: «فيها دلالة علىٰ أنَّ أولياء الله يرون ربَّهم يوم القيامة»[(١)].

وقال الحاكم: حدثنا الأصم حدثنا الربيع بن سليمان قال: حضرت محمد بن إدريس الشافعي، وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقولُ في قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ فقال الشافعي: لمَّا أنْ حَجَبَ هؤلاءِ في السخط كان في هذا دليلٌ علىٰ أنَّ أولياءه يرونه في الرِّضىٰ. قال الربيع: فقلت: يا أبا عبد الله، وبه تقول؟ قال: نعمِ، وبه أدين الله، لو لم يُوقن محمد بن إدريس أنَّه يرىٰ الله = لَمَا عَبَدَ اللهَ ﷻ».

ورواه الطبري في «شرح السنة»[(٢)] من طريق الأصم أيضًا.

وقال أبو زرعة الرَّازي: سمعتُ أحمد بن محمد بن الحسين يقول: سُئِلَ محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، هل يرىٰ الخلق كلهم ربهم يوم القيامة: المؤمنون والكفار؟ فقال محمد: ليس يراهُ إلا المؤمنون. قال محمد: وسئل الشافعي عن الرؤية فقال: يقول الله ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ ففي هذا دليلٌ علىٰ أنَّ المؤمنين لا يُحْجَبون عن الله ﷻ»[(٣)].

فصل

ص(٦١٧)

والدليل الخامس: قوله ﷻ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥].

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٨٠٩).

(٢) (٨٨٣)، وأخرجه الواحدي في تفسيره «الوسيط» (٤/ ٤٦٤).

(٣) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٨١٠).

قال الطبريُّ: قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك: هو النظر إلىٰ وجه الله ﷻ، وقاله من التابعين: زيد بن وهب وغيره[1].

ص(٦١٨)

فصل

الدليل السادس: قوله ﷻ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ [الأنعام:١٠٣].

والاستدلال بهذا عجب، فإنَّه من أدلة النفاة، وقد قرَّر شيخنا وجه الاستدلال به أحسن تقرير وألطفه، وقال لي: أنا ألتزمُ أنَّهُ لا يحتج مبطلٌ بآية أو حديثٍ صحيح علىٰ باطله؛ إلا وفي ذلك الدليلِ ما يدلُّ علىٰ نقض قوله، فمنها هذه الآية وهي علىٰ جواز الرؤية أدلَّ منها علىٰ امتناعها، فإنَّ اللهَ سبحانه إنَّما ذكرها في سياق التمدُّح، ومعلومٌ أنَّ المدحَ إنَّما يكونُ بالأوصاف الثبوتية، وأمَّا العدمُ المحض فليس بكمال، فلا يمدح به، وإنَّما يُمْدح الربُّ تعالىٰ بالعَدَمِ إذا تضمن أمرًا وجوديًّا:

كمدحه بنفي السِّنَة والنوم المتضمن كمال القَيُّومية.

ونفي الموت المتضمن كمال الحياة.

ونفي اللُّغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة.

ونفي الشريك والصاحبة والولدِ والظهير المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره.

ونفي الأكلِ والشربِ المتضمن لكمال صَمَدِيَّتِهِ وغِنَاهُ.

ونفي الشفاعة عنده بدون إذنه المتضمن كمال توحيده وغناهُ عن خلقه.

ونفي الظلمِ المتضمن كمال عدلِهِ وعلمه وغناه.

ونفي النسيان وعزوب شيءٍ عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته.

---

(١) انظر: «شرح أصول الاعتقاد» (٨١١، ٨١٢، ٨١٣).

ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته.

ولهذا لم يتمدَّح بعَدَمٍ محْضٍ لا يتضمن أمرًا ثبوتيًّا، فإنَّ المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصف الكامل بأمرٍ يشترك هو والمعدوم فيه؛ فلو كان المراد بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣] أنَّهُ لا يُرَىٰ بحالٍ، لم يكن في ذلك مَدْحٌ ولا كمال، لمشاركة المعدوم له في ذلك، فإنَّ العَدَمَ الصِّرْف لا يُرَىٰ ولا تدركه الأبصارُ، والرَّبُّ جلَّ جلاله يتعالىٰ أنْ يُمْدَحَ بما يشاركه فيه العدمُ المحض.

فإذًا، المعنىٰ أنَّه يرىٰ ولا يُدرك، ولا يحاطُ به كما كان المعنىٰ في قوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ [يونس:٦١]، أنَّه يعلمُ كلَّ شيء.

وفي قوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق:٣٨]، أنَّه كامل القدرة.

وفي قوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩]، أنَّه كامل العدل.

وفي قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥]، أنَّهُ كامل القيوميَّة.

فقوله تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ يدلُّ علىٰ غايةِ عظمته، وأنَّه أكبرُ من كلِّ شيءٍ، وأنَّه لعظمته لا يُدْرَك بحيث يُحَاطُ به، فإنَّ الإدراك هو: الإحاطة بالشيء، وهو قدرٌ زائدٌ علىٰ الرؤية، كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ﴾ [الشعراء:٦٢،٦١] فلم ينفِ موسىٰ الرؤية، ولم يريدوا بقولهم: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ إنَّا لمرْئِيُّون؛ فإنَّ موسىٰ - صلوات الله وسلامه عليه - نفىٰ إدراكهم إيَّاهم بقوله: ﴿كَلَّآ﴾ وأخبر الله سبحانه أنَّه لا يخاف دركهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [طه:٧٧]. فالرؤية والإدراك كلٌّ منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالربُّ تعالىٰ يُرىٰ ولا يُدْرَكُ، كما يعلمُ ولا يحاط به، وهذا هو الَّذي فهمته الصحابة والأئمة من الآية.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣] لا تُحِيطُ به الأبصار»[1].

وقال قتادة: «هو أعظمُ من أنْ تدركه الأبصار»[2].

وقال عطية: «ينظرون إلىٰ اللهِ ولا تحيط أبصارهم به من عظمته، وبصره يحيط بهم، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ »[3].

فالمؤمنون يرون ربهم -تبارك وتعالىٰ- بأبصارهم عيانًا، ولا تدركه أبصارهم، بمعنىٰ أنها لا تحيط به، إذ كان غير جائز أن يوصف الله ﷻ بأن شيئًا يحيط به، وهو بكل شيء محيط، وهكذا يُسْمِعُ كلامه من شاء من خلقه، ولا يحيطون بكلامه، وهكذا يُعلِّم الخلق ما علمهم، ولا يحيطون بعلمه.

ونظير هذا استدلالهم علىٰ نفي الصفات بقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ:١١]، وهذا من أعظم الأدلة علىٰ كثرة صفات كماله ونعوت جلاله، وأنها لكثرتها وعظمتها وسعتها لم يكن له مِثْلٌ فيها، وإلا فلو أريد بها نفي الصفات لكان العدم المحض أولىٰ بهذا المدح منه، مع أن جميع العقلاء إنما يفهمون من قول القائل: فلان لا مِثْلَ له وليس له نظير، ولا شبيه ولا مثل = أنَّه قد تَمَيَّز عن الناس بأوصافٍ ونعوت لا يشاركونه فيها، وكلما كثرت أوصافه ونعوته فات أمثاله، وبعد عن مشابهة أضرابه، فقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ من أدلِّ شيءٍ علىٰ كثرة نعوته وصفاته.

وقوله تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣] من أدلِّ شيءٍ علىٰ أَنَّهُ يُرىٰ ولا يُدرك.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٩٩) بلفظ: «لا يحيط بصر أحد بالملك».

(٢) أخرجه الطبري (٧/ ٢٩٩) وسنده صحيح.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٩/ ١٩٢).

وقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد:٤]، من أدلِّ شيءٍ علىٰ مباينة الرَّبِّ لخلقه؛ فإنه لم يخلقهم في ذاته بل خلقهم خارجًا عن ذاته، ثم بان عنهم باستوائه علىٰ عرشه، وهو يعلم ما هم عليه، ويراهم وينفذهم بصره، ويحيط بهم عِلْمًا وقدرة وإرادة وسمعًا وبصرًا، فهذا معنىٰ كونه سبحانه معهم أينما كانوا.

وتأمَّل حُسن هذه المقابلة لفظًا ومعنًىٰ بين قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ﴾ [الأنعام:١٠٣]. فإنه سبحانه لعظمته يتعالىٰ أن تدركه الأبصار وتحيط به، ولِلُطْفِه وخبرته يُدْرِك الأبصار فلا تخفىٰ عليه، فهو العظيم في لُطْفِه، اللطيف في عظمته، العالي في قربه، القريب في علوِّه، الَّذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١]، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣].

فصل

ص(٦٢٢)

الدليل السابع: قوله ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، وأنت إذا أَجَرْتَ هذه الآية من تحريفها عن مواضعها والكذب علىٰ المتكلم بها سبحانه فيما أراد منها = وجدتها منادية نداء صريحًا: أنَّ الله سبحانه يُرىٰ عيانًا بالأبصار يوم القيامة، وإن أبيت إلا تحريفها الذي يسميه المُحرِّفُون تأويلًا، فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والميزان والحساب أسهل علىٰ أربابه من تأويلها، وتأويل كل نصٍّ تضمنه القرآن والسنة كذلك، ولا يشاء مُبْطِلٌ علىٰ وجه الأرض أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجَدَ إلىٰ ذلك من السبيل ما وجده متأول مثل هذه النصوص، وهذا الذي أفسد الدين والدنيا.

وإضافة النظر إلىٰ الوجه الذي هو محلّه في هذه الآية، وتَعْدِيته بأداة «إلىٰ» الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة تدل علىٰ أن المراد بالنظر المضاف إلىٰ الوجه المُعَدَّىٰ بـ «إلىٰ» خلاف حقيقته، وموضوعه = صريح في أن الله سبحانه أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلىٰ نفس الرب جل جلاله، فإن النظر له عِدَّة استعمالات بحسب صِلاته وتَعَدِّيه بنفسه:

فإن عُدِّيَ بنفسه فمعناه: التوقف والانتظار، كقوله تعالىٰ: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد:١٣].

وإن عُدِّيَ بـ «في» فمعناه: التفكر والاعتبار، كقوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:١٨٥].

وإن عُدِّيَ بـ «إلىٰ» فمعناه: المعاينة بالأبصار كقوله تعالىٰ: ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾ [الأنعام:٩٩]، فكيف إذا أُضيف إلىٰ الوجه الذي هو محل البصر؟

قال يزيد بن هارون: أنبأنا مبارك، عن الحسن: «نظرت إلىٰ ربها تبارك وتعالىٰ فنَضِرت بنوره»(١).

فاسمع الآن أيها السُّنِّي تفسير النَّبي ﷺ وأصحابه والتابعين وأئمة الإسلام لهذه الآية.

قال ابن مردويه في «تفسيره»: حدثنا إبراهيم بن محمد، حدثنا صالح بن أحمد، حدثنا يزيد بن الهيثم، حدثنا محمد بن الصباح، حدثنا مصعب بن المقدام، حدثنا سفيان، عن ثوير بن أبي فاختة، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ قال: «من البهاء والحسن ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٩/ ١٩٢) والآجري في «الشريعة» (٥٨٥) وغيرهما، وسنده حسن.

نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٣]. قال: في وجه الله ﷻ»(١).

وقال أبو صالح: عن ابن عباس ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: «تنظر إلىٰ وجه ربها»(٢).

وقال عكرمة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ قال: «من النعيم»، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: «تنظر إلىٰ ربها نظرًا»، ثم حكىٰ عن ابن عباس مثله»(٣).

وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والحديث.

فصل

ص(٦٢٥)

وأما الأحاديث عن النَّبي ﷺ وأصحابه الدالة علىٰ الرؤية فمتواترة، رواها عنه أبو بكر الصديق وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وجرير ابن عبد الله البجلي، وصهيب بن سنان الرومي، وعبد الله بن مسعود الهذلي، وعلي بن أبي طالب، وأبو موسىٰ الأشعري، وعدي بن حاتم الطائي، وأنس بن مالك الأنصاري، وبريدة بن الحصيب الأسلمي، وأبو رزين العقيلي، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبو أمامة الباهلي، وزيد بن ثابت، وعمار بن ياسر، وعائشة أم المؤمنين، وعبد الله بن عمر، وعُمَارة بن رُوَيْبة، وسلمان الفارسي، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص -وحديثه موقوف- وأُبي بن كعب، وكعب بن عُجْرة، وفَضَالة بن عُبيد -وحديثه موقوف-، ورجل من أصحاب النَّبي ﷺ غير مُسمَّىٰ.

فهاك سياق أحاديثهم من الصحاح والمسانيد والسنن، وتَلَقَّها بالقبول والتسليم

(١) تقدم أصل هذا الحديث في ص (٢١٤). وهو لا يثبت مرفوعًا.

(٢) لم أقف عليه من طريق أبي صالح. وقد توبع فرواه عبد الصمد عن أبيه، وعكرمة كلاهما عن ابن عباس نحوه. أخرجه الآجري في «الشريعة» (٥٨٨)، واللالكائي (٧٩٩).

(٣) أخرجه الآجري في «الشريعة» (٥٨٨)، واللالكائي (٨٠٤): عن ابن عباس، وسنده ضعيف، لكنه ثابت عن عكرمة بالشطر الأول عند الآجري (٥٨٦، ٥٨٧) وغيره.

وانشراح الصدر، لا بالتحريف والتبديل وضيق العطن، ولا تُكذِّب بها؛ فمن كَذَّبَ بها لم يكن إلىٰ وجه ربه من الناظرين، وكان عنه يوم القيامة من المحجوبين.

ص(٦٢٦)

فصــل

فأما حديث أبي بكر الصديق: فقال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني، قال: حدثني النضر بن شُمَيل المازني قال: حدثني أبو نَعَامة قال: حدثني أبو هُنَيدة البراء بن نوفل عن والان العدوي عن حذيفة عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أصبح رسول الله ﷺ ذات يوم فصلىٰ الغداة ثم جلس، حتىٰ إذا كان من الضحىٰ ضحك رسول الله ﷺ، ثم جلس مكانه حتَّىٰ صلَّىٰ الأُولىٰ والعصر والمغرب، كل ذلك لا يتكلم حتىٰ صلىٰ العشاء الآخرة، ثم قام إلىٰ أهله، فقال الناس لأبي بكر: ألا تسأل رسول الله ﷺ ما شأنه؟ صنع اليوم شيئًا لم يصنعه قط، قال: فسأله، فقال: «نعم، عرض عليَّ ما هو كائنٌ من أمر الدنيا وأمر الآخرة، فجمع الأولون والآخرون في صعيد واحد، فَفَظِع الناس بذلك حتىٰ انطلقوا إلىٰ آدم ﷺ والعرق يكاد يلجمهم، فقالوا: يا آدم أنت أبو البشر، وأنت اصطفاك الله عَزَّ وَجَلَّ، اشفع لنا إلىٰ ربك، قال: لقد لقيت مثل الذي لقيتم، انطلقوا إلىٰ أبيكم بعد أبيكم؛ إلىٰ نوح: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٣٣] قال: فينطلقون إلىٰ نوح ﷺ، فيقولون: اشفع لنا إلىٰ ربك، فأنت اصطفاك الله واستجاب لك في دعائك، ولم يَدَعْ علىٰ الأرض من الكافرين ديارًا، فيقول: ليس ذلكم عندي، انطلقوا إلىٰ إبراهيم ﷺ فإن الله اتخذه خليلًا، فينطلقون إلىٰ إبراهيم، فيقول: ليس ذاكم عندي، انطلقوا إلىٰ موسىٰ ﷺ؛ فإن الله عَزَّ وَجَلَّ كلمه تكليمًا، فيقول موسىٰ ﷺ: ليس ذلك عندي، ولكن انطلقوا إلىٰ عيسىٰ بن مريم ﷺ فإنَّه كان يُبْرِئُ الأكمه والأبرص ويحييٰ الموتىٰ، فيقول عيسىٰ: ليس ذاكم عندي، انطلقوا إلىٰ سيد

ولدِ آدم، إلىٰ محمد ﷺ، فليشفع لكم إلىٰ ربّكُم ﷻ، قال: فينطلقُ فيأتي جبريل ربه تبارك وتعالىٰ فيقول الله ﷻ: ائذن له وبشِّرهُ بالجنَّة، فينطلقُ به جبريل ﷺ فيخر ساجدًا قدرَ جُمُعة، ويقولُ الله ﷻ: ارفع رأسَك، وقُلْ يُسمع، واشْفع تُشَفَّع، قال: فيرفع رأسه فإذا انظر إلىٰ وجه ربِّه خرَّ ساجدًا قدْر جُمُعةٍ أخرىٰ، فيقول الله ﷻ: ارفع رأسك وقل يُسمع، واشفع تُشفَّع، قال: فيذهب ليقع ساجدًا فيأخذ جبريل بِضَبْعَيه فيفتح الله ﷻ عليه من الدعاء شيئًا لم يفتحه علىٰ بشرٍ قط، فيقول: أي رب خلقتني سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر، حتَّىٰ إنَّه ليرد علىٰ الحوض أكثر مما بين صنعاء وأيلة، ثم يقال: ادعوا الصديقين فيشفعون، ثم يقال: ادعوا الأنبياء، قال: فيجيء النَّبي ومعهُ العِصَابة، والنَّبي ومعه الخمسة والستة، والنَّبي وليس معه أحد، ثمَّ يقال: ادعوا الشهداء فيشفعون لمن أرادوا، قال: فإذا فعلتِ الشهداء ذلك، قال: يقول الله ﷻ: أنا أرحمُ الرَّاحمين ادْخِلوا جنَّتي من كان لا يشرك بي شيئًا، قال: فيدخلون الجنَّة، قال: ثمَّ يقول اللهُ ﷻ: انظروا في النَّارِ هل تلقونَ من أحدٍ عمل خيرًا قطُّ؟ قال: فيجدون في النَّارِ رجلًا، فيقول له: هل عملت خيرًا قطُّ؟ فيقول: لا، غير أنِّي كُنْتُ أسامح الناس في البيع، فيقول اللهُ ﷻ: اسْمحُوا لعبدي كإسماحه إلىٰ عبيدي، ثمَّ يُخْرِجُون من النَّارِ رجلًا يُقول له: هل عملت خيرًا قط؟ فيقول: لا، غير أنِّي قد أمرت ولدي إذا متُّ، فأحرقوني بالنَّارِ ثمَّ اطحنوني حتَّىٰ إذا كُنْتُ مثل الكُحل فاذهبوا بي إلىٰ البحرِ فأذرُّوني في الرِّيح، فواللهِ لا يقدرُ عليَّ ربُّ العالمين أبدًا، فقال اللهُ ﷻ له: لِمَ فعلتَ ذلك؟ قال: من مخافتك، قال: فيقولُ اللهُ ﷻ: انظر إلىٰ مُلْكِ أعظمِ مَلِكٍ، فإنَّ لك مثلَهُ وعشرةَ أمثالهِ، قال: فيقول: أتسخر بي وأنت الملك، قال: وذلك الَّذي ضحكتُ منه من الضُّحىٰ»[1].

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤)، وابن حبان (٦٤٧٦)، وأبو عوانة (٤٤٣) وصححاه.

ص(٦٢٩)

فصل

وأمَّا حديثُ أبي هريرة وأبي سعيد: ففي «الصحيحين»[(١)] عن أبي هريرة أنَّ أُناسًا قالوا: يا رسول الله هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تضارُّون في رؤية القمرِ ليلةَ البدرِ؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «هل تضارُّون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا، قال: «فإنَّكم ترونه كذلك، يجمعُ اللهُ النَّاس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه، فيتَّبع من كان يعبد الشمسَ الشمسَ، ويتبع من كان يعبد القمرَ القَمَرَ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقىٰ هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم اللهُ تبارك وتعالىٰ في صورةٍ غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتَّىٰ يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله ﷻ في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه، ويضرب الصراط بين ظَهْرَانَي جهنَّم، فأكون أنا وأمتي أَوَّلَ من يُجِيْزُ، ولا يتكلَّم يومئذٍ إلا الرسل، ودعوىٰ الرُّسل يومئذٍ: اللهم سلِّم سَلِّم، وفي جهنَّم كلاليبُ مثل شوكِ السَّعْدان، هل رأيتم السعدان؟» قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «فإنَّها مثل شوك السعدان غير أنَّه لا يعلمُ قدر عِظَمها إلا اللهُ ﷻ، تخطف النَّاس بأعمالهم، فمنهم المُوْبَق بعمله، ومنهم المُجازىٰ حتىٰ ينجو، حتَّىٰ إذا فرغ الله من القضاء بين العباد، وأراد أنْ يُخرجَ برحمته من أراد من أهل النَّارِ، أمرَ الملائكة أن يخرجوا من النَّارِ من كان لا يشرك بالله شيئًا ممَّن أراد الله أنْ يرحمه ممَّن يقول: لا إله إلا اللهُ، فيعرفونهم بأثر السجود، تأكل النَّارُ من ابن آدم إلا أثرَ السجود، حرَّم اللهُ علىٰ النَّارِ أنْ تأكل أثر السجود، فيخرجون من النَّارِ قد امْتُحِشُوا فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون منه كما تنبت الحبَّة في حَميل السيل، ثمَّ يفرغ اللهُ من القضاء بين العباد، ويبقىٰ

(١) البخاري (٧٧٣ و ٦٢٠٤ و ٧٠٠)، ومسلم (١٨٢).

رجلٌ مقبل بوجهه علىٰ النَّارِ - وهو آخر أهل الجنَّة دخولًا الجنَّة - فيقول: أي ربِّ أصرف وجهي عن النَّارِ، فإنَّه قد قَشَبني ريحُها وأحرقني ذكاؤها، فيدعو الله ما شاء أنْ يدعوهُ، ثمَّ يقول الله تبارك وتعالىٰ: هل عسيت إنْ فعلت ذلك أن تسأل غيره؟ فيقول: لا أسألك غيره، فيُعطِي ربه من عهود ومواثيق ما شاء، فيصرف الله وجهه عن النَّار، فإذا أقبلَ علىٰ الجنَّة، ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثمَّ يقول: أَي ربِّ قدِّمني إلىٰ باب الجنَّة، فيقول اللهُ: أليس قد أعطيتَ عهودك ومواثيقك لا تسألني غير الَّذي أعطيتك؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك! فيقول أي رب فيدعو الله حتَّىٰ يقول له: فهل عسيت إنْ أعطيتك ذلك أنْ تسأل غيره؟ فيقول: لا وعِزَّتك، فيُعطي ربَّه ما شاء الله من عهودٍ ومواثيق فيقدمه إلىٰ باب الجنَّة، فإذا قامَ علىٰ باب الجنَّة انفهقت له الجنَّة فرأىٰ ما فيها من الخيرِ والسرور، فسكتَ ما شاء اللهُ أنْ يسكت، ثمَّ يقول أي ربِّ أدخلني الجنَّة، فيقول الله تبارك وتعالىٰ له: أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أنْ لا تسأل غير ما أُعطِيت؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك! فيقول: أي ربِّ، لا أكون أشقىٰ خلقك، فلا يزال يدعو حتَّىٰ يضحك الله منه، فإذا ضحك الله منه قال: أدخل الجنَّة، فإذا دخلها قال الله له: تَمَنَّهْ، فيسأل ربه ويتمنَّىٰ حتَّىٰ أنَّ اللهَ لَيُذَكِّره فيقول: من كذا وكذا، حتَّىٰ إذا انقطعت به الأمانيُّ، قال اللهُ ﷻ: لك ذلك ومثله معه».

قال عطاء بن يزيد: وأبو سعيد الخدري مع أبي هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئًا حتَّىٰ إذا حدَّث أبو هريرة: إنَّ الله ﷻ قال لذلك الرجل «ومثله معه» قال أبو سعيد: وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة، قال أبو هريرة: ما حفظت إلا قوله: «ذلك لك ومثله معه» قال أبو سعيد: أشهدُ أنِّي حفظت من رسول الله ﷺ قوله: «**ذلك لك وعشرة أمثاله**» قال أبو هريرة: وذلك الرجل آخر أهل الجنَّة دخولًا الجنَّة.

وفي «الصحيحين»[١] أيضًا عَن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ ناسًا في زمن رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: **«نعم، هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوًا ليس معها سحاب؟ وهل تضارون في رؤية القمرِ ليلة البدرِ صحوًا ليس فيها سحاب؟»** قالوا: لا يا رسول الله؟ قال: **«ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالىٰ يوم القيامة؛ إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذَّنَ مؤذِّنٌ، لتتبع كلُّ أُمَّةٍ ما كانت تعبد، فلا يبقىٰ أحدٌ ممَّن كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النَّارِ، حتَّىٰ إذا لم يبقَ إلا من كان يعبد الله من برٍّ وفاجر، وغير أهل الكتاب، فيدعىٰ اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كُنَّا نعبد عزيرَ ابنَ الله، فيقال: كذبتم ما اتخذَ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا رب فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلىٰ النَّارِ كأنَّها سراب يَحْطِمُ بعضها بعضًا، فيتساقطون في النَّارِ، ثمَّ يدعىٰ النصارىٰ، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كُنَّا نعبد المسيح ابنَ الله، فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ اللهُ من صاحبة ولا ولد، فيقال: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا، قال: فيشار إليهم ألا تردون؟ فيُحْشَرون إلىٰ جهنَّمْ كأنَّها سراب يحطم بعضها بعضًا، فيتساقطون في النار، حتَّىٰ إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر، أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالىٰ في أدنىٰ صورة من التي رأوه فيها. قال: فما تنتظرون؟ لِتَتَّبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئًا -مرتين أو ثلاثًا- حتىٰ إنَّ بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيُكْشَف عن ساقٍ فلا يبقىٰ من كان يسجد لله من**

(١) البخاري (٧٠٠١)، ومسلم (١٨٣).

تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقىٰ من كان يسجد اتِّقاءً ورياء إلا جعل الله ظَهْره طبقةً واحدةً، كلمَّا أراد أنْ يسجد خرَّ علىٰ قفاهُ، ثمَّ يرفعون رؤوسهم، وقد تحوَّل في صورته التي رأوهُ فيها أَوَّل مرَّة، فيقولُ: أنا ربُّكم، فيقولون: أنت ربنا، ثمَّ يُضْرَب الجسر علىٰ جهنَّم وتحلُّ الشفاعة، قيل: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: دحض مزلَّة فيه خطاطيف وكلاليب، وحَسَك - تكون بنجدٍ فيها شويكة يقال لها السَّعْدَان- فيمرُّ المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالرِّيح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والرِّكابِ، فناجٍ مسلَّم، ومخدوشٌ مُرْسَلٌ، ومكدوشٌ في نار جهنَّم، حتَّىٰ إذا خلص المؤمنون من النَّار، فوالَّذي نفسي بيده ما منكم من أحدٍ بأشدَّ مناشدةً لله في استيفاء الحقِّ من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الَّذين في النَّارِ، يقولون: ربنا كانوا يصومون معَنَا ويصلون ويحجُّون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم علىٰ النَّارِ فيُخرجون خلقًا كثيرًا، قد أخذتِ النَّار إلىٰ أنصاف ساقيه وإلىٰ ركبتيه، فيقولون: ربَّنَا ما بقيَ فيها أحد ممن أمرتنا، فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينارٍ من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثمَّ يقولون: ربنا لم نَذَرْ فيها أحدًا ممن أمرتنا، ثمَّ يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينارٍ من خير فأخرجوه، فيُخْرِجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدًا، ثم يقول: ارْجِعوا فمن وجدتم في قلبه مثال ذرَّةٍ من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثمَّ يقولون: ربنا لم نذر فيها خيرًا -وكان أبو سعيد الخدري يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤوا إنْ شئتم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٤٠] - فيقول الله ﷻ: شفعتِ الملائكة، وشفع النَّبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبقَ إلا أرحمُ الرَّاحمين، فيقبض قبضة من النَّار فيُخْرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قطُّ، قد عادوا حُمَمًا فيلقيهم في نهرٍ

في أفواهِ الجنَّة يقال له: نهر الحياة، فيخرجون كما تخرجُ الحِبَّة في حَميل السيل، ألا ترونها تكون إلىٰ الحجر أو إلىٰ الشجر، ما يكون إلىٰ الشمس أصيفر وأُخيضر، وما يكون منها إلىٰ الظل يكون أبيض، فقالوا يا رسول الله كأنَّكَ كنتَ ترعىٰ بالبادية، قال: فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنَّة: هؤلاء عتقاء الله الَّذين أدخلهم الله الْجنَّة بغير عملٍ عملوه ولا خيرٍ قدَّموه، ثمَّ يقول: ادخلوا الجنَّة فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تُعْطِ أحدًا من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا، فيقولون: يا ربنا وأيُّ شيءٍ أفضل من هذا؟ فيقول: رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبدًا».

ص(٦٣٤)

فصل

وأما حديث جرير بن عبد الله: ففي «الصحيحين»[1] من حديث إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عنه قال: كنا جلوسًا مع النَّبي ﷺ فنظر إلىٰ القمر ليلة أربع عشرة فقال: «إنكم سترون ربكم عيانًا كما ترون هذا، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلَبوا علىٰ صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا، ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق:٣٩].

رواه عن إسماعيل بن أبي خالد: عبد الله بن إدريس الأودي، ويحيىٰ بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن محمد المحاربي، وجرير بن عبد الحميد، وعبيدة بن حُمَيد، وهشيم بن بشير، وعلي بن عاصم، وسفيان بن عيينة، ومروان بن معاوية، وأبو أسامة، وعبد الله بن نُمَير، ومحمد بن عبيد، وأخوه يعلىٰ بن عبيد، ووكيع بن الجراح، ومحمد بن فضيل، والطُّفَاوي، ويزيد بن هارون، وإسماعيل بن مجالد، وعنبسة بن سعيد، والحسن بن صالح بن حَيٍّ، وورقاء بن عمر، وعمار بن رزيق، وأبو الأغر سعيد بن عبد الله، ونصر بن طريف، وعمار بن محمد، والحسن بن

(١) البخاري (٥٢٩ و ٥٤٧ و ٤٥٧٠ و ٦٩٩٧)، ومسلم (٦٣٣).

عياش أخو أبي بكر، ويزيد بن عطاء، وعيسىٰ بن يونس، وشعبة بن الحجاج، وعبد الله بن المبارك، وأبو حمزة السكري، وحسين بن واقد، ومعتمر بن سليمان، وجعفر بن زياد، وخداش بن المهاجر، وهُرَيْم بن سفيان، ومندل بن علي، وأخوه: حبان بن علي، وعمرو بن مَرْثد، وعبد الغفار بن القاسم، ومحمد بن بشر الجريري، ومالك بن مِغول، وعصام بن النعمان، وعلي بن القاسم الكِنْدِي، وعُبيدة بن الأسود الهمْداني، وعبد الجبار بن العباس، والمُعلَّىٰ بن هلال، ويحيىٰ بن زكريا ابن أبي زائدة، والصبَّاح بن مُحَارب، ومحمد بن عيسىٰ، وسعيد بن حازم، وأبان ابن أرقم، وعمرو بن النعمان، ومسعود بن سعد الجُعفي، وعثَّام بن علي، وحسن بن حبيب، وسنان بن هارون البرجمي، ومحمد بن يزيد الواسطي، وعمرو بن هاشم، ومحمد بن مروان، ويعلىٰ بن الحارث المحاربي، وشعيب بن راشد، والحسن بن دينار، وسلَّام بن أبي مطيع، وداود بن الزِّبْرقان، وحماد بن أبي حنيفة، ويعقوب بن حبيب، وحكَّام بن سلم، وأبو مقاتل بن حفص، ومسيب بن شريك، وأبو حنيفة النعمان بن ثابت، وعمرو بن شمر الجعفي، وعمرو بن عبد الغفار الفُقَيمي، وسيف ابن هارون البُرْجُمي أخو سنان، وعائذ بن حبيب، ومالك بن سُعَيْر بن الخِمس، ويزيد بن عطاء مولىٰ أبي عوانة، وخالد بن يزيد العَصْري، وعبيد الله بن موسىٰ، وخالد بن عبد الله الطحَّان، وأبو كُدَيْنَة يحيىٰ بن المُهَلَّب، ورَقَبَة بن مَصْقَلة، ومعمر ابن سليمان الرَّقي، ومُرَجَّىٰ بن رجاء، وعمرو بن جرير، ويحيىٰ بن هاشم السمسار، وإبراهيم بن طَهْمَان، وخارجة بن مصعب، وعبد الله بن عثمان -شريك شعبة-، وعبد الله بن فروخ، وزيد بن أبي أُنيسة، وجوَّده فقال: «ستُعايَنُون ربَّكُم ﷻ كما تُعاينون هذا القَمَرَ»[1]. وأبو شهاب الحنَّاط وقال: «سَتَرَوْنَ ربَّكُم عِيَانًا»[2]. وجارية

(١) أخرجه ابن منده في «الإيمان» (٧٩٩)، والدارقطني في «الرؤية» (١٣٠)، وغيرهما. وسنده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٩٨).

ابن هرم، وعاصم بن حكيم ومقاتل بن سليمان وأبو جعفر الرازي، والحسن بن أبي جعفر، والوليد بن عمرو، وأخوه: عثمان بن عمرو، وعبد السلام بن عبد الله ابن قرة العنبري، ويزيد بن عبد العزيز، وعلي بن صالح بن حَيّ، وزُفَر بن الهُذَيل، والقاسم بن معن.

وتابع إسماعيل بن أبي خالد عن قيس جماعة منهم:

بيَان بن بِشْر، ومُجَالد بن سعيد، وطارق بن عبد الرحمن، وجرير ابن يزيد بن جرير البجلي، وعيسىٰ بن المسيب، كلُّهم عن قيس بن أبي حازم، عن جرير[١].

فكلُّ هؤلاء شهدوا علىٰ إسماعيل بن أبي خالد، وشهد إسماعيل ابن أبي خالد علىٰ قيس بن أبي حازم، وشهد قيس بن أبي حازم علىٰ جرير بن عبد الله، وشهد جرير علىٰ رسول الله ﷺ فكأنَّك تسمع رسول الله ﷺ وهو يقوله ويبلِّغه لأُمَّته، ولا شيءَ أقرَّ لأعينهم منه، وشهدت الجهمية والفرعونية والرَّافضة والقرامطة والباطنية وفروخ الصابئة والمجوس واليونان بكفر من اعتقد ذلك، وأنَّه من أهل التشبيه والتجسيم، وتابعهم علىٰ ذلك كلُّ عدوٍّ للسنة وأهلها، والله ناصرٌ كتابه وسُنَّة رسوله ولو كره الكافرون.

فصل

ص(٦٣٨)

وأمَّا حديث صهيب: فرواهُ مسلم في «صحيحه»[٢] من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ عن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنَّةِ الجنَّةَ قال: يقول الله ﷻ: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تُبيِّض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنَّة وتنجِّنا من النَّارِ؟ قال: فيكشفُ الحجابَ، فما أُعطوا**

(١) انظر عامة هذه الطرق عند الدارقطني في «الرؤية» من (٦٩) إلىٰ (١٤٨).

(٢) برقم (١٨١).

شيئًا أحبَّ إليهم من النظرِ إلىٰ ربِّهم ﷻ، ثمَّ تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] ».

وهذا حديثٌ رواه الأئمة عن حمَّاد وتلقوه عن نبيِّهم بالقبول والتصديق.

فصل

ص(٦٣٨)

وأمَّا حديث عبد الله بن مسعود: فقال الطبراني: حدثنا محمد بن النضر الأزدي وعبد الله بن أحمد بن حنبل، والحضرمي قالوا: حدثنا إسماعيل بن عُبيد بن أبي كريمة الحرَّاني، حدثنا محمد بن سلمة الحرَّاني عن أبي عبد الرحيم عن زيد بن أبي أنيسة عن المِنْهَال بن عمرو عن أبي عبيدة عن عبد الله عن مسروق بن الأجدع، حدثنا عبد الله بن مسعود قال: «يجمع الله الأوَّلين والآخرين لميقات يومٍ معلوم، قيامًا أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلىٰ السماءِ ينتظرون فصل القضاء، قال: وينزل الله ﷻ في ظُلَلٍ من الغمام من العرش إلىٰ الكرسي، ثمَّ ينادي منادٍ: أيها النَّاسُ ألم ترضوا من ربكم الَّذي خلقكم ورزقكم، وأمركم أنْ تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا أن يولي كلَّ أناسٍ منكم ما كانوا يتولون ويعبدون في الدنيا، أليس ذلك عدلًا من ربكم؟ قالوا: بلىٰ، قال: فينطلق كلُّ قومٍ إلىٰ ما كانوا يعبدون ويتولون في الدنيا، قال: فينطلقون، ويمثَّل لهم أشباه ما كانوا يعبدون، فمنهم من ينطلق إلىٰ الشمس، ومنهم من ينطلق إلىٰ القمر، وإلىٰ الأوثان من الحجارة وأشباه ما كانوا يعبدون، قال: ويمثَّل لمن كان يعبد عيسىٰ شيطان عيسىٰ، ويمثَّل لمن كان يعبد عُزَيرًا شيطان عزير، ويبقىٰ محمد ﷺ وأمته، فيأتيهم الربُّ ﷻ فيقول: ما لكم لا تنطلقون كما انطلق النَّاسُ؟ قال: فيقولون: إنَّ لنا إلهًا ما رأيناهُ بَعْدُ، فيقول: هل تعرفونه إنْ رأيتموه؟ فيقولون: إنَّ بيننا وبينه علامة إذا رأيناه عرفناها، قال: فيقول ما هي؟ فيقولون: يكشف عن ساقه، فعند ذلك يكشف عن ساقٍ فيخرُّون له سُجَّدًا، ويبقىٰ

قوم ظهورهم كصياصي البقر يريدون السجود فلا يستطيعون، وقد كانوا يدعون إلىٰ السجود وهم سالمون، ثمَّ يقول: ارفعوا رؤوسكم فيرفعون رؤوسهم فيعطيهم نورهم علىٰ قدر أعمالهم، فمنهم من يُعْطىٰ نوره مثل الجبل العظيم يسعىٰ بين يديه، ومنهم من يُعطىٰ نورًا أصغر من ذلك، ومنهم من يُعْطىٰ نورًا مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطىٰ نورًا أصغر من ذلك حتَّىٰ يكون آخرهم رجلًا يعطىٰ نوره علىٰ إبهام قدمه يضيء مرَّة، ويطفأ مرَّة، فإذا أضاء قدَّم قَدَمه فمشىٰ، وإذا طفيء قام، والربُّ تبارك وتعالىٰ أمامهم حتَّىٰ يمر في النَّارِ فيبقىٰ أثره كحدِّ السيف دحض مزلة، قال: ويقول: مرُّوا فيمرون علىٰ قدر نورهم، منهم من يمر كطرف العين، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالسحاب، ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمرُّ كشد الفرس، ومنهم من يَمُرُّ كشدِّ الرجل، حتَّىٰ يمر الَّذي أُعطي نوره علىٰ إبهام قدمه، يحبو علىٰ وجهه ويديه ورجليه تخِرُّ يدٌّ، وتعلق يدٌ، وتخِرُّ رجلٌ، وتعلق رجلٌ، وتصيب جوانبه النار، فلا يزال كذلك حتىٰ يخلص، فإذا خلص وقف عليها، ثمَّ قال: الحمد لله لقد أعطاني الله ما لم يُعْطِ أحدًا، إذ نجاني منها بعد إذ رأيتها، قال: فينطلق به إلىٰ غدير عند باب الجنَّة فيغتسل فيعود إليه ريح أهل الجنَّة وألوانهم، فيرىٰ ما في الجنَّة من خلال البابِ، فيقول: ربِّ أدخلني الجنَّة، فيقول الله تبارك وتعالىٰ له: أتسأل الجنَّةَ وقد نجيتك من النار؟! فيقول: رب اجعل بيني وبينها حجابًا، لا أسمع حسيسها. قال: فيدخل الجنَّة، قال: ويرىٰ أو يرفع له منزلٌ أمام ذلك، كأنَّما الَّذي هو فيه إليه حلم، فيقول: رب أعطني ذلك المنزل، فيقول: فلعلك إنْ أعطيتكه تسأل غيره؟ فيقول: لا وعزَّتك، لا أسألك غيره، وأي منزلٍ يكون أحسن منه؟ قال: فيعطاهُ فينزله، ويرىٰ أمام ذلك منزلًا، كأنَّما الَّذي هو فيه إليه حلم، قال: أي رب أعطني ذلك المنزل، فيقول الله ﷻ، فلعلك إنْ أعطيتكه

تسأل غيره، فيقول: لا وعزتك لا أسأل غيره، وأي منزل يكون أحسن منه، قال: فيعطىٰ فينزله، قال: ويرىٰ أو يرفع أمام ذلك منزل آخر، كأنَّما هو إليه حلم، فيقول: أعطني ذلك المنزل، فيقول الله جلَّ جلاله: فلعلك إنْ أعطيتكه تسأل غيره؟ فيقول: لا وعزَّتك لا أسأل غيره، وأي منزلٍ - يكون أحسن منه، قال: فيعطاه فينزله، ثمَّ يسكت، فيقول الله ﷻ: مالك لا تسأل؟ فيقول له: ربِّ لقد سألتك حتَّىٰ استحييتك، وأقسمت لك حتَّىٰ استحييتك، فيقول الله ﷻ: ألا ترضىٰ أن أعطيك مثل الدنيا منذ يوم خلقتها إلىٰ يوم أفنيتها وعشرة أضعافها؟ فيقول: أتستهزئُ بي وأنت رب العزَّة، فيضحك الرب ﷻ من قوله - قال: فرأيتُ عبد الله بن مسعود إذا بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، قد سمعتك تحدث هذا الحديث مرارًا، كلَّما بلغتَ هذا المكان ضحكت، فقال: إنِّي سمعت رسول الله ﷺ يحدث هذا الحديث مرارًا؛ كلَّما بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك، حتَّىٰ تبدو أضراسه -. قال: فيقول الله ﷻ: لا ولكنِّي علىٰ ذلك قادرٌ، سل. فيقول: ألحقني بالنَّاسِ، فيقول: الحق بالنَّاس، قال: فينطلق يرمل في الجنَّة، حتَّىٰ إذا دنىٰ من النَّاسِ رُفِعَ له قصرٌ من درَّةٍ، فيخر ساجدًا، فيقال له: ارفع رأسك مالك؟ فيقول: رأيتُ ربِّي أو تراءىٰ لي ربِّي، فيقال له: إنَّما هو منزلٌ من منازلك، قال: ثمَّ يلقىٰ رجلًا، فيتهيأ للسجود، فيقال له: مه، مالك؟ فيقول: رأيتُ أنَّك ملكٌ من الملائكة، فيقول: إنَّما أنا خازنٌ من خُزَّانك، عبدٌ من عبيدك، تحت يديَّ ألف قهرمان، علىٰ مثل ما أنا عليه، قال: فينطلق أمامه حتَّىٰ يفتح له القصر، قال: وهو في دُرَّةٍ مجوَّفة، شقائقها، وأبوابها وأغلاقها ومفاتيحها منها، يستقبله جوهرة خضراء مبطنة بحمراء كل جوهرة تفضي إلىٰ جوهرة فيها سبعون بابًا، كلُّ بابٍ يفضي إلىٰ جوهرة خضراء مبطنة بحمراء، كل جوهرة تفضي إلىٰ جوهرة علىٰ غير لون الآخرىٰ، في كلُّ جوهرة

سررٌ وأزواج، ووصائف أدناهنَّ حوراء عيناء، عليها سبعون حلَّة، يُرىٰ مُخ ساقها من وراء حللها، كبدها مرآته وكبده مرآتها، إذا أعرض عنها إعراضةً ازدادت في عينه سبعون ضعفًا، عمَّا كانت قبل ذلك، فيقول لها: والله لقد ازددت في عيني سبعين ضعفًا، وتقول له: والله وأنت لقد ازددت في عيني سبعين ضعفًا، فيقال له: أَشْرِف، قال: فيشرف فيقال له: ملكك مسيرة مئة عام ينفذه بصره، قال فقال: عمر: ألا تسمع ما يحدثنا ابن أُمِّ عبدٍ يا كعب، عن أدنىٰ أهل الجنَّة منزلًا، فكيف أعلاهم؟

قال كعب: يا أمير المؤمنين ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت، إنَّ الله ﷻ جعل دارًا فيها ما شاء من الأزواج والثمرات والأشربة، ثمَّ أطبقها فلم يرها أحدٌ من خلقه لا جبريل ولا غيره من الملائكة، ثمَّ قرأ كعب: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة:١٧]، قال: وخلق دون ذلك جنتين، وزينهما بما شاء وأراهما من شاء من خلقه، ثمَّ قال: من كان كتابه في عِلِّيين نزل تلك الدَّار التي لم يرها أحد حتَّىٰ إنَّ الرجل من أهل عليين ليخرج فيسير في ملكه فما تبقىٰ خيمةٌ من خيم الجنَّة إلا دخلها من ضوء وجهه فيستبشرون بريحه فيقولون: واهًا لهذه الرِّيح، هذا رجلٌ من أهل عِلِّيِّين قد خرج ليسير في ملكه، فقال: ويحك يا كعب، هذه القلوب قد استرسلت فاقبضها، فقال كعب: والَّذي نفسي بيده إنَّ لجهنَّم يوم القيامة لزفرة ما يبقىٰ من ملكٍ مقرَّب، ولا نبي مرسل إلا خرَّ لركبتيه حتَّىٰ إنَّ إبراهيم خليل الله يقول: ربِّ نفسي نفسي، حتَّىٰ لو كان لك عمل سبعين نبيًّا إلىٰ عملك لظننتَ أنَّك لا تنجو»[1].

---

(١) أخرجه عبد الله في «السنة» (١٢٠٣) وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٣١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٢٤) وقال: «صحيح علىٰ شرط الشيخين، ولم يخرجاه». وروي عن ابن مسعود موقوفًا، وهو أصح إسنادًا.

هذا حديثٌ كبيرٌ حسن، رواه المصنفون في السنَّة كعبد الله بن أحمد والطبراني والدَّارقطني في كتاب «الرؤية»[1]، رواه عن ابن صاعد، حدثنا محمد بن أبي عبد الرحمن المقرئ، قال: حدثنا أبي، حدثنا ورقاء بن عمر، حدثنا أبو طيبة، عن كرز ابن وبرة، عن نعيم بن أبي هند، عن أبي عبيدة عن عبد الله.

ورواهُ من طريق عبد السلام بن حرب، حدثنا الدالاني، حدثنا المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة به.

ورواهُ من طريق زيد بن أبي أنيسة، عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة به.

ومن طريق أحمد بن أبي طيبة، عن كرز بن وبرة عن نعيم بن أبي هند عن أبي عبيدة.

فصل

ص(٦٤٤)

وأمَّا حديث علي بن أبي طالب: فقال يعقوب بن سفيان: حدثنا محمد بن المصفَّىٰ حدثنا سويد بن عبد العزيز، حدثنا عمرو بن خالد عن زيد بن علي عن أبيه عن جدِّه علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«يَزُوْرُ أهلُ الجنَّة الربَّ تبارك وتعالىٰ في كلِّ جمعة، وذكر ما يُعطون قال: ثمَّ يقول الله تبارك وتعالىٰ: اكشفوا حجابًا، فيكشف حجاب، ثمَّ حجاب، ثمَّ يتجلَّىٰ لهم تبارك وتعالىٰ عن وجهه، فكأنَّهم لم يرو نعمةً قبل ذلك، وهو قوله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥]»**[2].

فصل

ص(٦٤٥)

وأمَّا حديث أبي موسىٰ: ففي «الصحيحين»[3] عنه رضي الله عنه عن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: **«جنَّتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنَّتانِ من ذهبٍ آنيتهما وما فيهما، وما بين القَوْمِ**

(١) برقم (١٦٠).

(٢) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٨٥٢)، وهو موضوع.

(٣) البخاري (٤٥٩٧)، ومسلم (١٨٠).

وبينَ أنْ ينظروا إلىٰ ربِّهم تبارك وتعالىٰ إلا رداء الكبرياء علىٰ وجهه في جنَّةِ عدن».

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسىٰ وعفان قالا: حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عمارة عن أبي بُرْدَة عن أبي موسىٰ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يجمع اللهُ ﷻ الأُمَمَ في صعيدٍ واحدٍ يوم القيامة، فإذا بدا لله أنْ يصدع بين خلقه، مُثِّلَ لكلِّ قومٍ ما كانوا يعبدون فيتبعونهم حتَّىٰ يقحموا بهم النَّار، ثمَّ يأتينا ربُّنا ﷻ ونحن علىٰ مكان رفيع، فيقول: من أنتم؟ فنقول: نحن المسلمون، فيقول: ما تنتظرون؟ فيقولون: ننتظرُ ربنا ﷻ، قال: فيقول: وهل تعرفونه إنْ رأيتموه؟ فيقولون: نعم، إنَّه لا عِدْل له، فيتجلَّىٰ لنا ضاحكًا فيقول: أبشروا يا معشر المسلمين، فإنه ليس منكم أحد إلا جعلت في النار يهوديًّا أو نصرانيًّا مكانه»**[١].

وقال حماد بن سلمة: عن علي بن زيد، عن عمارة القرشي، عن أبي بردة، عن أبي موسىٰ، عن النَّبي ﷺ قال: **«يتجلىٰ لنا ربنا تبارك وتعالىٰ ضاحكًا يوم القيامة»**[٢].

وذكر الدارقطني من حديث أبان بن أبي عياش، عن أبي تميمة الهجيمي، عن أبي موسىٰ، عن النَّبي ﷺ قال: **«يبعث الله يوم القيامة مناديًا بصوت يسمعه أولهم وآخرهم: إنَّ الله ﷻ وعدكم الحسنىٰ وزيادة، فالحسنىٰ: الجنة، والزيادة: النظر إلىٰ وجه الله ﷻ»**[٣].

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٤٠٧). وأخرجه عبد بن حميد (٥٣٩)، وغيرهما، وسنده ضعيف جدًّا.

(٢) أخرجه الدارقطني في «الصفات» (٣٤). وهو ضعيف جدًّا.

(٣) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» (٤٣). وفيه أبو بكر الهذلي: وهو متروك الحديث.

فصل

ص(٦٤٧)

وأمَّا حديث عدي بن حاتم: ففي «صحيح البخاري»[1] قال: «بينا أنا عند النَّبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتىٰ إليه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: «يا عدي، هل رأيت الحِيْرة»؟ قلت: لم أرها، وقد أنبئت عنها. قال: «فإن طالت بك حياة لترين الظَّعِينة ترتحل من الحيرة حتىٰ تطوف بالكعبة لا تخاف أحدًا إلا الله».

قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دُعَّارُ طيء الذين سعروا البلاد؟ «وإن طالت بك حياة لتفتحنَّ كنوز كسرىٰ»، قلت: كسرىٰ بن هرمز؟ قال: كسرىٰ بن هرمز، وإن طالت بك حياةٌ لَترينَّ الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدًا يقبله منه، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له، فليقولن: ألم أبعث إليك رسولًا فيبلغك؟ فيقول: بلىٰ يا رب، فيقول: ألم أعطك مالًا وأفضل عليك؟ فيقول: بلىٰ، فينظر عن يمينه فلا يرىٰ إلا جهنم، وينظر عن يساره فلا يرىٰ إلا جهنم». قال عدي: سمعتُ النَّبي ﷺ يقول: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة**». قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتىٰ تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرىٰ بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النَّبي ﷺ».

فصل

ص(٦٤٨)

وأما حديث أنس بن مالك: ففي «الصحيحين»[2] من حديث سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمُّون لذلك - وفي لفظ: فيُلْهمون لذلك - فيقولون: لو**

---

(١) برقم (٣٤٠٠).

(٢) البخاري (٦٩٧٥ و ٧٠٠٢)، ومسلم (١٩٣).

استشفعنا إلىٰ ربنا حتىٰ يريحنا من مكاننا هذا؟ فيأتون آدم، فيقولون: أنت آدم أبو الخلق، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا عند ربنا حتىٰ يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها، ولكن ائتوا نوحًا أوَّل رسول بعثه الله ﷺ، قال: فيأتون نوحًا فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها، ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلًا، فيأتون إبراهيم فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها، ولكن ائتوا موسىٰ الذي كلمه الله وأعطاه التوراة، فيأتون موسىٰ فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب، فيستحيي ربه منها، ولكن ائتوا عيسىٰ روح الله وكلمته، فيأتون عيسىٰ روح الله وكلمته فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا محمدًا ﷺ، عبدًا قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال: قال رسول الله ﷺ: فيأتوني فأستأذن علىٰ ربي فيؤذَنُ لي، فإذا أنا رأيته فأقع ساجدًا فَيَدَعَني ما شاء الله أن يدعني، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يُسمع، وسل تعط، واشفع تشفَّع. فأرفع رأسي، فأحمد ربي بتحميد يعلِّمنيه ربي، فأشفع فيحد لي حدًّا، فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود، فأقع ساجدًا، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع رأسك يا محمد، قل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفَّع، فأرفع رأسي، فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي، ثم أشفع: فيحد لي حدًّا فأخرجهم من النار، وأدخلهم الجنة. قال: فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة، قال: فأقول: يا رب، ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن». أي: وجب عليه الخلود.

وذكر ابن خزيمة: عن ابن عبد الحكم، عن أبيه وشعيب بن الليث، عن الليث[1]، حدثنا معتمر بن سليمان، عن حميد، عن أنس قال: «يلقىٰ الناس في

---

(١) كذا في النسخ وفيه سقط، ولعلَّ تتمَّته (عن ابن الهاد عن عمرو -وهو ابن أبي عمرو- عن =

القيامة ما شاء الله أن يلقوه من الحبس، فيقولون: انطلقوا بنا إلىٰ آدم فيشفع لنا إلىٰ ربنا -فذكر الحديث إلىٰ أن قال:- فينطلقون إلىٰ محمد ﷺ فأقول: أنا لها، فانطلق حتىٰ أستفتح باب الجنة فيفتح لي فأدخل وربي علىٰ عرشه فأخر ساجدًا» وذكر الحديث[١].

وقال أبو عوانة، وابن أبي عروبة، وهمام، وغيرهم: عن أنس[٢] في هذا الحديث: «فأستأذن علىٰ ربي فإذا رأيته وقعت ساجدًا».

وقال عفان، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس: «فآتي ربي وهو علىٰ سريره، أو كرسيه فأخر له ساجدًا».

وساقه ابن خزيمة بسياق طويل، وقال فيه: «فأستفتح فإذا نظرت إلىٰ الرحمن وقعت له ساجدًا»[٣].

ورؤية النَّبي ﷺ لربه في هذا المقام ثابته عنه ثبوتًا يقطع به أهل العلم بالحديث والسنة، وفي حديث أبي هريرة: «**أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر، وأنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا صاحب لواء الحمد ولا فخر، وأنا أول من يدخل الجنة ولا فخر، آخذ بحلقة باب الجنة، فيؤذن لي، فيستقبلني وجه الجبار جل**

= أنس. وحدثنا الحسين بن الحسن حدثنا المعتمر بن سليمان). انظر: «التوحيد» لابن خزيمة (٢/ ٧١٠ و ٧١٦).

(١) «التوحيد» لابن خزيمة (٣٥٨).

(٢) كذا في النُّسخ، وصوابه: «وغيرهم عن قتادة عن أنس»، انظر: «التوحيد» لابن خزيمة (٣٥٤).

(٣) «التوحيد» لابن خزيمة (٣٥٨).

جلاله، فأخر له ساجدًا»[١].

وقال الدارقطني: حدثنا محمد بن إبراهيم النسائي المعدل بمصر، حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر القاضي، حدثنا أبو بكر إبراهيم بن محمد، حدثنا الخليل بن عمر حدثنا عمر بن سعيد الأبح، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله عز وجل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] قال: «النظر إلىٰ وجه الله عز وجل»[٢].

حدثنا أبو صالح عبد الرحمن بن سعيد بن هارون الأصبهاني، ومحمد بن جعفر بن أحمد المَطِيْري، ومحمد بن علي ابن إسماعيل الأيلي، قالوا: حدثنا عبدالله بن روح المدائني، حدثنا سلام بن سليمان، حدثنا ورقاء، وإسرائيل، وشعبة، وجرير بن عبد الحميد كلهم قالوا: حدثنا ليث عن عثمان بن أبي حميد، عن أنس ابن مالك، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أتاني جبريل وفي كفه كالمرآة البيضاء يحملها، فيها كالنكتة السوداء، فقلت: ما هذه التي في يدك يا جبريل؟ فقال: هذه الجمعة، قلت: وما الجمعة، قال: لكم فيها خير كثير، قلت: وما يكون لنا فيها؟ قال: يكون عيدًا لك ولقومك من بعدك، وتكون اليهود والنصارىٰ تبعًا لكم، قلت: وما لنا فيها؟ قال: لكم فيها ساعة لا يسأل الله عبدٌ فيها شيئًا هو له قِسْمٌ إلا أعطاه إياه، أو ليس له بقسم إلا ذُخر له في آخرته ما هو أعظم منه، قلت: ما هذه النكتة التي هي فيها؟ قال: هي الساعة ونحن ندعوه يوم المزيد، قلت: وما ذاك يا جبريل؟ قال إن ربك اتخذ في الجنة واديًا، فيه كثبان من مسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة هبط من عِلِّيين علىٰ كرسيه، فيحف الكرسيَّ، بكراسي من نور، فيجئ النَّبيون حتىٰ يجلسوا**

(١) تقدم في ص (٩٠).

(٢) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» (٤٨) وفيه راو منكر الحديث.

علىٰ تلك الكراسي، وتحف الكراسي بمنابر من نور، ومن ذهب مكللة بالجوهر، ثم يجيء الصديقون والشهداء حتىٰ يجلسوا علىٰ تلك المنابر، ثم ينزل أهل الغرف من غرفهم، حتىٰ يجلسوا علىٰ تلك الكثبان، ثم يتجلىٰ لهم ﷻ فيقول: أنا الذي صدقتكم وعدي، وأتممت عليكم نعمتي، وهذا محل كرامتي فسلوني، فيسألونه حتىٰ تنتهي رغبتهم، فيفتح لهم في ذلك ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر، وذلك بمقدار منصرفكم من الجمعة، ثم يرتفع علىٰ كُرْسِيِّهِ ﷻ، ويرتفع معه النَّبيون والصديقون، ويرجع أهل الغرف إلىٰ غرفهم وهي: لؤلؤة بيضاء، أو زبرجدة خضراء، أو ياقوتة حمراء، غرفها وأبوابها فيها، أنهارها مطردة فيها، وأزواجها وخدامها، وثمارها متدلية فيها، فليسوا إلىٰ شيء أحوج منهم إلىٰ يوم الجمعة، ليزدادوا نظرًا إلىٰ ربهم ويزدادوا منه كرامة»[١].

هذا حديث كبير عظيم الشأن، رواه أئمة السنة وتلقوه بالقبول، وجَمَّل به الشافعي «مسنده»، فرواه عن إبراهيم بن محمد، قال: حدثني موسىٰ بن عبيدة، قال: حدثني أبو الأزهر، عن عبد الله بن عبيد بن عمير أنه سمع أنس بن مالك، فذكره بنحوه، وقد تقدم لفظه[٢].

ثم قال الشافعي: أنبأنا إبراهيم قال: حدثني أبو عمران إبراهيم بن الجعد، عن أنسٍ شبيهًا به وزاد فيه أشياء[٣].

---

(١) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» (٥٩)، وعنه الخطيب في «الموضح» (٢/ ٢٦٤)، والحديث ضعيف جدًّا.

(٢) في الباب (٦١).

(٣) «مسند الشافعي» (٣٧٥). وسنده ضعيف.

ورواه محمد بن إسحاق، قال: حدثني ليث بن أبي سليم، عن عثمان بن عمير، عن أنس به، وقال فيه: «ثم يتجلىٰ لهم ربهم ﷻ، حتىٰ ينظروا إلىٰ وجهه الكريم..» وذكر باقي الحديث.

ورواه عمرو بن أبي قيس، عن أبي ظبية، عن عاصم، عن عثمان بن عمير أبي اليقظان، عن أنس وجوَّدهُ، وفيه: «فإذا كان يوم الجمعة نزل علىٰ كرسيه، ثم حف الكرسي بمنابر من نور، فيجيء النَّبيون حتىٰ يجلسوا عليها، ويجيء أهل الغرف حتىٰ يجلسوا علىٰ الكُثُب، قال: ثم يتجلىٰ لهم ربهم تبارك وتعالىٰ، فينظرون إليه

فيقول: أنا الذي صَدَقْتكم وعدي، وأتممت عليكم نعمتي، وهذا محل كرامتي = سلوني، فيسألونه الرضىٰ، قال: رضاي أنزلكم داري، وأنا لكم كرامتي سلوني، فيسألونه الرضىٰ، فيشهدهم بالرضىٰ، ثم يسألونه حتىٰ تنتهي رغبتهم»[1]. وذكر الحديث.

ورواهُ علي بن حرب، حدثنا إسحاق بن سليمان حدثنا عنبسة بن سعيد عن عثمان بن عمير.

ورواهُ الحسن بن عَرَفة حدثنا عمَّار بن محمد: ابن أخت سفيان الثوري، عن ليث بن أبي سليم، عن عثمان وقال فيه: «ثُمَّ يرتفع علىٰ كرسيِّه، ويرتفع معه النَّبيُّون والصِّديقون والشهداء، ويرجعُ أهل الغرفِ إلىٰ غرفهم»[2].

ورواه الدَّارقطني من طريقٍ أُخرىٰ من حديث قتادة عن أنس قال: سمعته يقول: «بينا نحنُ حولَ رسول الله ﷺ إذ قال: **«أتاني جبريلُ في يده كالمرآة البيضاء في وسطها كالنكتة السوداء، قلتُ: يا جبريلُ، ما هذا؟ قال: هذا يوم الجمعة، يعرضه**

(١) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» (٦١)، والخطيب في «الموضح» (٢/ ٢٦٨).

(٢) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» (٦٣).

عليك ربك ليكون لك عيدًا ولأمتك من بعدك، قال: قلتُ: يا جبريل، ما هذا النكتة السوداء؟ قال: هذه الساعة وهي تقوم يوم الجمعة، وهو سيِّد أيام الدنيا، ونحن ندعوه في الجنَّة يوم المزيد، قال: قلتُ: يا جبريل ولمَ تدعونه يوم المزيد؟ قال: إنَّ الله اتَّخذَ في الجنَّة واديًا أفيح من مسكٍ أبيض، فإذا كان يوم الجمعة نزل ربنا ﷻ علىٰ كرسيِّه إلىٰ ذلك الوادي، وقد حُفَّ العرشُ بمنابر من ذهبٍ مكلَّلةٍ بالجوهرِ، وقد حُفَّت تلك المنابر بكراسي من نورٍ، ثمَّ يؤذن لأهل الغرف فيقبلون يخوضون كثبان المسك إلىٰ الرُّكَب، عليهم أسورة الذهب والفضة وثياب السندس والحرير، حتَّىٰ ينتهوا إلىٰ ذلك الوادي، فإذا اطمأنُّوا فيه جلوسًا بعث الله عليهم ريحًا يُقال لها: المثيرة، فثارت عليهم ينابيع المسك الأبيض في وجوههم وثيابهم، وهم يومئذٍ جُرْدٌ مردٌ مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين علىٰ صورة آدم يوم خلقه الله ﷻ، فينادي رب العزة تبارك وتعالىٰ رضوان وهو خازن الجنة، فيقول: يا رضوان، ارفع الحجب بيني وبين عبادي وزُوَّارِي، فإذا رفع الحجب بينه وبينهم فرأوا بهاءه ونوره هَبُّوا له بالسجود، فيناديهم تبارك وتعالىٰ بصوته: ارفعوا رؤوسكم فإنما كانت العبادة في الدنيا، وأنتم اليوم في دار الجزاء، سلوني ما شئتم فأنا ربكم الذي صدقتكم وعدي، وأتممت عليكم نعمتي، فهذا محل كرامتي فسلوني ما شئتم، فيقولون: ربنا وأي خير لم تفعله بنا، ألستَ الذي أعنتنا علىٰ سكرات الموت، وآنست منا الوحشة في ظلمة القبور، وآمنت روعتنا عند النفخة في الصور؟ ألستَ أقلتنا عثراتنا، وسترت علينا القبيح من فعلنا، وثَبَّتَّ علىٰ جسر جهنَّم أقدامنا؟ ألستَ الَّذي أدنيتنا من جوارك وأسمعتنا لذاذة منطقك، وتجليت لنا بنورك فأيُّ خيرٍ لم تفعله بنا؟ فيعودُ اللهُ ﷻ، فيناديهم بصوته فيقول: أنا ربُّكم الَّذي صدقتكم وعدي، وأتممتُ عليكم نعمتي فسلوني، فيقولون: نسألك رضاك، فيقول: برضائي عنكم أقلْتُكُم عثراتكم، وسترتُ عليكم

القبيح من أموركم، وأدنيتُ منِّي جواركم، وأسمعتكم لذاذة مَنْطقي، وتجليت لكم بنوري، فهذا محل كرامتي فسلوني، فيسألونه حتىٰ تنتهي مسألتهم، ثمَّ يقول الله ﷻ: سلوني فيسألونه حتَّىٰ تنتهي رغبتهم، ثمَّ يقول الله ﷻ: سلوني، فيقولون: رضينا ربنا وسلمنا، فيريهم من مشهد فضله وكرامته، ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر، ويكون ذلك بمقدار تفرقهم من الجمعة، قال أنس: فقلتُ: بأبي أنت وأُمِّي يا رسول الله وما مقدار تفرقهم؟ قال: كقدر الجمعة إلىٰ الجمعة، قال: ثمَّ يحمل عرش ربنا تبارك وتعالىٰ معهم الملائكة والنَّبيون ثمَّ يؤذن لأهل الغرفات فيعودون إلىٰ غرفهم وهما: غرفتان من زمردتين خضراوين، وليسوا إلىٰ شيءٍ أشوق منهم إلىٰ الجمعة لينظروا إلىٰ ربِّهم ﷻ، وليزيدهم من مزيد فضله وكرامته». قال أنس: سمعته من رسول الله ﷺ، وليس بيني وبينه أحد[1].

ورواهُ الدَّارقطني أيضًا: عن أبي بكر النيسابوري، قال: أخبرني العباس بن الوليد ابن مزيد قال: أخبرني محمد بن شعيب قال: أخبرني عمر مولىٰ غُفْرة عن أنس[2].

ورواهُ محمد بن خالد بن خُلَي، حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع، حدثنا صفوان قال: قال أنس: قال رسول الله ﷺ.

ورواهُ أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عبد الرحمن بن محمد، عن ليث، عن أبي عثمان، عن أنس[3].

(١) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» (٦٤)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (١/ ٢٩٢)، والحديث منكر من هذا الطريق غير محفوظ.

(٢) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» (٦٥)، والدارمي في «الردِّ علىٰ الجهمية» (١٤٤)، وسنده ضعيف.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٥٥١٦)، وابن بطة في الإبانة (المختار) - «الردِّ علىٰ الجهمية» (٢٤).

ورواهُ إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة، عن زهير بن حرب، حدثنا جرير، عن ليث، عن عثمان بن أبي حميد، عن أنس.

ورواهُ عن الأسود بن عامر قال: ذُكِر لي عن شريك، عن أبي اليقظان، عن أنس[(١)].

ورواهُ ابن بطَّة في «الإبانة»[(٢)] من حديث الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة، وسيأتي سياقه، وقد جمع ابن أبي داود طرقه.

فصل

ص(٦٥٨)

وأمَّا حديث بريدة بن الحصيب: فقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة: حدثنا أبو خالد عبد العزيز بن أبان القرشي، حدثنا بشير بن المهاجر عن عبد الله بن بُريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما منكم من أحدٍ إلا سيخلو الله به يوم القيامة، ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان»**[(٣)].

فصل

ص(٦٥٩)

وأمَّا حديث أبي رَزِين العُقيلي: فرواهُ الإمام أحمد من حديث شعبة وحماد ابن سلمة، عن يعلىٰ بن عطاء، عن وكيع بن حُدس، عن أبي رزين قال: قلنا: يا رسول الله، أكُلُّنا يرىٰ ربَّه ﷻ يوم القيامة؟ قال: «نعم»، قال: قلتُ: وما آية ذلك

(١) أخرجه الدارمي في «الردِّ علىٰ الجهمية» (١٩٨).

(٢) كما في (المختار) - «الردِّ علىٰ الجهمية» (٢٦)، وسيأتي الكلام عليه في حاشية ص (٦٧٩).

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٦٩) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٨٥٣)، والحديث ضعيف، لكن يغني عنه ما عند ابن خزيمة في «التوحيد» (٢١٦) من وجه آخر عن عبد الله بن بريدة به: «ما منكم من أحد إلا وسيكلمه ربه، ليس بينه وبينه حاجب ولا ترجمان».

في خلقه؟ قال: «أليس كلُّكم ينظر إلىٰ القمر ليلة البدر»؟ قلنا: نعم، قال: «الله أكبر وأعظم»[١].

قال عبد الله: قال أبي: والصوابُ حُدس.

وقال أبو داود سليمان بن الأشعث: حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، حدثنا حمَّاد ابن سلمة به.

فقد اتفق شعبة، وحماد بن سلمة -وحسبك بهما- علىٰ روايته عن يعلىٰ بن عطاء، ورواهُ النَّاسُ عنهما.

وعن أبي رزين فيه إسناد آخر قد تقدَّم ذِكْره في حديثه الطويل[٢].

وأبو رزين العُقَيلي له صحبة وعِدَاده من أهل الطائف، وهو لقيط بن عامر، ويقال: لقيط بن صَبِرَة، هكذا قال البخاري وابن أبي حاتم وغيرهما، وقيل: هما اثنان، ولقيط بن عامر غير لقيط بن صبرة، والصحيح الأوَّل. وقال ابن عبد البر: من قال: لقيط بن صَبِرَة نَسَبَهُ إلىٰ جدِّهِ، وهو لقيط بن عامر بن صَبِرَة.

فصـــل

ص(٦٦٠)

وأمَّا حديث جابر بن عبد الله: فقال الإمام أحمد: حدثنا روح بن عبادة حدثنا ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير أنَّه سمع جابرًا يُسْأل عن الورود فقال: «نجيء يوم القيامة علىٰ كذا وكذا، أي فوق النَّاسِ، فتدعىٰ الأُمم بأوثانها وما كانت تعبد، الأوَّل فالأوَّل، ثمَّ يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول: من تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربنا، فيقول: أنا ربكم فيقولون: حتَّىٰ ننظر إليك، فيتجلَّىٰ لهم تبارك وتعالىٰ يضحَكُ قال: فينطلق

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١١) وابن ماجه (١٨٠)، وأبو داود (٤٧٣١)، وغيرهم، صححه ابن حبان والحاكم.

(٢) ص (٣٤٣).

بهم ويتبعونه، ويُعْطَىٰ كلُّ إنسانٍ منهم: منافق أو مؤمن نورًا، ثمَّ يتبعونه علىٰ جسر جهنم، وعليه كلاليب وحسك، تأخذ من شاء الله، ثمَّ يُطْفَأ نور المنافق، ثمَّ ينجو المؤمنون، فتنجو أوَّل زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر، وسبعون ألفًا لا يحاسبون، ثمَّ الَّذين يلونهم كأضوإ نجمٍ في السَّماء، ثمَّ كذلك، ثمَّ تحلُّ الشفاعة حتَّىٰ يخرج من النَّارِ من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخيرِ ما يزنُ شعيرةً، فيُجْعَلون بفناء أهل الجنَّة ويجعل أهل الجنَّة يرشون عليهم الماء، حتىٰ ينبتون نبات الشيء في السيل، ويذهب حراقه ثمَّ يسأل حتَّىٰ يجعلَ الله له الدنيا وعشرة أمثالها مَعَها»[1].

رواهُ مسلم في «صحيحه»[2] وهذا الَّذي وقع في الحديث من قوله: «علىٰ كذا وكذا» قد جاء مفسَّرًا في رواية صحيحة ذكرها عبد الحق في «الجمع بين الصحيحين»[3] «نجيء يوم القيامة علىٰ تلٍّ مشرفين علىٰ الخلائق».

وقال عبد الرزاق: أنبأنا رباح بن زيد، قال: حدَّثني ابن جريج قال: أخبرني زياد بن سعد أنَّ أبا الزبير أخبره عن جابر بن عبد الله ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يتجلَّىٰ لنا الربُّ تبارك وتعالىٰ ينظرون إلىٰ وجهه، فيخِرُّون له سُجَّدًا، فيقول: ارفعوا رؤوسكم فليس هذا بيوم عبادة»**[4].

قال الدَّارقطني: أنبأنا أحمد بن عيسىٰ بن السكن، حدثنا أحمد ابن محمد بن عمر بن يونس، حدثنا محمد بن شُرَحْبيل الصنعاني، قال: حدثني ابن جُرَيج، عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يتجلَّىٰ لنا ربُّنا ﷿**

(١) «المسند» (٣/ ٣٨٣ - ٣٨٤).

(٢) (١٩١).

(٣) (١/ ١٥٨ - ١٥٩).

(٤) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» (٥٢) وسنده ضعيف جدًّا.

يوم القيامة ضاحكًا»[(١)].

وروىٰ أبو قُرَّة عن مالك بن أنس عن زياد بن سعد، حدثنا أبو الزبير، عن جابر أنَّه سمع النَّبي ﷺ يقول: «**إذا كان يوم القيامة جُمعت الأُمَم**»، فذكر الحديث وفيه: «فيقول: أتعرفون الله ﷻ إنْ رأيتموه؟ فيقولون: نعم، فيقول: وكيف تعرفونه ولم تَرَوْهُ؟ فيقولون: نعلمُ أنَّه لا عِدْلَ له، قال: فيتجلَّىٰ لهم تبارك وتعالىٰ، فيخرُّون له سُجَّدًا»[(٢)].

وقال ابن ماجه في «سننه»[(٣)]: حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارِب، حدثنا أبو عاصم العبَّاداني عن الفضل بن عيسىٰ الرقاشي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينا أهل الجنَّة في نعيمهم إذ سطعَ لهم نورٌ فرفعوا رؤوسهم، فإذا الربُّ جلَّ جلاله قد أشرفَ عليهم من فوقهم فقال: السلامُ عليكم يا أهل الجنَّة، وهو قول الله ﷻ: ﴿سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ [يس:٥٨] فلا يلتفتون إلىٰ شيءٍ ممَّا هم فيه من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتَّىٰ يحتجب عنهم وتبقىٰ فيهم بركته ونوره**».

وقال حرب في «مسائله»: حدثنا يحيىٰ بن أبي حزم، حدثنا يحيىٰ بن محمد أبو عاصم العباداني فذكره.

وعند البيهقي في هذا الحديث سياق آخر رواهُ أيضًا من طريق العباداني، عن الفضل بن عيسىٰ عن ابن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» (٥٣). وسنده ضعيف جدًّا.

(٢) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» (٥٤)، وهو حديثٌ غريب من حديث مالك.

(٣) برقم (١٨٤)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٢٧٤)، والآجُرِّي في «الشريعة» (٦١٥)، وغيرهما. والحديث ضعيفٌ جدًّا.

«بينا أهل الجنَّة في مجلس لهم إذْ سطعَ لهم نورٌ علىٰ باب الجنَّة، فرفعوا رؤوسهم فإذا الربُّ تبارك وتعالىٰ قد أشرف، فقال: يا أهل الجنَّة سلوني، قالوا: نسألك الرِّضىٰ عنَّا قال: رِضَايَ أحلّكم داري، وأنالكم كرامتي، هذا أوانها فسلوني، قالوا: نسألك الزيادة، قال: فيؤتون بنجائب من ياقوت أحمر، أَزِمَّتها زمرُّد أخضر وياقوت أحمر، فجاؤوا عليها تضع حوافرها عند منتهىٰ طرفها، فيأمر الله ﷻ بأشجار عليها الثمار فتجيء جواري الحور العين وهنَّ يقلنَ: نحن الناعمات فلا نبأس، ونحنُ الخالدات فلا نموتُ، أزواجُ قومٍ مؤمنين كرام، ويأمر اللهُ ﷻ بكثبان من مسكٍ أبيض أذفر فيثير عليهم ريحًا يقال لها: المثيرة، حتَّىٰ تنتهي بهم إلىٰ جنَّة عدنٍ وهي قَصَبَة الجنَّة، فتقول الملائكة: يا ربنا قد جاء القومُ، فيقول: مرحبًا بالصادقين، مرحبًا بالطَّائعين، قال: فيكشفُ لهم الحجاب فينظرون إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ فيتمتعون بنور الرحمن حتَّىٰ لا يبصر بعضهم بعضًا، ثمَّ يقول: أرجعوهم إلىٰ القصور بالتحف فيرجعون، وقد أبصرَ بعضهم بعضًا، فقال رسول الله ﷺ: فذلك قوله تعالىٰ: ﴿ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت:٣٢]».

رواهُ في كتاب «البعث والنشور»[١]، وفي كتاب «الرؤية» قال: وقد مضىٰ في هذا الكتاب، وفي كتاب «الرؤية» ما يؤكِّد هذا الخبر.

وقال الدَّارقطني: أنبأنا الحسن بن إسماعيل أنبأنا أبو الحسن علي بن عبدة، حدثنا يحيىٰ بن سعيد القطان، عن ابن أبي ذئب، عن محمد ابن المنكدر، عن جابر قال: قال النَّبي ﷺ: **«إنَّ اللهَ ﷻ يتجلَّىٰ للنَّاس عامَّة ويتجلَّىٰ لأبي بكر خاصَّة»**[٢].

---

(١) (٤٩٣).

(٢) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» (٤٨)، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ٢١٦)، وابن حبان في «المجروحين» (٢/ ١١٥) وغيرهم. وهو موضوع.

ص(٦٦٥)

فصـــل

وأمَّا حديث أبي أمامة: فقال ابن وهب: أخبرني يونس بن يزيد عن عطاء الخرساني عن يحيىٰ بن أبي عمرو السيباني، عن عمرو بن عبد الله الحضرمي عن أبي أُمامة قال: خطبنا رسول الله ﷺ يومًا فكان أكثر خطبته ذكر الدجال يحذرناه، ويحدثنا عنه حتىٰ فرغ من خطبته، فكان فيما قال لنا يومئذ: «**إن الله ﷻ لم يبعث نبيًّا إلا حذَّره أُمَّته، وإني آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة، فإن يخرج وأنا بين أظهركم فأنا حجيج كل مسلم، وإن يخرج فيكم بعدي فكل امرئ حجيج نفسه، والله خليفتي علىٰ كل مسلم، إنه يخرج من خَلَّة بين العراق والشام عاث يمينًا، وعاث شمالًا، يا عباد الله اثبتوا وأنه يبدأ فيقول: أنا نبيٌّ -ولا نبيَّ بعدي- ثم يثني فيقول: أنا ربكم - ولن تروا ربكم حتىٰ تموتوا - وأنه مكتوب بين عينيه «كافر»** يقرؤه كل مؤمن. فمن لقيه منكم فليتفل في وجهه، وليقرأ بفواتح سورة أصحاب الكهف، وأنه يُسلَّط علىٰ نفسٍ من بني آدم فيقتلها، ثم يحييها، وأنه لا يعدو ذلك ولا يُسلَّط علىٰ نفس غيرها، وإن من فتنته أنَّ معه جنَّةً ونارًا، فنارهُ جنَّة، وجنته نار، فمن ابتلي بنارِهِ فليغمض عينيه، وليستغث بالله تكون بردًا وسلامًا كما كانت النَّارُ بردًا وسلامًا علىٰ إبراهيم، وإنَّ أيامه أربعون يومًا: يومًا كسنة، ويومًا كشهر، ويومًا كجمعة، ويومًا كالأيام، وآخر أيامه كالسراب، يصبح الرجل عند باب المدينة فيمسي قبل أنْ يبلغ بابها الآخر، قالوا: كيف نُصَلِّي يا رسول الله في تلك الأيام؟ قال: تقدرون فيها كما تقدرون في الأيام الطِّوال»[١].

ورواه الدَّارقطني عن ابن صاعد عن أحمد بن الفرج عن ضمرة بن ربيعة عن يحيىٰ بن أبي عمرو: به مختصرًا.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٦٤٤)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢٧٠)، والحاكم (٨٦٢٠)، وصححه.

ص(٦٦٧)

فصل

وأمَّا حديث زيد بن ثابت: فقال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة قال: حدثني أبو بكر قال: حدثني ضمرة بن حبيب عن أبي الدرداء عن زيد بن ثابت أنَّ رسول الله ﷺ علَّمه دعاءً، وأمرهُ أنْ يتعاهد به أهله كلَّ يومٍ، قال: قل حين تصبح: لبيكَ اللهم لبيك، لبيك وسعديك، والخير في يديك، ومنك وإليك، اللهم وما قلتُ من قولٍ أو نذرتُ من نذرٍ، أو حلفتُ من حلف، فمشيئتك بين يديه، ما شئت كان، وما لم تشأ لم يكن، ولا حولَ ولا قوَّة إلا بكَ وأنت علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٍ، الَّلهم وما صليتُ من صلاةٍ فعلىٰ مَنْ صلَّيت، وما لعنتُ من لعنةٍ فعلىٰ من لعنتَ؛ أنت وليِّي في الدنيا والآخرة، توفني مسلمًا، وألحقني بالصَّالحين، أسألُك الَّلهم الرِّضىٰ بعد القضاء، وبرْدَ العيشِ بعد الموتِ، ولذَّةَ النَّظَرِ إلىٰ وجهك، والشوقِ إلىٰ لقائك، من غير ضرَّاءَ مُضِرَّةٍ، ولا فتنةٍ مضلَّلة، أعوذ بك الَّلهم أنْ أَظْلِم أو أُظلَم، أو أعتدي أو يُعْتَدَىٰ عليَّ، أو كَسْبَ خطيئة محبطه أو ذنبًا لا يغفر، الَّلهم فاطرَ السموات والأرضِ عالمَ الغيب والشهادة ذا الجلالِ والإكرام، فإنِّي أعهدُ إليك في هذه الحياة الدنيا، وأُشهدك وكفىٰ بك شهيدًا. إنِّي أشهدُ أنْ لا إله أنتَ وحدك لا شريك لك، لك الملك، ولك الحمد، وأنت علىٰ كل شيء قدير، وأشهد أن محمدًا عبدك ورسولك، وأشهد أن وعدك حق، ولقاءك حق، والجنة حق، والنار حق، والساعة آتية لا ريب فيها، وأنت تبعث من في القبور، وأشهد أنك إن تَكِلْني إلىٰ نفسي تكلْني إلىٰ ضيعة وعورة وذنب وخطيئة، وإني لا أثق إلا برحمتك، فأغفر لي ذنبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، وتُبْ عليَّ إنك أنت التواب الرحيم»[1]، رواهُ الحاكمُ في «صحيحه».

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ١٩١)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٧)، والحاكم (١٩٠٠) وغيرهم، بإسناد ضعيف.

ص(٦٦٩)

فصل

وأمَّا حديث عمَّار بن ياسر: فقال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق الأزرق عن شَرِيك عن أبي هاشم عن أبي مِجْلَز قال: صلَّىٰ بنا عمَّار صلاةً فأوجزَ فيها، فأنكروا ذلك، فقال: ألم أُتِمُّ الركوعَ والسجودَ؟ قالوا: بلىٰ، قال: أما إنِّي قد دعوتُ فيها بدعاء، كان رسول الله ﷺ يدعو به: «**اللَّهم بعلمك الغيبَ، وبقدرتك علىٰ الخلقِ، أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الحقِّ في الغضب والرِّضىٰ، والقصدَ في الفقر والغنىٰ، ولذَّة النظر إلىٰ وجهك، والشوقَ إلىٰ لقائك في غيرِ ضرَّاءَ مضرَّةٍ، ولا فتنةٍ مضلَّةٍ، اللَّهم زيِّنا بزينة الإيمان، واجعلنا هُداةً مهتدين**»[1].

وأخرجه ابن حبان والحاكمُ في «صحيحيهما».

ص(٦٧٠)

فصل

وأمَّا حديثُ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ففي «صحيح الحاكم» من حديث الزهري عن عروة عنها قالت: قال رسول الله ﷺ لجابر: «**يا جابر، ألا أبشِّرك**»؟ قال: بلىٰ بشَّركَ اللهُ بخيرٍ، قال: «**شعرت أنَّ الله أحيا أباك، فأقعده بين يديه، فقال: تمنَّ عليَّ عبدي ما شئت أُعْطِكه، قال: يا ربِّ، ما عبدتك حقَّ عبادتك، أتمنَّىٰ عليك أنْ تردني إلىٰ الدنيا، فأقاتل مع نبيك، فأقتل فيك مرَّةً أخرىٰ، قال: إنَّه قد سلفَ منِّي أنَّك إليها لا ترجع**»[2].

وهو في «المسند»[3] من حديث جابر، وفي مسنده أدخله.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٤)، والنسائي (١٣٠٥)، وغيرهما، وصححه ابن حبان.

(٢) «المستدرك» (٤٩١١)، بإسناد لا يصح.

(٣) (٣/ ٣٦١)، وأخرجه الحميدي في «مسنده» (١٢٦٥) وأبو يعلىٰ في «مسنده» (٢٠٠٢).

وللترمذي فيه سياق أتم من هذا عن جابر قال: «لمَّا قُتِلَ عبد الله بن عمرو بن حرام يوم أُحُدٍ قال رسول الله ﷺ: «**يا جابر ألا أخبرك ما قال الله ﷻ لأبيك؟**» قال بلىٰ، قال: «**ما كلَّم الله ﷻ أحدًا إلا من وراء حجاب، وكلَّم أباك كفاحًا، فقال: يا عبدي، تمنَّ عليَّ أُعْطِكَ، قال: يا ربِّ تُحْيِيْني، فَأُقْتَل فيك ثانية، قال: إنَّه سبق منِّي أنَّهم إليها لا يُرجعون، قال: يا ربِّ، فأبلغ من ورائي، فأنزل الله ﷻ هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ﴾ الآية** [آل عمران:١٦٩] »[(١)]، قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

قلتُ: وإسنادُهُ صحيح، ورواهُ الحاكمُ في «صحيحه».

فصل

ص(٦٧١)

وأمَّا حديث عبد الله بن عمر: فقال الترمذي: حدثنا عَبْد بن حُمَيْد عن شَبَابة عن إسرائيل عن ثوير بن أبي فاخِتَة.

وقال الطبراني: حدثنا أسد بن موسىٰ، حدثنا أبو معاوية محمد بن خازم، عن عبد الملك بن أبجر، عن ثوير بن أبي فاختة، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أدنىٰ أهل الجنة منزلة لرجل ينظر في ملكه ألفي سنة، يرىٰ أقصاه كما يرىٰ أدناه، ينظر إلىٰ أزواجه وسرره وخدمه، وإن أفضلهم منزلة من ينظر في وجه الله تبارك وتعالىٰ كل يوم مرتين**»[(٢)].

قال الترمذي: «ورُوِي هذا الحديث من غير وجهٍ: عن إسرائيل، عن ثوير،

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠١٠)، وابن ماجه (٢٨٠٠)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٥٩٩) وابن حبان في «صحيحه» (٧٠٢٢) وغيرهم. والحديث حسنه الترمذي، وصححه ابن خزيمة والحاكم والمؤلف.

(٢) تقدم الكلام عليه في ص (٢١٤).

عن ابن عمر مرفوعًا. ورواه عبد الملك بن أبجر، عن ثوير، عن مجاهد، عن ابن عمر موقوفًا. وروىٰ الأشجعي عبيد الله، عن الثوري، عن ثوير، عن مجاهد، عن ابن عمر قوله، ولم يرفعه. حدثنا بذلك أبو كريب، حدثنا الأشجعي، عن سفيان، عن ثوير، عن مجاهد، عن ابن عمر نحوه، ولم يرفعه».

قلت: ورواه الحسن بن عرفة، عن شبابة، عن إسرائيل، عن ثوير، عن ابن عمر مرفوعًا، وزاد فيه: ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣][1].

وقال سعيد بن هشيم بن بشير عن أبيه، عن كوثر بن حكيم، عن نافع، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوم القيامة أول يوم نظرت فيه عين إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ**»[2].

ورواه الدارقطني عن جماعة، عن أحمد بن يحيىٰ بن حيان الرقي، عن إبراهيم ابن خُرَّزاد عنه.

وقال الدارقطني: حدثنا أحمد بن سليمان، أخبرنا محمد بن يونس، حدثنا عبد الحميد بن صالح، ثنا أبو شهاب الحنَّاط، عن خالد ابن دينار، عن حماد بن جعفر، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا أخبركم بأسفل أهل الجنة، قالوا: بلىٰ يا رسول الله -فذكر الحديث إلىٰ أن قال-: حتىٰ إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنُّوا أن لا نعيم أفضل منه أشرف الرب تبارك وتعالىٰ عليهم، فينظرون إلىٰ وجه الله عَزَّ وَجَلَّ، فيقول: يا أهل الجنة هلِّلُوني وكبِّروني وسبِّحوني بما كنتم تهللوني وتكبِّروني وتسبِّحوني في دار الدنيا، فيتجاوبون بتهليل الرحمن، فيقول تبارك

(١) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» (١٧١). وسنده ضعيف.

(٢) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» (١٧٥)، وهو حديثٌ باطل.

وتعالىٰ لداود: يا داود قم فمجِّدْني، فيقوم داود فيمجد ربه ﷻ»[1].

وقال عثمان بن سعيد الدارمي في «رده علىٰ بشر المريسي»[2]: حدثنا أحمد بن يونس، عن أبي شهاب الحناط، عن خالد بن دينار، عن حماد بن جعفر، عن ابن عمر رفعه إلىٰ النَّبي ﷺ: **«إن أهل الجنة إذا بلغ النعيمُ منهم كلَّ مَبْلَغ وظنوا أن لا نعيم أفضل منه تجلَّىٰ لهم الرب تبارك وتعالىٰ فنظروا إلىٰ وجه الرَّحمن، فنسوا كلَّ نعيم عاينوهُ حين نظروا إلىٰ وجه الرَّحمن»**[3].

فصـــل

ص(٦٧٤)

وأمَّا حديث عُمَارة بن رُوَيْبة: فقال ابن بطة في «الإبانة»: حدثنا عبد الغافر بن سلامة الحمصي، حدثنا محمد بن عوف بن سفيان الطائي، حدثنا أبو اليمان، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن عبد الرحمن بن عبد الله، عن إسماعيل بن أبي خالدٍ عن أبي بكر بن عمارة بن رويبة عن أبيه قال: نظر رسول الله ﷺ إلىٰ القمر ليلةَ البدرِ فقال: **«إنَّكم سترونَ ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضارُّون في رؤيته، فإنْ استطعتم ألَّا تغلبوا علىٰ صلاةٍ قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها فافعلوا»**[4].

قال ابن بطة: وأخبرني أبو القاسم عمر بن أحمد عن أبي بكر أحمد بن هارون، حدثنا عبد الرزاق بن منصور، حدثنا المغيرة حدثنا المسعودي عن إسماعيل بن

(١) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» (١٧٦) وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٣٤٣) من طرقين كلاهما ضعيف.

(٢) برقم (٢٢٩).

(٣) وأخرجه الدَّارمي في «الردِّ علىٰ الجهمية» (١٨٩)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٨٤٩)، وسنده ضعيف.

(٤) إسناده ضعيف.

أبي خالد عن أبي بكر بن عمارة بن رويبة عن أبيه قال: نظر رسول الله ﷺ إلىٰ القمرِ ليلة البدرِ فقال: «**إنَّكم سترون الله ربكم تبارك وتعالىٰ، كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أنْ لا تُغْلَبوا علىٰ ركعتين قبل طلوع الشمس، ولا ركعتين بعد غروبها، فافعلوا**».

فصـــل

ص(٦٧٦)

وأمَّا حديث سلمان الفارسي: فقال أبو معاوية: حدثنا عاصم الأحول، عن أبي عثمان عن سلمان الفارسي قال: يأتون النَّبي ﷺ فيقولون: يا نبيَّ الله إنَّ اللهَ فتح بك، وختم بك، وغفر لك، قُمْ فاشفع لنا إلىٰ ربك، فيقول: نعم صاحبكم فيخرج يجوسُ النَّاس حتَّىٰ ينتهي إلىٰ باب الجنَّة، فيأخذ بحلقة الباب فيقرع فيقال: من هذا؟ فيقال: محمد قال: فيفتح له، فيجيء حتَّىٰ يقوم بين يدي الله فيستأذنُ في السجود فيؤذن له»[1] الحديث.

فصـــل

ص(٦٧٦)

وأمَّا حديث حُذيفة بن اليمان: فقال ابن بطة: أخبرني أبو القاسم عمر بن أحمد عن أبي بكر أحمد بن هارون، حدثنا يزيد بن جمهور، حدثنا الحسنُ بن يحيىٰ ابن كثير العنبري، حدثنا أبي، عن إبراهيم بن المبارك، عن القاسم بن مطيَّب عن الأعمش، عن أبي وائل، عن حذيفة بن اليمان.

وقال البزار: حدثنا محمد بن معمر وأحمد بن عمرو بن عبيدة العصفري، قالا: حدثنا يحيىٰ بن كثير العنبري، حدثنا إبراهيم بن المبارك، عن القاسم بن مطيب عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتاني جبريلُ فإذا في كفِّهِ**

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣١٦٦٦)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٤٥٠)، وسنده صحيح.

مرآة كأصفىٰ ما يكون المرايا وأحسنها، وإذا في وسطها نكته سوداء، قال: قلت: يا جبريل، ما هذا؟ قال هذه الدنيا، صفاؤها وحسنها، قال قلت: وما هذه اللمعة في وسطها؟ قال هذه الجمعة، قال قلت: وما الجمعة؟ قال: يوم من أيام ربك عظيم، وسأخبرك بشرفه وفضله واسمه في الآخرة. أما شرفه وفضله في الدنيا: فإنَّ الله تبارك وتعالىٰ جمع فيه أمر الخلق، وأما ما يرجىٰ فيه: فإنَّ فيه ساعة لا يوافقها عبدٌ مسلم أو أمة مسلمة يسألانِ الله فيها خيرًا إلا أعطاهما إياه. وأما شرفه وفضله واسمه في الآخرة: فإن الله تبارك وتعالىٰ إذا صَيَّر أهل الجنة إلىٰ الجنة، وأهل النار إلىٰ النار، وجرت عليهم أيامها وساعاتها ليس بها ليل ولا نهار إلا قد علم الله مقدار ذلك وساعاته، فإذا كان يوم الجمعة في الحين الذي يبرز أو يخرج فيه أهل الجنة إلىٰ جمعتهم نادىٰ مناد: يا أهل الجنة، اخرجوا إلىٰ دار المزيد، لا يعلم سعته وعرضه وطوله إلا الله ﷻ، في كثبان من المسك، قال: فتخرج غلمان الأنبياء بمنابر من نور، ويخرج غلمان المؤمنين بكراسي من ياقوت، قال: فإذا وضعت لهم، وأخذ القوم مجالسهم بعث الله تبارك وتعالىٰ عليهم ريحًا تدعىٰ المثيرة، تثير عليهم أثابير المسك الأبيض فتدخل من تحت ثيابهم، وتخرجه في وجوههم وأشعارهم، فتلك الريح أعلم كيف تصنع بذلك المسك من امرأة أحدكم لو دُفِعَ إليها كل طيب علىٰ وجه الأرض لكانت تلك الريح أعْلَمَ كيف تصنع بذلك المسك من تلك المرأة لو دُفِعَ إليها ذلك الطيب بإذن الله، قال: ثم يوحي الله سبحانه إلىٰ حملة العرش، فيوضع بين ظهراني الجنة وبينه وبينهم الحجب، فيكون أول ما يسمعون منه أن يقول: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب، ولم يروني، وصدقوا رسلي، واتبعوا أمري، فسلوني فهذا يوم المزيد، قال: فيجتمعون علىٰ كلمه واحدة: رب رضينا عنك فارض عنا، قال: فيرجع الله تعالىٰ في قولهم أن يا أهل الجنة إني لو لم أرض

عنكم ما أسكنتكم جنتي، فسلوني فهذا يوم المزيد، قال: فيجتمعون علىٰ كلمة واحدة: رضينا عنك فارض عنا، قال: فيرجع الله ﷻ في قولهم أن يا أهل الجنة، إني لو لم أرض عنكم لما أسكنتكم جنتي، فهذا يوم المزيد فسلوني، قال: فيجتمعون علىٰ كلمة واحدة: رب وجهك، رب وجهك أرنا ننظر إليه، قال: فيكشف الله تبارك وتعالىٰ تلك الحجب، ويتجلىٰ لهم، فيغشاهم من نورهِ شيء لو لا أنه قضىٰ عليهم أن لا يحترقوا لاحترقوا مما غشيهم من نوره، قال: ثم يقال: ارجعوا إلىٰ منازلكم، قال: فيرجعون إلىٰ منازلهم وقد خَفُوا علىٰ أزواجهم، وخَفِيْنَ عليهم، مما غشيهم من نوره تبارك وتعالىٰ، فإذا صاروا إلىٰ منازلهم ترادّ النور وأمكن، وتراد وأمكن حتىٰ يرجعوا إلىٰ صورهم التي كانوا عليها، قال: فيقول لهم أزواجهم: لقد خرجتم من عندنا علىٰ صورة ورجعتم علىٰ غيرها؟ قال فيقولون: ذلك بأن الله تبارك وتعالىٰ تجلَّىٰ لنا، فنظرنا منه إلىٰ ما خفينا به عليكم، قال: فَلَهُم في كل سبعة أيام الضِّعف علىٰ ما كانوا فيه، قال: وذلك قوله ﷻ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٧][(١)].

وقال عبد الرحمن بن مهدي: حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مسلم بن يزيد السعدي، عن حذيفة في قوله ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] قال: «النظر إلىٰ وجه الله ﷻ»[(٢)].

قال الحاكم: «وتفسير الصحابي عندنا في حُكمِ المرفوع».

---

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة «المختار» (٢٦)، والبزار في «مسنده» (٢٨٨١)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٣٣٨). قال ابن المديني: «هذا حديث غريب».

(٢) تقدم ص (٦١٣).

فصــل

ص(٦٨٠)

وأما حديث ابن عباس: فروى ابن خزيمة من حديث حماد بن سلمة، عن ابن جدعان، عن أبي نضرة قال: خطبنا ابن عباس فقال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من نبي إلا له دعوة تعجلها في الدنيا، وإنِّي اختبأت دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة، فآتي باب الجنة فآخذ بحلقة الباب، فأقرع الباب فيقال: من أنت؟ فأقول: أنا محمد، فآتي ربي وهو على كرسيه، أو قال: على سريره، فيتجلى لي ربي، فأخِرُّ ساجدًا**»[1].

ورواه ابن عيينة، عن ابن جدعان فقال: عن أبي سعيد بدل ابن عباس.

وقال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا عمِّي محمد بن الأشعث، حدثنا ابن جسر، قال حدثني أبي عن الحسن عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، قال: «**إن أهل الجنة يرون ربهم تعالى في كل جمعة في رمال الكافور، وأقربهم منه مجلسًا أسرعهم إليه يوم الجمعة وأبكرهم غدوًّا**»[2].

فصــل

ص(٦٨١)

وأما حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: فقال الصغاني: حدثنا صدقة أبو عمرو المقعد قال: قرأت على محمد بن إسحاق، حدثني أُميَّة بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، عن أبيه عبد الله بن عمرو قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث مروان بن الحكم -وهو أمير المدينة- قال: خلق الله الملائكة لعبادته أصنافًا: فإن

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٢٨١)، والطيالسي في «مسنده» (٢٨٣٤)، والطبراني (١٢٧٧٧) وغيرهم.

وحديث أبي سعيد أخرجه الترمذي (٣١٤٨) وحسّنه.

(٢) أخرجه الآجري في «الشريعة» (٦١١)، وابن بطة في الإبانة «المختار» (٣٠)، وسنده ضعيف جدًّا.

منهم الملائكة قيامًا صافِّيْن من يوم خلقهم إلىٰ يوم القيامة، وملائكة ركوعًا خشوعًا من يوم خلقهم إلىٰ يوم القيامة، وملائكة سجودًا منذ خلقهم إلىٰ يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة وتجلىٰ لهم تعالىٰ، ونظروا إلىٰ وجهه الكريم قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك»[1].

ص(٦٨٢)

فصل

وأمَّا حديث أبي بن كعب: فقال الدارقطني: حدثنا عبد الصمد بن علي، حدثنا محمد بن زكريا بن دينار، قال: حدثني قحطبة بن علاقة حدثنا أبو خلدة عن أبي العالية عن أبي بن كعب عن النَّبي ﷺ في قوله تبارك وتعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] قال: «**النظرُ إلىٰ وجهِ اللهِ ﷻ**»[2].

ص(٦٨٢)

فصل

وأمَّا حديثُ كعب بن عُجْرة: فقال محمد بن حميد: حدثنا إبراهيم بن المختار عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن كعب بن عجرة عن النَّبي ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: «**الزيادةُ؛ النظرُ إلىٰ وجه ربِّهم تبارك وتعالىٰ**»[3].

ص(٦٨٣)

فصل

وأمَّا حديث فَضَالة بن عُبيد: فقال عثمان بن سعيد الدارمي: حدثنا محمد بن المهاجر، عن ابن حلبس، عن أُمِّ الدرداء أنَّ فضالة يعني ابن عبيد كان يقول: الَّلهم إنِّي أسألك الرِّضا بعد القضاء، وبَرْدَ العيشِ بعد الموتِ، ولذَّة النَّظرِ إلىٰ وجهك،

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة «المختار» (١٣٣)، أخرجه البخاري في «تاريخه الكبير» (٢/ ٨) من وجه آخر مختصرًا. وسنده لا بأس به.

(٢) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» (١٨٣) من طريقين كلاهما ضعيف.

(٣) تقدم ص (٤٠٠).

والشوقَ إلىٰ لقائِكَ، في غير ضرَّاءَ مُضرَّة، ولا فتنةٍ مضلَّة[١].

فصـــل

ص(٦٨٣)

وأمَّا حديثُ عُبَادة بن الصامت: ففي «مسند أحمد»[٢] من حديث بَقِيَّة، حدثنا بَحْير بن سعد عن خالد بن مَعْدان، عن عمرو بن الأسود عن جُنَادة بن أبي أُمَيَّة عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «**قد حدثتكم عن الدَّجَّال حتَّىٰ خشيتُ أنْ لا تعقلوا، إنَّ مَسِيحَ الدَّجال رَجُلٌ قصيرٌ أفْحَج جَعْدٌ أعورُ مطموسُ العين ليست بناتئةٍ ولا جحْراء، فإن أُلْبِسَ عليكم فاعلموا أنَّ ربَّكم ليس بأعور، وأنَّكم لن تروا ربكم حتَّىٰ تموتوا**»[٣].

فصـــل

ص(٦٨٤)

وأمَّا حديث الرجل من أصحاب النَّبي ﷺ: فقال الصَّغاني: حدثنا روح بن عبادة حدثنا عباد بن منصور قال: سمعتُ عدي بن أرطاة يخطب علىٰ المنبر بالمدائن، فجعل يَعِظُ حتَّىٰ بكىٰ وأبكانا، ثمَّ قال: كونوا كرجلٍ قال لابنه وهو يَعِظُهُ: يا بُني أوصيك أنْ لا تصلي صلاة إلا ظننت أنَّكَ لا تصلي بعدها غيرها حتَّىٰ تموت، وتعالَ بَنِيَّ نعملُ عَمَل رجلين كأنَّهما قد وقفا علىٰ النَّارِ، ثمَّ سألا الكَرَّة، ولقد سمعت فلانًا -نسي عَبَّادٌ اسمَه- ما بيني وبين رسول الله ﷺ غيرُه فقال: إنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ لله ملائكةً ترعُدُ فرائصُهم من مخافته، ما منهم مَلَكٌ تقطرُ دمعته من عينه إلا وقعت مَلَكًا**[٤] **يسبح الله، قال: وملائكة سجودٌ منذ خلق الله السماوات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم، ولا يرفعونها إلىٰ يوم القيامة، وصفوفٌ**

(١) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» (٢٠٧)، والطبراني في «الكبير» (٨٢٥)، وغيرهما. وسنده حسن.

(٢) (٥/ ٣٢٤).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٣٢٠)، وعبد الله في «السنة» (١٠٠٧)، وابن أبي عاصم (٤٢٨)، وسنده جيد.

(٤) كذا في النُّسخ، والنَّصْبُ علىٰ نزع الخافض، والتقدير: «علىٰ مَلَكٍ».

لم ينصرفوا عن مصافِّهم، ولا ينصرفون إلىٰ يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة وتجلَّىٰ لهم ربُّهم، فنظروا إليه قالوا: سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لك»[1].

ص(٦٨٥)

فصل

وهَاكَ بعض ما قاله أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وأئمة الإسلام بعدهم.

قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

قال أبو إسحاق: عن عامرٍ بن سعد بَعْدَهم. «قرأ أبو بكر الصديق: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] فقالوا: ما الزِّيادة يا خليفة رسول الله ﷺ؟ قال: النَّظرُ إلىٰ وجه الرَّبِّ تبارك وتعالىٰ»[2].

قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا علي بن ميسرة الهمْداني، حدثنا صالح بن أبي خالد العنبري، عن أبي الأحوص، عن أبي إسحاق الهمْداني، عن عُمَارة بن عبدٍ، قال: سمعتُ عليًّا يقول: «من تمامِ النِّعمة دخول الجنَّة، والنظرُ إلىٰ وجه الله تبارك وتعالىٰ في جنته»[3].

قول حذيفة بن اليمان:

وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن مسلم بن يزيد عن حذيفة: «الزيادة: النظرُ إلىٰ وجه اللهِ تبارك وتعالىٰ»[4].

---

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة «المختار» (٣٤)، والخطيب في «تاريخه» (١٢/ ٣٠٣)، وغيرهما، بإسناد فيه لين.

(٢) تقدم الكلام عليه ص (٤٠١).

(٣) ذكره اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٨٥٩).

(٤) تقدم الكلام عليه ص (٤٠١).

قولُ عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس:

ذكر أبو عوانة عن هلال عن عبد الله بن عُكَيم قال: سمعتُ عبد الله بن مسعود يقول: في هذا المسجد - مسجد الكوفة - يبدأ باليمين قبل أنْ يُحدِّثنا فقال: «والله ما منكم من إنسانٍ إلا إنَّ ربه سيخلو به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدرِ. قال فيقول: ما غرَّكَ بي يا ابن آدم ثلاثَ مرَّاتٍ، ماذا أجبتَ المرسلينَ ثلاثًا، كيف عملتَ فيما عَلِمْتَ»[1].

وقال ابن أبي داود: أخبرنا أحمد بن الأزهر حدثنا إبراهيم بن الحكم حدثنا أبي عن عكرمة قال: قيل لابن عباس: كل من دخل الجنَّة يرىٰ الله عَجَّلَ؟ قال: نعم»[2].

وقال أسباط بن نصر: عن إسماعيل السُّدي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وعن مُرَّة الهمداني عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «الزيادة: النظرُ إلىٰ وجه الله»[3].

قولُ معاذ بن جبل:

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم، أخبرنا إسحاق بن أحمد الخراز حدثنا إسحاق ابن سليمان الرَّازي عن المغيرة بن مسلم عن ميمون أبي حمزة قال: كنتُ جالسًا عند أبي وائل، فدخل علينا رجل يقال له أبو عفيفٍ، فقال له شقيق بن سَلَمَة: يا أبا عفيف، ألا تحدثنا عن معاذ ابن جبل؟ قال: بلىٰ سمعته يقول: «**يُحشرُ النَّاسُ يوم القيامة في صعيدٍ واحدٍ، فينادىٰ أين المُتَّقُون، فيقومون في كَنَف من الرَّحمن**

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٨٩٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٣١)، وهو أثرٌ ثابت صحيح.

(٢) تقدم ص (٤٠٩).

(٣) تقدم ص (٤٠٢).

لا يحتجب الله منهم، ولا يستتر، قلتُ: من المتقون؟ قال: قوم اتقَّوا الشركَ، وعبادة الأوثان، وأخلصوا لله بالعبادة فيمُرُّون إلىٰ الجنَّة»[١].

قول أبي هريرة:

قال ابن وهب: أخبرنا ابن لهيعة عن أبي النضر أنَّ أبا هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان يقول: «لن تروا ربكم حتَّىٰ تذوقوا الموت»[٢].

قول عبد الله بن عمر:

قال حسين الجعفي، عن عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: **«إنَّ أدنىٰ أهلِ الجنَّة منزلةً من ينظرُ إلىٰ ملكه ألفي عام يرىٰ أدناهُ كما يرىٰ أقصاهُ، وإنَّ أفضلهم منزلةً لمن ينظرُ إلىٰ وجه اللهِ في كلِّ يومٍ مرَّتين»**[٣].

قول فضالة بن عبيد:

ذكر الدارمي عن محمد بن مهاجر عن ابن حَلْبَس عن أُمِّ الدرداء أنَّ فضالة بن عبيد كان يقول: «اللَّهم إنِّي أسألك الرِّضا بعد القضاء، وبردَ العيش بعد الموتِ، ولذَّةَ النَّظرِ إلىٰ وجهك» وقد تقدَّم[٤].

قولُ أبي موسىٰ الأشعري:

قال وكيع: عن أبي بكر الهذلي عن أبي تميمة عن أبي موسىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: **«الزيادةُ: النظرُ إلىٰ وجه الله»**[٥].

---

(١) ذكره اللَّالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٨٦٤).

(٢) ذكره اللَّالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٨٦٥).

(٣) تقدم ص (٢١٣)، وراجع ص (٤٤١).

(٤) تقدم قريبًا.

(٥) تقدم ص (٤٠١).

وروىٰ يزيد بن هارون وابن أبي عدي وابن عُليَّة، عن التيمي عن أسلم العجلي عن أبي مُراية عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه كان يحدث النَّاس فشخصوا بأبصارهم فقال: ما صرفَ أبصاركم عنِّي؟ قالوا: الهلال، قال: فكيف بكم إذا رأيتم الله جهرة؟ »[١].

قول أنس بن مالك:

قال ابن أبي شيبة: حدثنا يحيىٰ بن يمان حدثنا شريك عن أبي اليقظان عن أنس ابن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥] قال: «يظهر لهم الربُّ تبارك وتعالىٰ يوم القيامة»[٢].

قول جابر بن عبد الله:

قال مروان بن معاوية عن الحكم بن أبي خالد عن الحسن عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إذا دخل أهل الجنَّة الجنَّة، وأُدِيْم عليهم بالكرامة جاءتهم خيولٌ من ياقوتٍ أحمر لا تبول ولا تروث، لها أجنحة، فيقعدون عليها، ثمَّ يأتون الجبار عَزَّ وَجَلَّ فإذا تجلَّىٰ لهم خرُّوا سُجَّدًا، فيقول: يا أهل الجنَّة ارفعوا رؤوسكم فقد رضيتُ عنكم رضًا لا سخطَ بعده»[٣].

قال الطبري: «فتحصَّل في الباب ممَّن روىٰ عن رسول الله ﷺ من الصحابة حديث الرؤية ثلاثةٌ وعشرون نفسًا: منهم علي، وأبو هريرة، وأبو سعيد، وجرير، وأبو موسىٰ، وصهيب، وجابر، وابن عباس، وأنس، وعمار ابن ياسر، وأُبي بن كعب، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وحذيفة بن اليمان، وعبادة بن الصامت،

(١) أخرجه الدارمي في «الردِّ علىٰ الجهمية» (١٩٦)، وعبد الله في «السنة» (٤٦٥)، والآجري في «الشريعة» (٦٠٩).

(٢) تقدم الكلام عليه، والاختلاف فيه علىٰ أبي اليقظان ص (٤٢٨).

(٣) تقدم الكلام عليه ص (٣٦٢).

وعدي بن حاتم، وأبو رزين العقيلي، وكعب بن عجرة، وفضالة بن عُبيد، وبريدة ابن الحصيب، ورجلٌ من أصحاب النَّبي ﷺ»(١).

وقال الدَّارقطني: «أخبرنا محمد بن عبد الله حدثنا جعفر بن محمد ابن الأزهر حدثنا مفضل بن غسَّان، قال: سمعتُ يحيىٰ بن معين يقول: عندي سبعة عشر حديثًا في الرؤية، كلها صحاح».

وقال البيهقي: «روينا في «إثبات الرؤية» عن أبي بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبي موسىٰ وغيرهم، ولم يُرو عن أحدٍ منهم نفيها، ولو كانوا فيها مختلفين، لنُقِلَ اختلافهم في ذلك إلينا، كما أنَّهم لما اختلفوا في الحلال والحرام والشرائع والأحكام نُقِلَ اختلافهم في ذلك إلينا، وكما أنَّهم لما اختلفوا في رؤية الله سبحانه بالأبصار في الدنيا نقل اختلافهم في ذلك إلينا، فلما نُقِلت رؤية الله سبحانه بالأبصار في الآخرة عنهم، ولم ينقل عنهم في ذلك اختلاف، كما نقل عنهم فيها اختلاف في الدنيا = علمنا أنَّهم كانوا علىٰ القول برؤية اللهِ تعالىٰ بالأبصارِ في الآخرة مُتَّفقين مجتمعين».

فصل

ص(٦٩٢)

وأمَّا التابعون ويَزَك(٢) الإسلام، وعصابة الإيمان: من أئمة الحديث والفقه والتفسير وأئمة التصوف، فأقوالهم أكثر من أنْ يحيط بها إلا اللهُ ﷻ.

• قال سعيد بن المسيب: «الزيادة: النظرُ إلىٰ وجه اللهِ»(٣)، رواه مالك، عن يحيىٰ عنه.

---

(١) انظر: «شرح أصول اعتقاد» للالكائي (٢/ ٤٩٥).

(٢) اليَزَك: كلمة فارسية، معناها: طلائع الجيش.

(٣) أخرجه اللالكائي (٧٨٩).

• وقال الحسن: «الزيادة: النظرُ إلىٰ وجه الله»[١]، رواهُ ابن أبي حاتم عنه.

• وقال عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ: «الزيادة: النظر إلىٰ وجه اللهِ تعالىٰ»[٢]. رواهُ حماد بن زيد عن ثابت عنه.

• وقاله عامر بن سعد البجلي، ذكره سفيان عن أبي إسحاق عنه[٣].

• وقاله عبد الرحمن بن سابط. رواه جرير عن ليث عنه[٤].

وقاله عكرمة[٥]، ومجاهد[٦]، وقتادة[٧]، والسُّدي[٨]، والضحاك[٩] وكعب[١٠].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٠٦)، واللالكائي (٧٩٠) وغيرهما وسنده حسن.

(٢) أخرجه الدارمي في «الردِّ علىٰ الجهمية» (١٩٢)، وعبد الله في «السنة» (٤٤٥)، وغيرهما، وسنده صحيح.

(٣) تقدم ص (٤٠١).

(٤) أخرجه الدارمي في «الردِّ علىٰ بشر المريسي» (٢٣٣)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٣٤٧)، وغيرهما، وخالف ليثًا فطر بن خليفة كما عند عبد الله في «السنة» (٤٧٨) فرواهُ عن ابن سابط في قوله ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٣] قال: إلىٰ وجه ربها ناظرة». وهذا أصح، وليث اختلط.

(٥) أخرجه الدارمي في «الردِّ علىٰ الجهمية» (٢٠٠)، والطبري (٢٩/ ١٩٢)، وغيرهما. وسنده حسن.

(٦) أخرجه اللالكائي (٨٠١) (٨٠٢). وجاء عنه ما يخالف ذلك، انظر: «تفسير الطبري» (٢٩/ ١٩٢).

(٧) أخرجه الطبري (١١/ ١٠٦)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢٦٨)، وغيرهما. وسنده صحيح.

(٨) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» (٢١٦)، وفيه الحكم بن ظُهير: متروك الحديث.

(٩) أخرجه الدَّارمي في «الردِّ علىٰ الجهمية» (١٩٣) والدارقطني في «الرؤية» (٢١٩) وفي سنده راو متروك.

(١٠) أخرجه عبد الله في «السنة» (٥٢٣)، والدارقطني في «الرؤية» (٢٢٥)، وغيرهما. وسنده صحيح.

• وكتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ بعض عمَّاله: «أمَّا بعدُ: فإنِّي أوصيك بتقوىٰ اللهِ، ولزوم طاعته، والتمسك بأمرِهِ، والمعاهدة علىٰ ما حملك اللهُ من دينه، واسْتَحْفَظَكَ من كتابه، فإنَّ بتقوىٰ الله نجا أولياء اللهِ من سخطه، وبها رافقوا أنبياءه، وبها نضرت وجوههم، ونظروا إلىٰ خالقهم، وهي عصمة في الدنيا من الفتن، ومن كبت يوم القيامة»(١).

• وقال الحسنُ: «لو علم العابدون في الدنيا أنَّهم لا يرون ربهم في الآخرة لذابت أنفسهم في الدنيا»(٢).

• وقال الأعمش وسعيد بن جبير: «إنَّ أشرفَ أهل الجنَّة لمن ينظر إلىٰ اللهِ تبارك وتعالىٰ غدوةً وعشية»(٣).

• وقال كعب: «ما نظر الله سبحانه إلىٰ الجنَّة قط إلا قال: طِيبي لأهلك، فزادت ضعفًا علىٰ ما كانت، حتَّىٰ يأتيها أهلها، وما من يومٍ كان لهم عيد في الدنيا إلا يخرجون في مقداره في رياض الجنَّة، فيبرز لهم الرب تبارك وتعالىٰ، فينظرون إليه، وتَسْفِي عليهم الريحُ المسكَ، ولا يسألون الرَّبَّ تبارك وتعالىٰ شيئًا إلا أعطاهم حتَّىٰ يرجعوا، وقد ازدادوا علىٰ ما كانوا من الحسن والجمال سبعين ضعفًا، ثمَّ يرجعون إلىٰ أزواجهم، وقد ازْدَدْنَ مثل ذلك»(٤).

---

(١) أخرجه الدَّارمي في «الردِّ علىٰ الجهمية» (٢٠٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٧٨) وغيرهما.

(٢) أخرجه عبد الله في «السنة» (٤٨٦)، واللالكائي (٨٦٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٥٩) وغيرهم.

(٣) أخرجه عبد الله في «السنة» (٤٨٧) عن سعيد فقط، وابن بطة في الإبانة «المختار» (٣٩) «عن سعيد والأعمش». وسنده لا بأس به..

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٣٧) مختصرًا، والدَّارمي في «الردِّ علىٰ الجهمية» =

• وقال هشام بن حسان: «إنَّ اللهَ سبحانه وتعالىٰ يتجلَّىٰ لأهل الجنَّة، فإذا رآه أهل الجنَّة نَسُوا نعيم الجنَّة»(١).

• وقال طاووس: «أصحاب المراء والمقاييس لا يزالُ بهم المراء والمقاييس حتَّىٰ يجحدوا الرؤية، ويخالفوا السنة»(٢).

• وقال شريك عن أبي إسحاق السبيعي: «الزيادة: النظرُ إلىٰ وجه الرحمن تبارك وتعالىٰ»(٣).

• وقال حماد بن زيد عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ أنَّه تَلَىٰ هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، قال: «إذا دخل أهل الجنَّة الجنَّةَ أعطوا فيها ما سألوا وما شاؤوا، فيقول الله ﷻ لهم: إنَّه قد بقيَ من حقِّكم شيءٌ لم تعطوه، فيتجلَّىٰ لهم ربُّهم، فلا يكونُ ما أعطوا عند ذلك بشيء، فالحسنىٰ: الجنَّة، والزيادة: النظرُ إلىٰ ربهم ﷻ: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس:٢٦] بعد نظرهم إلىٰ ربهم تبارك وتعالىٰ»(٤).

• وقال علي بن المديني: سألتُ عبد الله بن المبارك عن قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكهف:١١٠] قال عبد الله: «من أراد النظر إلىٰ وجه خالقه، فليعمل عملًا صالحًا، ولا يُخْبِرْ به أحدًا».

= (٢٠١)، والآجري في «الشريعة» (٥٧٣) بمثله، وغيرهم.

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة «المختار» (٤٠) وهو بدون سند. وأخرجه الآجري في «الشريعة» (٥٧٢).

(٢) أخرجه الَّلالكائي (٨٦٨). وفيه إبراهيم بن يزيد الخوزي: وهو متروك.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ١٠٥)، والدارقطني في «الرؤية» (٢٢٣)، والَّلالكائي (٧٩٤). وسنده حسن.

(٤) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» (٢١٠). وقد تقدَّم ذكر الاختلاف فيه ص (٦٩٣).

• وقال نُعَيْم بن حمَّاد: سمعتُ ابن المبارك يقول: «ما حجبَ اللهُ ﷻ أحدًا عنه إلا عذَّبه، ثمَّ قرأ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين:١٥-١٧] قال: بالرؤية». ذكره ابن أبي الدنيا، عن يعقوب بن إسحاق عن نُعيم.

وقال عبَّاد بن العوَّام: «قَدِمَ علينا شريك بن عبد الله منذ خمسين سنة، فقلت له: يا أبا عبد الله، إن عندنا قومًا من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث: «إنَّ اللهَ ينزلُ إلىٰ سماء الدنيا»، «وإنَّ أهل الجنَّة يرون ربهم». فحدَّثني بنحو عشرة أحاديث في هذا وقال: أما نحنُ، فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين عن أصحاب رسول الله ﷺ، فهم عمَّن أخذوا؟ ».

وقال عقبة بن قَبِيْصة: «أتينا أبا نُعَيم يومًا، فنزل إلينا من الدرجة التي في دَارِهِ فجلسَ في وسطها كأنَّه مغضب، فقال: حدَّثنا سفيان بن سعيد ومنذر الثوري وزهير بن معاوية، وحدثنا حسن بن صالح بن حي، وحدثنا شريك بن عبد الله النخعي، هؤلاء أبناء المهاجرين يُحَدِّثوننا عن رسول الله ﷺ أنَّ الله تبارك وتعالىٰ يُرىٰ في الآخرة، حتَّىٰ جاءَ ابن يهوديٍّ صبَّاغٍ يزعم أنَّ اللهَ تعالىٰ لا يُرىٰ -يعني بشر المرِّيسيّ-.

ص(٦٩٩)

فصل

في المنقول عن الأئمة الأربعة، ونظرائهم وشيوخهم وأتباعهم على طريقتهم ومنهاجهم

ذكرُ قول إمام دار الهجرة مالك بن أنس:

قال أحمد بن صالح المصري: حدثنا عبد الله بن وهب قال: قال مالك بن أنس: «النَّاسُ ينظرون إلىٰ الله ﷻ يوم القيامة بأعينهم».

وقال الحارث بن مسكين: حدثنا أشهب قال: سُئِلَ مالك عن قوله ﷻ: ﴿وُجُوهٞ

﴿يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣] أتنظرُ إلىٰ اللهِ ﷻ؟ قال: نعم، فقلتُ إنَّ أقوامًا يقولون: تنتظرُ ما عنده، قال: بل تنظر إليه نظرًا، وقد قال: موسىٰ: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن﴾ [الأعراف:١٤٣]، وقال الله ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]».

وذكر الطبري وغيره أنَّهُ قيل لمالك: «إنَّهم يزعمون أنَّ اللهَ لا يُرىٰ، فقال مالك: السيف السيف».

ذكر قول ابن الماجشون:

قال أبو حاتم الرَّازي: قال أبو صالح كاتب الليث: أملىٰ عليَّ عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون، وسألته عمَّا جحدت الجَهْمِيَّة فقال: «لم يزلْ يملي لهم الشيطان حتَّىٰ جحدوا قوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة:٢٢،٢٣]، فقالوا: لا يراه أحدٌ يوم القيامة، فجحدوا -والله- أفضل كرامةِ الله التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظرِ إلىٰ وجهه، ونضرته إيَّاهم ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ﴾ [القمر:٥٥]، فوربِّ السماء والأرضِ ليجعلنَّ رؤيته يوم القيامة للمخلصين له ثوابًا لينضِّر بها وجوههم دون المجرمين، وتفلج بها حُجَّتهم علىٰ الجاحدين، وهم عن ربِّهم يومئذٍ لمحجوبون، لا يرونه كما زعموا أنَّهُ لا يرىٰ، ولا يكلمهم ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم».

ذكر قول الأوزاعي:

ذكر ابن أبي حاتم عنه قال: «إنِّي لأرجو أنْ يحجب الله ﷻ جهْمًا وأصحابه عن أفضل ثوابه الَّذي وعده أولياءَه حين يقول: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة:٢٢،٢٣] فجحدَ جهْم وأصحابه أفضل ثوابه الَّذي وعد أولياءَه».

ذكر قول الليث بن سعد:

قال ابن أبي حاتم: حدثنا إسماعيل بن أبي الحارث، حدثنا الهيثم بن خارجة، قال: سمعت الوليد بن مسلم يقول: «سألت الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والليث بن سعد، عن هذه الأحاديث التي فيها الرؤية، فقالوا: تُمَرُّ بلا كيف».

قول سفيان بن عيينة:

ذكر الطبري وغيره عنه أنَّه قال: «من لم يقل: إنَّ القرآن كلام الله، وإنَّ اللهَ يرىٰ في الجنَّة فهو جهمي».

وذكر عنه ابن أبي حاتم أنَّه قال: «لا يُصَلَّىٰ خلفَ الجهمي، والجهميُّ الَّذي يقول: لا يرىٰ ربه يوم القيامة».

قول جرير بن عبد الحميد:

ذكر ابن أبي حاتم عنه أنَّه ذُكِرَ له حديث ابن سابط في الزيادة: أنَّها النظر إلىٰ وجه اللهِ فأنكره رجلٌ فصاح به، فأخرجه من مجلسه».

قول عبد الله بن المبارك:

ذكر عبد الرحمن بن أبي حاتم عنه، أنَّ رجلًا من الجهمية قال له: «يا أبا عبد الرحمن خدارا بآن جهان جون بِيْنَنْد، ومعناهُ: كيفَ يُرىٰ الله يوم القيامة؟ فقال: بالعين».

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني يعقوب بن إسحاق قال: سمعت: نُعَيم ابن حماد يقول: سعت ابن المبارك يقول: «ما حجب الله ﷻ عنه أحدًا إلا عذَّبه ثمَّ قرأ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين:١٥-١٧] قال ابن المبارك: بالرؤية».

قول وكيع بن الجراح:

ذكر ابن أبي حاتم عنه، أنَّه قال: «يراهُ تبارك وتعالىٰ المؤمنون في الجنَّة، ولا يراهُ إلا المؤمنون».

قول قتيبة بن سعيد:

ذكر ابن أبي حاتم عنه، قال: «قول الأئمة المأخوذ به في الإسلام والسنَّة: الإيمان بالرؤية والتصديق بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ في الرؤية».

قول أبي عبيد القاسم بن سلَّام:

ذكر ابن بطَّة وغيره عنه أنَّه ذُكِرَت عنده هذه الأحاديث التي في الرؤية فقال: «هي عندنا حق، رواها الثقات عن الثقات إلىٰ أنْ صارت إلينا، إلا أنا إذا قيل لنا: فسِّروها لنا، قلنا: لا نفسِّر منها شيئًا، ولكن نُمْضيها كما جاءت».

قول أسود بن سالم شيخ الإمام أحمد:

قال المَرُّوذي: حدثنا عبد الوهَّاب الورَّاق قال: سألت أسود بن سالم عن أحاديث الرؤية، فقال: «أحلف عليها بالطلاق وبالمشي أنَّها حق».

قول محمد بن إدريس الشافعي:

قد تقدَّم رواية الربيع عنه أنَّه قال: «في قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]: لمَّا حجبَ هؤلاء في السَّخَط، كان في هذا دليل علىٰ: أنَّ أولياءه يرونه في الرِّضىٰ، قال الربيع: فقلتُ: يا أبا عبد الله، وتقول به؟ قال: نعم، وبه أدينُ الله، لو لم يوقن محمد بن إدريس أنَّه يرىٰ الله ﷻ لَمَا عَبَدَهُ».

وقال ابن بطَّة: حدثنا ابن الأنباري، حدثنا أبو القاسم الأنماطي صاحب المُزَني قال: قال الشافعي: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥] دلالة علىٰ أنَّ أولياءه يرونه يوم القيامة بأبصار وجوههم».

قول إمام السنَّة أحمد بن حنبل:

قال إسحاق بن منصور: قلتُ لأحمد: «أليس ربنا تبارك وتعالىٰ يراهُ أهل الجنَّة؟ أليسَ تقول بهذه الأحاديث؟ قال أحمد: صحيح، قال ابن منصور: وقال إسحاق بن راهويه: صحيح ولا يدعه إلا مبتدع، أو ضعيف الرَّأي».

وقال الفضل بن زياد: «سمعتُ أبا عبد الله، وقيل له: تقول بالرؤية؟ فقال: من لم يقل بالرؤية فهو جهمي».

قال: «وسمعتُ أبا عبد الله، وبلغه عن رجل أنَّه قال: إنَّ الله لا يُرىٰ في الآخرة: فغضب غضبًا شديدًا، ثمَّ قال: من قال: إنَّ الله لا يرىٰ في الآخرة فقد كفر، عليه لعنة الله وغضبه، مَنْ كَانَ مِنَ النَّاس، أليسَ يقول الله ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾.

وقال أبو داود: «وسمعتُ أحمد، وذُكِرَ له عن رجلٍ في شيءٍ في الرؤية فغضب وقال: من قال: إنَّ اللهَ لا يرىٰ فهو كافر».

قال أبو داود: «وسمعتُ أحمد وقيل له: في رجل يُحدِّث بحديث عن رجل عن أبي العطوف: إنَّ اللهَ لا يُرىٰ في الآخرة، فقال: لعَنَ اللهُ من يُحدِّثُ بهذا الحديثِ اليوم، ثمَّ قال: أخزىٰ اللهُ هذا».

وقال أبو بكر المرُّوذي: «قيل لأبي عبد الله: تعرفُ عن يزيد بن هارون، عن أبي العطوف، عن أبي الزبير، عن جابر: «إنِ استقرَّ الجبل فسوف تراني، وإنْ لم يستقر فلا تراني في الدنيا، ولا في الآخرة»[١]، فغضبَ أبو عبد الله غضبًا شديدًا حتَّىٰ تبيَّن في وجهه، وكان قاعدًا والنَّاسُ حوله، فأخذَ نعله وانتعل، وقال: أخزىٰ الله

(١) هذا حديث موضوع. آفته أبو العطوف الجرَّاح بن المنهال كذبه ابن حبان وغيره، وقال أبو حاتم: متروك.

هذا، لا ينبغي أنْ يُكْتَب، ودفع أنْ يكون يزيد بن هارون رواهُ أو حدَّث به، وقال: هذا جَهْمي كافرٌ خالف قول اللهُ ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]. وقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥] خَزَىٰ اللهُ هذا الخبيث».

قال أبو عبد الله: «ومن زعمَ أنَّ اللهَ لا يُرىٰ في الآخرة فقد كفر».

وقال أبو طالب: «قال أبو عبد الله: قول اللهُ ﷻ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة:٢١٠]، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢٢] فمن قال: إنَّ الله لا يُرىٰ فقد كفر».

وقال إسحاق بن إبراهيم بن هانئ: «سمعتُ أبا عبد الله يقول: من لم يؤمن بالرؤية فهو جهْمي، والجهمي: كافر».

وقال يوسف بن موسىٰ القطان: «قيل لأبي عبد الله: أهلُ الجنَّة ينظرون إلىٰ ربِّهم تبارك وتعالىٰ ويُكلِّمونه ويكلِّمهم؟ قال: نعم، ينظرُ إليهم، وينظرون إليه، ويكلمهم ويكلمونه كيف شاء وإذا شاء».

وقال حنبل بن إسحاق: «سمعتُ أبا عبد الله يقول: القومُ يرجعون إلىٰ التعطيل في أقوالهم، ينكرون الرؤية والآثار كلها، وما ظننتهم علىٰ هذا حتَّىٰ سمعت مقالاتهم».

قال حنبل: «وسمعتُ أبا عبد الله يقول: من زعم أنَّ اللهَ لا يُرىٰ في الآخرة فقد ردَّ علىٰ اللهِ وعلىٰ الرسول، ومن زعمَ أنَّ اللهَ لم يتخذ إبراهيم خليلًا فقد كفر، وردَّ علىٰ الله قوله، قال أبو عبد الله: فنحنُ نؤمنُ بهذه الأحاديث، ونُقِرُّ بها ونمرُّها كما جاءتْ».

وقال الأثرم: «سمعتُ أبا عبد الله يقول: فأما من قالَ: إنَّهُ لا يرىٰ الله في الآخرة فهو جهمي، قال أبو عبد الله: وإنَّما تكلَّم من تكلَّم في رؤية الدنيا».

وقال إبراهيم بن زياد الصائغ: «سمعتُ أحمد بن حنبل يقول: الرؤية من كذَّب بها فهو زِنْدِيْق».

وقال حنبل: «سمعتُ أبا عبد الله يقول: أدركنا النَّاسُ وما ينكرون من هذه الأحاديث شيئًا -أحاديث الرؤية- وكانوا يحدثون بها على الجملة، يُمِرُّونها على حالها غير منكرين لذلك ولا مرتابين».

وقال أبو عبد الله: «قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ [الشورى:٥١]. فكلَّم الله موسى من وراء حجاب، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ﴾ [الأعراف:١٤٣]، فأخبر الله ﷻ أنَّ موسى يراهُ في الآخرة، وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]، ولا يكون حجاب إلا لرؤية أخبر الله سبحانه أنَّ من شاء الله ومن أراد يراهُ، والكفار لا يرونه».

قال حنبل: «وسمعتُ أبا عبد الله يقول: قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]. والأحاديث التي تُرْوى في النظر إلى الله تعالى -حديث جرير بن عبد الله وغيره- «وتنظرون إلى ربِّكم»، أحاديث صِحَاح، وقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ﴾ [يونس:٢٦]: النظرُ إلى الله تعالى، قال أبو عبد الله: نؤمن بها، ونعلمُ أنَّها حقٌّ: أحاديث الرؤية، ونؤمن بأنَّ اللهَ يُرَى، نَرَى ربنا يوم القيامة، لا نشكُّ فيه ولا نرتاب».

قال: «وسمعتُ أبا عبد الله يقول: من زعمَ أنَّ اللهَ لا يرى في الآخرة فقد كفر باللهِ وكذَّب بالقرآن، وردَّ على الله أمره، يُستتاب؛ فإنْ تابَ وإلَّا قُتِلَ».

قال حنبل: «قلتُ لأبي عبد الله: في أحاديث الرؤية فقال: هذه صحاح نؤمن بها، ونقرُّ بها، وكل ما روي عن النَّبي ﷺ إسنادهُ جيِّد أقرَرْنا به».

قال أبو عبد الله: «إذا لم نقر بما جاء عن النَّبي ﷺ، ودفعناهُ رددنا علىٰ اللهِ أمره. قال اللهُ ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧] ».

قول إسحاق بن راهويه:

ذكر الحاكم وشيخ الإسلام وغيرهما عنه، أنَّ عبد الله بن طاهر أمير خراسان سأله، فقال: يا أبا يعقوب، هذه الأحاديث التي تَرْوُوْنها في النزول والرؤية ما هُنَّ؟ فقال رواها من روىٰ الطهارة، والغُسل والصلاة والأحكام، وذكر أشياء، فإنْ يكونوا في هذه عدولًا، وإلَّا فقد ارتفعت الأحكام، وبطل الشرع، فقال: شفاك الله كما شفيتني، أو كما قال».

قول جميع أهل الإيمان:

قال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتابه: «إنَّ المؤمنين لم يختلفوا أنَّ جميع المؤمنين يرون خالقهم يوم المعاد، ومن أنكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين».

قول المزني:

ذكر الطبري في «السنة» عن إبراهيم بن أبي داود المصري، قال: كُنَّا عند نُعَيم ابن حمَّاد جلوسًا، فقال نعيم للمُزَني: ما تقول في القرآن؟ فقال: أقول، إنَّهُ كلامُ اللهُ، فقال: غير مخلوق؟ فقال: غير مخلوق، قال: وتقول: إنَّ اللهَ يرىٰ يوم القيامة؟ قال: نعم، فلما افترق النَّاس قام إليه المزني فقال: يا أبا عبد الله، شهرتني علىٰ رؤوس النَّاس، فقال: إنَّ النَّاس قد أكثروا فيك، فأردت أن أُبَرِّئك».

قول جميع أهل اللغة:

قال أبو عبد الله بن بطَّة: سمعت أبا عمر محمد بن عبد الواحد، صاحب اللغة يقول: سمعت - أبا العباس أحمد بن يحيىٰ - ثعلبًا يقول في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ

بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب:٤٣-٤٤]. أجمع أهل اللغة علىٰ أنَّ اللقاء ها هنا لا يكونُ إلا معاينة ونظرًا بالأبصارِ».

وحسبك بهذا الإسناد صِحَّةً، واللِّقاء ثابتٌ بنصِّ القرآن كما تقدم[1]. وبالتواتر عن النَّبي ﷺ، وكلُّ أحاديث اللقاء صحيحة:

فحديث أنس في قصة بئر معونة: «إنَّا قد لقينا ربَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وأَرْضانَا»[2].

وحديث عبادة وعائشة وأبي هريرة وابن مسعود: «من أحبَّ لقاءَ اللهِ أحبَّ اللهُ لقاءهُ»[3].

وحديثُ أنس: «إنَّكُم ستلقون بعدي أَثْرَةً فاصْبِرُوا حتَّىٰ تَلْقَوا الله ورسولَهُ»[4].

وحديث أبي ذرٍّ: «لو لقيتني بِقُرَابِ الأرضِ خطَايَا، ثُمَّ لقيتني لا تشركُ بي شيئًا لقيتُكَ بقُرابها مغفرة»[5].

وحديثُ أبي موسىٰ: «من لقيَ اللهَ لا يشركُ به شيئًا دَخَلَ الجنَّة»[6].

وغير ذلك من أحاديث اللِّقاءه التي أطردت كلها بلفظٍ واحدٍ.

---

(١) في ص (٤٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٦٤).

(٣) البخاري (٦١٤٢ و ٦١٤٣)، ومسلم (٢٦٨٣، ٢٦٨٤، ٢٦٨٦) عن عبادة وعائشة وأبي موسىٰ رضي الله عنهم. ومسلم (٢٦٨٥) عن أبي هريرة. والطبراني في «الكبير» (٨٨٨٢) عن ابن مسعود موقوفًا، وسنده صحيح.

(٤) أخرجه البخاري (٢٩٧٨)، ومسلم (١٨٤٥).

(٥) أخرجه مسلم (٢٦٨٧) بنحوه.

(٦) لم أقف عليه من حديث أبي موسىٰ بهذا اللفظ. وقد جاء هذا المتن عن جماعة من الصحابة: وأصحها حديث أنس عند البخاري (١٢٩)، وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما عند مسلم (٩٣).

ص(٧١٢)

فصل

في وعيد منكر الرؤية

قد تقدم قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]، وقول عبد الله بن المبارك: ما حجب اللهُ عنه أحدًا إلا عذَّبه، ثمَّ قرأ قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين:١٦-١٧]، قال: بالرؤية».

وروىٰ مسلم في «صحيحه»[1] من حديث أبي هريرة قال: قالوا: يا رسول الله هل نرىٰ ربنا يومَ القيامة؟ قال: هل تضارون في رؤية الشمسِ في الظهيرة ليست في سحابة؟ قالوا: لا، قال: هل تضارون في رؤية القمرِ ليلةَ البدرِ ليس في سحابة؟ قالوا: لا، قال: فوالَّذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربّكم إلا كما تُضارُّون في رؤية أحدهما، فَيَلْقَىٰ العبد، فيقول: أيْ فُل: ألمْ أُكْرِمْكَ وأسَوِّدْك وأُزوِّجْكَ، وأُسخِّرْ لكَ الخيل والإبل، وأذَرْكَ تَرأسُ وتربعُ؟ فيقول: بلىٰ، فيقولُ: أفظننتَ أنَّكَ مُلاقيَّ؟ فيقول: لا، فيقول: فإنِّي أنساكَ كما نسيتني، ثمَّ يلقىٰ الثاني، فيقول: أي فُل، ألمْ أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيلَ والإبل، وأذَرْكَ تراس وتربَعُ فيقول: بلىٰ، أي ربِّ، فيقول: أفظننتَ أنَّكَ مُلاقيَّ فيقول: لا، فيقول إنِّي أنساكَ كما نسيتني، ثمَّ يلقىٰ الثالث فيقول له مثل ذلك، فيقول: يا ربِّ آمنت بك، وبكتابك وبرسلك، وصليت وصمْتُ وتصدقتُ، ويثني بخيرٍ ما استطاع، فيقول: ها هنا إذًا، ثمَّ يُقال: الآن نبعث شاهدنا عليك، فيتفكر في نفسه من الَّذي يشهدُ عليَّ؟ فيُختمُ علىٰ فيه، ويقال لفخذه: انطقي، فتنطق فخذُه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الَّذي يسخط اللهُ عليه».

فاجْمَعْ بين قوله: «إنَّكم سترون ربَّكم»، وقوله لمن ظنَّ أنَّه غيرَ ملاقيه: «فإنِّي أنساكَ كما نسيتني»، وإجماع أهل اللغة أنَّ اللقاء: المعاينة بالأبصارِ = يحصلْ لك

(١) برقم (٢٩٦٨).

العلمُ بأنَّ منكر الرؤية أحقُّ بهذا الوعيد.

ومن تراجم أهل السنَّة علىٰ هذا الحديث: بابٌ: في الوعيد لمنكر الرؤية، كما فعل شيخ الإسلام وغيره، وبالله التوفيق.

فصل

ص(٧١٣)

قد دلَّ القرآن والسنَّة المتواترة وإجماعُ الصحابة وأئمة الإسلام وأهل الحديث عصابة الإسلام، ويَزَك الإيمان، وخاصَّة رسول الله ﷺ = علىٰ أنَّ الله سبحانه وتعالىٰ يُرىٰ في القيامة بالأبصارِ عِيَانًا، كما يُرىٰ القمرُ ليلةَ البدرِ صَحْوًا، وكما تُرىٰ الشمس في الظهيرة، فإنْ كان لما أخبر به الله ورسوله عنه من ذلك حقيقة -وإنَّ له والله حقَّ الحقيقة- فلا يمكن أنْ يروهُ إلا من فوقهم، لاستحالة أن يروهُ أسفل منهم، أو خلفهم، أو أمامهم، أو عن يمينهم وشمالهم، وإنْ لم يكن لِمَا أخبر به حقيقة - كما يقوله: أفراخ الصابئة، والفلاسفة والمجوس، والفِرعونية - بطل الشرع والقرآن، فإنَّ الَّذي جاء بهذه الأحاديث، هو الَّذي جاء بالقرآن والشريعة، والَّذي بلَّغها هو الَّذي بلَّغ الدِّين، فلا يجوزُ أنْ يُجعل كلام اللهِ ورسوله عِضِين، بحيث يؤمن ببعض معانيه، ويُكْفر ببعضها، فلا يجتمع في قلب العبدِ بعد الاطلاع علىٰ هذه الأحاديث، وفهم معناها إنكارها، والشهادة بأنَّ محمدًا رسول الله أبدًا: و ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:٤٣].

والمنحرفون في باب رؤية الربِّ تبارك وتعالىٰ نوعان:

أحدهما: من يزعم أنَّه يُرىٰ في الدنيا، ويحاضر ويُسَامر.

والثاني: من يزعم أنَّه لا يُرىٰ في الآخرة ألبتَّة، ولا يُكلِّم عباده.

وما أخبر اللهُ به رسوله وأجمع عليه الصحابة والأئمة يُكذِّبُ الفريقين، وبالله التوفيق.

ص(٧١٥)

الباب السادس والستون
في تكليمه سبحانه لأهل الجنَّة، وخطابه لهم ومحاضرته إيَّاهم، وسلامه عليهم

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ [آل عمران:٧٧].

وقال في حقِّ الَّذين يكتمون ما أنزلَ اللهُ من الهُدَىٰ والبيِّنات: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [البقرة:١٧٤].

فلو كان لا يكلِّم عباده المؤمنين، لكانوا في ذلك هم وأعداء الله سواء، ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنَّه لا يكلمهم فائدةً أصلًا، إذْ تكليمه لعباده عند الفرعونية والمعطِّلة مثل أنْ يُقال: يؤاكلهم ويشاربهم، ونحو ذلك، تعالىٰ اللهُ عمَّا يقولون.

وقد أخبر سبحانه أنَّه يسلِّمُ علىٰ أهل الجنَّة، وأنَّ ذلك السلام حقيقة، وهو قولٌ من ربٍّ رحيم، وتقدَّم تفسيرُ النَّبي ﷺ لهذه الآية في حديث جابر في الرؤية، وأنَّه يشرف عليهم من فوقهم، ويقول: «سَلَامٌ عليكم يا أهل الجنَّة»[1] فيرونه عيانًا، وفي هذا إثبات الرؤية والتكليم والعُلو، والمعطلة تنكر هذه الأمور الثلاثة وتكفِّر القائل بها.

وتقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه في سوق الجنَّة وقول النَّبي ﷺ: «ولا يبقىٰ أحدٌ في ذلك المجلس إلا حاضره الله محاضرة، فيقول: يا فلان أتذكر يومَ فعلت كذا

(١) ص (٤٣٦).

وكذا» الحديث[١].

وتقدم حديث عدي بن حاتم: «ما منكم إلا مَنْ سيُكلِّمه ربُّهُ يومَ القيامة»[٢].

وحديث أبي هريرة في الرؤية وفيه «فيقول تبارك وتعالىٰ للعبدِ: «ألم أكرمك وأسودك»[٣] الحديث.

وحديث بريدة: «ما منكم من أحدٍ إلا سيخلو به ربُّه ليس بينه وبينه تَرجُمانٌ ولا حِجابٌ»[٤] الحديث.

وحديث أنس في يوم المزيد، ومخاطبته فيه لأهل الجنَّة مرارًا[٥].

وبالجملة فتأمَّل أحاديث الرؤية تجد في أكثرها ذِكْرُ التَّكْلِيم.

قال البخاري في «صحيحه»[٦]: «بابُ كلامِ الرب تبارك وتعالىٰ مع أهل الجنَّة». وساق فيه عدَّة أحاديث.

فأفضل نعيم أهل الجنَّة رؤية وجهه تبارك وتعالىٰ، وتكليمه لهم، فإنكار ذلك إنكار لروح الجنَّة، وأعلىٰ نعيمها وأفضله، الَّذي ما طابت لأهلها إلا به، والله المستعان.

---

(١) انظر: ص(٣٩٤).

(٢) انظر: ص (١٦٨)، وليس فيه هذا اللفظ، ولعله يريد المعنىٰ.

(٣) ص(٤٦٧).

(٤) ص (٤٣٣).

(٥) انظر: ص (٤٢٩).

(٦) في كتاب التوحيد (٦/ ٢٧٣٢).

ص(٧١٨)

الباب السابع والستون

في أبدية الجنة وأنها لا تفنى ولا تبيد

هذا مما يُعْلَم بالاضطرار أن الرسول ﷺ أخبر به، قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨] أي: غير مقطوع.

ولا تنافي بين هذا وبين قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود:١٠٨]، واختلف السلف في هذا الاستثناء:

• فقال معمر عن الضحاك: «هو في الذين يخرجون من النار، فيدخلون الجنة، يقول سبحانه: إنهم خالدون في الجنة ما دامت السماوات والأرض، إلا مُدَّة مكثهم في النار»(١).

قلت: وهذا يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون الإخبار عن الذين سُعِدُوا وقع عن قوم مخصوصين، وهم هؤلاء.

والثاني: - وهو الأظهر - أن يكون وقع عن جملة السعداء، والتخصيص بالمذكورين هو في الاستثناء، وما دل عليه.

وأحسن من هذين التقديرين: أن تُردَّ المشيئة إلىٰ الجميع، حيث لم يكونوا في الجنة في الموقف. وعلىٰ هذا فلا يبقىٰ في الآية تخصيص.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٢٤٤)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٢٠). وسنده صحيح.

• وقالت فرقة أخرىٰ: هو استثناءٌ استثناهُ الرب تعالىٰ ولا يفعله، كما تقول: والله لأضربنك إلا أن أرىٰ غير ذلك. وأنت لا تراه؛ بل تجزم بضربه.

• وقالت فرقة أُخرىٰ: العرب إذا استثنت شيئًا كثيرًا مع مثله، ومع ما هو أكثر منه، كان معنىٰ «إلَّا» في ذلك ومعنىٰ الواو سواء.

والمعنىٰ علىٰ هذا: سوىٰ ما شاء الله من الزيادة علىٰ مدة دوام السماوات والأرض. هذا قول الفرَّاء، وسيبويه: يجعل «إلَّا» بمعنىٰ لكن.

قالوا: ونظير ذلك أن يقول: لي عليك ألف إلا الألفين الذين قبلها: أي سوىٰ الألفين. قال ابن جرير: «وهذا أحب الوجهين إليَّ؛ لأن الله تعالىٰ لا خُلْف لوعده، وقد وصل الاستثناء بقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨].

قالوا: ونظيره أن يقول: أسكنتك داري حولًا إلا ما شئت، أي: سوىٰ ما شئت، أو لكن ما شئت من الزيادة عليه.

• وقالت فرقة أخرىٰ: هذا الاستثناء إنما هو مُدَّة احتباسهم عن الجنَّة، ما بين الموت والبعث، وهو البرزخ إلىٰ أنْ يصيروا إلىٰ الجنَّة، ثمَّ هو خلودُ الأبد، فلم يغيبوا عن الجنَّة إلا بقدر إقامتهم في البرزخ.

• وقالت فرقة أخرىٰ: العزيمة قد وقعت لهم من الله بالخلود الدَّائم، إلا أنْ يشاء الله خلاف ذلك = إعلامٌ لهم بأنهم مع خلودهم في مشيئته، وهذا كما قال لنبيه: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء:٨٦]، وقوله: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشورىٰ:٢٤]، وقوله: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [يونس:١٦]، ونظائره. يخبر عباده سبحانه أنَّ الأمور كلَّها بمشيئته، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

• وقالت فرقة أخرىٰ: المراد بمُدَّة دوام السماوات والأرضِ في هذا العالم. فأخبر سبحانه أنَّهم خالدون في الجنَّة مُدَّة دوام السماوات والأرضِ إلا ما شاء اللهُ أنْ يزيدهم عليه.

ولعلَّ هذا قول من قال: إنَّ «إلَّا» بمعنىٰ «سِوىٰ»، ولكن اختلفت عبارته، وهذا اختيار ابن قتيبة. قال: «المعنىٰ: خالدين فيها مُدَّة العالم سوىٰ ما شاء أنْ يزيدهم من الخلود علىٰ مدَّة العالم».

• وقالت فرقة أخرىٰ: «ما» بمعنىٰ: «مَنْ»، كقوله: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء:٣] والمعنىٰ: إلا من شاء ربك أن يدخله النَّار بذنوبه من السعداء.

والفرقُ بين هذا القول، وبين أوَّل الأقوال: أنَّ الاستثناء علىٰ ذلك القول من المُدَّة، وعلىٰ هذا القول من الأعيان.

• وقالت فرقة أخرىٰ: المراد بالسماوات والأرض: سماءُ الجنَّة وأرضها، وهما باقيتان ابدًا، وقوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود:١٠٧] إنْ كانت «ما»: بمعنىٰ: «مَنْ» فهم الَّذين يدخلون النَّار، ثمَّ يخرجون منها، وإنْ كانت بمعنىٰ: «الوقت» فهو مُدَّة احتباسهم في البرزخ والموقف.

قال الجُعْفِي: «سألتُ عبد الله بن وهب عن هذا الاستثناء؟، فقال: سمعتُ فيه أنَّه قَدْرَ وقوفهم في الموقف يوم القيامة إلىٰ أنْ يقضىٰ بين النَّاس».

• وقالت فرقة أخرىٰ: الاستثناء راجعٌ إلىٰ مدَّة لبثهم في الدنيا.

وهذه الأقوال متقاربة، ويمكن الجمع بينها بأنْ يُقالَ: أخبر سبحانه عن خلودهم في الجنَّة كلَّ وقتٍ، إلا وقتًا يشاءُ ألَّا يكونوا فيها، وذلك يتناول وقتَ كونهم في الدنيا وفي البرزخ، وفي موقف القيامة، وعلىٰ الصراط، وكون بعضهم في النَّار مدَّة، وعلىٰ كلِّ تقدير فهذه الآية من المتشابه، وقوله تعالىٰ فيها: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ مُحْكم، وكذلك قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص:٥٤]، وقوله: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد:٣٥]، وقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٨].

وقد أكَّدَ الله سبحانه خلود أهل الجنَّة بالتأبيد في عدَّة مواضع من القرآن، وأخبر أنَّهم: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان:٥٦]، وهذا

الاستثناء منقطع، وإذا ضَمَمْته إلىٰ الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود:١٠٧] تبيَّن لك المراد من الآيتين، واستثناء الوقت الَّذي لم يكونوا فيه في الجنَّة من مدَّة الخلود، كاستثناء الموتة الأولىٰ من جملة الموت، فهذه موتةٌ تقدمت علىٰ حياتهم الأبدية، وذاك مفارقة للجنَّة تقدَّم علىٰ خلودهم فيها. وبالله التوفيق.

وقد تقدَّم قول النَّبي ﷺ: «**من يدخل الجنَّة ينعم لا يبؤس، ويخلد لا يموت**»[١].

وقوله: «**ينادي منادٍ يا أهل الجنَّة، إنَّ لكم أنْ تَصِحُّوا فلا تسقموا أبدًا، وأنْ تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وأنْ تحيوا فلا تموتوا أبدًا**»[٢].

وثبت في «الصحيحين»[٣] من حديث أبي سعيد الخدري عن النَّبي ﷺ قال: «يُجاءُ بالموتِ في صورة كبشٍ أملح، فيوقفُ بين الجنَّة والنَّارِ، ثمَّ يُقال: يا أهل الجنَّة، فيطَّلعون مشفقين، ويُقال: يا أهل النَّار، فيطلعون فرحين، فيقال: هل تعرفون هذا، فيقولون: نعم، هذا الموتُ، فيذبح بين الجنَّة والنَّار، ويُقال: يا أهل الجنَّة، خلودٌ فلا موت، ويا أهل النَّار خلودٌ فلا موت».

ص(٧٢٣)

فصل

وهذا موضع اختلف فيه المتأخرون علىٰ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّ الجنَّة والنَّار فانِيَتَانِ غير أبديَّتين، بل كما هما حَادِثَتَان، فهما فانيتان.

والقول الثاني: إنَّهما باقيتان، دائمتان لا يفنيان أبدًا.

والقول الثالث: إنَّ الجنَّة باقية أبديَّة، والنار فانية.

---

(١) ص (١٨٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٣٧).

(٣) البخاري (٤٤٥٣)، ومسلم (٢٨٤٩)، واللفظ له.

ونحن نذكر هذه الأقوال، ومن قالها، وما احتجَّ به أرباب كلِّ قول، ونردُّ ما خالف كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ.

• **فأمَّا القولُ بفنائهما** فهو قول قاله: جهم بن صفوان، إمام المعطلة الجهمية، وليس له فيه سلف قطُّ من الصحابة ولا من التابعين، ولا أحدٌ من أئمة الإسلام، ولا قال به أحدٌ من أهل السنَّة، وهذا القول ممَّا أنكرهُ عليه وعلىٰ أتباعه أئمة الإسلام وكفَّروهم به، وصاحوا بهم من أقطار الأرضِ، كما ذكر عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب «السنة» عن خارجة بن مصعب أنَّه قال: كفرت الجهمية بثلاث آيات من كتاب الله ﷻ: يقول اللهُ سبحانه: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ [الرعد:٣٥] وهم يقولون: لا يدوم، ويقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص:٥٤] وهم يقولون: يَنْفَدُ، ويقول اللهُ ﷻ: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل:٩٦].

قال شيخ الإسلام: «وهذا قاله جهم لأصله الَّذي اعتقده: وهو امتناع وجود ما لا يتناهىٰ من الحوادث، وهو عمدة أهل الكلام التي استدلُّوا بها علىٰ حدوث الأجسام، وحدوث ما لم يحل من الحوادث، وجعلوا ذلك عمدتهم في حدوث العالم، فرأي الجهم: أن ما يمنع من حوادث لا أول لها في الماضي يمنعه في المستقبل. فدوام الفعل ممتنع عنده علىٰ الرب تعالىٰ في المستقبل، كما هو ممتنع عليه في الماضي.

وأبو الهُذَيل العلَّاف -شيخ المعتزلة- وافقه علىٰ هذا الأصل؛ لكن قال: إن هذا يقتضي فناء الحركات، لكونها متعاقبة شيئًا بعد شيء. فقال بفناء حركات أهل الجنة والنار، حتىٰ يصيروا في سكون دائم لا يقدر أحد منهم علىٰ حركة.

وزعمت فرقة ممن وافقتهم علىٰ امتناع حوادث لا نهاية لها: أن هذا القول مقتضىٰ العقل، لكن لما جاء السمع ببقاء الجنة والنار قلنا بذلك.

وكأنَّ هؤلاء لم يعلموا أن ما كان ممتنعًا في العقل لا يجيء الشرع بوقوعه، إذ يستحيل عليه أن يخبر بوجود ما هو ممتنعٌ في العقل، وكأنهم لم يفرقوا بين مُحالات العقول ومَحاراتها، فالسمع يجيء بالثاني لا بالأول، فالسمع يجيء بما تعجز العقول عن إدراكه، ولا يستقل به، ولا يجيء بما يعلم العقل إحالته.

والأكثرون الَّذين وافقوا جهمًا وأبا الهذيل علىٰ هذا الأصل، فرَّقوا بين الماضي والمستقبل، وقالوا: الماضي قد دخلَ في الوجود بخلاف المستقبل، والممتنع إنَّما هو دخول ما لا يتناهىٰ في الوجود، لا تقدير دخوله شيئًا بعد شيء.

قالوا: وهذا نظير أن يقول القائل: لا أعطيكَ درهمًا إلا وأعطيك بعده درهمًا آخر، فهذا ممكن، والأوَّل نظير أنْ يقول: لا أعطيك درهمًا إلا وأعطيك قبله درهمًا، فهذا محال، وهؤلاء عندهم وجود ما لا يتناهىٰ في الماضي محال، ووجوده في المستقبل واجب.

ونازعهم في ذلك آخرون وقالوا: بل الأمر في الماضي كهو في المستقبل، ولا فرق بينهما، بل الماضي والاستقبال أمرٌ نِسْبيٌّ، فكلُّ ما يكون مستقبلًا يصيرُ ماضيًا، وكلُّ ماضٍ فقد كان مستقبلًا، فلا يُعْقَل إمكان الدَّوام في أحد الطرفين، وإحالته في الطرف الآخر.

قالوا: هذه مسألة دوام فاعلية الرب تبارك وتعالىٰ، وهو لم يزل ربًّا قادرًا فعَّالًا، فإنَّه لم يزل حيًّا عليمًا قديرًا، ومن المحال أنْ يكون الفعل ممتنعًا عليه لذاته، ثمَّ ينقلب فيصير مُمكنًا لذَّاته من غير تجدُّد شيء، وليس للأوَّل حدٌّ محدود حتَّىٰ يصير الفعل ممكنًا له عند ذلك الحدِّ، ويكون قبله ممتنعًا عليه.

فهذا القولُ تصوره كافٍ في الجزمِ بفساده، ويكفي في فساده أنَّ الوقتَ الَّذي انقلب فيه الفعل من الإحالة الذَّاتية إلىٰ الإمكان الذَّاتي، إمَّا أنْ يصحَّ أنْ يُفْرَض قبلَهُ وقتٌ يمكن فيه الفعل أو لا يصح.

فإنْ قلتم: لا يصحُّ، كان هذا تحكُّمًا غير معقول، وهو من جنس الهَوَس.

وإن قلتم: يصح، قيل: وكذلك ما يفرض قبله لا إلىٰ غاية، فما من زمن محقَّقٍ أو مقدَّرٍ إلا والفعل ممكن فيه، وهو صفة كمال وإحسان ومتعلَّق حمد الرب تعالىٰ وربوبيته وملكه، وهو لم يزل ربًّا حميدًا ملكًا قادرًا، لم تتجدد له هذه الأوصاف، كما أنه لم يزل حيًّا مريدًا عليمًا. والحياة والعلم والإرادة والقدرة تقتضي آثارها ومتعلقاتها، فكيف يعقل حي قدير عليم مريد ليس له مانع ولا قاهر يقهره يستحيل عليه أن يفعل شيئًا البتة؟

فكيف يجعل هذا أصل أصول الدين، ويُجْعَل معيارًا علىٰ ما أخبر الله سبحانه به ورسوله، ويفرَّق به بين جائزات العقول ومحالاتها؟

فإذا كان هذا شأن الميزان، فكيف يستقيم الموزون به؟

وأما قول من فرَّق: بأنَّ الماضي قد دخل في الوجود دون المستقبل، فكلام لا تحقيق وراءه، فإن الذي يحْضُره الوجود من الحركات هو المتناهي، ثم يعدم فيصير ماضيًا، كما كان معدومًا لما كان مستقبلًا، فوجوده بين عدمين، وكلما انقضت جملة حدثت بعدها جملة أخرىٰ، فالذي صار ماضيًا هو بعينه الذي كان مستقبلًا، فإنْ دلَّ الدليل علىٰ امتناع ما لا يتناهىٰ شيئًا قبل شيء، فهو بعينه، دال علىٰ امتناعه شيئًا بعد شيء.

وأما تفريقكم بقولكم: المستقبل نظير قوله: ما أعطيك درهمًا إلا وأعطيك بعده درهمًا، فهذا ممكن. والماضي نظير قوله: ما أعطيك درهمًا إلا وأعطيك قبله درهمًا. فهذا الفرق فيه تلبيس لا يخفىٰ، وليس بنظير ما نحن فيه، بل نظيره أن يقول: ما أعطيك درهمًا إلا وقد تقدم مني إعطاء درهم قبله. فهذا ممكن الدوام في الماضي علىٰ حدِّ إمكانه في المستقبل، ولا فرق في العقل الصحيح بينهما البتَّة، ولمَّا لم يجدِ

الجهمُ وأبو الهذيل وأتباعهما بين الأمرين فرقًا قالوا: بوجوب تناهي الحركات في المستقبل كما يجبُ ابتداؤها عندهم في الماضي.

وقال أهل الحديث: بل هما سواء في الإمكان والوقوع، ولم يزل الرب سبحانه فعَّالًا لِمَا يُريد، ولم يزل ولا يزال موصوفًا بصفات الكمال منعوتًا بنعوت الجلال، وليس المتمكِّن من الفعل كلَّ وقتٍ كالَّذي لا يمكنه الفعل إلا في وقتٍ معينٍ، وليس من يَخْلُق كمن لا يَخْلُق، ومن يُحْسِن كمن لا يحسِن، ومن يدبر الأمر كمن لا يدبر، وأيُّ كمالٍ في أنْ يكون رب العالمين معطلًا عن الفعل مدَدٍ مقدرة، أو محقَّقةٍ لا تتناهىٰ، يستحيل منه الفعل، وحقيقة ذلك أنَّه لا يقدر عليه.

وإنْ أبيتم هذا الإطلاق وقلتم: إنَّ المحال لا يوصف بكونه غير مقدور عليه، فجمعتم بين محالين: الحكم بإحالة الفعل من غير موجبٍ لإحالته، وانقلابه من الإحالة الذاتية إلىٰ الإمكان الذَّاتي من غير تجدُّد سببٍ، وزعمتم أنَّ هذا هو الأصل الَّذي تثبتون به وجود الصانع، وحدوث العالم، وقيامة الأبدان، فجنيتم علىٰ العقل والشرعِ، والربُّ تعالىٰ لم يزل قادرًا علىٰ الفعلِ والكلام بمشيئته، ولم يزل فعَّالًا لِمَا يُريد، ولم يزل ربًّا مُحْسنًا».

«والمقصودُ: أنَّ القولَ بفناء الجنَّة والنَّارِ قولٌ مبتدع لم يقله أحدٌ من الصحابة ولا التابعين، ولا أحدٌ من أئمة المسلمين، والَّذين قالوه إنَّما تلقَّوهُ عن قياسٍ فاسدٍ اشتبه أصله علىٰ كثيرٍ من النَّاسِ فاعتقدوه حقًّا، وبنوا عليه القول بخلق القرآن، ونفي الصفات، وقد دلَّ القرآن والسنَّة والعقل الصريح علىٰ أنَّ كلمات الله وأفعاله لا تتناهىٰ، ولا تنقطع بآخرٍ، ولا تُحدُّ بأوَّل، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ

﴿أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [لقمان:٢٧] فأخبر عن عدم نفادٍ لكلماته لِعِزَّته وحكمته، وهذان وصفان ذاتيان له سبحانه وتعالىٰ لا يكون إلا كذلك.

وذكر ابن أبي حاتم في «تفسيره»(١) عن سليمان بن عامر قال: سمعت الربيع بن أنس يقول: «إن مثل علم العباد كلهم في علم الله ﷻ كقطرة من هذه البحور كلها، وقد أنزل سبحانه في ذلك ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ﴾ الآية».

وقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾ الآية؛ يقول سبحانه لو كان البحر مدادًا لكلمات الله، والشجر كلها أقلام لانكسرت الأقلام، وفني ماء البحر، وكلمات الله تعالىٰ باقية لا يفنيها شيء؛ لأن أحدًا لا يستطيع أن يقدر قدره ولا يثني عليه كما ينبغي، بل هو كما أثنىٰ علىٰ نفسه، إن ربنا كما يقول وفوق ما يقول، ثم إن مثل نعيم الدنيا أوَّله وآخره في نعيم الآخرة كحبة من خردل في خلال الأرض كلها».

فصل

ص(٧٣٠)

وأما أبديَّة النار ودوامها: فقال شيخ الإسلام: «فيها قولان معروفان عن السلف والخلف، والنزاع في ذلك معروف عن التابعين».

قلت: هاهنا أقوال سبعة:

أحدها: أن من دخلها لا يخرج منها أبدًا، بل كل من دخلها مخلد فيها أبد الآباد، وهذا قول الخوارج والمعتزلة.

والثاني: أن أهلها يعذبون فيها مُدَّةً، ثم تنقلب عليهم، وتبقىٰ طبيعةٌ نارية لهم، يتلذَّذون بها لموافقتها لطبيعتهم. وهذا قول إمام الإتحادية ابن عربي الطائي.

قال في «فصوصه»: «الثناء بصدق الوعد لا بصدق الوعيد، والحضرة الإلهية

(١) ليس في المطبوع، وهو ناقص. انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٦٠).

تطلب الثناء المحمود بالذات، فيثنىٰ عليها بصدق الوعد، لا بصدق الوعيد، بل بالتجاوز ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ [إبراهيم:٤٧] لم يقل: وعيده، بل قال: ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ [الأحقاف:١٦] مع أنه توعَّدَ علىٰ ذلك، وأثنىٰ علىٰ إسماعيل بأنه كان صادق الوعد، وقد زال الإمكان في حق الحق، لما فيه من طلب المرجِّح:

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده ... وما لوعيد الحقِ عينٌ تُعَاين

وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم ... علىٰ لذة فيها نعيم مباين

نعيم جنان الخلد والأمر واحد ... وبينهما عند التجلِّي تباين

يُسَمَّىٰ عذابًا من عذوبة طعمه ... وذاك له كالقشر والقشرُ صاين»

وهذا في طرف، والمعتزلة الذين يقولون: لا يجوز علىٰ الله أن يُخْلِفَ وعيده، بل يجب عليه تعذيب من توعده بالعذاب= في طرف، فأولئك عندهم لا ينجو من النار من دخلها أصلًا، وهذا عنده لا يعذب بها أحد أصلًا. والفريقان مخالفان لما عُلِمَ بالاضطرار أن الرسول جاء به، وأخبر به عن الله ﷻ.

الثالث: قول من يقول: إن أهلها يعذبون فيها إلىٰ وقت محدود، ثم يخرجون منها، ويخلفهم فيها قوم آخرون. وهذا القول حكاه اليهود للنبي ﷺ فأكذبهم فيه[1]، وقد أكذبهم الله تعالىٰ في القرآن فيه:

فقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨١٣)، والحاكم في «المستدرك» (٤١٧١)، وغيرهم. وهو حديث غريب، وقد ورد معناهُ عن غير واحدٍ من التابعين.

كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٨٠، ٨١].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٣-٢٤].

فهذا القول إنما هو قول أعداء الله اليهود، فهم شيوخ أربابه والقائلين به.

وقد دل القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين، وأئمة الإسلام علىٰ فساده، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، وقال: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر: ٤٨]، وقال: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢]، وقال: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠] وقال تعالىٰ: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ ﴾ [فاطر: ٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِۚ ﴾ [الأعراف: ٤٠].

وهذا أبلغ ما يكون في الإخبار عن استحالة دخولهم الجنة.

الرابع: قول من يقول: يخرجون منها وتبقىٰ نارًا علىٰ حالها ليس فيها أحدٌ يُعَذَّبُ، حكاه شيخ الإسلام.

والقرآن والسنة أيضًا يردان هذا القول كما تقدم.

الخامس: قول من يقول: بل تفنىٰ بنفسها؛ لأنها حادثة بعد أن لم تكن، وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه وأبديته.

وهذا قول جهم بن صفوان وشيعته، ولا فرق عنده في ذلك بين الجنة والنار.

السادس: قول من يقول: تفنىٰ حياتهم وحركاتهم ويصيرون جمادًا، لا يتحركون ولا يحسُّون بألم.

وهذا قول أبي الهُذَيل العلَّاف إمام المعتزلة، طَرْدًا لامتناع حوادث لا نهاية لها. والجنة والنار عنده سواء في هذا الحكم.

السابع: قول من يقول: بل يفنيها ربها وخالقها تبارك وتعالىٰ، فإنه جعل لها أَمَدًا تنتهي إليه ثم تفنىٰ ويزول عذابها.

قال شيخ الإسلام: «وقد نُقِلَ هذا القول عن عمر، وابن مسعود، وأبي هريرة، وأبي سعيد وغيرهم.

وقد روىٰ عَبْد بن حُمَيد -وهو من أجل علماء الحديث- في «تفسيره» المشهور: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن الحسن قال: قال عمر: «لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج[1]، لكان لهم علىٰ ذلك يوم يخرجون فيه».

وقال: حدثنا حجاج بن منهال، عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لو لبث أهل النار في النار عدد رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه».

ذكر ذلك في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ:٢٣]، فقد رواه عَبْدٌ -وهو من الأئمة الحفاظ وعلماء السنة- عن هذين الجليلين: سليمان بن حرب، وحجاج بن منهال كلاهما، عن حماد بن سلمة -وحَسْبُك به- وحماد يرويه عن ثابت وحميد، وكلاهما يرويه عن الحسن. وحسبك بهذا الإسناد جلالة.

والحسن وإن لم يسمع من عمر، فإنما رواه عن بعض التابعين، ولو لم يصح

(١) هو مَثَلٌ يُضرب للمبالغة في الكَثْرة، وعالِج: رمال بين فيد والقريات ينزلها بُحْتر من طيء، وهي متصلة بالثعلبية علىٰ طريق مكة، لا ماء بها.... وقيل: رمل عالج يحيط بأكثر أرض العربِ.

عنده ذلك عن عمر لَمَا جزم به وقال: قال عمر بن الخطاب، ولو قُدِّرَ أنه لم يُحْفَظ عن عمر، فتداول هؤلاء الأئمة له غير مقابلين له بالإنكار والرد، مع أنهم ينكرون علىٰ من خالف السنة بدون هذا، فلو كان هذا القول عند هؤلاء الأئمة من البدع المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأئمة، لكانوا أول منكر له.

قال: ولا ريب أنَّ مَنْ قال هذا القول عن عمر، ونقله عنه إنما أراد بذلك جنس أهل النار الذين هم أهلها، فأما قوم أصيبوا بذنوبهم، فقد علم هؤلاء وغيرهم أنهم يخرجون منها، وأنهم لا يلبثون قدر رمل عالج، ولا قريبًا منه.

ولفظ «أهل النار» لا يختص بالموحِّدين، بل هو مختص بمن عداهم، كما قال ﷺ: **«أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون»**[1]، ولا يناقض هذا قوله تعالىٰ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾، وقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٨] بل ما أخبر الله به هو الحق والصدق الذي لا يقع خلافه، لكن إذا انقضىٰ أجلها وفنيت كما تفنىٰ الدنيا لم يبق نارًا ولم يبق فيها عذاب.

قال أرباب هذا القول: في «تفسير علي بن أبي طلحة الوالبي»: عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٢٨]. قال: «لا ينبغي لأحد أن يحكم علىٰ الله في خلقه، ولا ينزلهم جنة ولا نارًا»[2].

قالوا: وهذا الوعيد في هذه الآية ليس مختصًّا بأهل القبلة، فإنه سبحانه قال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلْتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا

(١) أخرجه مسلم (١٨٥) مطوَّلاً من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٨٩٧)، والطبري (٨/ ٣٤). وسنده حسن.

﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام:١٢٨-١٢٩].

وأولياء الجن من الإنس يدخل فيه الكفار قطعًا، فإنهم أحق بموالاتهم من عصاة المسلمين، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:٢٧].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل:٩٩-١٠٠].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١-٢٠٢].

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي﴾ [الكهف:٥٠].

وقال تعالىٰ: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [النساء:٧٦].

وقال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة:١٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٢١].

فالاستثناء وقع في الآية التي أخبرت عن دخول أولياء الشيطان النار. فَمِنْ ها هنا قال ابن عباس: «إنه لا ينبغي لأحد أن يحكم علىٰ الله في خلقه».

قالوا: وقول من قال إن «إلا» بمعنىٰ «سوىٰ»، أي: سوىٰ ما شاء الله أن يزيدهم من أنواع العذاب وزمنه = لا تخفىٰ منافرته للمستثنىٰ والمستثنىٰ منه، وإن الذي يفهمه المخاطب: مخالفة ما بعد «إلا» لما قبلها.

قالوا: وقول من قال: إنه لإخراج ما قبل دخولهم إليها من الزمان؛ كزمان البرزخ

والموقف، ومدَّة الدنيا أيضًا = لا يساعد عليه وجه الكلام، فإنَّه استثناء من جملة خبريَّة مضمونها: أنَّهم إذا دخلوا النَّارَ لبثوا فيها مدَّة دوام السماوات والأرضِ إلا ما شاء اللهُ، وليس المراد الاستثناء قبل الدخول، هذا ما لا يفهمه المخاطب، ألَا ترىٰ أنَّه سبحانه يخاطبهم بهذا في النَّار حين يقولون: ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ [الأنعام:١٢٨]، فيقول لهم حينئذٍ: ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام:١٢٨]، وفي قولهم: ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ نوعُ اعترافٍ واستسلام وتحسُّر، أي: استمتع الجن بنا، واستمتعنا بهم، فاشتركنا في الشرك ودواعيه وأسبابه، وآثرنا الاستمتاع علىٰ طاعتك وطاعة رسلك، وانقضت آجالنا، وذهبت أعمارنا في ذلك، ولم نكتسب فيها رضاك، وإنَّما كان غاية أمرنا في مُدَّة آجالنا استمتاع بعضنا ببعض.

فتأمل ما في هذا من الاعتراف بحقيقة ما هم عليه، وكيف بدت لهم تلك الحقيقة ذلك اليوم، وعلموا أن الذي كانوا فيه في مدة آجالهم، هو حظهم من استمتاع بعضهم ببعض، ولم يستمتعوا بعبادة ربهم، ومعرفته وتوحيده، ومحبته وإيثار مرضاته.

وهذا من نمط قولهم: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ﴾ [الملك:١١،١٠].

وقوله: ﴿فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾ [القصص:٧٥]، ونظائره.

والمقصود أنَّ قوله ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ عائد إلىٰ هؤلاء المذكورين مختصًّا بهم، أو شاملًا لهم ولعصاة الموحِّدين، وأما اختصاصه بعصاة المسلمين دون هؤلاء فلا وجه له.

ولمَّا رأت طائفة ضعف هذا القول، قالوا: الاستثناء يرجع إلىٰ مُدَّة البرزخ والموقف. وقد تبيَّن ضعف هذا القول.

ورأت طائفة أخرىٰ: أنَّ الاستثناء يرجع إلىٰ نوع آخر من العذاب غير النار.

قالوا: والمعنىٰ: أنكم في النار أبدًا إلا ما شاء الله أن يعذبكم بغيرها، وهو الزمهرير.

وقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا (٢٢) لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ:٢١-٢٣].

قالوا: والأبد: لا يُقدَّر بالأحقاب.

وقد قال ابن مسعود في هذه الآية: «لَيأتينَّ علىٰ جهنم زمان ليس فيها أحد، وذلك بعدما يلبثون فيها أحقابًا»[1]، وعن أبي هريرة مثله[2]؛ حكاه البغوي عنهما. ثم قال: «ومعناه عند أهل السنة إن ثبت: أنه لا يبقىٰ فيها أحد من أهل الإيمان».

قالوا: قد ثبت ذلك عن أبي هريرة وابن مسعود وعبد الله بن عمرو، وقد سأل حربٌ إسحاق بن راهويه عن هذه الآية، فقال: سألت إسحاق، قلت: قول الله تعالىٰ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود:١٠٧] فقال: أتت هذه الآية علىٰ كل وعيد في القرآن.

حدثنا عبيد الله بن معاذ، حدثنا معتمر بن سليمان، قال: قال أبي: حدثنا أبو نضرة، عن جابر أو أبي سعيد أو بعض أصحاب النَّبي ﷺ قال: «أتت هذه الآية علىٰ القرآن كله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود:١٠٧]». قال المعتمر: قال أبي: كل وعيد في القرآن»[3].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١١٨)، وأخرجه ابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» (٣/ ٦٣٥) عنه قال: «ليأتين عليها زمان تخفق أبوابها».

(٢) سيأتي قريبًا.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٥١)، والطبري (١٢/ ١١٨) وسنده صحيح، وروي عن أبي نضرة قولَه.

حدثنا عبيد الله بن معاذ، حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن أبي بَلْج سمع عمرو بن ميمون يحدث عن عبد الله بن عمرو، قال: «ليأتين علىٰ جهنَّم يوم تصطفق فيه أبوابها، ليس فيها أحد، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابًا»(١).

حدثنا عبيد الله، حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن يحيىٰ بن أيوب، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما أنا بالذي لا أقول: إنه سيأتي علىٰ جهنم يوم لا يبقىٰ فيها أحد، وقرأ: «﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ الآية [هود:١٠٦]»(٢).

قال عبيد الله: كان أصحابنا يقولون: يعني به الموحِّدين.

حدثنا أبو مَعْنٍ، حدثنا وهب بن جرير، حدثنا شعبة، عن سليمان التيمي، عن أبي نضرة، عن جابر بن عبد الله، أو بعض أصحابه في قوله تعالىٰ: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ [هود:١٠٧]. قال: «هذه الآية أتت علىٰ القرآن كله»(٣).

وقد حكىٰ ابن جرير هذا القول في «تفسيره»(٤) عن جماعة من السلف، فقال: وقال آخرون: عنىٰ بذلك أهل النار، وكل من دخلها. ذكر من قال ذلك -ثم ذكر الآثار التي نذكرها-:

وقال عبد الرزاق: حدثنا ابن التيمي، عن أبيه، عن أبي نضرة، عن جابر أو أبي

---

(١) أخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ١٠٣). وهذا الحديث جعله الذهبي من بلايا أبي بَلْج فذكره وقال: «هذا منكر»، لكنْ تقدم قريبًا ص (٤٨٢) عن عمر بن الخطاب قال: «لو لبثت أهل النَّار... ».

(٢) سنده لا بأس به.

(٣) انظر: «مسائل حرب» ص (٤٣٠)، وتقدم الكلام عليه.

(٤) (١٢/ ١١٨).

سعيد، أو عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ في قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ قال: «هذه الآية تأتي على القرآن كله»، يقول: حيث كان في القرآن «خالدين فيها» تأتي عليه». قال: «وسمعت أبا مجلز يقول: جزاؤه جهنم، فإن شاء الله ﷻ تجاوز عن عذابه»[1].

وقال ابن جرير: «حدثنا الحسن بن يحيىٰ، أخبرنا عبد الرازق، فذكره. قال: وحُدِّثت عن المسيب عمن ذكره عن ابن عباس: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ﴾ قال: «لا يموتون وما هم منها بمخرجين ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك. قال: استثنىٰ الله، قال: أمر النار أن تأكلهم».

قال: وقال ابن مسعود: «ليأتين علىٰ جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد بعدما يلبثون فيها أحقابًا».

حدثنا ابن حُمَيد، حدثنا جرير، عن بيان، عن الشعبي، قال: «جهنم أسرع الدارين عمرانًا، وأسرعهما خرابًا»[2].

وحكىٰ ابن جرير في ذلك قولًا آخر، فقال: «وقال آخرون: أخبرنا الله سبحانه بمشيئته لأهل الجنة، فعرفنا معنىٰ ثنياه بقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ أنَّها في الزيادة علىٰ مقدار مدة السماوات والأرض، قالوا: ولم يخبرنا بمشيئته في أهل النار، وجائز أن تكون مشيئته في الزيادة، وجائز أن تكون في النقصان.

حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله تعالىٰ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ﴾ حتَّىٰ بلغ ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ فقال:

---

(١) أثر أبي مجلز موصول بالسند المتقدم، وهو عند عبد الرزاق والطبري كما تقدم.

(٢) «تفسير الطبري» (١٢/ ١١٨)، وأثرا ابن عباس وابن مسعود: ضعيفا الإسناد، وأثر الشعبي أيضًا ضعيف جدًّا.

أخبرنا بالذي يشاء لأهل الجنة فقال: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار»(١).

وقال ابن مردويه في «تفسيره»: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا خير بن عرفة، حدثنا يزيد بن مروان الخلال، حدثنا أبو خليد، حدثنا سفيان -يعني: الثوري- عن عمرو بن دينار، عن جابر رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود:١٠٦-١٠٧]. قال رسول الله ﷺ: «**إن شاء الله أن يخرج ناسًا من الذين شقوا من النار فيدخلهم الجنة فَعَل**»(٢).

وهذا الحديث يدل علىٰ أن الاستثناء إنما هو للخروج من النار بعد دخولهم خلافًا لمن زعم: أنه لما قبل الدخول؛ ولكن إنما يدل علىٰ إخراج بعضهم من النار، وهذا حق بلا ريب، وهو لا ينفي انقطاعها وفناء عذابها، وأكلها لمن فيها، وأنهم يُعَذَّبون فيها دائمًا ما دامت كذلك، وما هم منها بمخْرَجين، فالحديث دل علىٰ أمرين:

أحدهما: أنَّ بعض الأشقياء إن شاءَ اللهُ يخرجهم من النار -وهي نار- فَعَلَ، وأن الاستثناء أنما هو فيما بعد دخولها، لا فيما قبله.

وعلىٰ هذا، فيكون معنىٰ الاستثناء: إلا ما شاء ربك من الأشقياء، فإنهم لا يخلدون فيها، ويكون الأشقياء نوعين: نوعًا يخرجون منها، ونوعًا يخلدون فيها، فيكونون من الذين شقوا أوّلًا، ثم يصيرون من الذين سُعِدوا، فتجتمع لهم الشقاوة والسعادة في وقتين.

---

(١) «تفسير الطبري» (١٢/١١٨ - ١١٩)، وأثر ابن زيد صحيح.

(٢) سنده ضعيف جدًّا.

قالوا: وقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ۝٢٢ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝٢٥ جَزَآءً وِفَاقًا ۝٢٦ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝٢٧ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا﴾ [النبأ: ٢١-٢٨].

فهذا صريح في وعيد الكفار المكذبين بآياته، ولا يُقَدَّر الأبدي بمدة الأحقاب ولا غيرها، كما لا يقدَّر به القديم، ولهذا قال عبد الله ابن عمرو: فيما رواه شعبة، عن أبي بلج، سمع عمرو بن ميمون يحدث عنه: «ليأتين علىٰ جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابًا»[1].

فصل

ص(٧٤٥)

والذين قطعوا بدوام النار لهم ست طرق:

أحدها: اعتقاد الإجماع، فكثير من الناس يعتقدون أنَّ هذا مجمع عليه بين الصحابة والتابعين لا يختلفون فيه، وأن الاختلاف فيه حادث، وهو من أقوال أهل البدع.

الطريق الثاني: أن القرآن دل علىٰ ذلك دلالة قطعية، فإنه سبحانه وتعالىٰ أخبر: أنه عذاب مقيم، وأنه لا يُفَتَّر عنهم، وأنه لن يزيدهم إلا عذابًا، وأنهم خالدين فيها أبدًا، وما هم بخارجين من النار، وما هم منها بمخرجين، وأن الله حرم الجنة علىٰ الكافرين، وأنهم لا يدخلون الجنة حتىٰ يلج الجمل في سمِّ الخياط، وأنهم لا يقضىٰ عليهم فيموتوا، ولا يُخَفَّف عنهم من عذابها، وأن عذابها كان غرامًا، أي: مقيمًا لازمًا.

قالوا: وهذا يفيد القطع بدوامه واستمراره.

الطريق الثالث: أن السنة المستفيضة أخبرت بخروج مَنْ في قلبه مثقال ذرة مِنْ إيمانٍ دون الكفار، وأحاديث الشفاعة من أولها إلىٰ آخرها صريحة بخروج

(١) تقدم الكلام عليه في ص (٤٨٧).

عصاة الموحدين من النار، وأن هذا حكم مختص بهم، فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم، ولم يختص الخروج بأهل الإيمان.

الطريق الرابع: أنَّ الرسول وقَّفَنا علىٰ ذلك وعَلِمْنَاهُ من دينه بالضرورة من غير حاجة بنا إلىٰ نقلٍ معينٍ، كما عَلِمْنا من دينه دوام الجنة وعدم فنائها.

الطريق الخامس: أن عقائد السلف وأهل السنة مصرحة بأن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما لا تفنيان، بل هما دائمتان، وإنما يذكرون فناءهما عن أهل البدع.

الطريق السادس: أنَّ العقلَ يقضي بخلود الكفار في النَّارِ.

وهذا مبنيٌّ علىٰ قاعدةٍ وهي: أنَّ المعاد وثواب النفوس المطيعة، وعقوبة النفوس الفاجرة هل هو ممَّا يُعلم بالعقل، أو لا يُعْلَم إلا بالسمعِ؟

فيه طريقان لنظَّار المسلمين، وكثير منهم يذهب إلىٰ أنَّ ذلك يُعلَم بالعقل مع السمع، كمَّا دلَّ عليه القرآن في غير موضع، كإنكارهِ سبحانه علىٰ من زعم أنَّه يُسَوِّي بين الأبرار والفجار في المحيا والممات، وعلىٰ من زعم أنَّه خلق خلقه عبثًا، وأنَّهم إليه لا يُرجعون، وأنَّه يتركهم سُدىٰ، أي: لا يثيبهم ولا يعاقبهم، وأنَّ ذلك يقدحُ في حكمته وكماله، وأنَّه نِسْبةُ له إلىٰ ما لا يليقُ به، وربما قرَّروهُ بأنَّ النفوس البشرية باقيةٌ، واعتقاداتها وإراداتها صفة لازمةٌ لها لا تفارقها وإن ندمت عليها، لمَّا رأت العذاب، فلم تندم عليها لقبحها وكراهة ربها لها، بل لو فارقها العذاب رجعت كما كانت أوَّلًا.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام:٢٧-٢٨].

فهؤلاء قد ذاقوا العذابَ وباشروه، ولم يزل سببه ومُقْتضِيْهِ من نفوسهم، بل

خبثها وكفرها قائم بها، لم يفارقها بحيث لو رُدُّوا لعادوا كفارًا كما كانوا، وهذا يدلّ علىٰ أن دوام تعذيبهم يقضي به العقل، كما جاء به السمع.

قال أصحاب الفناء: بالكلام علىٰ هذه الطرق: يَبِيْنُ الصوابُ في هذه المسألة.

فأما الطريق الأول: فالإجماع الذي ادعيتموه غير معلوم، وإنما يظن الإجماعَ في هذه المسألة من لم يعرف النزاع - وقد عُرِفَ النزاعُ فيها قديمًا وحديثًا - بل لو كلف مُدَّعِي الإجماع أن ينقل عن عشرة من الصحابة فما دونهم إلىٰ الواحد أنَّه قال: إن النار لا تفنىٰ أبدًا، لم يجد إلىٰ ذلك سبيلًا.

ونحن قد نقلنا عنهم التصريح بخلاف ذلك فأَوْجِدوا لنا عن واحد منهم خلاف ذلك، بل التابعون حكي عنهم هذا وهذا.

قالوا: والإجماع المُعْتدُّ به نوعان متفق عليهما، ونوع ثالث مختلف فيه، ولم يوجد واحد منها في هذه المسألة.

النوع الأول: يكون معلومًا من ضرورة الدين، كوجوب أركان الإسلام، وتحريم المحرمات الظاهرة.

الثاني: ما ينقل عن أهل الاجتهاد التصريح بحكمه.

الثالث: أن يقول بعضهم القول، وينتشر في الأمة، ولا ينكره أحد.

فأين معكم واحد من هذه الأنواع؟! ولو أن قائلًا ادعىٰ الإجماع من هذا الطَّرَفِ واحتج بأن الصحابة صح عنهم ذلك ولم ينكر أحد منهم عليه = لكان أسعد بالإجماع منكم.

قالوا: وأما الطريق الثاني: وهو دلالة القرآن علىٰ بقاء النار وعدم فنائها، فأين في القرآن دليل واحد يدل علىٰ ذلك؟! نعم، الذي دلّ عليه القرآن أن الكفار خالدين

في النار أبدًا، وأنهم غير خارجين منها، وأنهم لا يُفَتَّر عنهم عذابها، وأنهم لا يموتون فيها، وأن عذابهم فيها مقيم، وأنه غرام لازم لهم، وهذا كله مما لا نزاع فيه بين الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، وليس هذا مورد النزاع، وإنما النزاع في أمر آخر، وهو: أنَّه هل النار أبدية أو مما كُتِبَ عليها الفناء؟ وأما كون الكفار لا يخرجون منها، ولا يفتر عنهم من عذابها، ولا يُقْضَىٰ عليهم فيموتوا، ولا يدخلون الجنة حتىٰ يلج الجمل في سمِّ الخياط = فلم يختلف في ذلك الصحابة ولا التابعون ولا أهل السنة، وإنما خالف في ذلك من قد حكينا أقوالهم من اليهود والإتحادية، وبعض أهل البدع. وهذه النصوص وأمثالها تقتضي خلودهم في دار العذاب ما دامت باقية، ولا يخرجون منها مع بقائها البتة، كما يخرج أهل التوحيد منها مع بقائها. فالفرق بين من يخرج من الحبس -وهو حبس علىٰ حاله- وبين من يبطل حبسه بخراب الحبس وانتقاضه.

قالوا: وأما الطريق الثالث: وهو مجيء السنة المستفيضة بخروج أهل الكبائر من النار دون أهل الشرك، فهي حق لا شك فيه، وهي إنما تدل علىٰ ما قلناه من خروج الموحِّدين منها، وهي دار عذاب لم تَفْنَ، ويبقىٰ المشركون فيها ما دامت باقية، والنصوص دلت علىٰ هذا وعلىٰ هذا.

قالوا: وأما الطريق الرابع: وهو أن رسول الله ﷺ وقفنا علىٰ ذلك ضرورة، فلا ريب أنَّه من المعلوم من دينه بالضرورة، أن الكفار باقون فيها ما دامت باقية، هذا معلوم من دينه بالضرورة، وأما كونها أبدية لا انتهاء لها ولا تفنىٰ كالجنة، فأين في القرآن والسنة دليل واحد يدل علىٰ ذلك؟

قالوا: وأما الطريق الخامس: وهو أن في عقائد أهل السنة: أن الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدًا. فلا ريب أن القول بفنائهما قول أهل البدع من الجهمية

والمعتزلة، وهذا القول لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين، ولا أحد من أئمة المسلمين، وأما فناء النار وحدها فقد أوجدناكم من قال به من الصحابة، وتفريقهم بين الجنة والنار، فكيف يكون القول به من أقوال أهل البدع، مع أنَّه لا يُعْرَف عن أحد من أهل البدع التفريق بين الدارين، فقولكم: إنه من أقوال أهل البدع كلامُ من لا خِبْرَة له بمقالات بني آدم، وآرائهم واختلافهم.

قالوا: والقول الذي يُعَدُّ من أقوال أهل البدع: ما خالف كتاب الله، أو سنة رسوله، أو إجماع الأمة، إما الصحابة أو من بعدهم، وأما قول يوافق الكتاب والسنة وأقوال الصحابة، فلا يُعَدُّ من أقوال أهل البدع، وإن دانوا به واعتقدوه، فالحق يجب قبوله ممن قاله، والباطل يجب ردُّهُ علىٰ من قاله، وكان معاذ بن جبل يقول: «الله حَكَم قسط، هلك المرتابون، إن من ورائكم فتنًا يكثر فيها المال، ويفتح فيها القرآن حتىٰ يقرؤه المؤمن والمنافق، والمرأة والصبي، والأسود والأحمر، فيوشك أحدهم أن يقول: قرأت القرآن، فما أظن أن يتبعوني حتىٰ أبتُدِعَ لهم غيره، فإياكم وما ابتُدِعَ، فإن كل بدعة ضلالة، وإياكم وزيغة الحكيم؛ فإن الشيطان قد يتكلم علىٰ لسان الحكيم بكلمة الضلالة، وإن المنافق قد يقول كلمة الحق، فتلقوا الحق عمن جاء به، فإن علىٰ الحق نورًا، قالوا: وكيف زيغة الحكيم؟ قال: هي الكلمة تروعكم وتنكرونها، وتقولون: ما هذه؟ فاحذروا زيغته، ولا يصدنكم عنه، فإنَّه يوشك أن يفيء، ويراجع الحق، وإن العلم والإيمان مكانهما إلىٰ يوم القيامة»[1].

فالذي أخبر به أهل السنة في عقائدهم، هو الذي دلّ عليه الكتاب والسنة، وأجمع عليه السلف: أن الجنة والنار مخلوقتان، وأن أهل النار لا يخرجون منها، ولا يُخَفَّف عنهم عذابها، ولا يُفَتَّر عنهم، وأنهم خالدون فيها، ومن ذكر منهم أن

(١) أخرجه أبو داود (٤٦١١)، وعبد الرزاق (٢٠٧٥٠)، وغيرهم. وسنده صحيح.

النار لا تفنىٰ أبدًا؛ فإنما قاله لظنه أن بعض أهل البدع قال بفنائها، ولم تبلغه تلك الآثار التي تقدم ذكرها.

قالوا: وأما الطريق السادس: وهو حكم العقل بتخليد أهل النار فيها، فإخبار عن العقل بما ليس عنده، فإن المسألة من المسائل التي لا تعلم إلا بخبر الصادق.

وأما أصل الثواب والعقاب: فهل يعلم بالعقل مع السمع، أو لا يُعْلم إلا بالسمع وحده؟ ففيه قولان لِنظَّار المسلمين من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم.

والصحيح أن العقل دلّ علىٰ المعاد والثواب والعقاب إجمالًا، وأما تفصيله فلا يُعْلَم إلا بالسمع، ودوام الثواب والعقاب مما لا يدلّ عليه العقل بمجرده، وإنما عُلِم بالسمع، وقد دلّ السمع دلالة قاطعة علىٰ دوام ثواب المطيعين، وأما عقاب العصاة فقد دلّ السمع أيضًا دلالة قاطعة علىٰ انقطاعه في حق الموحِّدين، وأما دوامه وانقطاعه في حق الكفار، فهذا مُعْتَرَك النِّزَال، فمن كان السمع من جانبه فهو أسعد بالصواب. وبالله التوفيق.

فصل

ص(٧٥٢)

ونحن نذكر الفرق بين دوام الجنة والنار شرعًا وعقلًا، وذلك يظهر من وجوه:

أحدها: أن الله سبحانه وتعالىٰ أخبر ببقاء نعيم أهل الجنة ودوامه، وأنه لا نفاد له ولا انقطاع، وأنه غير مجذوذ. وأما النار فلم يخبر عنها بأكثر من خلود أهلها فيها، وعدم خروجهم منها، وأنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، وأنها موصدة عليهم، وأنهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها، وأن عذابها لازم لهم، وأنه مقيم عليهم لا يفتر عنهم، والفرق بين الخبرين ظاهر.

الوجه الثاني: أن النار قد أخبر سبحانه وتعالىٰ في ثلاث آيات عنها بما يدلّ علىٰ عدم أبديتها.

الأولىٰ: قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام:١٢٨].

الثانية: قوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود:١٠٧].

الثالثة: قوله: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ:٢٣].

ولولا الأدلة القَطْعِية الدالة علىٰ أبدِيَّة الجنة ودوامها لكان حكم الاستثناء في الموضعين واحدًا، كيف وفي الآيتين من السياق ما يفرق بين الاستثناءين، فإنَّه قال في أهل النار: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾، فعلمنا أنَّه سبحانه وتعالىٰ يريد أن يفعل فعلاً لم يخبرنا به، وقال في أهل الجنة: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨] فعلمنا أن هذا العطاء والنعيم غير مقطوع عنهم أبدًا. فالعذاب مؤقَّت مُعلَّق، والنعيم ليس بمؤقت ولا معلق.

الوجه الثالث: أنَّه قد ثبت أن الجنة يدخلها من لم يعمل خيرًا قط من المُعَذَّبين الذين يخرجهم الله من النار، وأما النار فلا يدخلها من لم يعمل سوءًا قط، ولا يعذب بها إلا من عصاه.

الوجه الرابع: أنَّه قد ثبت أن الله سبحانه ينشئ للجنة خلقًا آخر يوم القيامة يسكنهم إياها، ولا يفعل ذلك بالنار، وأما الحديث الذي ورد في «صحيح البخاري»[1] في قوله: «وأما النار فينشئ الله لها خلقًا آخرين» فغلط وقع من بعض الرواة، انقلب عليه الحديث، وإنما هو ما ساقه البخاري في الباب نفسه: «وأما الجنة فينشئ الله لها خلقًا آخرين» وذكره البخاري رحمه الله مُبَيِّنًا أن الحديث انقلب لفظه

(١) (٧٤٤٩ - فتح).

علىٰ من رواه بخلاف هذا، فذكر هذا وهذا[١]، والمقصود أنَّه لا تقاس النار بالجنة في التأبيد مع هذه الفروق. يوضِّحه:

الوجه الخامس: أن الجنة من موجب رحمته ورضاه، والنار من غضبه وسخطه، ورحمته سبحانه تغلب غضبه وتسبقه، كما في الصحيح من حديث أبي هريرة عنه ﷺ أنَّه قال: «**لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده موضوع علىٰ العرش إنَّ رحمتي تغلب غضبي**»[٢]، وإذا كان رضاه قد سبق غضبه، وهو يغلبه، كان التسوية بين ما هو من موجب رضاه، وما هو من موجب غضبه = ممتنعًا. يوضحه:

الوجه السادس: أن ما كان بالرحمة وللرحمة، فهو مقصود لذاته قصد الغايات، وما كان من موجب الغضب والسخط، فهو مقصود لغيره قصد الوسائل، فهو مسبوق ومغلوب مراد لغيره، وما كان بالرحمة فغالب سابق مراد لنفسه. يوضحه:

الوجه السابع: وهو أنَّه سبحانه قال للجنة: «أنت رحمتي أرحم بكِ من أشاء» وقال للنار: «أنت عذابي أُعذِّبُ بك من أشاء»[٣]، وعذابه مفعول منفصل، وهو ناشئٌ عن غضبه، ورحمته ها هنا: هي الجنة، وهي رحمة مخلوقة ناشئة عن الرحمة التي هي صفة الرحمن، فها هُنا أربعة أمور: رحمة هي وصْفُهُ سبحانه، وثواب منفصل هو ناشئٌ عن رحمته، وغضب يقوم به سبحانه، وعقاب منفصل ينشأ

(١) لم يذكر البخاري في كتاب التوحيد مع الحديث المتقدم هذا الحديث «وأمَّا الجنَّة فينشئ الله لها...»، وإنَّما ذكره البخاري في كتاب التفسير/ سورة «ق»، باب «وتقول هل من مزيد» (٨/ ٥٩٤ - ٥٩٥ - الفتح)، فأسند حديث همام وابن سيرين عن أبي هريرة، وأسند حديث أنس فقط.

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٦٩)، ومسلم (٤٧٥١).

(٣) تقدم من حديث أبي هريرة قريبًا.

عنه. فإذا غلبت صفة الرحمة صفة الغضب، فلأنْ يغلب ما كان بالرحمة لما كان بالغضب أولىٰ وأحرىٰ، فلا تقاوِم النارُ التي نشأت عن الغضب الجنةَ التي نشأت عن الرحمة. يوضحه:

الوجه الثامن: أن النار خلقت تخويفًا للمؤمنين، وتطهيرًا للخطَّائين المجرمين، فهي طُهْرة من الخبث الَّذي اكتسبته النفس في هذا العالم، فإنْ تطهَّر ها هنا بالتوبة النصوح، والحسنات الماحية، والمصائب المكفِّرة لم تحتج إلىٰ تطهير هناك، وقيل لها مع جملة الطَّيبين: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر:٧٣]. وإنْ لم تتطهر في هذه الدَّار، ووافقت الدَّار الأخرىٰ بِدَرَنِهَا ونجاستها وخبثها أُدْخلت النَّار طُهْرة لها، ويكونُ مكثها في النَّار بحسب زوال ذلك الدَّرن والخبث والنجاسة التي لا يغسلها الماء، فإذا تطهَّرت الطُّهر التام أُخرجت من النَّارِ، واللهُ سبحانه خلق عباده حُنَفاء، وهي فطرة الله التي فطر النَّاسَ عليها، فلو خُلُّوا وفِطَرهم لما نشؤوا إلا علىٰ التوحيد، ولكن عَرَض لأكثر الفِطَر ما غيَّرها، ولهذا كان نصيب النَّارِ أكثر من نصيب الجنَّة، وكان هذا التغيير مراتب لا يحصيها إلا الله، فأرسل الله رسوله، وأنزل كتبه يُذكِّر عباده بفطرته التي فطرهم عليها، فعرف الموفَّقون الَّذين سبقت لهم من اللهِ الحسنىٰ صِحَّة ما جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب بالفطرة الأولىٰ، فتوافق عندهم شرع اللهِ ودينه الَّذي أرسل به رسله وفطرته التي فطرهم عليها، فمنعتهم الشريعة المنزلة، والفطرة المكمِّلة، أنْ تكتسب نفوسهم خُبثًا ونجاسة ودرنًا يعلق بها ولا يفارقها، بل كلما ألمَّ بهم شيء من ذلك ومَسَّهم طائف من الشيطان غاروا عليه بالشِّرْعة والفطرة، فأزالوا موجبه وأثره، وكمل لهم الرب تعالىٰ ذلك بأقضية يقضيها لهم مما يحبون أو يكرهون، تمحص عنهم تلك الآثار التي شَوَّشت الفطرة، فجاء مقتضىٰ الرحمة، فصادف مكانًا قابلًا مستعدًّا لها ليس فيه شيء يُدافعه، فقال:

ها هنا أُمِرْت، وليس لله سبحانه غرض في تعذيب عباده بغير موجب، كما قال تعالىٰ: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء:١٤٧]، واستمر الأشقياء مع تغيير الفطرة، ونقلها مما خلقت عليه إلىٰ ضِدِّه، حتىٰ استحكم الفساد وتم التغيير، فاحتاجوا إلىٰ إزالة ذلك إلىٰ تغيير آخر، وتطهير ينقلهم إلىٰ الصحة حيث لم تنقلهم آيات الله المتلُوَّة والمخلوقة، وأقداره المحبوبة والمكروهة في هذه الدار، فأتاح لهم آيات أُخر وأقضيةً وعقوباتٍ فوق التي كانت في الدنيا تستخرج ذلك الخبث والنجاسة التي لا تزول بغير النار، فإذا زال موجب العذاب وسببه؛ زال العذاب، وبقي مقتضىٰ الرحمة لا معارِض له.

فإن قيل: هذا حق، ولكن سبب التعذيب لا يزول إلا إذا كان السبب عارِضًا: كمعاصي الموحِّدين، أمَّا إذا كان لازمًا: كالكفر والشرك، فإن أثره لا يزول كما لا يزول السبب، وقد أشار سبحانه إلىٰ هذا المعنىٰ بعينه في مواضع من كتابه.

منها: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام:٢٨] فهذا إخبارٌ بأنَّ نفوسهم وطبائعهم لا تقتضي غير الكفر والشرك، وأنها غير قابلة للإيمان أصلًا.

ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٧٢] فأخبر سبحانه أنَّ ضلالهم وعماهم عن الهدىٰ دائم لا يزول، حتىٰ مع معاينة الحقائق التي أخبرت بها الرسل، وإذا كان العمىٰ والضلال لا يفارقهم، فإن موجبه وأثره ومقتضاه لا يفارقهم.

ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال:٢٣] وهذا يدلك علىٰ أنَّه ليس فيهم خير يقتضي الرحمة، ولو كان فيهم خير لما ضيَّع عليهم أثره.

ويدل علىٰ أنَّه لا خير فيهم هناك أيضًا قوله: «أَخْرِجُوا من النَّار من كان في

قلبه أدنىٰ مثقال ذرَّةٍ من خير»[1]، ولو كان عند هؤلاء أدنىٰ أدنىٰ مثقال ذرة من خير لخرجوا بها مع الخارجين.

قيل: لعمر الله إنَّ هذا لمن أقوىٰ ما يتمسك به في المسألة، وإن الأمر لكما قلتم، وإن العذاب يدوم بدوام موجبه وسببه، ولا ريب أنهم في الآخرة في عمىٰ وضلال كما كانوا في الدنيا، وبواطنهم خبيثة كما كانت في الدنيا، والعذاب مستمرٌّ عليهم دائم ما داموا كذلك، ولكن هل هذا الكفر والتكذيب والخبث أمر ذاتي لهم زواله مستحيل، أم هو أمرٌ عارض طارئٌ علىٰ الفطرة قابل للزوال؟ هذا حرف المسألة، وليس بأيديكم ما يدلّ علىٰ استحالة زواله وأنَّه أمر ذاتي، وقد أخبر الله سبحانه أنَّه فطر عباده علىٰ الحنيفية، وأنَّ الشياطين اجتالتهم عنها، فلم يفطرهم سبحانه علىٰ الكفر والتكذيب كما فَطَر الحيوان البهيم علىٰ طبيعته، وإنما فطرهم علىٰ الإقرار بخالقهم ومحبته وتوحيده.

فإذا كان هذا الحق الذي قد فُطِروا عليه، وخلقوا عليه، قد أمكن زواله بالكفر والشرك الباطل، فإمكان زوال الكفر والشرك الباطل بضده من الحق أولىٰ وأحرىٰ، لا ريب أنهم لو رُدُّوا علىٰ تلك الحال التي هم عليها لعادوا لِمَا نُهُوا عنه، ولكن مِنْ أين لكم أن تلك الحال لا تزول، ولا تتبدَّل بنشأةٍ أخرىٰ ينشئهم فيها تبارك وتعالىٰ إذا أخذت النَّار مأخذَهَا منهم، وحَصَلتِ الحكمة المطلوبة من عذابهم؟ فإنَّ العذاب لم يكن سُدًىٰ، وإنَّما كان لحكمةٍ مطلوبةٍ، فإذا حصلت تلك الحكمة لم يبق في التعذيب أمرٌ يُطْلَب، ولا غرضٌ يُقصَد، والله سبحانه ليس يَشْتفي بعذاب عباده كما يشتفي المظلوم من ظالمه، وهو لا يُعذِّب عبده لهذا الغرض، وإنَّما يعذبه طهرةً له ورحمةً به، فعذابه مصلحةٌ له، وإنْ تألَّمَ به غاية الألمِ، كما أنَّ عذابه بالحدود في الدنيا مصلحة لأربابها.

---

(١) البخاري (٦١٩٢)، ومسلم (١٨٤) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه مطوَّلاً.

وقد سمَّىٰ الله سبحانه الحدَّ عذابًا[1]، وقد اقتضت حكمته سبحانه أن جعل لكل داءٍ دواء يناسبه، ودواء الداء العضال يكون من أشق الأدوية، والطبيب الشفيق يكوي المريض بالنار كيًّا بعد كيٍّ ليُخْرِج منه المادة الرديئة الطارئة علىٰ الطبيعة المستقيمة، وإن رأىٰ قطع العضو أصلح للعليل قَطَعَه، وأذاقه أشد الألم. فهذا قضاء الرب وقدره في إزالة مادة غريبة طَرَتْ علىٰ الطبيعة المستقيمة بغير اختيار العبد، فكيف إذا طرأ علىٰ الفطرة السليمة مواد فاسدة باختيار العبد وإرادته؟

وإذا تأمل اللبيب شرع الرب تبارك وتعالىٰ، وقدره في الدنيا، وثوابه وعقابه في الآخرة = وَجَدَ ذلك في غاية التناسب والتوافق، وارتباط ذلك بعضه ببعض، فإن مصدر الجميع عن علمٍ تامٍّ، وحكمة بالغة، ورحمة سابغة، وهو سبحانه الملك الحق المبين، وملكه ملك رحمة وإحسان وعدل.

الوجه التاسع: أن عقوبته للعبد ليست لحاجةٍ إلىٰ عقوبته، ولا لمنفعة تعود إليه، ولا لدفع مضرة وألم يزول عنه بالعقوبة. بل يتعالىٰ عن ذلك ويتنزه كما يتعالىٰ عن سائر العيوب والنقائص، ولا هي عبث مَحْض خال عن الحكمة والغاية الحميدة، فإنَّه أيضًا يتنزه عن ذلك ويتعالىٰ عنه، فإما أن يكون من تمام نعيم أوليائه وأحبائه، وإما أن يكون من مصلحة الأشقياء ومداواتهم، أو لهذا ولهذا.

وعلىٰ التقادير الثلاث: فالتعذيب أمر مقصود لغيره قصد الوسائل، لا قصد الغايات، والمراد من الوسيلة إذا حصلت علىٰ الوجه المطلوب زال حكمها، ونعيم أوليائه ليس متوقِّفًا في أصله ولا في كماله علىٰ استمرار عذاب أعدائه ودوامه، ومصلحة الأشقياء ليست في الدوام والاستمرار، وإن كان في أصل التعذيب مصلحة لهم.

(١) فقال: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

الوجه العاشر: أن رضا الرب تبارك وتعالىٰ ورحمته صفتان ذاتِيَّتَان له، فلا منتهىٰ لرضاه كما قال أعلم الخلق به: «سبحان الله وبحمده، عدد خلْقه، ورضا نفسه، وزِنَة عرشه، ومداد كلماته»[١].

وإذا كانت رحمته غلبت غضبه، فإن رضا نفسه أعلىٰ وأعظم، فإن رضوانه أكثر من الجنات ونعيمها وكل ما فيها، وقد أخبر أهل الجنة: أنَّه يُحِلُّ عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبدًا.

وأما غضبه تبارك وتعالىٰ وسخطه فليس من صفاته الذاتية التي يستحيل انفكاكه عنها بحيث لم يزل ولا يزال غضبان، والناس لهم في صفة الغضب قولان:

أحدهما: أنَّه من صفاته الفِعْلِيَّة القائمة به كسائر أفعاله.

والثاني: أنَّه صِفَة فعل منفصل عنه غير قائم به.

وعلىٰ القولين، فليس كالحياة والعلم والقدرة التي تستحيل مفارقتها له، والعذاب إنما نشأ من صفة غضبه، وما سُعِّرت النار إلا بغضبه، وقد جاء في أثر مرفوع: «إن الله خلق خلقًا من غضبه، وأسكنهم بالمشرق ينتقم بهم ممن عصاه»[٢].

فمخلوقاته سبحانه نوعان: نوع مخلوق من الرحمة وبالرحمة.

ونوع مخلوق من الغضب وبالغضب.

فإنَّه سبحانه له الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي يتنزه عن تقدير خلافه، ومنه أنَّه يرضىٰ ويغضب، ويثيب ويعاقب، ويعطي ويمنع، ويعز ويذل، وينتقم

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٦).

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ. والأثرُ ذكره السخاوي في «المقاصد الحسنة» ص (٢٨٧) نقلاً عن ابن القيم، ولم يعزه لأحد، وقد وردت آثارٌ في معناه.

ويعفو، بل هذا موجب ملكه الحق، وهو حقيقة الملك المقرون بالحكمة والرحمة والحمد، فإذا زال غضبه سبحانه، وتَبَدَّلَ برضاه؛ زالت عقوبته، وتبدلت برحمته وانقلبت العقوبة رحمة، بل لم تزل رحمة وإن تنوعت صفتها وصورتها، كما كان عقوبة العصاة رحمة، وإخراجهم من النار رحمة، فتقلبوا في رحمته في الدنيا، وتقلبوا فيها في الآخرة، لكن تلك رحمة يحبونها وتوافق طبائعهم، وهذه رحمة يكرهونها وتشق عليهم؛ كرحمة الطبيب الذي يبضع لحم المريض، ويلقي عليه المكاوي ليستخرج منه المواد الرديئة الفاسدة.

فإن قيل: هذا اعتبار غير صحيح، فإن الطبيب يفعل ذلك بالعليل، وهو يحبه وهو راض عنه، ولم ينشأ فعله به عن غضبه عليه، ولهذا لا يسمىٰ عقوبة، وأما عذاب هؤلاء فإنَّه إنما حصل بغضبه سبحانه عليهم، وهو عقوبة محضة.

قيل: هذا حق، ولكن لا ينافي كونه رحمة بهم، وإن كان عقوبة لهم، وهذا كإقامة الحدود عليهم في الدنيا، فإنَّه عقوبة ورحمة وتخفيف وطُهْرة، فالحدود طهرة لأهلها وعقوبة، وهم لما أغضبوا الرب تعالىٰ وقابلوه بما لا يليق أن يقابل به، وعاملوه أقبح معاملة، وكذبوه وكذبوا رسله، وجعلوا أقل خلقه وأخبثهم وأمقتهم له نِدًّا له، وآلهة معه، آثروا رضاهم علىٰ رضاه، وطاعتهم علىٰ طاعته، وهو وليُّ الإنعام عليهم، وهو خالقهم ورازقهم ومولاهم الحق اشتد مقْتُهُ لهم، وغضبه عليهم، وذلك يوجب كمال أسمائه وصفاته التي يستحيل عليه تقدير خلافها، ويستحيل تخلف آثارها ومقتضاها عنها، بل ذلك تعطيل لأحكامها، كما أن نفيها عنه تعطيل لحقائقها، وكلا التعطيلين محال عليه سبحانه.

فالمعطِّلون نوعان: أحدهما: عطَّل صفاته.

والثاني: عطَّل أحكامها وموجباتها.

وكان هذا العذاب عقوبة لهم من هذا الوجه، ودواء لهم من جهة الرحمة السابقة للغضب، فاجتمع فيه الأمران، فإذا زال الغضب بزوال سببه، وزالت المادة الفاسدة بتغير الطبيعة المقتضية لها في الجحيم بمرور الأحقاب عليها، وحصلت الحكمة التي أوجبت العقوبة = عملت الرحمة عملها، وطلبت أثرها من غير معارض. يوضحه:

الوجه الحادي عشر: وهو أن العفو أحب إليه سبحانه من الانتقام، والرحمة أحب إليه من العقوبة، والرضا أحب إليه من الغضب، والفضل أحب إليه من العدل، ولهذا ظهرت آثار هذه المحبة في شرعه وقدره، وتظهر كل الظهور لعباده في ثوابه وعقابه، وإذا كان ذلك أحب الأمرين إليه، وله خَلَقَ الخَلْق، وأنزل الكتب وشرع الشرائع، وقدرته سبحانه صالحة لكل شيء، لا قصور فيها بوجهٍ ما، وتلك المواد الرديئة الفاسدة مرض من الأمراض، وبيده سبحانه الشفاء التام، والأدوية الموافقة لكل داء، وله القدرة التامة، والرحمة السَّابِغة والغنىٰ المطلق، وبالعبد أعظم حاجة إلىٰ من يداوي علته التي بلغت به غاية الضرر والمشقة، وقد عرف العبد أنَّه عليل، وأن دوائه بيد الغني الحميد، فتضرع إليه ودخل به عليه، واستكان له وانكسر قلبه بين يديه، وذل لعزته، وعرف أن الحمد كله له، وأن الحق كله له، وأنه هو الظلوم الجهول، وأنَّ ربه تبارك وتعالىٰ عامله ببعض عدله لا بكلِّ عدله، وأنَّ له غاية الحمد فيما فَعَلَ به، وأنَّ حمْده هو الذي أقامه في هذا المقام، وأوصله إليه، وأنه لا خير عنده من نفسه بوجهٍ من الوجوه، بل ذلك محض فضل الله وصدقته عليه، وأنه لا نجاة له مما هو فيه إلا بمجرد العفو والتجاوز عن حقه، فنفسه أولىٰ بكل ذم وعيب ونقص، وربه تعالىٰ أولىٰ بكل حمد وكمال ومدح.

فلو أن أهل الجحيم شهدوا نعمته سبحانه ورحمته وكماله وحمده الذي

أوجب لهم ذلك، فطلبوا مرضاته؛ ولو بدوامهم في تلك الحال، وقالوا: إن كان ما نحن فيه رضاك فرضاك الذي نريد، وما أوصلنا إلىٰ هذه الحال إلا طلب ما لا يرضيك، فأما إذا أرضاك هذا منا فرضاك غاية ما نقصده.

وما لجرح إذا أرضــاك من ألم

وأنت أرحم بنا من أنفسنا، وأعلم بمصالحنا، ولك الحمد كله، عاقبت أو عفوت = لانقلبت النار عليهم بردًا وسلامًا.

وقد روىٰ الإمام أحمد في «مسنده»[1] من حديث الأسود بن سَرِيع ﵁ أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**أربعة يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئًا، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة، فأما الأصمُّ فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئًا، وأما الأحمق فيقول: رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر، وأما الهرم فيقول: ربي لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئًا، وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب ما أتاني لك من رسول. فيأخذ مواثيقهم ليُطِيْعُنَّهُ فيرسل إليهم: أنِ ادخلوا النار، قال: فوالذي نفس محمَّد بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردًا وسلامًا**»[2].

وفي «المسند» أيضًا: من حديث قتادة، عن الحسن، عن أبي رافع، عن أبي هريرة مثله وقال: «فمن دخلها كانت عليه بردًا وسلامًا، ومن لم يدخلها يسحبُ إليها».

فهؤلاء لمَّا رَضُوا بتعذيبهم، وبادروا إليه لَمَّا علموا أنَّ فيه رضىٰ ربهم وموافقة أمره ومحبته؛ انقلب في حقِّهم نعيمًا.

---

(١) (٤/ ٢٤).

(٢) وأخرجه إسحاق في «مسنده» (٤١)، والطبراني في «الكبير» (٨٤١)، وابن حبَّان في «صحيحه» (٧٣٥٧)، وغيرهم من حديث الأسود بن سريع. وفي الباب عن أبي هريرة عند أحمد (٤/ ٢٤) وغيره، وهو أصح.

ومثل هذا: ما رواهُ عبد الله بن المبارك: حدثني رشدين، قال: حدَّثني ابن أنْعُمٍ عن أبي عثمان أنَّه حدَّثه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ رجلين ممَّن دخلا النَّار يشتدُّ صياحُهما، فقال الربُّ جلَّ جلاله: أخرجوهما فأخرجا، فقال لهما: لأي شيء اشتد صياحكما؟ قالا: فعلنا ذلك لترحمنا، قال: رحمتي لكما أنْ تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النَّار، قال فينطلقان، فيلقي أحدهما نفسه فيجعلها الله سبحانه عليه بردًا وسلامًا، ويقوم الآخر فلا يلقي، فيقول له الرب: ما منعك أنْ تلقي نفسك كما ألقىٰ صاحبك؟ فيقول: ربِّ أرجوك أنْ لا تعيدني فيها بعدما أخرجتني منها، فيقول الربُّ تعالىٰ: لك رجاؤك، فيدخلان جميعًا الجنَّة برحمة الله**»[1].

وذكر الأوزاعي عن بلال بن سعد قال: «يؤمر بإخراج رجلين من النَّارِ، فإذا خرجا ووقفا، قال اللهُ لهما: كيف وجدتما مقيلكما وسوءَ مصيركما؟ فيقولان: شرُّ مقيل، وأسوأ مصير صار إليه العبادُ، فيقول لهما: ذلك بما قدمت أيديكما وما أنا بظلَّامٍ للعبيد، قال: فيؤمر بصرفهما إلىٰ النار، فأما أحدهما فيغدو في أغلاله وسلاسله حتىٰ يقتحمها. وأما الآخر فيتلكأ فيأمر بردهما، فيقول للذي غدا في أغلاله وسلاسله حتىٰ اقتحمها: ما حملك علىٰ ما صنعت وقد جربتها؟ فيقول: إني خبرت من وبال معصيتك ما لم أكن أتعرض لسخطك ثانيًا، ويقول للذي تلكأ: ما حملك علىٰ ما صنعت؟ فيقول: حسن ظني بك حين أخرجتني منها أن لا تردني إليها، فيرحمهما جميعًا، ويأمر بهما إلىٰ الجنة»[2].

الوجه الثاني عشر: أن النعيم والثواب من مقتضىٰ رحمته ومغفرته وبره وكرمه،

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٤١٠)، والترمذي (٢٥٩٩)، وضعّفه.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٦٦).

ولذلك يضيف ذلك إلىٰ نفسه، وأما العذاب والعقوبة، فإنما هو من مخلوقاته، ولذلك لا يُسمَّىٰ بالمُعاقِبُ والمعذِّب، بل يفرق بينهما، فيجعل ذلك من أوصافه وهذا من مفعولاته حتىٰ في الآية الواحدة، كقوله تعالىٰ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر:٤٩-٥٠]. وقال تعالىٰ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٩٨] وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف:١٦٧]، ومثلها في آخر الأنعام[١]، فما كان من مقتضىٰ أسمائه وصفاته، فإنَّه يدوم بدوامها، ولا سيما إذا كان محبوبًا له، وهو غاية مطلوبة في نفسها، وأما الشر الذي هو العذاب، فلا يدخل في أسمائه وصفاته، وإن دخل في مفعولاته لحكمة إذا حصلت زال وفني، بخلاف الخير، فإنَّه سبحانه دائم المعروف، لا ينقطع معروفه أبدًا، وهو قديم الإحسان أبديُّ الإحسان، فلم يزل ولا يزال محسنًا علىٰ الدوام، وليس من موجب أسمائه وصفاته أنَّه لا يزال معاقبًا علىٰ الدوام، غضبان علىٰ الدوام، منتقمًا علىٰ الدوام.

فتأمل هذا الوجه تأمُّلَ فقيهٍ في باب أسماء الله وصفاته = يفتح لك بابًا من أبواب معرفته ومحبته. يوضحه:

الثالث عشر: وهو قول أعلم خلقه به، وأعرفهم بأسمائه وصفاته: «والشر ليس إليك»[٢]، ولم يقف علىٰ المعنىٰ المقصود مَنْ قال: الشر لا يتقرب به إليك[٣]، بل الشر لا يضاف إليه سبحانه بوجهٍ، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ولا في أسمائه، فإن ذاته لها الكمال المطلق من جميع الوجوه، وصفاته كلها صفات كمال

(١) (آية: ١٢٨).

(٢) أخرجه مسلم (٧٧١).

(٣) أخرجه البيهقي في «القضاء والقدر» (٤٠٠) بسندٍ صحيح عن النضر بن شُمَيْل.

يُحْمَد عليها ويُثْنَىٰ عليه بها، وأفعاله كلها خير ورحمة وعدل وحكمه، لا شَرَّ فيها بوجه ما، وأسماؤه كلها حسنىٰ، فكيف يضاف الشر إليه؟ بل الشر في مفعولاته ومخلوقاته، وهو منفصل عنه، إذ فِعْله غير مفعوله، ففعله خير كله، وأما المخلوق المفعول، ففيه الخير والشر.

وإذا كان الشر مخلوقًا منفصلًا غير قائم بالرب سبحانه، فهو لا يضاف إليه، وهو ﷺ لم يقل: أنت لا تخلق الشر، حتىٰ يطلب تأويل قوله، وإنما نفىٰ إضافته إليه وصْفًا وفعْلًا واسمًا.

وإذا عُرِف هذا؛ فالشر ليس إلا الذنوب وموجباتها، وأما الخير فهو الإيمان والطاعات وموجباته، والإيمان والطاعات متعلقة به سبحانه، ولأجلها خلق خلْقَه وأرسل رسلَه وأنزل كتبه، وهي ثناء علىٰ الرب وإجلاله وتعظيمه وعبوديته، وهذه لها آثار يطلبها ويقتضيها، فتدوم آثارها بدوام متعلقها.

وأما الشرور فليست مقصودة لذاتها، ولا هي الغاية التي خلق لها الخلق، فهي مفعولات قُدِّرت لأمرٍ محبوب، وجُعِلت وسيلة إليه، فإذا حصل ما قُدِّرت له اضمحلت وتلاشت، وعاد الأمر إلىٰ الخير المحض.

الوجه الرابع عشر: أنَّه سبحانه قد أخبر أن رحمته وسعت كل شيء[1]. فليس شيء من الأشياء إلا وفيه رحمته، ولا ينافي هذا أن يرحم العبد بما يشق عليه ويؤلمه، وتشتد كراهته له، فإن ذلك من رحمته أيضًا كما تقدم.

وقد ذكرنا حديث أبي هريرة آنفًا[2] وقوله تعالىٰ لذينك الرجلين: «رحمتي لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما في النار».

---

(١) كما قال تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦].

(٢) ص (٥٠٦)، وهو لا يصح.

وقد جاء في بعض الآثار: «أن العبد إذا دعا لمبتلىٰ قد اشتد بلاؤه، وقال: اللهم ارحمه، يقول الرب تبارك وتعالىٰ: كيف أرحمه من شيء به أرحمه»[(١)].

فالابتلاء رحمة منه لعباده.

وفي أثر إلهي يقول الله ﷻ: «أهل ذكري أهل مجالستي، وأهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل شكري أهل زيادتي، وأهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب»[(٢)].

فالبلاء والعقوبة أدوية قدرت لإزالة أدواء لا تزول إلا بها، والنار هي الدواء الأكبر، فمن تداوىٰ في الدنيا أغناه ذلك عن الدواء في الآخرة، وإلَّا فلا بد له من الدواء بحسب دائه، ومن عرف الرب تبارك وتعالىٰ بصفات جلاله ونعوت كماله، من حكمته ورحمته وبره وإحسانه وغناه وجوده ومحبته إلىٰ عباده، وإرادة الإنعام، وسبق رحمته لهم = لم يبادر إلىٰ إنكار ذلك إن لم يبادر إلىٰ قبوله. يوضحه:

الوجه الخامس عشر: أن أفعاله سبحانه لا تخرج عن الحكمة والرحمة والمصلحة والعدل، فلا يفعل عبثًا ولا جورًا ولا باطلًا، بل هو المُنَزَّه عن ذلك كما تنزه عن سائر العيوب والنقائص.

وإذا ثبت ذلك، فتعذيبهم إن كان رحمة بهم حتىٰ يزول ذلك الخبث، وتكمل الطهارة = فظاهر، وإن كان لحكمة؛ فإذا حصلت تلك الحكمة المطلوبة زال العذاب، وليس في الحكمة دوام العذاب أَبَدَ الآباد بحيث يكون دائمًا بدوام الرب تبارك وتعالىٰ، وإن كان لمصلحة فإن كان يرجع إليهم، فليست مصلحتهم في

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أقف عليه.

بقائهم في العذاب كذلك، وإن كانت المصلحة تعود إلىٰ أوليائه؛ فإن ذلك أكمل في نعيمهم، فهذا لا يقتضي تأبيد العذاب، وليس نعيم أوليائه وكماله موقوفًا علىٰ بقاء آبائهم وأبنائهم وأزواجهم في العذاب السَّرْمَد.

فإن قلتم: إن ذلك هو موجب الرحمة والحكمة والخلد والمصلحة. قلتم: ما لا يُعْقَل. وإن قلتم: إن ذلك عائد إلىٰ محض المشيئة ولا يطلب له حكمة ولا غاية، فجوابه من وجهين:

أحدهما: أن ذلك محال علىٰ أحكم الحاكمين، وأعلم العالمين، أن تكون أفعاله معطلة عن الحِكَمِ، والمصالح، والغايات المحمودة، والقرآن والسنة وأدلة المعقول والفطر والآيات المشهودة منه شاهد ببطلان ذلك.

والثاني: أنَّه لو كان الأمر كذلك لكان إبقاؤهم في العذاب، وانقطاعه عنهم بالنسبة إلىٰ مشيئته سواء، ولم يكن في انقضائه ما ينافي كماله، وهو سبحانه لم يخبر بأبدية العذاب، وأنه لا نهاية له.

وغاية الأمر علىٰ هذا التقدير: أن يكون من الجائزات المُمْكِنَات الموقوف حكمها علىٰ خبر الصادق.

فإن سلكت طريق التعليل بالحكمة والرحمة والمصلحة لم يقتض الدوام، وإن سلكت طريق المشيئة المحضة التي لا تعلل لم تقتضه أيضًا، وإن وقف الأمر علىٰ مجرد السمع فليس فيه ما يقتضيه.

الوجه السادس عشر: أن رحمته سبحانه سبقت غضبه في المعذبين، فإنَّه أنشأهم برحمته، وغذاهم برحمته، ورباهم برحمته ورزقهم وعافاهم برحمته، وأرسل إليهم الرسل برحمته، وأسباب النقمة والعذاب متأخرة عن أسباب الرحمة طارئة عليها، فرحمته سبقت غضبه فيهم، وخَلَقَهم علىٰ خِلْقَةٍ تكون رحمته إليهم أقرب من غضبه وعقوبته.

ولهذا ترىٰ أطفال الكفار قد ألقىٰ عليهم رحمته، فمن رآهم رحمهم، ولهذا نُهِيَ عن قتلهم[١]، فرحمته سبقت غضبه فيهم، فكانت هي السابقة إليهم، ففي كل حال هم في رحمته في حال معافاتهم وابتلائهم.

وإذا كانت الرحمة هي السابقة فيهم لم يبطل أثرها بالكلية، وإن عارضها أثر الغضب والسخط فذلك لسبب منهم، وأما أثر الرحمة فسببه منه سبحانه، فما منه يقتضي رحمتهم، وما منهم يقتضي عقوبتهم، والذي منه سابق وغالب، وإذا كانت رحمته تغلب غضبه، فلأن يغلب أثر الرحمة أثر الغضب أولىٰ وأحرىٰ.

الوجه السابع عشر: أنَّه سبحانه يخبر عن العذاب أنَّه عذاب يوم عقيم، وعذاب يوم عظيم، وعذاب يوم أليم، ولا يخبر عن النعيم أنَّه نعيم يوم، ولا في موضع واحد.

وقد ثبت في «الصحيح» تقدير يوم القيامة بخمسين ألف سنة[٢]، والمعذبون متفاوتون في مدة لبثهم في العذاب بحسب جرائمهم، والله سبحانه جعل العذاب علىٰ ما كان من الدنيا وأسبابها، وما أريد به الدنيا ولم يرد به الله فالعذاب علىٰ ذلك. وأما ما كان للآخرة وأريد به وجه الله فلا عذاب عليه، والدنيا قد جعل لها أجلًا تنتهي إليه، فما انتقل منها إلىٰ تلك الدار مما ليس لله، فهو المعذب به.

وأما ما أُريد به وجه الله والدار الآخرة، فقد أُريد به ما لا يفنىٰ ولا يزول، فيدوم بدوام المراد به، فإن الغاية المطلوبة إذا كانت دائمة لا تزول لم يَزُلْ ما تعلَّق بها، بخلاف الغاية المُضْمَحِلَّة الفانية، فما أُريد به غير الله يضمحل ويزول بزوال مراده ومطلوبه، وما أُريد به وجه الله يبقىٰ ببقاء المطلوب المراد، فإذا اضمحلت الدنيا

(١) أخرجه البخاري (٢٨٥١ و ٢٨٥٢)، ومسلم (١٧٤٤) عن ابن عمر قال: «وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ، فنهىٰ ﷺ عن قتل النساء والصبيان».

(٢) أخرجه مسلم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة الطويل في مانع الزكاة.

وانقطعت أسبابها، وانتقل ما كان فيها لغير الله من الأعمال والذوات، وانقلب عذابًا وآلامًا = لم يكن له متعلق يدوم بدوامه؛ بخلاف النعيم.

الوجه الثامن عشر: أنَّه ليس في حُكْمِ أحكم الحاكمين أن يخلق خلقًا يعذبهم أبد الآباد، عذابًا سرمدًا لا نهاية له، ولا انقطاع أبدًا، وقد دلت الأدلة السمعية والعقلية والفطرية علىٰ أنَّه سبحانه حكيم، وأنه أحكم الحاكمين، فإذا عذب خلقه عذبهم بحكمة، كما يوجد التعذيب والعقوبة في الدنيا في شرعه وقدره، فإن فيه من الحِكَم والمصالح وتطهير العبد ومداواته، وإخراج المواد الردية عنه بتلك الآلام مما تشهده العقول الصحيحة، وفي ذلك من تزكية النفوس وصلاحها وزجرها وردع نظائرها، وتوقيفها علىٰ فقرها، وضرورتها إلىٰ ربها، وغير ذلك من الحكم والغايات الحميدة، ما لا يعلمه إلا الله.

ولا ريب أن الجنة طيبة، لا يدخلها إلا طيب، ولهذا يُحْبَسون إذا قطعوا الصراط علىٰ قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتىٰ إذا هُذِّبوا ونُقُّوا أذن لهم في دخول الجنة[1].

ومعلوم أن النفوس الشريرة الخبيثة المظلمة التي لو ردت إلىٰ الدنيا قبل العذاب لعادت لما نهيت عنه، لا تصلح أن تسكن دار السلام في جوار رب العالمين، فإذا عذبوا بالنار عذابًا يخلص نفوسهم من ذلك الخبث والوسخ والدرن، كان ذلك من حكمة أحكم الحاكمين ورحمته، ولا ينافي الحكمة خلقَ نفوسٍ فيها شر يزول بالبلاء الطويل والنار، كما يزول بها خبث الذهب والفضة والحديد، فهذا معقول في الحكمة، وهو من لوازم العالم المخلوق علىٰ هذه الصفة، أما خلق نفوس لا يزول شرها أبدًا، وعذابها لا انتهاء له، فلا يظهر في الحكمة والرحمة، وفي

---

(١) كما في حديث أبي سعيد الخدري عند البخاري (٢٣٠٨) و(٦١٧٠). وقد تقدَّم.

وجود مثل هذا النوع نزاع بين العقلاء، أعني: ذواتًا وهي شرٌّ من كل وجه، ليس فيها شيء من خير أصلًا.

وعلىٰ تقدير دخوله في الوجود، فالرب تبارك وتعالىٰ قادر علىٰ قلب الأعيان، وإحالتها، وإحالة صفاتها.

فإذا وجدت الحكمة المطلوبة من خلق هذه النفوس، والحكمة المطلوبة من تعذيبها، فإنَّه سبحانه قادر أن ينشئها نشأة أُخرىٰ غير تلك النشأة، ويرحمها في النشأة الثانية نوعًا آخر من الرحمة، يوضحه:

الوجه التاسع عشر: وهو أنَّه قد ثبت أن الله سبحانه يُنْشِئ للجنة خلقًا آخر، يسكنهم إياها، ولم يعملوا خيرًا تكون الجنة جزاء لهم عليه، فإذا أخذ العذاب من هذه النفوس مأخذه، وبلغت العقوبة مبلغها، فانكسرت تلك النفوس، وخضعت وذلت، واعترفت لربها وفاطرها بالحمد، وأنه عدل فيها كل العدل، وأنها في هذه الحال كانت في تخفيف منه، ولو شاء أن يكون عذابها أشد من ذلك لَفَعَل، وشاء كتب العقوبة طلبًا لموافقة رضاه ومحبته، وعلمت أن العذاب أولىٰ بها، وأنه لا يليق بها سواه، ولا تصلح إلا له، فذابت منها تلك الخبائث كلها، وتلاشت وتبدلت بذلٍّ وانكسارٍ، وحَمْدٍ وثناء علىٰ الرب تبارك وتعالىٰ، ولم يكن في حكمته أن يستمر بها في العذاب بعد ذلك، إذ قد تبدل شرها بخيرها، وشركها بتوحيدها، وكبرها بخضوعها وذلها.

ولا ينتقض هذا بقوله ﷻ: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام:٢٨] فإن هذا قبل مباشرة العذاب الذي يزيل تلك الخبائث، وإنما هو عند المعاينة قبل الدخول، فإنَّه سبحانه وتعالىٰ قال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام:٢٧-٢٨].

فهذا إنما قالوه قبل أن يستخرج العذابُ منهم تلك الخبائث، فأما إذا لبثوا في العذاب أحقابًا، والحقب: كما رواه الطبراني في «معجمه»[1] من حديث أبي أمامة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «**الحقب خمسون ألف سنة**»[2]؛ فإنَّه من الممتنع أن يبقىٰ ذلك الكبر والشرك والخبث بعد هذه المُدَد المتطاولة في العذاب.

الوجه العشرون: أنَّه قد ثبت في «الصحيحين»[3] من حديث أبي سعيد الخدري -في حديث الشفاعة- فيقول الله عز وجل: «شفعت الملائكة، وشفع النَّبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط، قد عادوا حممًا، فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة، يقال له: «نهر الحياة» فيخرجون كما تخرج الحِبَّة في حميل السيل، فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه».

فهؤلاء أحرقتهم النار جميعهم، فلم يبق في بدن أحدهم موضع لم تمسه النار، بحيث صاروا حممًا: وهو الفحم المحترق بالنار. فظاهر السياق أنَّه لم يكن في قلوبهم مثقال ذرة من خير، فإن لفظ الحديث هكذا: «فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا ثمَّ يقولون: ربنا لم نذر فيها خيرًا، فيقول الله عز وجل: «شفعت الملائكة، وشفع النَّبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق

(١) «الكبير» (٧٩٥٧).

(٢) أخرجه ابن أبي عمر العدني في «مسنده» (٣٧٧٥ - المطالب)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ٤٩٤ - ابن كثير)، وهو حديث منكر جدا، ولم يصح في الباب حديث مرفوع، كما ذكر ابن كثير.

وإنَّما الصحيح أنَّ الحقب: ثمانون سنة، كما جاء ذلك عن ابن مسعود وأبي هريرة وابن عباس وغيرهم.

(٣) البخاري (٧٧٣، ٧٠٠)، ومسلم (١٨٢).

إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط».

فهذا السياق يدلّ علىٰ أن هؤلاء لم يكن في قلوبهم مثقال ذرة من خير، ومع هذا فأخرجتهم الرحمة.

ومن هذا رحمته سبحانه للذي أوصىٰ أهله أن يحرقوه بالنار، ويذروه في البر والبحر زَعْمًا منه بأنَّه يفوت الله سبحانه، فهذا قد شك في المعاد والقدرة، ولم يعمل خيرًا قط، ومع هذا فقال له: «ما حملك علىٰ ما صنعت؟ قال: خشيتك وأنت أعلم»[1]، فما تلافاه أنْ رَحِمَهُ الله، فلله سبحانه في خلقه حُكْمٌ لا تبلغه عقول البشر.

وقد ثبت في حديث أنس رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله عز وجل: أخرجوا من النار من ذكرني يومًا أو خافني في مقام**»[2].

قالوا: ومن ذا الذي في مدة عمره كلها من أولها إلىٰ آخرها لم يذكر ربه يومًا واحدًا، ولا خافه ساعةً واحدةً، ولا ريب أن رحمته سبحانه إذا أخرجت من النار من ذكره وقتًا ما، وخافه في مقام ما، فغير بِدْعٍ أن تفنىٰ النار، ولكن هؤلاء خرجوا منها وهي نار.

الوجه الحادي والعشرون: أنَّ اعتراف العبد بذنبه حقيقة الاعتراف المتضمن لنسبة السوء والظلم واللوم إليه من كل وجه، ونسبة العدل والحمد والرحمة والكمال المطلق إلىٰ ربه من كل وجه = يستعطف ربه تبارك وتعالىٰ عليه، ويستدعي رحمته له.

وإذا أراد أن يرحم عبده ألقىٰ ذلك في قلبه، ولا سيما إذا اقترن بذلك جزم العبد

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٩١)، ومسلم (٢٧٥٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٩٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٨٨٣)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٤٥١)، وغيرهم، قال الترمذي: «حسن غريب»، وصحح إسناده الحاكم.

علىٰ ترك المعاودة لما يسخط ربه عليه، وعلم الله ذلك داخل قلبه وسويدائه، فإنَّه لا تتخلَّف عنه الرحمة مع ذلك.

وفي «معجم الطبراني»[1] من حديث يزيد بن سنان الرهاوي، عن سليمان بن عامر، عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن آخر رجل يدخل الجنة رجل يتقلب علىٰ الصراط ظهرًا لبطن، كالغلام يضربه أبوه، وهو يَفِرُّ منه، يعجز عنه عمله أن يسعىٰ فيقول: يا رب بلِّغْ بي الجنة، ونجني من النار، فيوحي الله تبارك وتعالىٰ إليه: عبدي، إن أنا نجيتك من النار وأدخلتك الجنة، أتعترف لي بذنوبك وخطاياك؟ فيقول العبد: نعم يا رب، وعزتك وجلالك إن نجيتني من النار لأعترفن لك بذنوبي وخطاياي، فيجوز الجسر، فيقول العبد فيما بينه وبين نفسه: لئن اعترفت له بذنوبي وخطاياي ليردني إلىٰ النار، فيوحي الله إليه: عبدي، اعترف لي بذنوبك وخطاياك أغفرها لك، وأدخلك الجنة، فيقول العبد: لا وعزتك وجلالك، ما أذنبت ذنبًا قط، ولا أخطأت خطيئة قط، فيوحي الله إليه: عبدي إنَّ لي عليك بَيِّنة، فيلتفت العبد يمينًا وشمالًا، فلا يرىٰ أحدًا، فيقول: يا رب أرني بينتك، فيستنطق الله تعالىٰ جِلْدهُ بالمحقرات، فإذا رأىٰ ذلك العبد يقول: يا رب عندي وعزتك العظائم، فيوحي الله إليه، عبدي أنا أعرف بها منك، اعترف لي بها أغفرها لك وأدخلك الجنة، فيعترف العبد بذنوبه، فيدخل الجنة**»، ثمَّ ضحك رسول الله ﷺ حتىٰ بدت نواجذه، يقول: «هذا أدنىٰ أهل الجنة منزلة، فكيف بالذي فوقه؟».

فالرب تعالىٰ يريد من عبده الاعتراف والانكسار بين يديه والخضوع والذل له، والعزم علىٰ مرضاته، فما دام أهل النار فاقدين لهذا الروح، فهم فاقدون لروح الرحمة، فإذا أراد عز وجل أن يرحمهم أو من شاء منهم؛ جعل في قلبه ذلك فتدركه

---

(١) الكبير (٧٦٦٩). والحديث مدارهُ علىٰ (يزيد بن سنان) وهو ضعيف.

الرحمة، وقدرة الرب تبارك وتعالىٰ غير قاصرة عن ذلك، وليس فيه ما يناقض موجب أسمائه وصفاته، وقد أخبر أنَّه فعال لما يريد.

الوجه الثاني والعشرون: أنَّه سبحانه قد أوجب الخلود علىٰ معاصي من الكبائر، وقيده بالتأبيد، ولم يناف ذلك انقطاعه وانتهاءه.

فمنها: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٣].

ومنها: قوله ﷺ: «**من قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يتوجَّأ بها في نار جهنم خالدًا مخلَّدًا فيها أبدًا**»(١)، وهو حديثٌ صحيحٌ.

وكذلك قوله في الحديث الآخر في قاتل نفسه: «فيقول الله تبارك وتعالىٰ: بادرني عبدي بنفسه حَرَّمتُ عليه الجنة»(٢).

وأبلغ من هذا قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن:٢٣].

فهذا وعيد مقيد بالخلود والتأبيد، مع انقطاعه قطعًا بسبب من العبد، وهو التوحيد، فكذلك الوعيد العام لأهل النار لا يمتنع انقطاعه، بسببٍ ممن كتب علىٰ نفسه الرحمة، وغلبت رحمته غضبه، فلو يعلم الكافر بكل ما عنده من الرحمة لما يئس من رحمته، كما في «صحيح البخاري»(٣) عنه ﷺ: «**خلق الله الرحمة يوم خلقها مئة رحمة**» وقال في آخره: «فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المسلم بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار».

(١) أخرجه البخاري (٥٤٤٢)، ومسلم (١٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٩٨)، ومسلم (١١٣) من حديث جندب رضي الله عنه.

(٣) برقم (٦١٠٤).

الوجه الثالث والعشرون: أنَّه لو جاء الخبر منه سبحانه صريحًا بأن عذاب النار لا انتهاء له، وأنه أبدي لا ينقطع، لكان ذلك وعيدًا منه سبحانه، والله تعالىٰ لا يخلف وعده، وأما الوعيد: فمذهب أهل السنة كلهم: أن إخلافه عفو وكرم وتجاوز يُمْدَحُ الرب تبارك وتعالىٰ به، ويُثنىٰ عليه به، فإنَّه حق له إن شاء تركه، وإن شاء استوفاه، والكريم لا يستوفي حقه، فكيف بأكرم الأكرمين؟

وقد صرح سبحانه في كتابه في غير موضع بأنه لا يخلف وعده، ولم يقل في موضع واحد: لا يخلف وعيده.

وقد روىٰ أبو يعلىٰ الموصلي: حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا سهيل ابن أبي حزم، حدثنا ثابت البناني، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من وعده الله علىٰ عمل ثوابًا فهو منجزه، ومن أوعده علىٰ عمل عقابًا فهو فيه بالخيار**»[1].

وقال أبو الشيخ الأصبهاني: حدثنا محمَّد بن حمزة، حدثنا أحمد ابن الخليل، حدثنا الأصمعي قال: جاء عمرو بن عبيد إلىٰ أبي عمرو ابن العلاء فقال: يا أبا عمرو، أيخلف الله ما وعد؟ قال: أفرأيت من أوعده الله علىٰ عمله عقابًا، أيخلف الله وعده فيه؟ فقال أبو عمرو بن العلاء: من العُجْمَة أُتِيْتَ يا أبا عثمان، إن الوعد غير الوعيد، إن العرب لا تعدّ عارًا ولا خُلْفًا أنْ تَعِدَ شرًّا ثمَّ لا تفعله، ترىٰ ذلك كرمًا وفضلًا، وإنما الخُلْف أن تَعِدَ خيرًا ثمَّ لا تفعله، قال: فأَوْجِدْني هذا في كلام العرب، قال: نعم، أما سمعت إلىٰ قول الأول:

ولا يرهبُ ابنُ العم ما عشتُ سطوتي ... ولا أختشىٰ من صولة المتهدِّد

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده» (٣٣١٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٩٦٠)، وغيرهما، والحديث من منكرات سهيل بن أبي حزم، كما قال البخاري، وأحمد، وبهذا أعله البيهقي. ومعنىٰ الحديث ثابت في الوحيين.

وإنِّـي وإنْ أوعدتــه أووعدتــه لمخلفُ إيعـادي ومنجزُ مَوْعِدي»[١]

قال أبو الشيخ: وقال يحيىٰ بن معاذ: «الوعد والوعيد حق، فالوعد: حق العباد علىٰ الله، ضَمِنَ لهم إذا فعلوا كذا أن يعطيهم كذا، ومن أولىٰ بالوفاء من الله. والوعيد: حقه علىٰ العباد، قال: لا تفعلوا كذا فأعذبكم، ففعلوا، فإن شاء عفا، وإن شاء أخذ، لأنه حقه، وأولاهما بربنا تبارك وتعالىٰ، العفو والكرم، إنه غفور رحيم»[٢].

ومما يدل علىٰ ذلك ويؤيده خبر كعب بن زهير حين أوعده رسول الله ﷺ فقال:

نُبِّئْـتُ أنَّ رسـول الله أوعدني والعفـو عند رسـول الله مأْمُولُ[٣]

فإذا كان هذا في وعيد مطلق، فكيف بوعيدٍ مقرون باستثناء مُعَقَّب بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود:١٠٧] وهذا إخبار منه أنَّه يفعل ما يريد عقيب قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾، فهو عائد إليه ولا بد، ولا يجوز أن يرجع إلىٰ المستثنىٰ منه وحده، بل إما أن يختص بالمستثنىٰ، أو يعود إليهما، وغير خاف ان تعلُّقه بقوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ أولىٰ من تعلُّقه بقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾، وذلك ظاهر للمتأمل، وهو الذي فهمه الصحابه، فقالوا: «أتت هذه الآية علىٰ كل وعيد في القرآن»[٤]، ولم

(١) أخرجه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (١٨٨)، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ٩٩)، وهي قصة صحيحة.

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وفي «الحلية» (١٠/ ٥٢) معناه مختصرًا.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٧٠٦)، وأبو نُعيم في «المعرفة» (٥٨٣٣)، وهو مسلسل بالمجاهيل، وله شاهدان مرسلان، أحدهما لعاصم بن عمر بن قتادة، وآخر لابن المسيب.

(٤) تقدم ص (٤٨٦).

يريدوا بذلك الاستثناء وحده، فإن الاستثناء مذكور في الأنعام أيضًا، وإنما أرادوا أنَّه عقب الاستثناء بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾.

وهذا التعقيب نظير قوله تعالىٰ في الأنعام ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٢٨]. فأخبر أن عذابهم في جميع الأوقات، ورَفْعَه عنهم في وقتٍ يشاؤه = صادر عن كمال علمه وحكمته لا عن مشيئة مجردة عن الحكمة والمصلحة والرحمة والعدل، إذ يستحيل تجرد مشيئته عن ذلك.

الوجه الرابع والعشرون: أن جانب الرحمة أغلب في هذه الدار الباطلة الفانية الزائلة عن قرب من جانب العقوبة والغضب، ولولا ذلك لما عُمِرَت، ولا قام لها وجود، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [النحل:٦١]، وقال ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر:٤٥]، فلولا سعة رحمته ومغفرته وعفوه لما قام العالم، ومع هذا فالذي أظهره - من الرحمة في هذه الدار، وأنزله بين الخلائق - جزء من مئة جزء من الرحمة، فإذا كان جانب الرحمة قد غلب في هذه الدار، ونالت البرَّ والفاجر والمؤمن والكافر، مع قيام مقتضىٰ العقوبة به ومباشرته له، وتمكنه من إغضاب ربه، والسعي في مسَاخِطِه، فكيف لا يغلب جانب الرحمة في دار تكون الرحمة فيها مضاعفة علىٰ ما في هذه الدار تسعة وتسعين ضعفًا[1]، وقد أخذ العذاب من الكفار مأخذه، وانكسرت تلك النفوس ونهكها العذاب، وأذاب منها خبثًا وشرًّا، لم يكن يحول بينها وبين رحمته لها في الدنيا، بل كان يرحمها مع قيام مقتضىٰ العقوبة والغضب بها فكيف إذا زال مقتضىٰ الغضب والعقوبة، وقوي جانب الرحمة

(١) يشير إلىٰ ما أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٧٥٢) من حديث أبي هريرة عن النَّبي ﷺ قال: «إنَّ لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام... وأخَّر تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة».

أضعاف أضعاف الرحمة في هذه الدار، واضمحل الشر والخبث الذي فيها فأذابته النار وأكلته.

وسِرُّ الأمر أن أسماء الرحمة والإحسان أغلب وأكثر وأظهر من أسماء الانتقام، وفعل الرحمة أكثر من فعل الانتقام، وظهور آثار الرحمة أعظم من ظهور آثار الانتقام، والرحمةُ أحب إليه من الانتقام، وبالرحمة خَلَقَ خلْقه ولها خلقهم، وهي التي سبقت غضبه وغلبته، وكتبها علىٰ نفسه، ووسعت كل شيء، وما خلق بها فمطلوب لذاته، وما خلق بالغضب فمراد لغيره، كما تقدم تقرير ذلك. والعقوبة تأديب وتطهير، والرحمة إحسان وكرم وجود، والعقوبة مداواة، والرحمة عطاء وبذل.

الوجه الخامس والعشرون: أنَّه سبحانه لا بُدَّ أن يظهر لخلقه جميعهم يوم القيامة صدقه وصدق رسله، وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين المفترين، ويظهر لهم حكمه الذي هو أعدل حكم في أعدائه، وأنه حكم فيهم حكمًا يحمدونَهُ هم عليه؛ فضلًا عن أوليائه وملائكته ورسله، بحيث ينطق الكون كله بالحمد لله رب العالمين، ولذلك قال تعالىٰ: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر:٧٥]، فحذف فاعل القول إرادة الإطلاق، وأن ذلك جار علىٰ لسان كل ناطق وقلبه، قال الحسن: «لقد دخلوا النار، وإن قلوبهم لممتلئة من حمده ما وجدوا عليه سبيلًا»[1]، وهذا هو الذي حَسَّنَ حذف الفاعل من قوله: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الزمر:٧٢] حتىٰ كأنَّ الكون كله قائل ذلك لهم، إذ هو حُكْمُهُ العدل فيهم، ومقتضىٰ حكمته وحمده.

وأما أهل الجنة فقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر:٧٣]، فهم لم يستحقوها بأعمالهم، وإنما استحقوها بعفوه ورحمته وفضله، فإذا أشهد سبحانه ملائكته وخلقه كلهم حُكْمه العدل، وحكمته

(١) لم أقف عليه.

الباهرة، ووَضْعه العقوبة حيث تشهد العقول والفِطَر والخليقة أنَّه أولىٰ المواضع وأحقها بها، وأن ذلك من كمال حمده الذي هو مقتضىٰ أسمائه وصفاته، وأن هذه النفوس الخبيثة الظالمة الفاجرة، لا يليق بها غير ذلك، ولا يحسن بها سواه، بحيث تعترف هي من ذواتها بأنها أهل ذلك، وأنها أولىٰ به = حصلت الحكمة التي لأجلها وُجِدَ الشر وموجباته في هذه الدار وتلك الدار.

وليس في الحكمة الإلهية أن الشرور تبقىٰ دائمًا لا نهاية لها، ولا انقطاع أبدًا، فتكون هي والخيرات في ذلك علىٰ حدٍّ سواء.

فهذا نهاية أقدام الفريقين في هذه المسألة، ولعلَّك لا تظفر به في غير هذا الكتاب.

فإن قيل: إلىٰ أين انتهىٰ قدمكم في هذه المسألة العظيمة الشأن، التي هي أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة؟

قيل: إلىٰ قوله تبارك وتعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود:١٠٧] وإلىٰ ها هنا انتهىٰ قدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيها، حيث ذكر دخول أهل الجنةِ الجنةَ، وأهل النارِ النارَ، وما يلقاه هؤلاء وهؤلاء، وقال: «ثمَّ يفعل الله بعد ذلك ما يشاء»[1].

بل وإلىٰ ها هنا انتهت أقدام الخلائق، وما ذكرنا في هذه المسألة، بل في الكتاب من صواب فمن الله سبحانه، وهو المَانُّ به، وما كان من خطإٍ فمِنِّي، ومن الشيطان، والله ورسوله بريء منه، وهو عند لسان كل قائل وقلبه وقصده، والله أعلم.

---

(١) لم أقف عليه.

ص(٧٩٣)

الباب الثامن والستون

في ذكر آخر أهل الجنة دخولًا إليها

في «الصحيحين»[١] من حديث منصور، عن إبراهيم عن عَبِيْدة عن عبد الله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنِّي لأعلم آخر أهل النَّارِ خروجًا منها، وآخر أهل الجنَّة دخولًا الجنَّة، رجلٌ يخرج من النَّار حَبْوًا، فيقول اللهُ له: اذهب فادخل الجنَّة، فيأتيها فيخيل إليه أنَّها ملأىٰ فيرجع فيقول: يا ربِّ وجدتها ملأىٰ، فيقول اللهُ له: اذهبْ فادخل الجنَّة، فإنَّ لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إنَّ لك عشرة أمثال الدنيا، قال: فيقول: أتسخرُ بي أو تضحك بي وأنت الملك؟ قال: لقد رأيتُ رسول الله ﷺ ضحك حتَّىٰ بدت نواجذه، قال: فكان يقال: ذلك أدنىٰ أهل الجنَّة منزلةً**».

وفي «صحيح مسلم»[٢] من حديث الأعمش عن المعرور بن سُويد عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنِّي لأعلمُ آخر أهل الجنَّة دخولًا الجنَّة، وآخر أهل النَّارِ خروجًا منها، رجلٌ يؤتىٰ به يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغارَ ذنوبه وارفعوا كِبَارَهَا، فتُعْرَض عليه صغار ذنوبه فيقال: عملتَ يوم كذا وكذا؛ كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا؛ كذا وكذا، فيقولُ: نعم، لا يستطيع أن ينكر وهو مشفقٌ من كبار ذنوبه أنْ تُعْرَض عليه، فيقال له: فإنَّ لكَ مكان كلِّ سيئةٍ حسنة، فيقول: ربِّ قد عملت أشياءَ لا أراها ها هنا، فلقد رأيتُ رسول الله ﷺ ضَحِكَ حتَّىٰ بدت نواجذه**».

---

(١) البخاري (٦٢٠٢)، ومسلم (١٨٦).

(٢) برقم (١٩٠).

وقال الطبراني: حدثنا عبد الله بن سعد بن يحيىٰ الرقي، حدثنا أبو فروة يزيد بن محمَّد بن سِنَان الرهاوي قال: حدثني أبي عن أبيه قال: حدثني أبو يحيىٰ الكلاعي، عن أبي أُمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ آخر رجلٍ يدخلُ الجنَّة رجل يتقلَّب علىٰ الصراط ظَهْرًا لبطن، كالغلام يضربه أبوه وهو يفرُّ منه، يعجز عنه عمله أنْ يسعىٰ، فيقول: يا رب بلِّغ بي الجنَّة، ونجِّني من النَّارِ، فيوحي الله تبارك وتعالىٰ إليه: عبدي إنْ أنا نجَّيتك من النَّارِ وأدخلتك الجنَّة؛ أتعترفُ لي بذنوبك وخطاياك؟ فيقول العبد: نعم يا ربِّ وعزتك وجلالك لئن نجيتني من النَّارِ لأعترفنَّ بذنوبي وخطاياي فيجُوْز الجِسْرَ، ويقول العبد فيما بينه وبين نفسه: لئن اعترفت له بذنوبي وخطاياي ليردني إلىٰ النَّارِ، فيوحي الله إليه: عبدي اعْترِفْ لي بذنوبك وخطاياك اغفرها لك وأدخلك الجنة، فيقول العبد لا وعزَّتك وجلالك ما أذنبتُ ذنبًا قطُّ ولا أخطأتُ خطيئةً قطُّ، فيوحي الله إليه: عبدي إنَّ لي عليك بَيِّنة فيلتفت العبد يمينًا وشمالًا فلا يرىٰ أحدًا، فيقول: يا ربِّ أرني بيِّنتك فيستنطق الله جلده بالمُحقَّرات، فإذا رأىٰ ذلك العبد يقول: يا رب عندي وعزَّتك العظائم فيوحي الله إليه: عبدي أنا أعرف بها منك اعترف لي بها أغفرها لك، وأدخلك الجنَّة، فيعترف العبد بذنوبه فيدخل الجنَّة، ثمَّ ضحك رسول الله ﷺ حتَّىٰ بدت نواجذه يقول: «هو أدنىٰ أهل الجنَّة منزلة فكيف بالَّذي فوقه؟**»[1].

ورواهُ ابن أبي شيبة عن هاشم بن القاسم حدثنا أبو عقيلٍ عبد الله بن عقيل الثقفي، عن يزيد بن سنان به.

وفي «صحيح مسلم»[2] عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال:

---

(١) تقدم ص (٥١٦).

(٢) برقم (١٨٧).

«آخر من يدخل الجنَّة رجلٌ فهو يمشي مرَّة، ويكبو مرَّة، وتسفعهُ النَّارُ مرَّة، فإذا جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الَّذي نجَّاني منك، لقد أعطاني الله شيئًا ما أعطاهُ أحدًا من الأوَّلين والآخرين، فتُرفع له شجرة فيقول: أي ربِّ أدْنِني من هذه الشجرة أستظلُّ بظِلِّها وأشرب من مائها، فيقول اللهُ تبارك وتعالىٰ: يا ابن آدم لَعلِّي إنْ أعطيتكها سألتني غيرها؟ فيقول: لا يا ربِّ، ويعاهده أنْ لا يسأله غيرها وربه يعذره؛ لأنَّه يرىٰ ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثمَّ يُرفع له شجرة هي أحسن من الأولىٰ، فيقول: يا ربِّ أدنني من هذه لأشرب من مائها، وأستظل بظلِّها، لا أسألك غيرها، فيقول: يابن آدم ألم تعاهدني أنْ لا تسألني غيرها؟ وربُّه يعذره؛ لأنَّه يرىٰ ما لا صبر له عليه فيدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثمَّ ترفع له شجرة عند باب الجنَّة هي أحسن من الأوليين، فيقول: أي ربِّ أدنني من هذه الشجرة لأستظل بظلها وأشرب من مائها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أنْ لا تسألني غيرها؟ قال: بلىٰ يا ربِّ، هذه لا أسألك غيرها، وربه يعذره؛ لأنَّهُ يرىٰ ما لا صبر له عليه فيدنيه منها، فإذا أدناهُ منها سمع أصوات أهل الجنَّة فيقول: يا ربِّ أدخلنيها فيقول: يا ابن آدم ما يصريني[1] منك، أيرضيك أنْ أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يا ربِّ أتستهزئ مِنِّي وأنت ربُّ العالمين؟ فضحك ابن مسعود فقال: ألا تسألوني مِمَّ أضحك؟ قالوا: مِمَّ تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ، فقالوا: مِمَّ تضحك يا رسول الله؟ قال: «**من ضحك ربِّ العالمين حين قال: أتستهزئ بي وأنت رب العالمين، فيقول: لا أستهزئ بك ولكنِّي علىٰ ما أشاء قادر**».

وفي «صحيح البرقاني» من حديث أبي سعيد الخدري نحو هذه القصة ونحن نسوقه بتمامه من عنده، وهو بإسناد مسلم سواء.

(١) أي: يقطعني، والصِرىٰ: القطع.

قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أدنىٰ أهل النَّار عذابًا منتعل بنعلين من نارٍ يغلي دماغه من حرارة نعليه[١]، وإنَّ أدنىٰ أهل الجنَّة منزلةً رجلٌ صَرَفَ الله وجهه عن النَّارِ قِبَلَ الجنَّة، ومثَّلَ له شجرة ذات ظلٍّ، فقال: أي ربِّ قدِّمني إلىٰ هذه الشجرة لأكون في ظلها، فقال الله ﷻ: هل عسيت إنْ فعلت أنْ تسألني غيره، قال: لا وعزَّتك فقدَّمه الله إليها، ومثَّل له شجرة ذات ظلٍّ وثمرٍ أخرىٰ، فقال: أي: ربِّ قدمني إلىٰ هذه الشجرة أستظل بظلها، وآكل من ثمرها، قال: فقال: هل عسيت إنْ أعطيتك ذلك أنْ تسألني غيره، قال: لا وعزَّتك فيقدمه إليها فيمثل له شجرة أخرىٰ ذات ظلٍّ وثمرٍ وماءٍ، فيقول: أي ربِّ قدِّمني إلىٰ هذه الشجرة، فأكون في ظلها، وآكل من ثمرها وأشرب من مائها، فيقول: هل عسيت إن فعلت ذلك أنْ تسألني غيره؟ فيقول: لا وعزَّتك لا أسألك غيره، فيقدمه الله إليها فتبرز له الجنَّة، فيقول: أي رب قدمني إلىٰ باب الجنَّة فأكون نِجَاف الجنة -وفي رواية: تحت نجاف الجنَّة- أنظر إلىٰ أهلها، فيقدمه الله إليها فيرىٰ أهل الجنَّة وما فيها، فيقول: أي ربِّ أدخلني الجنَّة فيدخله الجنَّة، فإذا دخل الجنَّة، قال: هذا لي، فيقول الله له: تمنَّ، قال: فيتمنَّىٰ ويُذَكِّره الله سل كذا وكذا، فإذا انقطعت به الأماني، قال اللهُ: هو لك وعشرةُ أمثاله، قال: ثمَّ يدخل بيته فتدخل عليه زوجتاهُ من الحور العين، فيقولان: الحمدُ لله الَّذي أحياك لنا وأحيانا لك، فيقول: ما أُعطي أحدٌ مثل ما أُعطيت».

وفي «صحيح مسلم»[٢] من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: «سأل موسىٰ ربه: من أدنىٰ أهل الجنَّة منزلة؟ فقال: هو رجلٌ يجيء بعدما دخل أهل الجنَّة الجنَّة، فيقال له: أُدخل الجنَّة، فيقول: أي ربك كيف؟ وقد نزل النَّاس منازلهم

---

(١) إلىٰ هنا انتهىٰ لفظ مسلم في «صحيحه» (٢١١)، وآخره عند مسلم (١٨٨).

(٢) برقم (١٨٩).

وأخذوا أخذاتهم، فيقال له: أترضىٰ أنْ يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا، فيقول رضيت ربِّ! فيقال له: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فيقول في الخامسة: رضيتُ رب، فيقول: لك هذا وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذَّت عينك، فيقول: رضيت ربِّ، قال: فأعلاهم منزلةً؟ قال: ذلك الَّذي أردت غرست كرامتهم بيدي، وختمتُ عليها، فلم ترَ عينٌ، ولا تسمع أذنٌ، ولم يخطر علىٰ قلب بشر»، ومصداقه في كتاب اللهِ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:١٧] ».

ص(٧٩٩)

الباب التاسع والستون
وهو بابٌ جامع فيه فصول منثورة لم يُذْكر فيما تقدم من الأبواب

ص(٧٩٩)

فصل
في لسان أهل الجنَّة

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا القاسم بن هاشم حدثنا صفوان بن صالح حدَّثني رَوَّاد بن الجرَّاح العسقلاني، حدثنا الأوزاعي عن هارون بن رئاب، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يدخل أهل الجنَّةِ الجنَّةِ علىٰ طول آدم ستين ذراعًا بذراع الملك، علىٰ حُسن يوسف، وعلىٰ ميلاد عيسىٰ ثلاث وثلاثين سنة، وعلىٰ لسان محمد ﷺ جُرْدٌ مُردٌ مكحلون**»[١].

وروىٰ داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: «لسانُ أهلِ الجنَّة عربي»[٢].

قال عُقَيْل: قال الزهري: «لسانُ أهل الجنَّة عربي»[٣].

---

(١) تقدم في ص (٢٠٩).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٢١٨)، وفيه: الواقدي: متروك.

ورُوي عن ابن عباس مرفوعًا مثله عند أبي نعيم في «صفة الجنَّة» (٢٦٨)، وهو حديث موضوع.

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» -رواية نُعيم- (٢٤٥)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٢١٩، ٢٢١)، وسنده صحيح.

فصـــل

ص(٨٠٠)

في احتجاج الجنَّة والنَّارِ

في «الصحيحين»[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«احتجت النَّارُ والجنَّةُ فقالت هذه: يَدْخُلني الجبَّارون والمتكبِّرون، وقالت هذه: يدخلني الضعفاء والمساكين، فقال اللهُ عز وجل لهذه: أنت عذابي أعذِّبُ بك من أشاء، وقال لهذه: أنتِ رحمتي أرحمُ بك من أشاء، ولكلٍّ واحدةٍ منكما ملؤها»**.

وفي رواية أخرىٰ: **«تحاجت النَّارُ والجنَّة، فقالت النَّار: أوثرتُ بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنَّة: فمالي لا يدخلني إلا ضعفاء النَّاس وسقطهم وعجزهم. فقال الله سبحانه للجنَّة: أنتِ رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنَّارِ: أنت عذابي أعذِّب بك من أشاء من عبادي، ولكلٍّ واحدةٍ منكما ملؤها، فأمَّا النَّارُ فلا تمتلئ حتَّىٰ يضع قَدَمَهُ عليها فتقول: قطْ قطْ، فهنالك تمتلئ وينزوي بعضها إلىٰ بعض، ولا يظلمُ الله من خلقه أحدًا، وأمَّا الجنَّة فإنَّ الله عز وجل ينشئ لها خلقًا»**[2].

فصـــل

ص(٨٠١)

في أنَّ الجنَّة يبقى فيها فضل فينشئ الله لها خلقًا دون النَّار

في «الصحيحين»[3] عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: **«لا تَزَال جهنَّم يُلقىٰ فيها وتقول: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ حتَّىٰ يضع ربُّ العزَّةِ فيها قدمه فينزوي بعضها إلىٰ**

(١) البخاري (٤٥٦٩)، ومسلم (٢٨٤٦)، والَّلفظ له.

(٢) البخاري (٤٥٦٩)، ومسلم (٢٨٤٦).

(٣) البخاري (٦٩٤٩)، ومسلم (٢٨٤٨).

بعض، وتقول: قَطْ قَطْ بعزَّتك وكرمك، ولا يزال في الجنَّة فضلٌ حتَّىٰ ينشئ الله لها خلقًا، فيسكنهم الجنَّةِ».

وفي لفظ مسلم[1]: «يبقىٰ من الجنَّة ما شاء اللهُ أنْ يبقىٰ، ثمَّ ينشئ الله سبحانه لها خلقًا ممَّا يشاء».

وأمَّا اللَّفظُ الَّذي وقع في «صحيح البخاري»[2] في حديث أبي هريرة: «وأنَّه ينشئ للنَّار من يشاء، فيلقىٰ فيها فتقول: ﴿هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾ [ق:٣٠]؛ فغلط من بعض الرواة انقلب عليه لفظه، والروايات الصحيحة ونصُّ القرآن يردُّه، فإنَّ الله سبحانه أخبر أنَّهُ يملأ جهنَّم من إبليس وأتباعه، وأنَّه لا يعذِّب إلا من قامت عليه حُجَّتُه، وكذَّب رُسُلَهُ، قال تعالىٰ: ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ﴾ [الملك:٨-٩] ولا يظلم الله أحدًا من خلقه.

فصل

ص(٨٠٢)

في امتناع النوم على أهل الجنة

روىٰ ابن مردويه من حديث سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «النومُ أخو الموتِ، وأهل الجنَّة لا ينامون»[3].

وذكر الطبراني من حديث يحيىٰ بن سعيد الأنصاري، عن محمد بن المنكدر، عن جابر قال: سُئِلَ نبي الله ﷺ فقيل: أينامُ أهل الجنَّة؟ فقال النَّبي ﷺ: «النوم أخو الموت، وأهل الجنَّة لا ينامون»[4].

---

(١) برقم (٢٨٤٨).

(٢) برقم (٧٠١١)، وقد تقدم في ص (٤٩٦-٤٩٧).

(٣) تقدم في ص (٥٤).

(٤) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٩١٩)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٣٦٦)، وهو حديث منكر.

فصـــل

ص(٨٠٢)

في ارتقاء العبد وهو في الجنة من درجة إلى درجة أعلى منها

قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، أنبأنا حمَّاد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي صالح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله ليرفعُ الدرجة للعبدِ الصالح في الجنَّة فيقول: يا ربِّ أنَّىٰ لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدِك لك**»[1].

فصـــل

ص(٨٠٣)

في إلحاق ذُرِّية المؤمن به في الدَّرجة وإنْ لم يعملوا عمله

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾ [الطور: ٢١].

وروىٰ قيس عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله ليرفعُ ذُرِّية المؤمن إليه في درجته، وإنْ كانوا دونه في العمل، لتقرَّ بِهِمْ عينه، ثمَّ قرأ** ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾ **قال: ما نقصنا الآبَاءَ مِمَّا أَعطينا البنين**»[2].

وذكر ابن مردويه في «تفسيره» من حديث شريك عن سالم الأفطس، عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال شريك: أظُنُّه حكاهُ عن النَّبي ﷺ قال: «**إذا دخل الرجل الجنَّة سأل عن أبويه وزوجته وولده، فيقال: إنَّهم لم يبلغوا درجتك أو عملك فيقول: يا رب قد عملت لي ولهم، فيؤمر بالإلحاق بهم ثمَّ تَلَا ابن عباس** ﴿وَٱلَّذِينَ

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٥٠٩) وابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (١٨٩)، وابن ماجه (٣٦٦٠)، وغيرهم، وجوَّد إسناده ابنُ عبد البر، وصحَّحه ابن كثير والبوصيري.

(٢) أخرجه البزار (٢٢٦٢)، وابن مردويه (٦/ ١٤٧)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٤٢)، وروي عند عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٠٩) وغيره موقوفًا عن ابن عباس، وهو الصواب.

ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم﴾ [الطور:٢١] إلىٰ آخر آية»[١].

وقد اختلف المفسرون في الذرية في هذه الآية، هل المراد بها الصغار أو الكبار أو النوعان؟ علىٰ ثلاثة أقوالٍ.

واختلافهم مبنيٌّ علىٰ أنَّ قوله ﴿بِإِيمَٰنٍ﴾ حالٌ من الذرية التابعين، أو المؤمنين المتبوعين.

• **فقالت طائفة**: المعنىٰ والَّذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم في إيمانهم، فأتوا من الإيمان بمثل ما أتوا به، ألحقناهم بهم في الدرجات.

قالوا: ويدلُّ علىٰ هذا قراءة من قرأ: ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم﴾ فجعل الفعل في الاتباع لهم.

قالوا: وقد أطلق اللهُ سبحانه الذرية علىٰ الكبار، كما قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنعام:٨٤]، وقال: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [الإسراء:٣]. وقال: ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٣] وهذا قول الكبار العقلاء.

قالوا: ويدلُّ علىٰ ذلك ما رواهُ سعيد بن جبير عن ابن عباس يرفعه: «إنَّ اللهَ يرفعُ ذُرِّيَة المؤمن إلىٰ درجته، وإنْ كانوا دونَهُ في العملِ لتقرَّ بهم عينُه»[٢].

فهذا يدلُّ علىٰ أنَّهم دخلوا بأعمالهم، ولكن لم يكن لهم أعمالٌ يبلغوا بها درجة آبائهم فبلَّغهم إياها، وإن تقاصر عملهم عنها.

قالوا: وأيضًا فالإيمان: هو القول والعمل والنية، وهذا إنما يمكن من الكبار.

وعلىٰ هذا، فيكون المعنىٰ: أنَّ الله سبحانه يجمع ذرية المؤمن إليه إذا أتوا من

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٢٤٨)، وفي «الصغير» (٦٤٠) وإسناده ضعيف جدًّا.

(٢) تقدَّم قريبًا.

الإيمان بمثل إيمانه، إذ هذا حقيقة التَّبَعِيَّة، وإن كانوا دونه في الإيمان رفعهم الله إلىٰ درجته إقرارًا لعينه، وتكميلًا لنعيمه، وهذا كما أن زوجات النَّبي ﷺ معه في الدرجة تَبَعًا، وإن لم يبلغنَ تلك الدرجة بأعمالهن.

• **وقالت طائفة أخرىٰ**: الذرية هاهنا الصغار.

والمعنىٰ: والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم في إيمان الآباء، والذرية تتبع الآباء -وإنْ كانوا صغارًا- في الإيمان وأحكامه، من الميراث والدية والصلاة عليهم، والدفن في قبور المسلمين، وغير ذلك؛ إلا فيما كان من أحكام البالغين، ويكون قوله ﴿بِإِيمَٰنٍ﴾ علىٰ هذا في موضع نصب علىٰ الحال من المَفْعُولَيْن، أي: وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان الآباء.

قالوا: ويدل علىٰ صحة هذا القول: أنَّ البالغين لهم حكم أنفسهم في الثواب والعقاب، فإنَّهم مستقِلُّون بأنفسهم ليسوا تابعين الآباء في شيء من أحكام الدنيا، ولا أحكام الثواب والعقاب، لاستقلالهم بأنفسهم، ولو كان المراد بالذرية: البالغين؛ لكان أولاد الصحابة البالغون كلهم في درجة آبائهم، ويكون أولاد التابعين البالغين كلهم في درجة آبائهم، وهلم جرًّا إلىٰ يوم القيامة، فيكون الآخرون في درجة السابقين.

قالوا: ويدل عليه أيضًا، أنه سبحانه جعلهم معهم تبعًا في الدرجة، كما جعلهم تبعًا في الإيمان، ولو كانوا بالغين لم يكن إيمانهم تبعيًّا، بل إيمان استقلال.

قالوا: ويدل عليه أيضًا، أن الله سبحانه جعل المنازل في الجنة بحسب الأعمال في حق المستقلين، وأما الأتباع فإن الله سبحانه يرفعهم إلىٰ درجة أهليهم، وإن لم تكن لهم أعمالهم، كما تقدم.

وأيضًا: فالحور العين والخدم في درجة أهاليهم وإن لم يكن لهم عمل بخلاف

المكلفين البالغين، فإنهم يرفعون إلىٰ حيث بَلَّغتهم أعمالهم.

• **وقالت فرقة منهم الواحدي**: الوجْهُ أن تُحْمَلَ الذرية علىٰ الصغار والكبار؛ لأنَّ الكبير يتبع الأب بإيمان نفسه، والصغير يتبع الأب بإيمان الأب.

قالوا: والذرية تقع علىٰ الصغيرِ والكبير، والواحد والكثير، والابن والأب، كما قال تعالىٰ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [يس:٤١] أي: آباءهم، والإيمان يقع علىٰ الإيمان التبعي، وعلىٰ الاختياري الكسبي، فمن وقوعه علىٰ التَّبعِي قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء:٩٢]. فلو أعتق صغيرًا جاز.

قالوا: وأقوال السلف تدل علىٰ هذا. قال سعيد بن جبير: عن ابن عباس: «إنَّ الله يرفع ذُرِّية المؤمن في درجته وإنْ كانوا دونَهُ في العمل، لتقرَّ به عيونهم ثمَّ قرأ هذه الآية»[١].

وقال ابن مسعود في هذه الآية: «الرجلُ يكون له القدم، وتكون له الذرية فيدخل الجنَّة، فيُرْفَعون إليه لتقرَّ به عينه، وإنْ لم يبلغوا ذلك»[٢].

وقال أبو مِجْلَزٍ: «يجمعهم الله له كما كان يحب أن يجتمعوا في الدنيا»[٣].

وقال الشعبي: «أدخل الله الذرية بعمل الآباء الجنَّة»[٤].

وقال الكلبي عن ابن عباس: «إنْ كان الآباء أرفع درجة من الأبناء رفع الله الأبناء إلىٰ الآباء، وإن كان الأبناء أرفع درجة من الآباء رفع اللهُ الآباء إلىٰ الأبناء»[٥].

(١) تقدَّم الكلام عليه قريبًا.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أخرجه ابن المنذر في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٦/ ١٤٨).

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٧/ ٢٥ - ٢٦). وسنده صحيح.

(٥) ذكره القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٦٧)، وهو لا يثبت عن ابن عباس.

وقال إبراهيم: «أعطوا مثل أجور آبائهم ولم ينقص الآباء من أجورهم شيئًا»[١].

قالوا: ويدلُّ علىٰ صِحَّة هذا القول أنَّ القراءتين كالآيتين، فمن قرأ: ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ ذُرِّيَّتُهُم﴾ [الطور:٢١] فهذا في حقِّ البالغين الَّذين يصحُّ نِسْبَة الفعل إليهم كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة:١٠٠]، ومن قرأ: ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ فهذا في حقِّ الصغار الَّذين أَتْبَعَهُمُ الله آباءهم في الإيمان حُكْمًا، فدلَّت القراءتان علىٰ النوعين.

قلتُ: واختصاص الذُّرية ها هنا بالصغار أظهر لئلا يلزم استواء المتأخرين والسابقين في الدرجات، ولا يلزم مثل هذا في الصِّغار؛ فإنَّ أطفال كلِّ رجلٍ وذرِّيته معه في درجته، والله أعلم.

فصــل

ص(٨١٠)

في أن الجنة تتكلم

قد تقدم قوله ﷺ: «**احتجت الجنة والنار**»[٢].

وقوله: «قالت الجنة: يا رب قد اطردت أنهاري، وطابت ثماري فعجِّل عليَّ بأهلي»[٣].

وقال إسماعيل بن أبي خالد، عن سعد الطائي: «أُخْبِرتُ أن الله تعالىٰ لما خلق الجنة قال لها: تزيَّني فتزيَّنَتْ، ثم قال لها: تكلمي، فتكلمت، فقالت: طوبىٰ لمن رضيتَ عنه»[٤].

---

(١) أخرجه هناد في «الزهد» (١٨٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٧/ ٢٦) والَّلفظ له. وسنده صحيح.

(٢) ص (٥٢٩).

(٣) تقدم ص (٣٦).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٣٨)، وأبو نعيم في «صفة الجنَّة» (١٩) وغيرهم. وسنده صحيح.

وقال قتادة: «لما خلق الله الجنة قال لها: تكلَّمي، فقالت: طوبىٰ للمتقين»[١].

وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن علي، حدثنا هشام بن خالد، حدثنا بقية، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«لما خلق الله جنة عدن خَلَقَ فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر، ثم قال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون»**[٢].

ص(٨١١)

فصل

في أن الجنة تزداد حُسْنًا على الدوام

قال عبد الله بن أحمد: حدثنا خلف بن هشام، حدثنا خالد بن عبد الله، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث، عن كعب قال: «ما نظر الله إلىٰ الجنة إلا قال: طوبىٰ لأهلك، فتزداد ضِعْفًا حتىٰ يدخلها أهلها»[٣].

ص(٨١٢)

فصل

في أن الحور العين يطلبن أزواجَهن أكثر مما يطلبهنَّ أزواجُهنّ

قد تقدم حديث معاذ بن جبل في ذلك، وقول الحوراء لامرأته في الدنيا: «لا تؤذيه فيوشك أن يفارقك إلينا»[٤].

وحديث عكرمة، عن النَّبي ﷺ في قول الحوراء: «اللهم أَعِنْه علىٰ دينك،

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٣٩)، وسنده ضعيف جدًّا. وقد روي مسندًا عن أنس، ولا يصح.

(٢) تقدم في الباب (٦٤).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٣٧)، والدارمي في «الردِّ علىٰ الجهمية» (٢٠١) مطوَّلًا، والآجري في «الشريعة» (٥٧٣) مطولًا.

(٤) ص (٣٣١).

وأقْبِلْ بقلبه علىٰ طاعتك»[١].

وذكر ابن أبي الدنيا، عن أبي سليمان الداراني قال: «كان شاب بالعراق يتعبد، فخرج مع رفيق له إلىٰ مكة، فكان إذا نزلوا فهو يصلي، وإن أكلوا فهو صائم، فصبر عليه رفيقه ذاهبًا وجائيًا، فلما أراد أن يفارقهُ، قال له: يا أخي أخبرني ما الذي هَيَّجَك إلىٰ ما رأيت؟ قال: رأيت في النوم قصرًا من قصور الجنة، وإذا لبنة من فضة ولبنة ذهب، فلما تم البناء إذا شرفة من زبرجد، وشرفة من ياقوت، وبينهما حوراء من حور العين مرْخِيَّة شعرها، عليها ثوب من فضة ينثني معها كلما تَثَّنتْ، فقالت: جُدَّ إلىٰ الله في طلبي، فقد والله جددت إليه في طلبكَ، فهذا الذي تراه في طلبها».

قال أبو سليمان: «هذا في طلب حوراء، فكيف بمن قد طلب ما هو أكثر منها؟»[٢].

فصل

ص(٨١٣)

في ذبح الموت بين الجنة والنار

قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم:٣٩].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «يجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة، هل تعرفون هذا؟ فيشرئِبُّون[٣] وينظرون ويقولون: نعم، هذا الموت. قال: ثم يقال: يا أهل النار، هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم، هذا الموت، قال: فيؤمر به فيذبح، قال: ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت،

(١) ص (٣٣١).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٣٦٠).

(٣) يشرئبون: يمدُّون أعناقهم رافعي رؤوسهم متشوِّفين متطاولين لذلك.

ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ » متفق عليه[١].

وفي «الصحيحين»[٢] أيضًا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«يُدخِل الله أهلَ الجنةِ الجنةَ، ويدخل أهلَ النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم، فيقول: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، كلٌّ خالد فيما هو فيه»**.

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا صار أهل الجنة إلىٰ الجنة، وصار أهل النار إلىٰ النار أُتِيَ بالموت حتىٰ يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح ثم ينادي منادٍ: يا أهل الجنة: لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحًا إلىٰ فرحهم، ويزداد أهل النار حزنًا إلىٰ حزنهم»**[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«إذا دخلَ أهل الجنَّة الجنَّة وأهلُ النَّارِ النَّارَ أُتِيَ بالموتِ مُلَبَّبًا فيوقفُ علىٰ السُّور الَّذي بين أهل الجنَّة وأهلِ النَّارِ، ثمَّ يُقال: يا أهل الجنَّة فيطَّلعون خائفين، ثمَّ يُقال: يا أهل النَّار فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة، فيقال لأهلِ الجنَّة وأهل النَّارِ: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: هؤلاء وهؤلاء: قد عرفناهُ، هو الموت، الَّذي وُكِّلَ بنا، فيضجع فيُذْبح ذَبْحًا علىٰ السور، ثمَّ يقال: يا أهل الجنَّة خلودٌ لا موت، ويا أهل النَّارِ خلودٌ لا موت»**[٤].

رواهُ النسائي والترمذي وقال: «حديثٌ حسنٌ صحيح».

---

(١) البخاري (٤٤٥٣)، ومسلم (٢٨٤٩).

(٢) البخاري (٦١٧٨)، ومسلم (٢٨٥٠).

(٣) البخاري (٦١٨٢)، ومسلم (٢٨٥٠).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٥٥٧)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٥٦٩)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٦٨)، وغيرهم عن أبي هريرة، ولفظ «خائفين» لم يَرِدْ في الروايات الصحيحة.

وهذا الكبش، والإضجاع، والذبح، ومعاينة الفريقين ذلك = حقيقةٌ لا خيال ولا تمثيل، كما أخطأ فيه بعض النَّاس خطأً قبيحًا، وقال: الموت عَرَض، والعرض لا يتجسَّم فضْلًا عن أنْ يُذبح. وهذا لا يصحُّ فإنَّ الله سبحانه ينشئ من الموت صورة كبش يذبح، كما ينشئ من الأعمال صورًا مُعَاينة يُثَابُ بها ويعاقب، والله تعالىٰ ينشئ من الأعراض أجسامًا تكون الأَعراض مادَّةً لها، وينشئ من الأجسام أعراضًا، كما ينشئ سبحانه من الأعراض أعراضًا، ومن الأجسام أجسامًا.

فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للرَّب تعالىٰ، ولا يستلزم جمعًا بين النقيضين، ولا شيئًا من المُحَال، ولا حاجة إلىٰ تكلف من قال: إنَّ الذبح لملك الموت. فهذا كله من الاستدراك الفاسد علىٰ الله ورسوله، والتأويل الباطل الَّذي لا يوجبه عقلٌ ولا نقل، وسببه قِلَّة الفهم لمراد الرسول ﷺ من كلامه، فظنَّ هذا القائل أنَّ لفظ الحديث يدلُّ علىٰ أن نفْسَ العَرَض يُذبح.

وظنَّ غالطٌ آخر: أنَّ العَرَضَ يُعدم ويزول، ويصير مكانه جسمٌ يُذبح.

ولم يهتد الفريقان إلىٰ هذا القول الَّذي ذكرناهُ، وأنَّ الله سبحانه وتعالىٰ يُنشئ من الأعراض أجسامًا يجعلها مادَّةً لها، كما في الصحيح عنه: «تجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنَّهما غمامتان»[1] الحديث.

فهذه هي القراءة ينشئها الله سبحانه غمامتين.

وكذلك قوله في الحديث الآخر: «إنَّ ما تذكرون من جلال الله من تسبيحه وتمجيده وتكبيره، وتهليله، يتعاطفن حول العرش، لهُنَّ دَوَيٌّ كدويِّ النَّحلِ، يُذَكِّرْنَ بصاحبهن»[2] ذكره أحمد.

---

(١) أخرجه مسلم (٨٠٤).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٢٦٨)، وابن ماجه (٣٨٠٩)، والطبراني في «الدعاء» =

وكذلك قوله في حديث عذاب القبر ونعيمه للصورة التي يراها: «فيقول: من أنتَ؟ فيقولُ: أنا عملك الصَّالح، وأنا عملك السيئ»[1].

وهذا حقيقة لا خيال؛ ولكنَّ الله سبحانه أنشأ له من عمله صورةً حسنةً، وصورة قبيحة، وهل النور الَّذي يُقْسَم بين المؤمنين يوم القيامة إلا نفس إيمانهم، أنشأ اللهُ سبحانه منه نورًا، يسعىٰ بين أيديهم، فهذا أمرٌ معقولٌ لو لم يرد به النص، فورود النص به من باب تطابق السمع والعقل.

وقال سعيد عن قتادة: بلغنا أنَّ نبي الله ﷺ قال: «**إنَّ المؤمن إذا خرج من قبره صُوِّرَ له عمله في صورةٍ حسنةٍ وشارةٍ حسنة، فيقول له: من أنتَ؟ فوالله إنِّي لأراك امرأ الصدق، فيقول له: أنا عملك، فيكون له نورًا وقائدًا إلىٰ الجنَّة. وأمَّا الكافر إذا خرج من قبره، صُوِّر له عمله في صورة سيئة، وشارة سيئة، فيقول: ما أنت؟ فوالله إنِّي لأراك امرأ السوء، فيقول له: أنا عملك، فينطلق به حتَّىٰ يدخله النَّار**»[2].

وقال مجاهد: مثل ذلك[3].

وقال ابن جُريج: «يُمَثَّلُ له عمله في صورة حسنة، وريح طيبة، يعارض صاحبه ويبشره بكلِّ خيرٍ، فيقول له: من أنتَ؟ فيقول: أنا عملك، فيجعل له نورًا بين يديه حتَّىٰ يدخله الجنَّة فذلك قوله: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ [يونس:٩]، والكافرُ يُمَثَّلُ

= (١٦٩٣)، وغيرهم.

(١) تقدم في ص (١٠١).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٨) وهو مرسل صحيح الإسناد.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٨٩) بلفظ: «يكون لهم نورًا يمشون به». وهو صحيح عن مجاهد.

له عمله في صورةٍ سيِّئة وريح منتنة، فيلازم صاحبه ويُلادُّه[(١)] حتَّىٰ يقذفه في النَّارِ»[(٢)].

وقال ابن المبارك: حدثنا المبارك بن فضالة، عن الحسن أنَّه ذكر هذه الآية: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [الصافات:٥٨-٥٩] قال: «علموا أنَّ كلَّ نعيمٍ بعده الموتُ أنَّه يقطعه، فقالوا: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ قيل: لا، قالوا: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾»[(٣)].

وكان يزيد الرَّقاشي يقول في كلامه: «أَمِنَ أهلُ الجنَّة من الموتِ، فطابَ لهم العيش، وأمِنُوا من الأسقامِ، فهُنا هم في جوار اللهِ طول المقام، ثمَّ يبكي حتَّىٰ تجري دموعه علىٰ لحيته»[(٤)].

فصل

ص(٨١٩)

في ارتفاع العبادات في الجنة إلا عبادة الذكر فهي دائمة

روىٰ مسلم في «صحيحه»[(٥)] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**يأكل أهل الجنَّة فيها ويشربون، ولا يَمْتخِطُون ولا يتغوَّطُون، ولا يبولون، ويكون طعامهم ذلك جشاءً ورشحًا كرشح المسك، يُلْهَمون التسبيح والحمد كما يلهمون النَّفَس**».

---

(١) كذا في جميع النُّسخ، ومعناهُ: السَّير بجانبه، ووقع عند الطبري: «ويلازُّهُ»، وهي بمعنىٰ المقارنة والملازمة.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٨٩).

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٧٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ٥٢١ «الدر المنثور»). وسنده صحيح.

(٤) ذكره المزي في «تهذيب الكمال» (٣٢/ ٧٣).

(٥) برقم (٢٨٣٥).

وفي روايةٍ: «التسبيح والتكبير كما تلهمون»(١) بالتاء المثناة من فوق، أي: تسبيحهم وتحميدهم يجري مع الأنفاس، كما تلهمون أنتم النَّفَس.

ص(٨١٩)

فصــل

في تذاكر أهل الجنَّة ما كان بينهم في دار الدنيا

قال تعالىٰ: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٥٠ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ [الصافات:٥٠-٥١] الآيات، وقد تقدم الكلام عليها(٢).

وقال: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٢٧ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝٢٦ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ [الطور:٢٥-٢٧].

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث الربيع بن صبيح، عن الحسن، عن أنسٍ يرفعه: **«إذا دخل أهل الجنَّةِ الجنَّةَ، قال: فيشتاق الإخوان بعضهم إلىٰ بعض، فيسير سرير هذا إلىٰ سرير هذا، وسرير هذا إلىٰ سرير هذا، حتىٰ يجتمعا جميعًا فيتكئ هذا، ويتكئ هذا، فيقول أحدهما لصاحبه: تعلم متىٰ غفر الله لنا؟ فيقول صاحبه: نعم يوم كذا وكذا، في موضع كذا وكذا، فدعونا الله فغفر لنا»**(٣).

وإذا تذاكروا ما كان بينهم، فتذاكرهم فيما كان يُشْكِلُ عليهم في الدنيا من مسائل العلم، وفهم القرآن والسنة، وصِحَّة الأحاديث = أولىٰ وأحرىٰ، فإن المذاكرة في الدنيا في ذلك ألذُّ من الطعام والشراب والجماع، فتذاكر ذلك في الجنَّة أعظم لذَّة، وهذه لذَّة يختص بها أهل العلم، ويتميزون بها علىٰ من عداهم. والله المستعان.

---

(١) برقم (٢٨٣٥).

(٢) في ص(٣٦٤).

(٣) تقدم الكلام عليه ص (٣٦٧)، وهو لا يثبت.

الباب السبعون

ص(٨٢١)

في ذكر المستحق لهذه البشرى دون غيره

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة:٢٥].

وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت:٣٠].

وقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر:١٧-١٨].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة:٢٠-٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ﴾ [الشورى:٢٢،٢٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس:١١].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٦٩-١٧١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١١١].

وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

وقال تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف:١٣].

وقال في الجنَّة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣].

وقال: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ﴾ [الحديد:٢١].

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف:١٠٧].

وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون:١-١١].

وفي «المسند» وغيره أنَّ النَّبي ﷺ قال: **«قد أُنْزلت عليَّ عشر آيات من أقامهنَّ دخل الجنَّة، ثمَّ قرأ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ حتَّىٰ ختم العشر الآيات»**(١).

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥].

وقال تعالىٰ: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:١١٢].

وقال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم:٦٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف:١٠-١٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦]

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٤)، والترمذي (٣١٧٣)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٤٣٩)، وغيرهم، عن عمر بن الخطاب، وأعله أبو حاتم والعقيلي وابن معين وابن عدي والذهبي، فالحديث منكر كما قال النسائي.

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

وهذا في القرآن كثير، مداره علىٰ ثلاث قواعد: إيمان، وتقوىٰ، وعمل خالص لله علىٰ موافقة السنة. فأهل هذه الأصول الثلاثة هم أهل البشرىٰ دون مَنْ عَدَاهم من سائر الخلق، وعليها دارت بشارات القرآن والسنة جميعها، وهي تجتمع في أصلين: إخلاص في طاعة الله، وإحسان إلىٰ خلقه، وضدها يجتمع في الذين يراؤون ويمنعون الماعون، ويرجع إلىٰ خصلة واحدة، وهي موافقة الرب سبحانه وتعالىٰ في محابِّه، ولا طريق إلىٰ ذلك إلا بتحقيق القدوة ظاهرًا وباطنًا برسول الله ﷺ.

وأما الأعمال التي هي تفاصيل هذا الأصل، فهي: «بضعٌ وسبعون شعبة: أعلاها قول لا إله ألا الله، وأدناها إماطه الأذىٰ عن الطريق»[١]،

وبين هاتين الشعبتين سائر الشُّعب التي مرجعها إلىٰ تصديق الرسول في كل ما أخبر به، وطاعته في جميع ما أمر به إيجابًا واستحبابًا، كالإيمان بأسماء الرب وصفاته وأفعاله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل كما قال الشافعي رحمه الله: «الحمد لله الذي هو كما وصف به نفسه، وفوق ما يصفه به خلقه».

وكأنَّه أخذ هذا من قول النَّبي ﷺ: «**اللَّهم لك الحمد كالذي نقول، وخيرًا مما نقول**»[٢].

وقد ذكرنا في أول الكتاب جملة مقالات أهل السنة والحديث التي أجمعوا

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٢٠)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٨٤١)، والمحاملي في «الدعاء» (٦٢) من حديث علي بن أبي طالب فذكره مطوَّلًا.

عليها، كما حكاه الأشعري عنهم، ونحن نحكي إجماعهم، كما حكاه حرب - صاحب الإمام أحمد - عنهم بلفظه، في «مسائله» المشهورة.

«هذا مذهب أهل العلم، وأصحاب الأثر، وأهل السنة المتمسكين بها، المقتدىٰ بهم من لَدُن أصحاب النَّبي ﷺ إلىٰ يومنا هذا، وأدركت مَنْ أدركت مِنْ علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم، فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب أو طعن فيها، أو عاب قائلها، فهو مخالفٌ مبتدعٌ خارجٌ عن الجماعة، زائلٌ عن منهج السنة وسبيل الحق.

قال: وهو مذهب أحمد وإسحاق بن إبراهيم بن مخلد، وعبد الله ابن الزبير الحميدي، وسعيد بن منصور، وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العِلْمَ، فكان من قولهم: «أنَّ الإيمان قول وعمل ونِيَّة وتمسُّك بالسنة، والإيمان يزيد وينقص، ويُسْتثنىٰ في الإيمان غير أنْ لا يكون الاستثناء شكًّا، إنَّما هي سنَّةٌ ماضيةٌ عند العلماء. فإذا سئل الرجل: أمؤمن أنت؟ فإنَّه يقول: أنا مؤمن إن شاء الله؟ أو مؤمن أرجو، أو يقول: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله.

ومن زعم أنَّ الإيمان قولٌ بلا عمل؛ فهو مرجئ، ومن زعم أنَّ الإيمان هو القول والأعمال شرائع؛ فهو مرجيء. ومن زعم أنَّ الإيمان يزيدُ ولا ينقص، فقد قال يقول المرجئة، ومن لم يَرَ الاستثناء في الإيمان؛ فهو مرجئ، ومن زعم أنَّ إيمانه كإيمان جبريل والملائكة فهو مرجئ. ومن زعم أنَّ المعرفة تقع في القلب وإن لم يتكلم بها؛ فهو مرجئ.

والقدر خيره وشره، وقليله وكثيره، وظاهره وباطنه، وحلوه ومره، ومحبوبه ومكروهه، وحسنه وسيئه، وأوله وآخره = من الله ﷻ، قضاءٌ قضاه علىٰ عباده، وقدرٌ قدَّره عليهم، لا يعدو أحدٌ منهم مشيةَ الله ﷻ ولا يجاوزه قضاؤه، بل هم كلهم

صائرون إلىٰ ما خلقهم له، واقعون فيما قَدَّر عليهم، وهو عدل منه جل ربنا وعزَّ.

والزنىٰ والسرقة، وشرب الخمر، وقتل النفس، وأكل المال الحرام، والشرك والمعاصي كلها بقضاء الله وقدرٍ من الله، من غير أن يكون لأحد من الخلق علىٰ الله حُجَّة، بل لله الحجة البالغة علىٰ خلقه ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣].

وعِلْمُ الله ﷻ ماض في خلقه بمشيئة منه، قد عَلِمَ من إبليس ومن غيره -ممَّن عصاه من لدن عُصِي تبارك وتعالىٰ إلىٰ أن تقوم الساعة- المعصية وخلقهم لها.

وعلم الطاعة من أهل الطاعة وخلقهم لها، فكل يعمل لِمَا خُلِقَ له، وصائر إلىٰ ما قضىٰ عليه، لا يَعْدُو أحد منهم قَدَرَ الله ومشيئته، والله الفعال لما يريد.

ومن زعم أنَّ الله سبحانه شاء لعباده الذين عَصَوْهُ الخير والطاعة، وأنَّ العباد شاءوا لأنفسهم الشر والمعصية، فعملوا علىٰ مشيئتهم = فقد زعم أنَّ مشيئة العباد أغلب من مشيئة الله تبارك وتعالىٰ، وأي افتراء أكبر علىٰ الله من هذا؟!.

ومن زعم أنَّ الزنىٰ ليس بقدر، قيل له: أرأيت هذه المرأة حملت من الزنىٰ، وجاءت بولد، هل شاء الله ﷻ أن يخلق هذا الولد، وهل مضىٰ في سابق علمه؟ فإن قال: لا، فقد زعم أنَّ مع الله خالقًا، وهذا الشرك صراحًا.

ومن زعم أنَّ السرقة، وشرب الخمر، وأكل المال الحرام ليس بقضاء وقدر؛ فقد زعم أنَّ هذا الإنسان قادرٌ علىٰ أنْ يأكل رزق غيره، وهذا صراح قول المجوسية، بل أكل رزقه الذي قضىٰ الله أن يأكله من الوجه الذي أكله.

ومن زعم أنَّ قتل النفس ليس بقدر من الله ﷻ، فقد زعم أنَّ المقتول مات بغير أجله، وأي كفر أوضح من هذا؟ بل ذلك بقضاء الله ﷻ، وذلك عدلٌ منه في خلقه، وتدبيره فيهم، وما جرىٰ من سابق علمه فيهم، وهو العدل الحق الذي يفعل ما يريد.

ومن أقرَّ بالعلم لزمه الإقرار بالقدر والمشيئة علىٰ الصِّغَر والقماءة(١).

ولا نشهد علىٰ أحدٍ من أهل القبلة أنَّه في النَّار لذنب عمله، ولا لكبيرة أتاها، إلا أن يكون ذلك في حديث فيروىٰ الحديث كما جاء، ولا ننص الشهادة، ولا نشهد لأحد أنَّه في الجنَّة بصالح عمله، ولا بخير أتاه إلا أن يكون في ذلك حديث، فيروىٰ الحديث كما جاء علىٰ ما رُوِي، ولا ننصُّ الشهادة.

والخلافة في قريش ما بقي من الناس اثنان، ليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها، ولا يخرج عليهم، ولا يقر لغيرهم بها إلىٰ قيام الساعة.

والجهاد ماضٍ قائمٌ مع الأئمة بروا أو فجروا، لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل.

والجمعة والعيدين والحج مع السلطان، وإن لم يكونوا بَرَرَة عدولًا أتقياء.

ودفع الصدقات والخراج والأعشار والفيء والغنائم إليهم عدلوا فيها أو جاروا.

والانقياد لمن ولاه الله ﷻ أمركم، لا ننزع يدًا من طاعته، ولا تخرج عليه بسيف، حتىٰ يجعل الله لك فرجًا ومخرجًا، ولا نخرج علىٰ السلطان، ونسمع ونطيع، ولا ننكث بَيْعتهُ، فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة.

وإن أمرك السلطان بأمر هو لله معصية، فليس لك أن تطيعه البتة، وليس لك أن تخرج عليه، ولا تمنعه حقه.

والإمساك في الفتنة سنةٌ ماضيةٌ واجبٌ لزومها، فإنِ ابْتُلِيت فقدِّم نفسك دون دينك، ولا تُعِنْ علىٰ الفتنة بِيَدٍ ولا لسان، ولكن أكفف يدك ولسانك وهواك، والله المعين.

---

(١) القماءة: بمعنىٰ الصِّغَر والحقارة.

والكف عن أهل القبلة، فلا نكفر أحدًا منهم بذنب، ولا نخرجه من الإسلام بعمل؛ إلا أن يكون في ذلك حديث فيروىٰ الحديث كما جاء، وكما رُوي، فنصدقه ونقبله ونعلم أنَّه كما روي: نحو ترك الصلاة، وشرب الخمر، وما أشبه ذلك، أو يبتدع بدعة ينسب صاحبها إلىٰ الكفر، والخروج من الإسلام، فاتبع ذلك ولا تجاوزه.

والأعور الدجال خارج لا شك في ذلك ولا ارتياب، وهو أكذب الكاذبين.

وعذاب القبر حقٌّ، يسأل العبد عن دينه، وعن نبيه وعن ربه، وعن الجنَّة وعن النَّار.

ومنكر ونكير حق، وهما فتَّانا القبر. نسأل الله الثبات.

وحوض محمد ﷺ حق، حوض تَرِده أُمته، وله آنية يشربون بها منه.

والصراط حق، يوضع علىٰ سواء جهنم، ويمر الناس عليه، والجنَّة من وراء ذلك.

والميزان حق، توزن به الحسنات والسيئات، كما شاء الله أن توزن.

والصور حق، ينفخ فيه إسرافيل فيموت الخلق، ثم ينفخ فيه الأخرىٰ فيقومون لرب العالمين للحساب، وفصل القضاء، والثواب والعقاب، والجنَّة والنَّار.

واللوح المحفوظ حق، يستنسخ منه أعمال العباد، لما سبق فيه من المقادير والقضاء.

والقلم حق كتب الله به مقادير كل شيء، وأحصاه في الذِّكْر.

والشفاعة يوم القيامة حق، يشفع قومٌ في قوم، فلا يصيرون إلىٰ النَّار، ويخرج قوم من النَّار بعد ما دخلوها ولبثوا فيها ما شاء الله، ثم يخرجهم من النَّار، وقوم يخلدون فيها أبدًا، وهم أهل الشرك والتكذيب، والجحود والكفر بالله ﷻ.

ويذبح الموت يوم القيامة بين الجنَّة والنَّار، وقد خلقت الجنَّة وما فيها، وخلقت النَّار وما فيها، خلقهما الله ﷻ، وخلق الخلق لهما، ولا يفنيان ولا يفنىٰ ما فيهما أبدًا.

فإن احتج مبتدع أو زنديق يقول الله ﷻ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]، وبنحو هذا من متشابه القرآن.

قيل له: كل شيء مما كتب عليه الفناء والهلاك هالك، والجنَّة والنَّار خلقهما للبقاء لا للفناء، ولا للهلاك، وهما من الآخرة لا من الدنيا.

والحور العين لا يمتن عند قيام الساعة، ولا عند النفخة، ولا أبدًا؛ لأن الله ﷻ خلقهنَّ للبقاء لا للفناء، ولم يكتب عليهن الموت.

فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع ضل عن سواء السبيل.

وخلق سبع سماوات بعضها فوق بعض، وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض، وبين الأرض العليا إلىٰ السماء الدنيا مسيرة خمس مئة عام، وبين كل سماء إلىٰ سماء مسيرة خمس مئة عام، والماء فوق السماء العليا السابعة، وعرش الرحمن ﷻ فوق الماء، والله ﷻ علىٰ العرش، والكرسي موضع قدميه، وهو يعلم ما في السماوات والأرضين السبع وما بينهما، وما تحت الثرىٰ، وما في قعر البحر، ومنبت كل شعرة وشجرة، وكل زرع وكل نبات، ومسقط كل ورقة، وعدد كل كلمة، وعدد الرمل والحصىٰ والتراب، ومثاقيل الجبال، وأعمال العباد وآثارهم، وكلامهم وأنفاسهم، ويعلم كل شيء، لا يخفىٰ عليه من ذلك شيء.

وهو علىٰ العرش فوق السماء السابعة، ودونه حُجُبٌ من نار ونور وظلمة، وما هو أعلم به.

فإن احتج مبتدع ومخالف بقول الله ﷻ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦]. وبقوله تعالىٰ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إلىٰ قوله: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة:٧]. ونحو هذا من متشابه القرآن.

فقل: إنَّما يعني بذلك العلم؛ لأنَّ الله ﷻ علىٰ العرش فوق السماء السابعة

العليا، يعلم ذلك كله، وهو بائن من خلقه، لا يخلو من علمه مكان.

ولله عَجَّلَ عرش، وللعرش حَمَلَة يحملونه، والله عَجَّلَ علىٰ عرشه، وله حدٌّ[١].

والله عَجَّلَ سميع لا يشك بصير لا يرتاب، عليم لا يجهل، جواد لا يبخل، حليم لا يعجل، حفيظ لا ينسىٰ ولا يسهو، قريب لا يغفل، ويتكلم وينظر ويبسط، ويضحك ويفرح، ويحب ويكره ويبغض، ويرضىٰ ويغضب، ويسخط ويرحم، ويعفو ويغفر، ويعطي ويمنع، وينزل كل ليلة إلىٰ السماء الدنيا كيف يشاء ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١] وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، ويوعيها ما أراد، وخلق آدم بيده علىٰ صورته، والسماوات والأرض يوم القيامة في كفه، ويضع قدمه في النَّار فتنزوي، ويخرج قومًا من النَّار بيده، وينظر إلىٰ وجهه أهل الجنَّة، ويرونه فيكرمهم ويتجلىٰ لهم، ويُعْرَضُ عليه العباد يوم القيامة، ويتولىٰ حسابهم بنفسه، لا يلي ذلك غيره عَجَّلَ.

والقرآن كلام الله تكلم به ليس بمخلوق، فمن زعم أنَّ القرآن مخلوق فهو جهميٌّ كافر، ومن زعم أن القرآن كلام الله ووقف، فلم يقل: ليس بمخلوق، فهو أخبث من القول الأول، ومن زعم أنَّ ألفاظنا وتلاوتنا له مخلوقة والقرآن كلام الله فهو جهمي.

وَكلَّم اللهُ مُوسىٰ تكليمًا: منه إليه، وناوله التوراة من يده إلىٰ يده، ولم يزل الله عَجَّلَ متكلمًا.

والرؤيا من الله، وهي حق إذا رأىٰ صاحبها في منامه مما ليس ضِغْثًا، فَقَصَّها

---

(١) إثبات الحدِّ لله قال به جماعةٌ من السلف: كابن المبارك وحماد بن زيد، والإمام أحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهم، بل ألَّف الدشتي رسالة في إثبات الحدِّ لله. وانظر: «النقض علىٰ بشر المريسي» للدارمي ص (٥٧ - ٥٨).

علىٰ عالم وصَدَقَ فيها، وأوَّلها العالم علىٰ أصل تأويلها الصحيح ولم يحرِّف، فالرؤيا تأويلها حينئذ حق، وقد كانت الرؤيا من الأنبياء وحيًا، فأيُّ جاهل أجهل ممن يطعن في الرؤيا، ويزعم أنَّها ليست بشيء؟ وبلغني أنَّ من قال: هذا القول لا يرىٰ الاغتسال من الاحتلام، وقد روي عن النَّبي ﷺ: «**إن رؤيا المؤمن كلام يكلم به الربُّ عبدَهُ**»[1]. وقال: «**إن الرؤيا من الله**»[2].

وذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ، والكفُّ عن ذكر مساويهم التي شجرت بينهم.

فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ، أو واحدًا منهم أو تَنَقَّصه أو طعن عليهم، أو عرَّض بعيبهم، أو عاب أحدًا منهم، فهو مبتدع رافضي خبيث مخالف، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا، بل حُبُّهم سُنَّة، والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة.

وخير الأمة بعد النَّبي ﷺ أبو بكر، وعمر بعد أبي بكر رضي الله عنهما، وعثمان بعد عمر، وعلي بعد عثمان، ووقف قوم علىٰ عثمان، وهم خلفاء راشدون مهديون، ثم أصحاب رسول الله ﷺ بعد هؤلاء الأربعة خير الناس، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئًا من مساوئهم، ولا يطعن علىٰ أحد منهم بعيب ولا نقص، فمن فعل ذلك فقد وجب علىٰ السلطان تأديبه وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه، بل يعاقبه ويستتيبه، فإن تاب قبل منه، وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة، وخلده الحبس، حتىٰ يموت أو يراجع.

ونعرف للعرب حقها، وفضلها وسابقتها، ونحبهم لحديث رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٤٨٦)، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١٠٧ ق/ ب)، وحرب في «مسائله» ص (٤٣٢) وغيرهم، من طرق عن عبادة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٤١٥)، ومسلم (٢٢٦١) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

«فإن حبهم إيمان، وبغضهم نفاق»[١]، ولا نقول بقول الشُّعوبِيَّة وأراذل الموالي الذين لا يحبون العرب، ولا يقرون لهم بفضل، فإن قولهم: بدعة.

ومن حرَّم المكاسب والتجارات وطِيْبَ المال من وجهه؛ فقد جهل وأخطأ وخالف، بل المكاسب من وجهها حلال، وقد أحلها الله ﷻ ورسوله ﷺ، فالرجل ينبغي له أن يسعىٰ علىٰ نفسه وعياله من فضل ربه، فإن ترك ذلك علىٰ أنَّه لا يرىٰ الكسب فهو مخالف.

والدين إنَّما هو كتاب الله ﷻ، وآثار وسنن وروايات صحاح عن الثقات بالأخبار الصحيحة القوية المعروفة، يصدق بعضها بعضًا حتىٰ ينتهي ذلك إلىٰ رسول الله ﷺ، وأصحابه ﷺ، والتابعين وتابعي التابعين، ومن بعدهم من الأئمة المعروفين المقتدىٰ بهم، المتمسكين بالسنة، والمتعلقين بالآثار، لا يُعْرَفُون ببدعة، ولا يطعن فيهم بكذب، ولا يُرْمَوْن بخلاف.

إلىٰ أن قال: «فهذه الأقاويل التي وصفت مذاهب أهل السنة والجماعة والأثر، وأصحاب الروايات وحملة العلم، الذين أدركناهم، وأخذنا عنهم الحديث، وتعلمنا منهم السنن، وكانوا أئمة معروفين، ثقاتٍ أهل صدق وأمانة يقتدىٰ بهم، ويؤخذ عنهم، ولم يكونوا أصحاب بدع ولا خلاف، ولا تخليط، وهو قول أئمتهم وعلمائهم الذين كانوا قبلهم، فتمسَّكوا بذلك، وتعلَّموه وعلِّموه».

قلت: حرب هذا هو صاحب أحمد وإسحاق، وله عنهما مسائل جليلة، وأخذ عن سعيد بن منصور، وعبد الله بن الزبير الحميدي. وهذه الطبقة، وقد حكىٰ هذه المذاهب عنهم واتفاقهم عليها، ومن تأمل المنقول عن هؤلاء وأضعاف أضعافهم

---

(١) أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٣٥٥)، والطبراني في «الأوسط» (٢٥٣٧)، والحاكم (٤/ ٩٧) وصححه، وتعقبه الذهبي فقال: «الهيثم: متروك، ومعقل: ضعيف».

من أئمة السنة والحديث، وجده مطابقًا لما نقله حرب، ولو تتبعناه لكان بقدر هذا الكتاب مِرارًا، وقد جمعنا منه في مسألة علو الرب تعالىٰ علىٰ خلقه واستوائه علىٰ عرشه وحدها سفرًا متوسطًا[1]، فهذا مذهب المستحقين لهذه البشرىٰ قولًا وعملًا واعتقادًا. وبالله التوفيق.

ص(٨٤٣)

فصــل

ونختم هذا الكتاب بما ابتدأناه به أوَّلًا، وهو خاتمة دعوى أهل الجنَّة

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [يونس:٩-١٠].

قال حجاج: عن ابن جريج: أُخبِرْتُ أنَّ قوله: ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ قال: «إذا مرَّ بهم الطير يشتهونه، قالوا: سبحانك اللهم، وذلك دعواهم، فيأتيهم الملك بما اشتهوا، فيُسلِّم عليهم فيردون عليه، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ﴾، قال: فإذا أكلوا حمدوا ربهم، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾»[2].

وقال سعيد، عن قتادة: قوله تعالىٰ: ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ يقول: «ذلك قولهم فيها: ﴿وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ﴾»[3].

---

(١) هو «اجتماع الجيوش الإسلامية علىٰ غزو المعطلة والجهمية»، وهو مطبوع.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٨٩).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٣٠) والطبري في «تفسيره» (١١/ ٩٠). وسنده صحيح.

وقال الأشجعي: سمعت سفيان يقول: «إذا أرادوا الشيء قالوا: سبحانك اللهم، فيأتيهم ما دعوا به»[١].

ومعنىٰ هذه الكلمة تنزيه الرب تعالىٰ وتعظيمه وإجلاله عما لا يليق به.

وذكر سفيان عن عثمان بن عبد الله بن موهب قال: سمعت موسىٰ بن طلحة قال: سئل رسول الله ﷺ عن «سبحان الله»، فقال: «تنزيه الله عن السوء»[٢].

وسأل ابن الكوَّاء عليًّا عنها، فقال: «كلمةٌ رضيها الله لنفسه»[٣].

وقال حفص بن سليمان: حدثنا طلحة بن يحيىٰ بن طلحة عن أبيه، عن طلحة بن عبيد الله قال: سألت رسول الله ﷺ عن تفسير «سبحان الله»؟ فقال: «**هو تنزيه الله ﷻ عن كلِّ سوءٍ**».

فأخبر تعالىٰ عن أوَّل دعواهم إذا استدعوا شيئًا: قالوا: سبحان الله، وعن آخر دعواهم عندما يحصل لهم، وهو قولهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

ومعنىٰ الآية أعمُّ من ذلك، والدعوىٰ: مثل الدعاء، والدعاءُ يرادُ به الثناء، ويراد به المسألة.

وفي الحديث: «**أفضلُ الدُّعاء الحمدُ لله**»[٤].

فالدعاء هاهنا: دُعاءُ ثناءٍ يُلْهَمَه أهل الجنَّة، فأخبر سبحانه عن أوَّله وآخره،

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٣٠)، والطبري (١١/ ٩٠)، وسنده صحيح.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣١)، وقد اختلف في وصله وإرساله، والمرسل هو الصواب كما قال الدارقطني وابن عدي، وغيرهما، وصحح المتصلَ الحاكم، وتعقبه الذهبي.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٣٨٣)، وابن ماجه (٣٨٠٠)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٣١)، وغيرهم، وصحَّحه ابن حبان والحاكم، وحسَّنه الترمذي وابن حجر.

فأوَّله تسبيحٌ، وآخره حمدٌ يُلْهمونهما كما يُلْهَم النَّفَس.

وفي هذا إشارةٌ إلىٰ أنَّ التكاليف في الجنَّة تسقط عنهم، ولا تبقىٰ عبادتهم إلا هذه الدعوىٰ التي يُلْهَمُونها.

وفي لفظة «اللهم» إشارة إلىٰ صريح الدعاء، فإنَّها متضمنةٌ لمعنىٰ: «يا الله»، فهي متضمنة للسؤال والثناء، وهذا هو الذي فهمه من قال: إذا أرادوا الشيء قالوا: سبحانك اللهم. فذكروا بعض المعنىٰ ولم يَسْتَوْفُوه، مع أنَّهم قصروا به، فإنهم أوهموا أنهم إنَّما يقولون ذلك عندما يريدون الشيء، وليس في الآية ما يدلُّ علىٰ ذلك، بل يدلُّ علىٰ أنَّ أوَّل دعائهم التسبيح، وآخره الحمد.

وقد دلَّ الحديث الصحيح[1] علىٰ أنهم يلهمون ذلك كإلهام النَّفَسِ، فلا تختص الدعوىٰ المذكورة بوقتِ إرادة الشيء، وهذا كما أنه الأليق بمعنىٰ الآية، فهو الأليق بحالهم. والله سبحانه وتعالىٰ أعلم.

---

(١) المتقدم ص (٥٤١).

فهرس الموضوعات

الأدلة علىٰ أن مفتاح الجنة لا إله إلا الله: